

حاشية

العارف بالله تعالى العفور له
أحمد بن محمد الصاوي المالكي الحنوفى

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

نفسية الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيد

بيروت

الحمد لله الأول الآخر
الطاهر الظاهر ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد
الطاهر الفاجر ، وعلى
آله وأصحابه ذوى العلال
والفاجر .

وبعد : فلما انتهى
الكلام على محكاة
الجلال السيوطى فله شرع
الآن فى الكلام على
تأليف شيخه الجلال محمد
ابن أحمد المحلى نفعنا الله
بهما وبهماومهما فى الدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الكهف)

مكية إلا : واصبر نفسك الآية ، مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) هو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى ، وهل المراد
الإعلام بذلك للإيمان به ، أو الثناء به ، أوهما ؟ احتمالات أفيدتها الثالث (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ)
محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أى فيه (عِوَجًا) اختلافا وتناقضا والجملة حال
من الكتاب ،

والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والاسلام . قال نفعنا الله به : (قبا)

[سورة الكهف مكية] سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه ، وسورة
مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدأ
والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكالات أزلى مستمر
وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بأن وصفه الكمالى أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، والمقصود
منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى إيمانهم والخبر بالحمد حامد (قوله أو الثناء به) أى إنشاء الثناء بضمون تلك الجملة لانشاء
الضمون فانه ثابت أزلا يستحيل إنشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا إنشائية معنى كأنه قال أجدد وأشئى حمدا لنفسى بنفسى
لعجز خاقى عن كنهه حمدى ، ولذا حكى عن أبى العباس الرسمى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن آل فى الحمد لله هل هى
جنسية أو عهدية فقال يقولون إنها جنسية فقال لا بل هى عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنهه حمده حمد نفسه بنفسه
وأبناه لهم يحمدهونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع
بين الحقيقة والمجاز فاستعملها فى الخبر حقيقة واستعملها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام
للإيمان والتصديق وإنشاء الثناء (قوله أفيدتها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات .
إن قات إن إنشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم إنشاء الثناء . قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل
غير المقصود فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط كان إنشاء حاصل غير مقصود وإن جعلت إنشائية فقط كان الإيمان
بها حاصل غير مقصود وإن استعملت فىهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى أنزل) تعليق الحكم بالمشق يؤذن
بالعالية كأنه قال الحمد لله لأجل إزاله الخ وإلما جعل الانزال سببا فى الحمد لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى إذ به نال
سعادة العارفين إذ فيه صلاح المعاد والمعاش ، قال تعالى : وأنزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ (قوله على عبده)
الإضافة لتشريف المضاف ، ولذا قال القاضى عياض :

وما زادنى شرفا وتبها وكعدت بأخصى أطا الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمدلى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة إما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة الحمدود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا)
أى فى اللفظ والمعنى ، والموج بالكسر الفساد فى المعانى وبالفتح فى الأجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف
أى ذاتناضى .

(قوله قِيَامًا) إن أريد به الاستقامة في المعنى كان حالاً مؤكدة كما قال للفسر وإن أريد به الاستقامة مطلقاً كان حالاً مؤسسية (قوله مستقيماً) أى مستديلاً قائماً بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يؤمنه في توبه ويتلقى عنه السؤال ويكون بوراً على الصراط ويوضع في الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى أنه يكون حجة عليه ، أو المعنى قِيَامًا حسن الألفاظ والمعاني لكونه في أعلى طبقات النفاحة والبلاغة . فان قلت ما فائدة التأكيد ؟ قلنا دفع توهم أن نفي العوج عن غلبه لأن الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين قدر للفسر الأول بقوله الكافرين والثاني هو قوله بأساً وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الأول وحذف مفعوله الثاني لدلالة ما هنا عليه وذكر مفعوله الأول في الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر ، وفي بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الإنذار إما ضمير عائذ على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله : أن لهم أى بأن لهم وإنما ذكر المفعولين معاً لعدم النظير لهم بخلاف أهل الإنذار فأصنافهم مختلفة (قوله ما كثرين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أى الأجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الأول عطف خاص على عام والنسبة التشبيح والتقييح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدأً أن دعوا (٣) للرحمن ولداً وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولداً) أى مولوداً ذكراً أو أنثى فيشمل النصرى واليهود ومشركي العرب (قوله ما لهم به) بهذا القول (من علم ولا يبأهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالدم محذوف أى مقاتلهم المذكورة (إن) ما (يقولون) في ذلك (إلا) مقولاً (كذباً . فلعلك باخع) مهلك (نفسك على آثارتهم) بدمهم أى بدم تولىهم عنك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفاً) غيظاً وحزناً منك لحركتك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إننا جعلنا ما على الأرض) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

(قِيَامًا) مستقيماً حال ثانية مؤكدة (لِينْذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بِأَسَاءٍ) عذاباً شديداً (مِنْ لَدُنْهِ) من قِبَلِ اللَّهِ (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا) هو الجنة (وَيُنْذِرَ) مَنْ جَمَلَةَ الْكَافِرِينَ (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَأْبَاهُمْ) من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالدم محذوف أى مقاتلهم المذكورة (إِنْ) مَا (يَقُولُونَ) فِي ذَلِكَ (إِلَّا) مَقُولًا (كَذِبًا . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بدمهم أى بدم تولىهم عنك (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) الْقُرْآنِ (أَسْفَاً) غِيظًا وَحُزْنًا مِنْكَ لِحُرُوكِكَ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَنَصْبِهِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) مِنَ الْحَيْوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ ،

يتخذ ولداً (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولداً) أى مولوداً ذكراً أو أنثى فيشمل النصرى واليهود ومشركي العرب (قوله ما لهم به) بهذا القول (من علم ولا يبأهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالدم محذوف أى مقاتلهم المذكورة (إن) ما (يقولون) في ذلك (إلا) مقولاً (كذباً . فلعلك باخع) مهلك (نفسك على آثارتهم) بدمهم أى بدم تولىهم عنك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفاً) غيظاً وحزناً منك لحركتك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إننا جعلنا ما على الأرض) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

لاستحاطته وعدم وجوده . وانماثل أنه راجع لله أى ليس لهم علم بالله إذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح اليم بدل من آبائهم أى فالمراد بأبائهم من تقدمهم عموماً ، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الهم والتاء علامة التانيث والفاعل مستتر تقديره هي وكلمة تميز له والمخصوص بالدم محذوف قدره المفسر بقوله مقاتلهم ، وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى : كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أى من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله في ذلك) أى في هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله إلا كذباً) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولاً (قوله فاعلك باخع الخ) لعل تأتي للترجي ولاشفاق وكل ليس مقصوداً هنا بل المراد هنا النهي ، والمعنى لا تبخع نفسك أى لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم (قوله بدمهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله إن لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير فلا تهلك ، والمتصود منه تسليية النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم حزناً يؤدي لاهلاك نفسك ، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط في الإيمان لا ينهي عنه لأن الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر . (قوله لحركتك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) أى والعامل فيه باخع (قوله إنا جعلنا ما قبله فهو من جملة تسليية صلى الله عليه وسلم وجعل إن كانت بمعنى صبر فزينة مفعول ثان وإن كانت بمعنى خلق فزينة حال أو مفعول لأجله وعلى كل فتوله : ما على الأرض مفعول .

(قوله وغير ذلك) أى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها ويتنعم ، قال تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى ناملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين إلى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس فى حال نظرهم إلى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وهما تمييز والجملة فى محل نصب سقت مسد مفعولى نبأ (قوله أى أزهده) تفسير لقوله : أحسن عملا ، وللعنى تميز بين حسن العمل وسينه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان ضد ذلك فتدبر (قوله لجاهلون) أى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أى ترابا (قوله جزا) نعت لصعيدا ، والمعنى إنا نعيد ما على وجه الأرض من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لانبات به . إن قلت إن قوله ما عليها صريح فى أن الأرض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الأخرى : يوم تبدل الأرض غير الأرض . أوجب بأنه خص ما على الأرض من الزينة لأنه الذى به التروير والفتنة (قوله أم حسبت) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب : مذهب الجمهور تفسير ببل والمهمزة ، وعند طائفة تفسير بالمهمزة وحدها وعليه درج المفسر ، وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله أى أظننت) الاستفهام إنكارى أى لا تظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والأرض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأ كهف (قوله النار فى الجبل) أى وإن لم يكن متسما وهو قول ، وقيل إن الكهف النار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من (ع) رصاص ، وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الفار تحت البناء الذى عليه ،

وقيل إن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف ، وقيل اسم القرية ، وقيل اسم الجبل ، وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تسكوا به من دين عيسى ، وقيل دراهمهم التى كانت

وغير ذلك (زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ) لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فيه أى أزهده له (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فتاتا (جُرُزًا) يابساً لا ينبت (أَمْ حَسِبْتَ) أى ظننت (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) النار فى الجبل (وَالرَّقِيمِ) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كَانُوا) فى قصتهم (مِنْ) جملة (آيَاتِنَا) عجيبة (خَيْرٌ كَانَ وَمَاقِلُهُ حَالٌ أَى كَانُوا عَجَابًا دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ أَوْ أَعْجَبًا ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . إِذْ كَرَّ) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ) ،

معهم ، وقيل كلهم (قوله فيه أسماؤهم) أى فقيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا جمع من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية إلى الكهف) أى نزوه وسكنوه . وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق : لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ، لك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فرم بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الايمان فصار يرسل أعمامه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه ، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنا حزنا شديدا وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم وعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه ليكون فقال مامنكم أن تدبجوا لآهتنا وتبجوا أنفسكم كأهل المدينة فاختراروا إما أن تكونوا على ديننا وإما أن تعلمكم فقال له أكبرهم إن لنا لها عظمتة ملء السموات والأرض لن ندعومن دونه لها أبدا اصنع ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مردا حسنا جدا وقال سأفرغ لكم وأعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أتى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلكم وإنى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم ، ثم إنه سافر لفرض من أغراضه غلظوا أنه إذا رجع من سفره يماقبهم أو يقتلهم فاهتوروا فيما بينهم ، وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي ، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له بنجلوس فيه كهف وصرا فى طريقهم بكتب تتبعهم فطردوه ففعلوا ذلك مرارا

فقال لهم السكب أنا أحب أحب الله عز وجل فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقهم تحت يد واحد منهم اسمه تليخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك النار ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تليخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تليخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون فينهمم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف وألقاه أيضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب العار وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم في كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلسون ما يصنع بهم ، وقد توفي الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتان إيمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبتا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وعن فروا في لوحين من رصاص فجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلتا تابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومر بعده سنون وقرون وتغيرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمتمهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمهم يقولون لآ حياة إلا حياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع ويقول رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابته لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله (5) يبعث من في القبور فألقى الله في قلب

رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف ويبني بجارته حظيرة لغنمه

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) من قبلك (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية (فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أى أغنمهم (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) :

فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه ، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيتهم فلم يتغير منها شيء فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تليخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تمر حالها وأهلها وملكها وقد أخذها أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تليخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جلها الله لكم على يد هذا النقي فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدوا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم ، فلما قرءوها عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن يحل بالاضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والأرض تفضلت على ورحمتي ولم تطفى النور الذي جعلته لآبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وحفظك الله وحفظ ملكك ونهيك بالله من شر الانس والجن فينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مصعبهم فناموا وتوفي الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل يبايعهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما مشى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من سح فجعلوا فيه وأمر أن يبني على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اه ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أى كصبي وصبية (قوله أصاح) أى أويسر (قوله هداية) أى نهيئا على الإيمان وتوفيقا للأعمال الصالحة (قوله فضرربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو

الغنى الحقيقي وليس مراداً بل المراد آتمانهم في الكلام نحو تز حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به لشيء واشتق من الضرب ضربنا بمعنى آتمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أن عدداً مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسأتي عدّها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شيء لولا فأجاب بقوله علم مشاهدة ، والمعنى ليظهر وي شاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا لولا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لا فرقهم فرقين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افرقوا فرقين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لأنه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله لبثهم) أشار بذلك إلى أن ماصدرية مراعى فيها اعتبار المدة ، وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأمداء مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي نفضل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله إنهم فتية) أي شباب كانوا من عظاماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيراً للملك (قوله آمنوا برهم) أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه (قوله قويتها على قول الحق) أي حيث خالفوا الملك (٦) ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله إذ قاموا) ظفار بطنا أي ر بطنا

على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) أي واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) أي خطاباً للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) أي نعبد (قوله أي قولا داشطط) أشار بذلك إلى أن شططا منصوب على المصدرية صفة لمحدوف على حذف مضاف أي إفراط في الكفر أي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله

معدودة (ثُمَّ بَمَثَلَانَهُمْ) أيقظناهم (لِنَمْلَمَ) علم مشاهدة (أَيُّ الْحِزْبِ بَيْنِ) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أَحْصَى) فعل بمعنى أضبط (لِمَا لَبِثُوا) لبثهم وتعلق بما بعده (أَمْدًا) غاية (نَحْنُ نَقْصُ) قرأ (عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَزَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قويتها على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ) أي غيره (إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا) أي قولا ذاشططا : أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهًا غير الله فرضاً (هُؤُلَاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (يَمَنْ أَفْضَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه تعالى . قال بعض الفتية لبعض (وَإِذْ أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقَاتًا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس : ما تر تفقون به من غداء وعشاء (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرْتَوِرُ) بالتشديد والتخفيف : تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) ناحيته (وَإِذْ غَرَبَتِ تَقَرَّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ،

عطف بيان) أي أو بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدأ (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتخصيص والمقصود (رهم) من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه (قوله على عبادتهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف منصوب بمحدوف أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون إلا الله) ما ووصولة أو مصدرية ، والمعنى وإذا اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله أو يعبدونهم غير الله (قوله ينشر لكم) أي يسط ويوسع (قوله وبالعكس) أي فهما قراءتان سبعيتان ، وأما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) أي وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي أولسلك أحد ، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس إذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أي فأصله تزاور قابلت التاء زايًا وأدغمت في الزاي (قوله والتخفيف) أي بحذف إحدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال طرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد بين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش قتميل عنهم الشمس طالمة وغاربة لثلاث تؤذيهم بحرها ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سد

باب الكهف وبنى عليه مسجد لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم في فجوة منه) أي وسطه والجملة حالية (قوله الذكور) أي من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة في أثناء النص لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) أي معينا (قوله مرشدا) أي هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبي أو لكل أحد (قوله بكسر القاف) أي كفضذ وأفخذ ويضم أيضا كعضد وأعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقبلون في كل سنة مرة في يوم عاشوراء وقيل يقبلون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يأمره الله تعالى (قوله وكابهم) وكان أصفر اللون وقيل أمر وقيل كلون السماء واسمه يلمير وقيل ريان ، وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة وبهذا تعلم أن حب الصالحين والتعاقب بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضي المنتقط بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضي لا بمعنى المستقبل (قوله ببناء الكهف) أي رحبته ، وقيل المراد بالصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبي أو لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أي فرارا (قوله رعبا) (٧) أي فرعا . وروى عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس قال :
غزونا مع معاوية نحو
الروم ففررنا بالكهف
الذي فيه أصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف
لناعن هؤلاء نظرنا إليهم
فقال ابن عباس قد منع
من ذلك من هو خير
منك لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فبعث
معاوية أناسا فقال اذهبوا
فانظروا فلما دخلوا
الكهف بعث الله عليهم
ريحا فأخرجتهم (قوله
بسكون العين وضمها)
ظاهرة أن القراءات أربع

(وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيما (ذَلِكَ) المذكور (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا . وَتَحْسِبُهُمْ) لو رأيتمهم (أَيْقَانًا) أي متبين لأن أعينهم منفتحة ، جمع يقظ بكسر القاف (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (وَتَقَلَّبُوهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ) لثلاثا تاكل الأرض لحومهم (وَكَذَّبُوهُمْ بِأَسِطِّ ذِرَاعِيهِ) يديه (بِالْوَصِيدِ) ببناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة (لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَّمْتَهُ) بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُعبًا) بسكون العين وضمها منهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم (وَكَذَلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بِمَعْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ، ثم (قَالُوا) متوقفين في ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ) بسكون الراء وكسرهما بفضتكم (هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يقال إنها المسماة :

وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لأن اللام إن خفت جاز في العين السكون والضم وإن شددت تعين في العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكرنا) أي من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون إيضاظهم آية أخرى يعتبر بهاهم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسبية أو للهاتبة والصبورة (قوله قال قائل منهم) أي واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسامين (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ويميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم في غروب الشمس وعدمه (قوله لأنهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره أنهم ناموا في يوم دخولهم وتقدم أنهم مكثوا مدة في الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أي بعضهم لبعض (قوله شوقين في ذلك) أي في قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أي أرسلوا (قوله أحدكم) أي وهو تلميذا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف ، فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرهما) سبعيتان (قوله هذه) أي الدراهم التي مكثت معهم من بيوت آبائهم فانهم أنفقوا بعضها قبل نومهم وبقى بعضها معهم فوضعوه عند رؤسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم وقيانوس وكان الواحد منها ثمن خف وله الناقة الصخبر .

(قوله الآن) أي في الاسلام وأما في الجاهلية فكانت تسمى أفسوس وقيل أفسوس من أهمال طرسوس (قوله أهل) أي أهل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلف) أي يترقى في ذهابه ورجوعه ثلاثا يعرف (قوله ولا يشعرن بكم أحدا) أي لا يضعن ما يؤدي إلى شعور أحدكم (قوله إنهم) أي أهل المدينة (قوله إن يظهرنا عليكم) أي يملوكم ويطلعوا عليكم (قوله أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم إليها (قوله ولن تفلحوا إذا أبدا) أي لن تظفروا بطلوكم لو وقع منكم ذلك ولو كررها . إن قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله إنهم إن يظهرنا عليكم الخ مع أن المكروه غير مؤاخذ بما أكره عليه . أجب بأن هذا مخصوص بشرعتنا ، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٨) (قوله وكذلك) أي كما أنعمنا وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك

إشارة إلى أن مفعول أعترا محذوف (قوله أي قومهم) أي ذرية قومهم لأن قومهم قد انقرضوا (قوله بلاغذاء) أي قوت (قوله وأن الساعة) أي القيامة (قوله معمول لأعترا) المناسب جعله ظرفا محذوف تقديره اذكر أو لقوله : قال الذين غلبوا (قوله أي المؤمنون والكفار) أي فقال المؤمنون بنبي عليهم مسجدا يصل في فيه الناس لأنهم على ديننا وقال الكفار بنبي عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أي الذين كانوا

الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أي أي أطعمه المدينة أهل (فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَيُلْتَلِطَفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَمْجُورُكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا) أي إن عدتم في ملتهم (أبداً . وَكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَعْتَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَقْتُلُوا) أي قومهم (أَنْ وَعَدَ اللَّهُ) بالبعث (حَقًّا) بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) شك زفيها إذ معمول لأعترا (يَتَنَزَّعُونَ) أي المؤمنون والكفار (بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ) أمر الفتية في البناء حولهم (فَقَالُوا) أي الكفار (أَبْنُوا عَلَيْنَا) أي حولهم (بُنْيَانًا) يستمر (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) ، قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ) حولهم (مَسْجِدًا) يصل في فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سَيَقُولُونَ) أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي أي يقول بعضهم : هم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ) أي بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أي ظنا في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أي المؤمنون (سَبْعَةٌ وَقَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيذاً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضى وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس : أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تَمَارِ) تجادل (فيهم)

إلا

في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أي

وبقى ظهر الكهف مفتوحاً كما تقدم (قوله أي المتنازعون) أي وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة ثلاثة وكذا يقال في قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أي ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أي المؤمنون) أي قالوا ذلك بأخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أي من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيذاً) أي زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الإشارة إلى تصحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بعتهم) أي من غيرهم (قوله ما يعلمهم إلا قليل) أي وهو النبي ومن مع منه (قوله وذكرهم سبعة) أي وهم مكسبينا وقليبتنا ومرطونس ونيثوس وصاربولس وذونرفاصه

وفليسثيونس وهو الراعي واسم كلهم قطمير وقيل خمران وقيل ريان قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تفرق ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والمهرب ولإطفاء الحريق تكتب على خرقة وترعى في وسط النار تطفأ بأذن الله ، ولبكاء الأطفال والحى الثالثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللمركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولتفاء العقل ونجاة الآمين اه (قوله إلا صراء ظاهرا) أى غير متعمق فيه بل تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أى لا تسأل أحدا عن قصتهم فان فيها أوحى إليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنهاية لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه عنها فقال أبوقري غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما أو أربعين حتى شق عليه وتمارت قريش في ذلك (قوله فنزل) أى بعد انقضاء تلك المدة تعالما لأمتة الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى فان الانسان لا يدرى ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أى لأجل شئ) أى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله إني فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله (٩) أى فيما يستقبل من الزمان)

أشار بذلك إلى أن المراد بالند ما يستقبل كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير لخصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء من محوم الأحوال كأنه قال لا تقولن لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ)

إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرًا) بما أنزل عليك (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) تطلب الفتيا (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غداً ولم يقل إن شاء الله فنزل (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) أى لأجل شئ (إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا) أى فيما يستقبل من الزمان (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أى إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (وَأَذْكُرُ رَبِّي) أى مشيئته معلقاً بها (إِذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام في المجلس (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتى (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) عطف بيان لثلاثمائة ، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية ، وتزيد القمرية عليها عند العرب ،

أى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال إن شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام في المجلس) أى ولو انفصل عن الكلام السابق . وقال ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبداً وقيل إلى أربعة أشهر وقيل إلى سنتين ، وقيل ما لم يأخذ في كلام آخر وقيل يجوز بشرط أن ينوى في الكلام وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى لأنه أعلم براده لا في كلام غيره وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حل الجين ولا يضر الفصل بالتنفس أو سعال أو عطاس ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية - فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أدها ذلك للكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لأهل مكة (قوله أن يهدين) أى يبدلنى (قوله فما الدلالة) متعلق بأقرب (قوله رشداً) إما مفعول مطلق ليهدين لموافقته له في المعنى وإليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزاً لأقرب أى لأقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداها لما هو أعجب وأطلعه على ما هو أغرب حيث شاهد مشاهد في ليلة الاسراء وأعطاه علوم الأولين والآخرين وفاق عليهم بعالم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجى في كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا في كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا في مدة لبثهم (قولا عطف بيان) أى لأن تمييز المائة في الكثير مفرد مجرور وفي قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل . قال ابن مالك :

ومائة والآف لهد أنف ومائة بالجمع رواقه رنف

(قوله نسع سنين) أى لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلاث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى نسع سنين) أشار بذلك إلى أن حذف الميز من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) إن قلت ما فائدة الاخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك أجيب بأوجه أحدها أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلاثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية خلافا لزعم بعض الكفار أنها شمسية ثانيها أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته . ثالثها أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده . وأعلم أنه اختلف فى أصحاب الكهف هل ماورد دفنوا أو هم نيام وأجسامهم محفوظة ، والصحيح أنهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة ، وفى رواية «مكتوب فى التوراة والأناجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا ومعتبرا ويجمع الله له ذلك فجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا» اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والأرض وماغاب فيها (قوله على جهة المجاز) أى لأن التعجب استعظام أمر خفى سببه، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى فاحاطته بالموجودات سما وبصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورة ، وإنما المقصود ذكر العظمة لاحقة التعجب (١٠) (قوله من ولى) إمابتدا مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه

(قوله وتلى ما أوحى إليك) أى ولا تعتبر بهم (قونه لا يبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد أن يغير شيئا من القرآن فلا تخش من قراءة تلك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة (قوله ملجأ) أى تلجئ إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وَأَزْدَادُوا تَسْمًا) أى تسع سنين فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أى بالله هى صيغة تعجب (وَأَسْمِعْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شىء (مَا كُنُمْ) لأهل السموات والأرض (مِنْ دُونِهِ مِنْ بَلِيٍّ) ناصر (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غنى عن الشريك (وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَأَمْبَدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْهُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُدُوءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجَهْتُمْ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (وَلَا تَعُدُّ) تنصرف (هَيْئَتَكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَعْقَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن ،

وهو

نفسك) فى هذه الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم

بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الأنعام لأن تلك إنما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كأن الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رقاعة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة ، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع . قال الشاه :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر الجوس

(قوله مع الذين يدهون ربه) أى يبدونه (قوله بالنداء والعشى) المراد بالنداء أوائل النهار وأواخر الليل والعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحيث قد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوم يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربه ورضاه عليهم (قوله لاشيئا من أعراض الدنيا) أى ولا شيئا من نعم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أخرى (قوله تنصرف عينك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لا تعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينك بالنصب لأنه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لا غير فأجاب للفسر بأنها وإن كانت بالرفع إلا أنها ترجع للمعنى بالنصب لأن الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة صند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تنصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكفاف فى هينك والشرط موجود وهو كون الضاف جزءا من للضاف إليه والمعنى لا تنصرف عينك عنهم حال كونك طالبا زينة الدنيا بما يجالسه

الأضواء وصحبة أهل الدنيا والحطاب للنبي والمراد هو وغيره ، وإعما نوطب النبي وإن كان معصوما من ذلك نسبية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه ، فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرفها إن أسلمنا نسل الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحنهم عنك حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان في حين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها أئة بعير وكذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بعيرا ، وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى ، فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذى جعل فى أمى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (قوله فرطاً) مصدر فرط صامى أى متجاوزا فيه الحد (قوله وقل له) أى لعيننة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدأ محذوف قتره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير وإباحة لذكره الوعد الحسن على الإيمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله إنا أعتدنا) راجع لقوله - ومن (١١) شاء فليكفر - وقوله - إن

الدين آمنوا - راجع لقوله - فمن شاء فليؤمن - فهو لف ونشر مشوش (قوله أحاط بهم سرادقها) صفة لنار أوالسرادق كناية عن السور وهو نار أيضا لما ورد : أن أرضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فإذا أوقدت فيها النار صار الكل نارا أجازنا الله منها بمنه وكرمه (قوله

وهو عيينة بن حصن وأصحابه (وَأَتَّبَعَ هَوِيَهُ) فى الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) إسرافا (وَقُلْ) له ولأصحابه هذا القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) تهديد لهم (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ) أى الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِنْ يَسْتَفْهِشُوا يُفَاقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوِي الْوُجُوهُ) من حره إذا قرب إليها (بئسَ الشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أى النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفعها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقا وإلا فأى ارتفاق فى النار (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أى ثيبهم بما تضمنه (أَوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة ، وقيل للتبويض وهى جمع أسورة كأهرة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ،

ينأثوا) فيه مشاكلة لقوله - وإن يستفشيوا - وتهكم بهم إذ لا إغائة فيه لأنه لا ينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحيتين هو اسم لما يبقى فى إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه وهو تشبيه فى الصورة وإلا فهو نار كما وصفه بقوله - يشوى الوجوه - (قوله أى قبح مرتفعها) أى لغول الاسناد إلى النار ونصب مرتفقا على التمييز لأن ذكر الشئ مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله وإلا) أى لا نقل إنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أى وهو الرابط لأنه بمعنى الموصول الذى هو اسم إن على حد سعاد الذى أضناك حب سعادة * (قوله أى ثيبهم) تفسير لقوله لانضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك إلى قوله - وحسنت مرتفقا - وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الأول - جنات عدن - الثانى - تجرى من تحتهم الأنهار - الثالث - يحلون فيها - الرابع - ويلبسون ثيابا - الخامس - متكئين - الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحلوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة لما ورد « أنه يسور المؤمن فى الجنة بثلاث أسورة من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الصحيح « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

(قوله من سنديس وإستبرق) جمع سندسة وإستبرقة ، وقيل ليسا سمعين (قوله من الديباج) أي الحرير (قوله بطائها) أي الفرس (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف : أي يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أي كسفينه ولا يقال له أريكة إلا إذا كان في داخل الحجة وبدونها سرير وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله في الحجة) بفتحين في محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتقا) أي منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمنا وأخوه الأسود ابن عبد الأسود وكان كافرا فشهدهما الله برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تملیخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله - قال قائل منهم إني كان لي قرين - الآيات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال : كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار ، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار ، فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وأنا اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار ، فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإني اشتريت منك دارا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا : اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار (١٢) فتصدق بها ، ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا : اللهم

إني اشتري منك خدما ومتاعا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريق حتى مر به في خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابني حاجة بعد

من سنديس) مارق من الديباج (وإستبرق) ما غلظ منه ، وفي آية الرحمن : بطائها من إستبرق (متكئين فيها على الأرائك) جمع أريكة وهي السرير في الحجة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتقا) وأضرب) اجعل لهم) للكفار مع المؤمنين (مثلا رجلين) بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جعلنا لأحدهما) الكافر (جنتين) بستانين (من أعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرا) يقتات به (كلتا الجنة) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آت) خبره (أكلها) ثمرها (ولم تظلم) تنقص (منه شيئا وفجرتا) أي شققنا (خلاهما نهرا) يجري بينهما (وكان له) مع الجنة (ثمر) بفتح التاء والميم رضمهما وبضم الأول وسكونه الثاني وهو جمع ثمرة ،

كشجرة

فأنتك لتعيني بخير . قال فما فعل بمالك وقد اقتسنا مالا وأخذت شطره فقص

عليه قصته ، فقال وإنك لمن الصديقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقصى عليهما فتوفيا ففرل فيهما - فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - الخ ، وليس هذا مخصوصا بأبي سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أي ويصح أن يكون . فعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنتين (قوله وحفناهما بنخل) أي جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرا) أي ليكون جامعا للاقتوات والنواكه (قوله مفرد) أي باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أي باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) أي وهو مرفوع بضمه مقترنة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلنا مضاف والجنيتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لصمير كان ملحقا بالثني فيعرب بالحروف (قوله آت) (أكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في بعض (قوله وفجرتا) أي شققنا (قوله يجري بينهما) أي ليسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أي لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التي هي من غير الجنة كالنقد والمواشي وسمى ثمرا لأنه يثمر : أي يزيد (قوله بفتح التاء والميم الخ) القراءات الثلاث سبعة (قوله وهو جمع ثمرة) أي بفتحين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالفرد لا يختلف وإنما الاختلاف في الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

(قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة . الأولى أنا أكثر منك الخ . والثانية ودخل جنته الخ . الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى يراجه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق بحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدأ والأصل مالى أكثر منك خذف للبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فانفصل وجعل المبتدأ فى الأصل تمييزاً ويقال فى قوله وأخز نفرنا ما قيل هنا (قوله ويريه آثارها) أى بهجتها وحسناها ، وفى نسخة آثارها وهى ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا ما يقال إنه ينكر البعث فكيف يقول ذلك ؟ فأجاب بأنه مجازاة له فى زعمه (قوله مرجعاً) أشار بذلك إلى أن منقلباً تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل قوله قال له صاحبه) أى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق (١٣) الف والنشر المشوش (قوله

أكفرت) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى لا يبنى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الأخيرة (قوله رجلاً) مفعول ثان لسواك لأنه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكننا) استدراك على قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن . واختلف القراء فى وصل لكننا فبعضهم يثبت ألفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولاً واحداً لتبوتها فى الرسم (قوله أو حذفت المهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أى بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة

كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) الْمُؤْمِنِ (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يَفَاخِرُهُ (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) عَشِيرَةٌ (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بِصَاحِبِهِ يَطُوفُ بِهِ فِيهَا وَيُرِيهِ أُمَمَارَهَا ، وَلَمْ يَقُلْ جَنَّتِهِ إِرَادَةً لِلرُّوضَةِ وَقِيلَ اكْتِفَاءً بِالوَاحِدِ (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بِالْكَفْرِ (قَالَ) مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ (تَعْدَمُ) هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي (فِي الْآخِرَةِ عَلَى زَعْمِكَ) (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْتَلَبًا) مَرْجِعًا (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يُجَاوِبُهُ (أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لِأَنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْهُ (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) مِنْ (ثُمَّ سَوَّكَ) عَدَلَكَ وَصَيَّرَكَ (رَجُلًا . لَكِنَّا) أَصْلُهُ لَكِنَ أَنَا نَقَلْتُ حَرَكَةَ الْمَهْمَزَةِ إِلَى النُّونِ أَوْ حَذَفْتُ الْمَهْمَزَةَ نَحْنُ أَدَغَمْتُ النُّونَ فِي مِثْلِهَا (هُوَ) ضَمِيرُ الشَّأْنِ تَفْسِرُهُ الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ ، وَالْمَعْنَى أَنَا أَقُولُ (اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا) هَلَا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ تَمَلَّتْ) عِنْدَ إِعْجَابِكَ بِهَا هَذَا (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (فِي الْخَدِّ) « مِنْ أَعْطَى خَيْرًا مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَمْ يَرَفِيهِ مَكْرُوهًا » (إِنْ تَرَى أَنَا) ضَمِيرُ فَصْلِ بَيْنَ الْمَفْعُولِينَ (أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا . فَسَمَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) جَوَابُ الشَّرْطِ (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) جَمْعُ حُسْبَانَةٍ أَيْ صَوَاعِقُ (مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) أَرْضًا مَلْسَاءً لَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ (أَوْ يُصْبِحُ مَآوِهَا غَوْرًا) بِمَعْنَى غَائِرًا عَطْفٌ عَلَى يَرْسُلُ دُونَ تَصْبِحُ لِأَنَّ غَوْرَ الْمَاءِ لَا يَتَسَبَّبُ عَنِ الصَّوَاعِقِ (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) حِيلَةٌ تَدْرِكُهَا ،

تدعم حالا (قوله ضمير الشأن) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لأنها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن أنا والرابط الباء من ربى (قوله ولا أشرك بربى أحدا) مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر (قوله ولولا إذ دخلت جنتك) هذا ردٌ للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلية على قلت وإذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ما شاء الله خبر محذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم يرفيه مكروها) أى لم يصب فيه بصيبة (قوله إن ترن) هذارد للمقالة الأولى (قوله ضمير فصل) أى وأقل مفعول ثان وقرى بالرفع فيكون خبراً عن أنا ومالا وولداً تمييزاً وقوله فسعى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل أن يكون فى الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسابان) أى فهو اسم جنس جمى يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائراً) أى ذاهباً فى الأرض (قوله لأن غور الماء الخ) أى أو يقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الإلهى وهو عام يتسبب عنه إما لصباح الجنة صعيداً زلقاً أو مأواها غوراً وعلى هذا فيكون معطوفاً على يصبح .

(قوله وأحيط بثمره) أى أمواله بديل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمد البكرم عليه (قوله ويقول ياليتنى) أى تحسرا وندما على تلف ماله لآتية بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أى يذمونه عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) أى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخر أو تكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجزر فالقراءات أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أى إثابة (قوله لو كان يثيب) أى قاسم التفضيل على بابه طى فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أى أن عاقبة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صبر) أى شبه (قوله) (١٤) مثل الحياة الدنيا) أى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كاه) أى كصفة وحال وهيئة

(وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (مَا أَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ) ندما وتحسرا (عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا) فى عمارة جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (وَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لِيَتَنَبَّهَ) لِيَتَنَبَّهَ لَمْ أَشْرِكْ رَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (لَهُ فِتْنَةٌ) جماعة (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عند هلاكها (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) عند هلاكها بنفسه (هُنَالِكَ) أى يوم القيامة (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لِلَّهِ الْحَقُّ) بالرفع صفة الولاية وبالجزر صفة الجلالة (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وَخَيْرٌ عَقْبًا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبتها على التمييز (وَأَضْرِبْ) صير (لَهُمْ) لقومك (مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا) مفعول أول (كَمَا) مفعول ثان (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) تكاثف بسبب نزول الماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فَأَصْبَحَ) صار النبات (هَشِيمًا) يابساً متفرقة أجزاءه (تَذْرُوهُ) تنثره وتفرقه (الرِّيحُ) فتذهب به ، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيس . فتكسر ففرقه الرياح وفى قراءة الريح (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) قادراً (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا) يتجمل بهما فيها (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى - كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما - (قوله تكاثف) أى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم أن الامتزاج من الجانبين فصح نسبه إلى النبات وإن كان فى عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير غير الطارى وقد دخلت هنا على الكثير الطارى مبالغة فى كثرة الماء حتى كأنه الأصل (قوله فروى)

(خير)

(قوله هشيما) أى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه)

عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وكان الله) أى ولم يزل (قوله قادرا) للناس أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أى وهو الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحراث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ، ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) أى وتسمى غراس الجنة أى أن بكل واحدة من هذه الكلمات تفرس له شجرة فى الجنة فيها ماتشتهى الأنفس وتلق الأعين . وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات المحس وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الأتم وإما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسايح ولو فى العمرمرة ، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة كما فى حديث الامراء

(قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا أن السى على العيال من الخير لأنه من حيز الباقيات الصالحات لا من حيز الزينة ، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم نسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أى غبارا وقوله منبثا أى مفترقا كما فى سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وترى الأرض) أى تبصرها (قوله ولا غيره) أى من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم ننادر) عطف على قوله حشرناهم والمنادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) أى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع ، فالمنى جميعا ونظيره قوله تعالى - ثم اتوا صفا - أى جميعا أو المراد صفوفا لما ورد «أهل الجنة مائة وعشرون أتم منها ثمانون» ، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين (١٥) يا عبادى لا خوف عليكم اليوم

ولا أنتم تحزنون أحضروا
 حجتكم ويسروا جوابكم
 فانكم مسئولون محاسبون
 ياملانكى أقيموا عبادى
 صفوفا على أطراف أنامل
 أقدامهم للحساب» (قوله
 ويقال لهم) أى توييخا
 وتقريبا (قوله أى فرادى)
 أى منفردين عن المال
 والبنين (قوله غرلا) جمع
 أغرل أى غير محتونين (قوله
 بل زهمت) أى قلم قولنا
 كذبا (قوله أى أنه) أى
 الحال والشأن (قوله
 موعدا) أى مكاتبعتون فيه
 (قوله ووضع الكتاب) هو
 البناء للمفعول فى قراءة

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا) أى ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى (وَ) اذكر
 (يَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالُ) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر
 الياء ونصب الجبال (وَرَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها شئ من جبل ولا غيره
 (وَحَشَرَ نَافِثَهُمُ) المؤمنين والكافرين (فَلَمْ نَقْدِرْ) نترك (مِنْهُمْ أَحَدًا) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ
 صَفًّا) حال أى مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)
 أى فرادى حفاة عراة غرلا ، ويقال لمنكرى البعث (بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ) مخففة من الثقيلة أى أنه
 (لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) للبعث (وَوَضِعَ الْكِتَابَ) كتاب كل امرئ فى يمينه من
 المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فَقَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُسْفِينِينَ) خائفين
 (مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ) عند معاينتهم ما فيه من السيئات (يَا) للتنبيه (وَيَلْتَنَّا) هلكتنا وهو
 مصدر لافعل له من لفظه (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَصِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا
 (إِلَّا أَحْصَاهَا) عددا وأثبتها تعجبوا منه فى ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا فى كتابهم
 (وَلَا يَظَلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وَإِذْ) منصوب باذكر
 (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له ،

العامة وقرىء شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) أى فحين يقرؤه بيض وجهه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه
 إلى آخر ما فى سورة الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) أى فحين يقرؤه بسود وجهه ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله
 هلكتنا) أى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم ، وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة الماقل فكأنه يقول
 يا هلاكى احضرى فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أى الويل وقوله لافعل له من لفظه أى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا
 الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره : أى أى شئ نبت لهذا الكتاب (قوله لا يغادر) الجملة حالة من الكتاب
 (قوله تعجبوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) أى الاحصاء المذكور (قوله ولا
 يظلم ربك أحدا) أى لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذا ظرف
 لذلك للقدّر . والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا لأن
 معصية إبليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال إن السجود لغير الله كفر ، وتقدم الجواب بأن
 السجود لله وآدم كالتعبئة أو أن محل كون السجود لغير الله كفرا إن لم يكن هو الأمر به وإلا فالكفر فى المخالفة

(قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قيل ثم نوع من الملائكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتم الندون ويصون (قوله وإبليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعاً وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه أبا إذ الأب يستلزم ابناً (قوله فسقى عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والغاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخي ، والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير في تتخذونه . قال مجاهد : من ذرية إبليس لاقس وولهان وما صاحبها الظهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح الساع وبترو وهو صاحب الصائب يزين خدش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة الرأة ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلتقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسم ^{١٦} ولم يذكر الله دخل معه اه قال القرطبي : واختلف هل لإبليس أولاد

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل ، وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (فَسَقَى عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته) الخطاب لآدم وذريته والماء في الموضعين لإبليس (أولياء من دوني) تطيعونهم (وهم لكم عدو) أى أعداء حال (بس للظالمين بدلا) إبليس وذريته في طاعتهم بدل إطاعة الله (ما أشهدتهم) أى إبليس وذريته (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أى لم أحضر بعضهم بعض (وما كنت متخذ المضلين) الشياطين (عضدا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم (ويوم) منصوب باذكر (يقول) بالياء والنون (نادوا شركا) الأوثان (الذين زعمتم) ليشفوا لكم بزعمكم (فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (وجعلنا بينهم) بين الأوثان وعابديها (موبقا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (ورأى المجرمون النار فظنوا) أى أيقنوا (أنهم موافقوها) أى واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا) بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وكان الإنسان) أى الكافر (أكثر شئ جدلا) :

من صلبه فقال الشعبي سألت رجلا فقال هل لإبليس زوجة؟ فقلت إن ذلك هرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى : أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، فعلت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم . وقال مجاهد إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات ، فهذه أصل ذريته ، وقيل إن الله خلق له في فخذة اليمنى ذكرا وفي فخذة اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج

من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانه فهو يفرخ ويظهر وأعظمهم عند أيهم منزلة . خصومة أعظمهم في بني آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتي (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدا الواقع تمييزا للفاعل المستر وقوله إبليس وذريته بيان للخصوص بالدم المحذوف والأصل بس البدل إبليس وذريته (قوله أى إبليس وذريته) تفسير للضمير في أشهدتهم فالمعنى لم أحضر حين خلقت السموات والأرض ولا حين خلقت أنفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع الضمير (قوله عضدا) هو في الأصل الضو الذى هو من الرفق إلى الكنف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم في مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) أى زعمتموهم شركاء فالله وولان محذوفان (قوله ليشفوا لكم) متعلق بناقوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عابنوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يملون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع يشبه

لقتل في هرابته (قوله خصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل بل هو شديد الخصومة في الحق (قوله ويستغفروا) عطف على أن يؤمنوا (قوله إلا أن تأتيهم سنة الأولين) الكلام على حذف مضاف أي إلا اتنازروهم وطلبهم آتيان مثل سنة الأولين بقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهي الإهلاك) أي الذي يستأصاهم (قوله للقدر) أي في الأزل وقوله عليهم أي الأولين (قوله أو يأتيهم) أي الناس (قوله مقابلة وغيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أي أنواعا) تفسير لقبلا بضمين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب أن يقول أي جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتي) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لخصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها (قوله وما أنذروا) ماموصولة والعائد محذوف هي الذي أنذروا به أو مصدرية أي إنذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان (قوله فأعرض عنها) أي لم يتدبرها وقت تذكره (١٧) بها (قوله إناجعلنا) بمنزلة التعليل

قوله فأعرض (قوله فلا يسمعونه) أي سماع تفهم واتقاع (قوله لعجل لهم العذاب) أي المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعتد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجحدوا من دونه) أي العذاب (قوله موثلا) الموثل المرجع من وأل يشل أي رجح ويقال للرجأ أيضا ، يقال فلان إلى فلان إذا لجأ إليه ، والمعنى لن يجحدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلاصهم منه (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن

خصومة في الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فاعل : أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَبِيلًا) مقابلة وغيانا وهو القتل يوم بدر ، وفي قراءة بضمين جمع قبيل أي أنواعا (وَمَا زُرِئِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (وَالْمُنذِرِينَ) مخوفين للكافرين (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليطلوا بجدهم (الْحَقَّ) القرآن (وَأَتَّخِذُوا آيَاتِي) أي القرآن (وَمَا أَنْذِرُوا) به من النار (هَزُؤًا) سخرية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إِنَّا جَاءَ لَنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفقهوا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْمُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا) أي بالجمل المذكور (أَبَدًا . وَرَبُّكَ الْأَعْفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ) فيها (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثَلًا) ملجأ (وَتِلْكَ الْقُرَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرها (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمُلْكِهِمْ) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي هلاكهم (مَوْعِدًا . وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِقَتِيهِ) ،

الكلام على حذف مضاف (قوله أهدى كنيهم) أي في الدنيا كما قال تعالى : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لهم كنيهم) أي هلاكهم المذكور وقتا معينانزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراءات السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذا ذكر) قتره إشارة إلى أن إذ ظرف لهذوف ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ ، وانفرد أذكروهم قصته وما وقع له مع الحضرة عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أي رسول بني إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الحضرة لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الحضرة نبى أو ولي فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه لأن تلك مزية وهي لا تقتضى الأفضلية ، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أهل الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله - وقل رب زدني علما - خلافا لمن زهم أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران [٣ - صاوى - ثالث]

عصفا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة بعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي ، وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن إفرائيم بن يوسف أرسله الله بعد موسى فقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته في سورة المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته ، وقيل كان عبده وهو بعيد لأن شرط النبي الحزبية (قوله لا أبرح) هي من أخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله أسير أي لأبرح سائرا (قوله ملتقى ببحر الروم الخ) أي وملتقاها عند البحر المحيط (قوله مما يلي المشرق) أي وذلك بأفريقية (قوله دهرًا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة ، وقيل سنة واحدة بلغة قريش ، وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعشق وأصناق (قوله إن بعد) أي إن لم أدركه ، والغنى لا بد من سيرى إلى أن أبلغ مجمع البحرين أو أسير زمنا طويلا حتى أياس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالحضر (قوله نسيًا حوتهما) قيل كان مشويا ، وقيل كان مملحا وقد أكل منه زمنا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع حمله) (١٨) هذا يقتضى أنه كان موجودا على البر حين نسيه يوشع ، ولكن

الوجود في القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة ناما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فاتضح الماء عليه فغاش ووثب في الماء فهذا يقتضى أنه نسي إخبار موسى بما رأى فالناسب للمفسر أن يقول نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب . إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه . ؟ أجب بأنه أدهش من

يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لَا أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) ملتقى ببحر الروم وببحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك (أَوْ أَتَمَّضِيَ حُقُبًا) دهرًا طويلا في بلوغه إن بعد (فَلَمَّا بَلَغْنَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا) بين البحرين (نَسِيًا حُوتَهُمَا) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكره (فَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ) أي جعله يجعل الله (سَرَبًا) أي مثل السرب ، وهو الشق الطويل لا فذاله . وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جرى الماء فأنجاب عنه فبقى كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فَلَمَّا جَاوَزَا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الضياء من ثاني يوم (قَالَ) موسى (لِقَتِيهِ أُنْتَا غَدَاءَنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) تعبًا وحصوله بعد الجاوزة (قَالَ أَرَأَيْتَ) أي تنبه (إِذْ أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَأَنَّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يبدل من الماء (أَنْ أَذْكَرُهُ) بدل اشتغال أي أنساني ذكره (وَأَتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه ،

لما

عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التي ترتبت على ذلك

(قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون في الآية تقديم وتأخير ، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المسكن وسقط في البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أي سبب ذلك (قوله فأنجاب) أي انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) أي صار (قوله كالكوة) هي بالفتح ثقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أي يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ما تحته) أي جعل الحوت لا يمس شيئا في البحر إلا ييس (قوله ذلك المكان) أي مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) أي الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول ببقينا (قوله وحصوله بعد الجاوزة) إنما كان حصول النصب بعد الجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتسوق ، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله أي تنبه) أي تذكر واستمع لما أتته إليك من شأن الحوت (قوله فأنى نسيته الحوت) أي نسيته إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما أنسانيه إلا الشيطان) . إن قلت إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء . ؟ أجب بأنه أضاف النسيان إليه ضمنا لنفسه (قوله أي يتعجب منه موسى وفتاه) أي حيث أكل من الحوت شقه الأيسر ثم حبي بعد ذلك .

(قوله لما تقدم في بيانه) أي وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدوا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة في البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجله فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يأي بني إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل، فقال الذي أدراك بي وذلك علي ثم قال لقد كان لك في بني إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأعلم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لتشريف المضاف : أي من عبدي الخصوصيين (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها وبكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن مسكان وكنيته أبو العباس. قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فأخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوة في قول) أي وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حتى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء (١٩) ويأخذون عنه. قال العارف

السيد البكري صاحب ورد السحر في توسلاته : بنقيهم في كل عصر الخضر أي ال عباس من أحياءه وصاله حتى وحقتك لم يقل بوفاته إلا الذي لم يلق نور جماله فعليه منى كل هاب الصبا أزي سلام طاب في إرساله وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه فهو صحابي (قوله من لدنا) أي مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) أي واعظا يذكر الناس حق فاضت العيون

لما تقدم في بيانه (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أي قددنا الحوت (مَا) أي الذي (كُنَّا نَبْغُ) نطلبه فإنه علامة لما على وجود من نطلبه (فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَى آثَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصًا) فأتيا الصخرة (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) نبوة في قول، وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أي معلوما من الغيبات، روى البخاري حديث « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أيُّ الناس أعلم ؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به ؟ قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل فحينما قدمت الحوت فهو تم فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعوا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فأخذ سبيله في البحر صرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله في البحر عجباً قال وكان للحوت صرباً ولم يسي وفتاه هجاء الخ (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ ،

ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أي فكان عليه أن يقول مثلاً الله أعلم ، وهذا من باب هتاف الأجاب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل فذلك رغب موسى في حيازته لعلمه (قوله فكيف لي به) أي فلصامع موسى هذا تشوّقت نفسه الزكية وهمته العلمية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتاً) لعل الحكمة في تخصيصه مظهر بعد من حياته ودخوله في البحر (قوله فتجعله في مكمل) هو الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعاً (قوله فهو تم) أي هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء القوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) أي بما حصل من أمره (قوله قال موسى) أي بعد أن صليا الظهر من اليوم الثاني (قوله قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أي بعد أن تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل أتبعك) استفهام تعطف رعاية للأدب في حق المعلم وبذلك الأدب يحصل النفع والسودد .

(قوله على أن تعلمني) أي ليس لي قصد في اتباعك إلا لتعليمك إياي لاشيئا من الأغراض غير التعليم (قوله رسدا) مفعول ثانٍ لتعلمني : أي لتعلمني صوابا من الذي علمك الله (قوله وفي قراءة) أي وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الأولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال إن موسى من أولى العزم ونبي ورسول جزما وأجمعه الله كلامه وأعطاه التوراة وهو أفضل من الحضرة فكيف يسى إليه ويتعلم منه ، فأجاب بأن الزيادة في العلم المطلوبة على أن علم الحضرة لا يحتاج إليه موسى في شرعه وإنما هي مزية خص بها الحضرة وأمر الله موسى أن يأخذها عن الحضرة ويكتسبها لتكمله جميع الزايات ولا يقتضى أن الحضرة أعلم منه لأن موسى كامل في علمه لا يحتاج شريعته إلى شيء من علم الحضرة وإنما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال إنك لن تستطيع معي صبرا) أي لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لأن التعلم قسمان : متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه مهمل ويقبل كل ما ألقى إليه ، ومتعلم يمارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئا أو سمع كلاما عرضه على ما عنده (٢٥) فان وافقه وإلا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبي (قوله إني على علم) أي وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أي وهو علم ظاهري الشريعة (قوله مصدر) أي مفعول مطابق مؤكدا عامله في المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تجرب والتجرب بالحبر بالضم معناه العلم والأوضح أنه تمييز نسبة : أي لم تحط به من جهة العلم (قوله أي وغير عاص) أشار بذلك إلى أن قوله ولا أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أي فكأنه قال ستجدني صابرا إن وافق شرعي أو أوحى الله إليّ في شأنه فأنا لا أدري ما يفعله الله ولم يقل الحضرة إن شاء الله لأن الله أطامه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعدها بالي (قوله فلا تسألني) أي لا تبادرنني بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أي مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لتبصر السبعة (قوله في علمك) أي بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه الغيا بحق (قوله بعلته) أي حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أي ومعهما يوشع وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع والمقصود ذكر موسى والحضرة ، وقبل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الحضرة (قوله يمشيان على ساحل البحر) أي يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع ، فقال صاحب السفينة مام بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء ، وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما أهلها أن يحملهم ففرقوا الحضرة بعلامة فملوم بغير نول : أي عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس : أي القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللجج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان .

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَسَدًا) أَي صَوَابًا أُرْشِدُ بِهِ وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ وَسَأَلَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْعِلْمِ مَطْلُوبَةٌ (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا) فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ عَقِبَ هَذِهِ الْآيَةِ : يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عَلَمْنِيهِ لِاتِّمَلُّهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عَلَمَكَ اللَّهُ لِأَطْعَمَهُ ، وَقَوْلُهُ خَيْرًا مَصْدَرٌ بِمَعْنَى لَمْ تَحِطْ أَي لَمْ تَجْهَرْ حَقِيقَتَهُ (قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي) أَي وَغَيْرَ عَاصٍ (لَكَ أَمْرًا) تَأْسِرُنِي بِهِ ، وَقَيْدٌ بِالشَّيْئَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ نَفْسِهِ فِيمَا التَزَمَ وَهَذِهِ عَادَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَنْ لَا يَثِقُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ طَرَفَةَ عَيْنٍ (قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي) وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ النَّونِ (عَنْ شَيْءٍ) تَنْكُرُهُ مَنِي فِي عِلْمِكَ وَاصْبِرْ (حَتَّى أَخْبُرْتُكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أَي أَذْكَرُهُ لَكَ بَعْلَتَهُ ، قَبْلَ مُوسَى شَرْطُهُ رِعَايَةَ الْأَدبِ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ الْعَالِمِ (فَانْطَلَقَا) يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) الَّتِي مَرَّتْ بِهِمَا (خَرَقَهَا) الْحَضْرَةُ بِأَنْ اقْتَلَعَ لَوْحًا أَوْ لَوْحَيْنِ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ فَبَأْسَ مَا بَلَّغَتْ اللَّجْجَ (قَالَ) لَهُ مُوسَى (أَخْرَقْتَهَا لِتُفْرِقَ أَهْلَهَا) وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ التَّحْتَانِيَةِ وَالرَّاءِ وَرَفْعِ أَهْلِهَا (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أَي عَظِيمًا مُنْكَرًا

علم) أي وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أي وهو علم ظاهري الشريعة (قوله مصدر) أي مفعول مطابق مؤكدا عامله في المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تجرب والتجرب بالحبر بالضم معناه العلم والأوضح أنه تمييز نسبة : أي لم تحط به من جهة العلم (قوله أي وغير عاص) أشار بذلك إلى أن قوله ولا أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أي فكأنه قال ستجدني

روى

صابرا إن وافق شرعي أو أوحى الله إليّ في شأنه فأنا لا أدري ما يفعله الله

ولم يقل الحضرة إن شاء الله لأن الله أطامه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعدها بالي (قوله فلا تسألني) أي لا تبادرنني بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أي مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لتبصر السبعة (قوله في علمك) أي بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه الغيا بحق (قوله بعلته) أي حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أي ومعهما يوشع وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع والمقصود ذكر موسى والحضرة ، وقبل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الحضرة (قوله يمشيان على ساحل البحر) أي يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع ، فقال صاحب السفينة مام بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء ، وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما أهلها أن يحملهم ففرقوا الحضرة بعلامة فملوم بغير نول : أي عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس : أي القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللجج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان .

(قوله روى أن الماء لم يدخلها) وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله في الحرق (قوله بما نسبت) أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع به ، وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة العيمين ، والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب إطلاق المألوف وإرادة اللازم (قوله مع الصبيان) أى وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أى بعد أن لوى عنقه (قوله لأن القتل عقب اللقي) أى بخلاف السفينة فإن الحرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يأت بالفاء (قوله وفى قراءة) وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أى من غير استحقاتها للقتل والجار والمجرور متعاقق بقتل (قوله لقد جئت) أى فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الإسر لأن فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه ، وقيل بالعكس لأن الأمر (٢١) قتل أنفس متعددة بسبب

الحرق فهو أعظم من قتل الظلام وحده (قوله بسكون الكاف وضما) أى فهما قراءة ثان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لأنه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءة ثان سبعيتان والنون للوقاية أتى بها لتقى الفعل من الكسر كما أتى بها فى من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى إذا أتيا أهل قرية) أى وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليله باردة ممطرة (قوله هى إنطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم لم يطعموها واستضافاهم لم يضيفوها فاطعمهم امرأة من أهل بربرة فدعوا لنسأهم ولدنا

روى أن الماء لم يدخلها (قَالَ أُمُّ أَمْرِئِمْ أَنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (وَلَا تُزْهِقْنِي) تكلفنى (مِنْ أَمْرِئِمْ عُسْرًا) مشقة فى صحبتى إياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فَانْطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة بمشيان (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال ، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقي ، وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَاكِيَةً) أى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفساً (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضما أى منكرًا (قَالَ أُمُّ أَمْرِئِمْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتِكُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أى بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركى أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عُذْرًا) فى مفارقتك لى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى إنطاكية (أَسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفاعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ) أى يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ) وفى قراءت لا تحذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أى وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأَأْتِيكَ) قبل فراقك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

رجلهم ، وعن فتادة شمر القرى من لاضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام ، وقيل أقامه بعمود ، وقيل نقضه وبناء (قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى كان ينبغي لك أخذ جعل منهم على فعالك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهله (قوله وفى قراءة) أى باظهار الدال وإدغامها فى التاء على كل فتكون القراءت أر بعا سبعيات (قوله بتأويل) أى تفسير هذه الآيات التى رقت لموسى مع الخضر ، وحكمة تخصيص الخضر لموسى تلك الثلاثة ماورد «أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أن كان تدبيرك هذاوات فى التابوت مطروحا فى اليم ، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكرك القبطى وقضائك عليه ، فلما أنكر إقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبقى شعيب دون أجره .

(قوله أما السفينة) شروع في وفاة مارعد الحضرة موسى على سبيل الكف والنشر المرتب. والسفينة تجمع على سفين وسفان ويجمع السفين على سفن بضمين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء : أى تفسره وصاحبها سفان (قوله لئسا كين عشرة) أى وكانوا أخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر ، فأما الصمالم منهم فأحدهم مجذوم ، والثانى أهور ، والثالث أعرج ، والرابع آدر ، والخامس محموم لانتقطع عنه الحى الدهر كلى وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أهمى وأصم وأخرس ومقعده ومجنون وكان البحر الذى يعملون فيه ما بين ثرس إلى الروم (قوله فأردت أن أعيبها) أى فإذا رآها الملك معيبة تركها فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على إضمار قد (قوله إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجههم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده ، وقد يجاب بأن قوله : وكان وراءهم : أى في حال توجههم لسكنهم في حال رجوعهم يبرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن ، وقوله أو أمامهم الآن : أى ووراء بمعنى أمام. قال تعالى - من وراءه جهنم - (قوله ملك كافر) أى وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أى صحيحة (قوله غشينا) أى أن الله أعلم الحضرة بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله (قوله أن يرهبهما) أى يكافهما ويوقعهما في الكفر (قوله طبع كافرا) أى خلق مجبولاً على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث « كل مولود يولد على فطرة للإسلام » (قوله لمحبتهما له) علة لايقاعه لهما في الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا (٢٢) منه) اسم التفضيل ليس على بابه إذ لم يكن في الغلام خير أو على بابه باعتبار

زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أى بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثني عشر نبيا ، وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الحضرة من قتل الغلام إنما هو جار على شرعه لاعلى شرعنا فانه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقاتلوا بالسلاح

أما السفينة فكانت لئسا كين عشرة (يعملون في البحر) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فأردت أن أعيبها وكان وراءهم) إذا رجعوا ، أو أمامهم الآن (ملك كافر) يأخذ كل سفينة (صالحة) غصبا (نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فغشينا أن يرهبهما ظفيا نأوا كفرا) فإنه كما في حديث مسلم : طبع كافرا ولوعاش لأرهبهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك (فأردنا أن يبدلناهما) بالتشديد والتخفيف (رهبهما خيرا منه زكاة) أى صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رحما) بسكوى الحياء وضمها رحمة وهى البر بوالديه فأبدلها تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وأما الجدار فكان لفلان يتيمين في المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما وكان أبوهما صالحا) حفظا بصلاحه

في الحرب ولو اطاع عليه الحضرة فلا يجوز له قتل الغلمان ، وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الحضرة الغلام الصغير وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين ، فكتب إليه على سبيل المجارة والتسليم لدعواه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم ، وروى أن موسى لما قال للحضرة أقتلت نفسا زكية الآية غضب الحضرة واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه وإذافيه مكتوب كافرا لا يؤمن بالله أبدا (قوله فكان لفلان) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله في المدينة) هى المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لها لكون أهلها لم يضيفوها وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتاها على هذين الغلامين وعلى أيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز ، وقيل كان هلمما في صحف مدفونة ، وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب في أحد جانبيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجب لمن يؤمن بالحساب كيف يفتل ، عجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها إلا لله إلا الله محمد رسول الله ، وفي الجانب الآخر مكتوب : أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه ، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل إنه أبوهما مباشرة ، وقيل هو الأب السابع ، وقيل العاصر ، وكان يسمى كاشعا واسم أمهما دنيا وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع .

(قوله أي إنسان رشدها) أي حتى يبلنا أن يعلم إنسان أشدها : أي قوتها وكلمها (قوله ويستخرجها كنزها) أي من تحت الجدار ولولا فعل ذلك لضع (قوله بل بأمر إلهام من الله) لم يقل بروح لعدم الجزم بقبوته (قوله ذلك) أي ما ذكر من الأجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أي أن هذا التفسير تنويع في العبارة و بعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير وهي أن الأولى لما كان ظاهرها إفساد بعضها أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدب مع الله وإن كان الكل منه ، والثاني لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله فأردنا ، والثالث لما كان إصلاحا معاً أضافه لله بقوله : فأراد ربك ، قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني . قال كن بساماً ولا تكن ضحاكاً ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخاطئين خطاياهم وأبك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويستأونك) أي الشركون بأمر اليهود فاليهود سبب في السؤال وإن لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذي القرنين) لقب بذلك لما قيل إن له قرنين صغيرين في رأسه ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أي وهو الذي بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبياً) أي على الصحيح وإنما كان ولياً فقط وما يأتي مما يورث نبوته فهو قول ومحمول على الإلهام والاتقاء في القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء وإسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة إبراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعاه وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافراً عاش ألفاً وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة ، وفي القرطبي قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين رجلاً من الروم ابن عجز من عجائزهم

في أنفسهما وما لهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أي إنسان رشدها (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَكَّرْتُهُ) أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقال استطاع واستطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللفتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك (وَيَسْتَأْوُنَكَ) أي اليهود (عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ) اسمه الاسكندر ولم يكن نبياً (قُلْ سَأَتْلُوا) سأقص (عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبراً

ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا. قال الله تعالى أي على لسان نبي كان موجودا أو بالإلهام إذا القرنين إني باعثك : أي سلطانا إلى أم الأرض وهم أم مختلفة ألسنتهم وهم

جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وأم في وسط الأرض منهم الجن والانس وبأجوج ومأجوج ، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل ، وأمة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل ، وأما اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مطلع الشمس يقال لها منسك ، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، فقال ذو القرنين إلهي لقد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم بأبي قوة أكاثرم وبأبي صبر أقاسيهم وبأبي لسان أناطهم ، وكيف لي بأن أفتق لغتهم وليس لي قوة ، فقال الله تعالى سأظفرك بما حمائك أشرح لك صدرا فسمع كل شيء ، وأثبت لك فهما فتفقه كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأسخر لك النور والظلمة فيسكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك ، فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهي ناسك ، فوجد جنودا لا يحصيها إلا الله وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى والسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فنهزم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فضيبتهم من كل مكان فدخلت في أفواههم وأتوفهم وأعينهم بيوتهم وغشيتهم من كل مكان فنجحوا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فنجوا إلى الله بصوت واحد إنا آمنة ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته ، فجدد من أهل المغرب أمما عظيمة جعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويبدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى يريد هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ إذا عمل عملا ، فإذا أتوا محاضرة أو بحرا نبي سقفا من ألواح صفار أمثال النعال فيضها في ساحة ثم يحمل عليها جميع من

خه من تلك الأمم فاذا قطع البحار والأنهار فتحها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكثر بحمله فأتتهى إلى هاويل ففعل بهم كفضله ناسكاً فآمنوا فأخذ جيوشاً منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، ففعل فيها وجند منها جنوداً كفضله في الأول ، ثم كرمقلاً حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تاويل ، وهي الأرض التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفضله فيما قبلها ، ثم عطف على الأمم التي في وسط الأرض من الانس والجن وأجوج ومأجوج ، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت أمة سالحة من الانس : ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون العوالب والوحش كما تفرصها السباع ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق نجى نمامهم في العام الواحد ، فاذا طالت المدّة سيملئون الأرض ويخرجون أهلها منها - فهل نجعل لك خرجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً - إلى آخر ما يأتي في الآية ، وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك ، فقد روى « أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالؤمنان سليمان بن داود والأسكندر ، والكافران نمرود ويختنصر وسيملكهما من هذه الأمة خامس وهو المهدي » (٢٤) (قوله إنا مكناله في الأرض) أي بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقاً)

أي كالات السير وكثرة الجنود (قوله إلى مراده) أي وهو جميع الأرض (قوله فأتبع سبباً) بالتشديد والتخفيف قراءة ثان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أي فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شطبل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عيناً لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبَبًا) طريقاً يوصل إلى مراده (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) سلك طريقاً نحو المغرب (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأى العين وإلا فهي أعظم من الدنيا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) أى العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ) بالهام (إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ) القوم بالقتل (وَأِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ حَسَنًا) بالأسر (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) يسكون الكاف وضما : شديداً في النار (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى) أى الجنة والإضافة للبيان ، وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه ، قال القراء ونصبه على التفسير أى لجهة النسبة (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَأْتِيهِ) أى تأمره بما يسهل عليه (ثُمَّ أُنْبِئَ سَبَبًا) نحو المشرق (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وَوَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ) ،

وإن كان عظيماً في نفسه (قوله حمئة) بالهمزة بدون ألف وبألف بعدها

ياه قراءة ثان سبعيتان ، فأما الأولى فهي من الحمأة وهي الطين الأسود ، وأما الثانية فهي اسم فاعل من حمى يحمى ، والمعنى في عين حمأة ولا تنافي بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها في العين الخ) جواب عما يقال إن الشمس في السماء الرابعة وهي قدر كرة الأرض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها ، فأجلب بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى لاحقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) أى وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أى بالهام (قوله بالأسر) أى وسعى إحساناً بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) أى في الآخرة (قوله يسكون الكاف وضما) أى فهما سبعيتان (قوله أى لجهة النسبة) أى نسبة الخبر للمقتم وهو الجار والمجرور إلى البتداء المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنته له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) أى الوضع الذى تطلع الشمس عليه أولاً ، قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة ، وقيل أقل لأنه سخر له السحاب وطويت له الأرض .

(قوله ثم الزنج) بفتح الزاي وكسرهما (قوله سترًا) هو بالفتح تأسدور والكسر الاسم وحوى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) أى ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها فتميد بأهلها ولا تستقر (قوله ويظهرون عند ارتفاعها) أى مفيها يسعون في تحصيل مهمات معاشهم فإلهم بالضد من أحوال الخلق فإدامت الشمس طالعة فهم في السرايدب وإذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لم حذف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وقائدة الأخبار بذلك الاعتناء بشأن ذى القرنين وأن الله معه بالنصر والعون أيما حل (قوله ثم أتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لأن يأجوج ومأجوج وإن كانوا في وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال لأن أرضهم واسعة جدا تنتهى إلى البحر المحيط . قال بعضهم : مسافة الأرض تمامها خمسمائة عام ثلاثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا و بعد) أى في هذه الآية ، وفي قوله الآتى : على أن يجعل بيننا وبينهم سدا ، وفي يس : وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) أى عاليتان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء أى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) أى الفتحة التى بين الجبلين (٢٥) وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرة

مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصف فتسبغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أى أمامهما) أى بقرهما (قوله قوما) أى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولنا) أى لغرابة لغتهم و بطء فهمهم (قوله وفى القراءة) أى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم اشدة عجمتهم فكلامهم

ثم الزنج (لم تجمل لهم من دونها) أى الشمس (سترًا) من لباس ولا سقف ؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سرور يفيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها (كذلك) أى الأمر كما قلنا (وقد أحطنا بما لآتيه) أى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرها (خبرًا) علما (ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين) بفتح السين وضمها هنا و بعد ، ها جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سياتى (وجد من دونهما) أى أمامهما (قوما لا يكادون يفقهون قولًا) أى لا يفهمونه إلا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قالوا يا ذى القرنين إن يأجوج ومأجوج) بالهمز وتركها ها اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مفسدون فى الأرض) بالنهب والبنى عند خروجهم إلينا (فهل تجمل لك خراجًا) جُملا من المال وفى قراءة خراجا (هل أن تجمل بيننا وبينهم سدا) حاجزًا فلا يصلون إلينا (قال ما مكنتي) ،

مفلق (قوله قالوا) أى قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وإنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهمًا يفقه به كل شئ وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجيلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم : أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى لا يمرن بغيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتا سبعيتان (قوله أعجميان) أى لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف العلمية والعجمة (قوله بالنهب والبنى) أى فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئًا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتماوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) أى وهى سبعة أيضا [٤ - صاوى - ثالث]

(قوله وفي قراءة بنونين) أي وهي سبعة أيضا (قوله وغيره) أي كمالك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أهدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فأطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل الربوع منا ، لهم غلاب وأضراس كالسباع ، ولهم شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان هظيمتان يفتش إحدهما ويلتحف بالأخرى يصيف في واحدة ويشق في الأخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب ، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ما تقدم من أنهم أصناف لأنه رأى صنفا من الأصناف (قوله آتوني) بفتح الهمزة وكسرها مع اللد فيهما قراءة ان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة (٢٦) كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أي فالقراءات السبعة ثلاث

(قوله بالبناء) متعلق
بساوى (قوله ووضع
المنافع) جمع منفخ ككثير
ويقال منفاخ كمنفاخ
ويجمع على منافيخ (قوله
فنفخوا) أي وهذه
كرامة لدى القرنين
حيث منع الله حرارة
النار عن العملة الذين
ينفخون ويفرغون
النحاس مع أنه أصعب
من النار مع قربهم من
ذلك (قوله وحذف من
الأول) أي هو وضمره
لأنه فضلة والأصل آتوني
قطرا أفرغ عليه قطرا
(قوله بين زبره) أي
مكان الحطب والفحم
الذي كان بينهما فلما
أكلته النار بقي ما بينهما

وفي قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّي) من المال وغيره (حَيْرٌ) من خَرَجَكُم الذي تجملونه
لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلُ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزاً حصينا (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) قطعه على قدر الحجارة التي
يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الْعُذْفَيْنِ) بضم الحرفين
وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافع والنار حول ذلك
(قَالَ أَنْفُخُوا) فنفخوا (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ) أي الحديد (نَارًا) أي كالنار (قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ
عَلَيْهِ قَطْرًا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني فأفرغ
النحاس المذاب على الحديد الحمى فدخل بين زره فصار شمتا واحدا (قَمَا اسْتَطَاعُوا) أي
بأجوج وأجوج (أَنْ يَظْهَرُوهُ) يملوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) خرقا
لصلابته وسمكه (قَالَ) ذو القرنين (هَذَا) أي السد أي الإقدار عليه (رَحْمَةً مِنِّي)
نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ
دَكَّاءً) مذكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم وغيره (حَقًّا) كائناً ، قال تعالى (وَتَرَكْنَا
بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم خروجهم (يَمْجُجُ فِي بَعْضٍ) يخطط به ،

خاليا فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أي فكان
ارتفاعه مائتي ذراع (قوله وملاسته) أي فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا بالفعل
كما يشهد له ماروي الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحضرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرجونه
قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه عدا قال فيعيده الله كأشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعضهم إلى الناس
قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيحرقونه فيخرجون منه
إلى الناس يستسقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فإذا جاء وعد ربي) أي وقت وعده (قوله بخروجهم) أي فيخرجون على
الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع غضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الأرض ومن في السماء فيزدادون
قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذي القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا
بعضهم يومئذ يمجج في بعض) أي لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت السجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور

لسكرتهم

فرارا منهم ثم يسلم الله عليهم دودا في آتوهم فيموتون به فتنتخ الأرض منهم فتأى طيور ترميمهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أى وضيق الأرض فان أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ في الصور) أى النفخة الثانية بدليل التعقيب في قوله فجمناهم وأما النفخة الأولى فضعفها تخرج روح كل ذى روح واختلف في القدر الذى بين النفختين والصحيح أنه أرمعون عاما (قوله أى القرن) وهو بيد إصرا فيل عليه السلام (قوله قرينا) أى أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وإن كان المراد بعد انفضاضه ، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وقائدة التأكيد على الأول الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله أعينهم) أى بصائرهم (قوله لا يهتدون به) أى لا يتعظون ولا يؤثر في قلوبهم (قوله لا يستطيعون سمعا) أى سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى) (٢٧) وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى

تنوعهم في الكفر
فالمشركون يعبدون
الملائكة والنصارى
يعبدون عيسى واليهود
يعبدون العزير (قوله
وعزيرا) هذا لقبه واسمه
قطفير أو إطفير (قوله
من دونى) أى غيرى
وهو صادق بكونهم
يشركونهم معه في العبادة
أو خصومهم بالعبادة دونه
(قوله مفعول ثان ليتخذوا)
أى والأول قوله عبادى
فمفعولا اتخذ مذكوران
(قوله والمفعول الثانى
لحسب محذوف) أى
والأول قوله أن يتخذوا

لكثرتهم (وَنَفِخَ فِي الصُّورِ) أى القرن للبعث (فَجَمَعْنَاَهُمْ) أى الخلائق في مكان واحد يوم القيامة (جَمَعًا وَعَرَضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فهم عُمى لا يهتدون به (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أى لا يقدرون أن يسموا من النبي ما يتلو عليهم بفضله فلا يؤمنون به (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي) أى ملائكتى وعيسى وعزيرا (مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف ، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يفضى ولا أعاقبهم عليه ؟ كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أى هى معدة لهم كالنزل المد للضيف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز طابق الميز ويتنهم بقوله (الَّذِينَ صَلَّى سَمِيحًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وَهُمْ يَحْسَبُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجاوزون عليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (وَلِقَائِهِ) أى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ،

الخ والتقدير أظن الكافرون اتخذهم عبادى من دونى أربابا لا يفضى ، بل هو مفضى لى وأعاقبهم عليه ، وبتفسير الأولياء بالأرباب أندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فسلم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهلاك ومورث للفوز بصحبته ومرافقتهم في دار السلام ، لما ورد المرء مع من أحب (قوله كلا) هى كلمة ردة وزجر (قوله إنا أعتدنا) أى هيأنا وأحضرننا (قوله هؤلاء) أى الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أى من بقية الكفار (قوله كالنزل المد للضيف) أى فهو استهزاء وسخرية بهم حيث مى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما جهيا له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرا أو بمعنى خاسر (قوله طابق الميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الافراد ولم جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمساكلة ميمزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أى لأن شرط الثواب الاسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أى وبالبعث) أى فالمراد ببقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ

(قوله غبظت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لانجعل لهم قدرا) أي منزلة وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجب بأن الآية فيها حذف اللنت والتقدير وزنا ناعما (قوله ذلك أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمخدوف (قوله الذي ذكرت) تفسير لاسم الإشارة (حوله وإبتدا) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهن خبرا وبالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهن خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية وامصدرية أي بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله في علم الله) أي قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي ؟ فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى - إن الذين سبقتم منا الحسنى - الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها . قال كعب : ليس في الجنان جنة أعل من جنة الفردوس فيها الآسرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والفردوس الجنة من السكرم خاصة أو ماغالبها كرم ، واختلف فيه فقيل هو عربي ، وقيل أعجمي ، وقيل (٢٨) هو زومي ، وقيل فارسي ، وقيل سرياني (قوله منزلا) أي وقيل

هو مايهيا للضيف (قوله خالدين) حال مقدره (قوله لايبغون) حال أخرى (قوله تحولا) أي انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين (قوله لو كان البحر مدادا) سبب نزولها أن اليهود قالت يا محمد إننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول : وما أوتيتن من العلم إلا قليلا ، وقصدهم بذلك الإنكار عليه وإثبات الفضل لهم

(فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) أي لانجعل لهم قدرا (ذَلِكَ) أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وإبتدا (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا) أي مهزوا بهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) في علم الله (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلها والاضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ) يطلبون (عَمَّا حَوْلًا) تحولا إلى غيرها (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أي ماؤه (مِدَادًا) هو ما يكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمة وعجائبه بأن تكتب به (لَتَمَدَّ الْبَحْرُ) في كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أي البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمي (مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ الْكُفْرُ إِلَهُ وَاحِدٌ) أن الكفوفة بما باقية على مصدريتها ، والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله (قَنْ كَانَ يَرَوْهَا) يأمل (لِقَاءِ رَبِّهِ) فالمعت والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أي فيها بأن يرأى (أَحَدًا) .

(قوله أي ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (سورة)

(قوله لكلمات ربي) أي النفسية القائمة بذاته ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تنهاها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أي فرغ (قوله قبل أن تنفد) إن قلت إن الآية تدل على نفاذ الكلمات وفراغها لأن مقتضى قوله - قبل أن تنفد كلمات ربي - أنها تفرغ بعد فراغ المداد . وأجيب بأن قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره إشارة إلى أن لو شرطية جوابها مخدوف ، ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان : ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أي مدادا وقوله على التمييز أي لمثل (قوله باقية على مصدريتها) أي فما وإن كفتها عن العمل لانخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أي المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) أي بشروطه وأركانها (قوله بأن يرأى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للإيمان الكامل الذي يرقى به صاحبه للراتب العلية والتي خاص وإلا فللراتب ثلاث : من أراد بعمله الحظ الفاني فهو في أدنى المراتب ، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ، ومن أراد وجه الله فهو في أعلى المراتب .

[سورة مريم محكمة] سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفي بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لالعلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا في القرآن إلا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعا ، وحكمة ذلك التثبيت لمن يزعم من الكفار أنها زوجة الله لأن العظيم تأنف من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ماتزعمون حقا ما صرحت باسمها (قوله أو إلا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة : قيل مكة بتمامها ، وقيل المدني منها آية السجدة فيها ، وقيل المدني منها آيتان قوله : فخلف من بعدهم خلف إلى قوله : شيئا (قوله كهيعص) اهل أن الكاف والصاد يمدان لازما بانفاق السبعة رهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم رهو قدر ألف ويجوز في العين المد اللزيم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءة ثان سبعيتان ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز في الدال الإظهار والادغام في ذال ذكر والقراءة ثان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق ، وللسلف أقوال أخر منها ما قاله ابن عباس أنه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل هو اسم الله الأعظم ولذا يذكره العارفون في أحزابهم كالسيد إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل قسم أقسم الله به (٢٩) وعن الكلبى هو ثناء أنى الله به على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يد، فوق أيديهم عالم يبريته صادق في وعده . فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعاني ، وقيل غير ذلك (قوله هذا) فقدره إشارة إلى أن ذكر خبر لخدوف (قوله ذكر رحمت) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أى ورحمة

(سورة مريم)

مكة ، أو إلا مسجدتها فمدنية ، أو إلا : فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسمون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَهَيْعَتِهِ) اللهُ أعلم بمراده بذلك هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول رحمة (زَكْرِيَّا) بيان له (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتلا على دعاء (خَفِيًّا) سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (الْعَظْمُ) جميعه (مِنِّي وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ) منى (شَيْبًا) تمييز محوّل عن الفاعل أى انتشر الشيب فى شعره كما ينتشر شمع النار فى الحطب وإنى أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أى بدعائى إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أى خائبا فيما مضى فلا تخينى فيما يأتى (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أى الذين يلونى فى النسب ،

من إضافة الصدر لفاعله وهذه التاء لاتمتع عمل الصدر لأنها من بنية الكامة لاللوحة ، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لبالفضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لأنه مستحيل (قوله متعاق برحمة) أى على أنه ظرف له أى رحمة الله إياه وقت أن ناداه (قوله مشتلا على دعاء) أى وهو قوله : ربّ إني وهن العظم إلى قوله : واجعله ربّ رضيا ، جملة النداء ثمان جمل والنداء منه هو قوله : فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أى فى جوفه (قوله لأنه أسرع للإجابة) أى ما ذكر من كونه خفيا حاصللا فى جوف الليل فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الاجابة سببا إذا كان فى جوف الليل (قوله قال ربّ) أى يمالكى ومربى (قوله وهن) من بلب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرى بضمها وكسرها (قوله جميعه) أشار بذلك إلى أن آل فى العظم للاستفراق (قوله أى انتشر) أشار بذلك إلى أن فى اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع أن كلا يضعف ما نزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لأنها تذكر لا غير (قوله وإنى أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله أى بدعائى إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أى أنت قد أجبتنى فى الزمان الماضى حال شبيبتي وعودتني منك الإحسان والاجابة فلا تخينى فيما يأتى فى حال شيخوحتى (قوله وإنى خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب .

(قوله كفى ألم) أى لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل خفاف أن يبدلوا دينهم (قوله من ورأى) متعلق بمحذوف أى جور المولى من ورأى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى إشاع أخت حنة كاتانجا بنت فاوود فولد لإشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لاند) أى لم تلد أصلاً لاني صفرها ولاني كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية أيضا وهى أظهر معنى لأنها نفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا لئلا لأن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت لابن (قوله إنا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الحارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) إمام سماه بذلك ، لأن رحم أمه حيى به بعد موته بالعلم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وتقول فى ثنيتها يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا (٣٠) وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا ويحيين نصبا وجرا (قوله أى مسمى

يحيى) أى لم يسم يحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الالهية أو استفهام تعجب وسرور فى هذا الأمر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقراً) أى ولم تزل (قوله ييس) بالياء المثناة بعدها ياء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى ييس وجف ومعناه هنا ييس العظم والصب والجلد (قوله عتوو) هو ضممتين وواو ين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات فى

كبتى الصم (مِنْ وَرَأَى) أى بعد موتى على الدين أن يضيعوه كما شاهدته فى بنى إسرائيل من تبديل الدين (وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا) لاند (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابنا (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَوَرِثَ) بالوجهين (مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ) جدى العلم والنبوة (وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى مرضياً عندك ، قال تعالى فى إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ) يرث كما سألت (أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى مسمى يحيى (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) من عتا: ييس، أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة ، وأصل عتى عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للولود (وَقَدْ خَلَقْتُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقث نفسه إلى سرعة البشربه (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثَلَاثَ لَيَالٍ) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سَوِيًّا) .

حال

الكلمة كسر التاء وقاب الواو الأولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما

بالسكون وإدغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين اتباعاً للتاء ففيه خمس إعمالات (قوله الأمر) نذره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو إلقاء فى القلب وأما الخطاب جهراً مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأفتق) من باب نصر أى أشق (قوله للملوق) بفتح العين أى الذى ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تاقث نفسه) أى تطلعت وتشوقت وأشار بذلك إلى أن قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله إلى سرعة البشربه) أى بلامه تدل على حصوله بالفعل وليس عند ذكر ياشك فى إجابة الله دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحاً وشكراً (قوله أى تمنع) أى قهراً بلا آفة (قوله أى بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا أن الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكي مقدم على المدني وآل عمران مدنية فأعطى السابق للسابق والمتأخر للتأخر .

(قوله حال من فاعل تكلم) أى ينصدم منك الكلام حال كونك صليبا لم يطرأ عليك آفة ولا علة فننك من الكلام ، ويصح أن يكون صفة ثلاث أى ثلاثا كالمات لانقص فيهن (قوله فخرج على قومه) أى متغير اللون عاجزا عن الكلام فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا (قوله من الحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالحراب المعروف الآن بوافق اللغة قديما (قوله أى المسجد) أى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أى فكان هو مقما به ولا يفتحه إلا وقض الصلاة ولا يدخلونه إلا باذنه (قوله أشار إليهم) أى بأصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أى فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلواتكم على عادتكم ولا تنتظروني أكلكم بل دعوني وحالي (قوله فعلم) أى زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله يا يحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أى اعمل بأحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلا لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) أى بجد واجتهاد وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبى لطالب العلم الجِد والاجتهاد فيه ولا يترأخى في طلبه فانك إن أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وإن أعطيت بعضك لم يعطك شيئا منه ، ولذا قال الامام الشافى رضى الله عنه :
أخى لن تنال العلم إلا بستة (٣١) سأنيك عنها محبرا يبيان

ذكاه وحرص واجتهاد
و بلغة
صبيحة أستاذ وطول
زمان
ولم يأمر الله سيدنا عمدا
بتلقى ما أوحى إليه بقوة
لأن الله أعطاه عزمًا وقوة
عظيمة فلم يحتج للأمر
بذلك بل قيل له : إنا
سنلقى عليك قولًا ثقيلًا
(قوله ابن ثلاث سنين) أى
فأحكم الله عقله وقوى فهمه

حال من فاعل تكلم أى بلا علة (فخرج على قومه من الحراب) أى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على المادة (فأوحى) أشار (إليهم أن سبحوا) صلوا (بكرة وعشيا) أوائل النهار وأواخره على المادة ، فعلم بمنحه من كلامهم حملها يحيى ، وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) النبوة (صديقا) ابن ثلاث سنين (وحنانا) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكوة) صدقة عليهم (وكان نبيًا) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمل بها (وبرًا بالدين) أى محسنًا إليهما (ولم يكن جبارًا متكبرًا) عاصيا لربه (وسلامًا) منا (عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أى في هذه الأيام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها (وأذكر في الكتاب) القرآن (مرثيم) أى خبرها ،

وقولهم النبوة على رأس الأربعين محله في غير يحيى وعيسى على ما باتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره (قوله وحنانا) أى رحمة ورقة في قلبه وتعطفنا على الناس (قوله صدقة عليهم) أى توفيقا للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ أو طهارته من اتبعه أو المراد أن الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقيا) أى محبولا على التقوى ومن جملة تقواه أنه كان يتقوت بالمشب وكان كثير البكاء فكان لسمعته مجارطى خذه (قوله ولم يهمل بها) أى لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الأنبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) أشار بذلك إلى أن البلغة ليست مرادة بل المنى أصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلام عليه) أى أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرف في قصة عيسى لأن ما هنا حاصل من الله والقليل منه كثير وما ذكر في قصة عيسى آل فيه للعهد أى السلام المهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) أى من أن يناله الشيطان بمكره (قوله ويوم يموت) أى من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حيا) أى من هول الموقف ولا ينافى هذا ماورد « أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون رب سلم سلم » لأن جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيئته وجلاله لامن عذابه وعقابه لصدق وعد الله في تأمينهم فلا يخلف وعده . بقى شيء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل في حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولدا رثه وإجابة الله له بقوله كذلك هو على حين . أجيب بأن هذه الرواية ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ قد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر في الكتاب مريم) أى قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك إلى أن آل في الكتاب للعهد .

(قوله إذ أنبذت) ظرف لهدوف قدره الفسر بقوله أي خبرها وهو بدل اشتغال وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانبذ بل هو وما بعده إلى آخر القصة (قوله أي اعتزلت في مكان) أشار بذلك إلى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انبذت أنت مكانا (قوله من الدار) أي دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها ، وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أي فقوله في الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تنفسل من حيضها) أي لأنها كانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت وقد حاضت قبل حملها ببسبى مرتين (قوله روحنا) سمي بذلك لأن الله أحياه القلوب والأديان كما أن الروح به حياة الأجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه : أنت روحي (قوله فتمثل لها) اختلف في كيفية تمثل الملك في غير صورته الأصلية هل تنمدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لاتنفصل وإنما تخفى عن الراى وهو الذى تدين الله به لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال إن الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهي تنفسل . فأجاب المفسر بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أي بصورة شاب أمرد معتدل الحلقة لتانس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتتهدر نطقها إلى رحمها ، ولا يقال إن النظر (٣١٦) الهيج للشهوة حرام لأن ذلك إذا كان مع اختيار وأما الليل الطبيعي

فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم اللغيت لها من الخلق (قوله إن كنت تقيا) أي عاملا بمقتضى تقواك وإيمانك (قوله فتنتهى عنى) هو جواب امرط وقدره فعلا مضارع مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدأ ليكون الجواب

(إِذْ حِينَ أَنْبَذْتِ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) أرسلت سترا تستقر به لتفلى رأسها أو ثيابها أو تنفسل من حيضها (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل (فَتَمَثَّلَ لَهَا) بعد لبسها ثيابها (بَشْرًا سَوِيًّا) تام الخلق (قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) فتنتهى عنى بتعودى (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) بالنبوة (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرًا) بتزوج (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) زانية (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منك من غير أب (قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيمٌ هَيِّئْ) أي بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملى به ولكون ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ) على قدرتنا (وَرَحْمَةً مِنَّا) لمن آمن به (وَكَانَ) خلقه (أمرًا مفضيا) به فى علمى فننفخ جبريل فى جيب ،

درعها

جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أى فأنت تنتهى عنى

(قوله رسول ربك) أى جبريل وقولهم إن الوحي لم ينزل على امرأة قط أى رساله وأما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الأول لأنه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال إن قولها لم يمسنى بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فأجاب بأن المس عبارة عن النكاح فى الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لأن بغيا غالب فى النساء فأجروه إجراء حائض وطامث وعافر أو يقال إن أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدخمت فى الياء وكسرت الفين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فصولا أصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وإنما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لهدوف (قوله قال ربك) بنزله العلة كأنه قيل الأمر كذلك لأنه علينا هين ولننجهه الخ (قوله على قدرتنا) أى كمال قدرتنا على أنواع الخلق فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مفضيا) أى لا يتغير ولا يقبل (قوله فننفخ جبريل) أى نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها ، وليس المراد أنه نفخ فى فرجها مباشرة .

(قوله درعها) أى لبيصها (قوله مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرلوا من تغيير قومها يولادتها من غير زوج (قوله فأجاءها المخاض) أى الجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأمر لوقته (قوله فولدت) أى بيبت لحم غفاف عليه جاءت به إلى بيت اللتدس فوضعت على صخرة فأنحاضت الصخرة له وصارت كالملهد وهو الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذة النصارى بعيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدرت لذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملة فى ساعة وصور فى ساعة ورضعته فى ساعة، وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها إذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) إنما تمت الموت لثلاثع المصيبة بمن تكلم فى شأنها بسوء وإلا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءة ثان سبعتان وقوا مفسيا تأكيد لنسيا (قوله فنادها) أى لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تهم ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها، قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهادا منها فبقي متحيرا فى أمرها، ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتابته فغلبنى ذلك فرأيت أن أتكم به أشقى صدرى فقالت قل قولاً جميلاً قال أخبرنى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم أن الله أبنت الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا

(٣٣)

لك لم يقدر على إنباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول إن الله يقدر على ما يشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وأمراته من غير ذكرو ولا أنى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نقاصها (قوله من تحتها) بفتح الميم

درعها فأحست بالحمل فى بطنها مصوراً (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ) تنحت (بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) بعيداً من أهلها (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (الْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه فولدت ، والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قَالَتْ يَا لَلتَّيْبَةِ) للتنبية (لِيَتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا) الأمر (وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا) شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) أى جبريل وكان أسفل منها (أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر ماء كان انقطع (وَهَرَّى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كانت يابسة والباء زائدة (تَسَاقَطَ) أصله بناء من قلبت الثانية شيئاً وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها (عَلَيْكَ رُطْبًا) تمييز (جَنِيًّا) صفته (فَكُلِّي) من الرطب (وَأَشْرَبِي) من السرى (وَقرى عِينًا) بالولد تمييز محمول من الفاعل أى لتقر عينك به :

وكسرهما قراءة ثان سبعتان فعلى الأولى التاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله أى جبريل) تفسير لمن على الفتح والضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل للنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لا تحزنى إلى قوله فلن أكرم اليوم إنسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لا تحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ما هو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهر ماء) أى وجمعه سريان كرهيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس وأصله سرير اجتماع الواو والياء وصبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى ومائسى عليه المفسر أظهر لناصبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ ماء بركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح أن تكون أصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لربطاً والتقدير وهزى إليك ربطاً كأننا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة تركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعة أيضاً وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطاً مفعول به (قوله تمييز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لاهل الثالثة (قوله جنياً) أى تاماً فضجه صالحاً للاجتماع (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قرير بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرى شذوذاً بكسر القاف وهى لمة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرهما

فى المضارع من باب ضرب .

[صوى - ناك]

(قوله أي تسكن) أي فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمها بارداً وإذا حزن كان دمها حاراً كأنه قال اتركي الحزن وافرحي بما أعطاك ربك (قوله حذف منه لام الفعل) أي وأصله ترأين بهمزة هي عين الكلمة وياء مكسورة هي لامها وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع فقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانتحج ما قبلها فقلت ألفا فالتقيت ساكنان حذف لالتقائهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست إهمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيده بالنون ونحوه بالكسر وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فيسألك عن ولدك) جواب عما يقال إن قولها فلن أكلم اليوم إنسيا كلام فقد حصل التناقض فأجاب بأن المراد إذا رأيت أحداً من البشر وسألك عن أمرك فقولي الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغبط لهم (قوله مع الأناسي) أي لامع الله كالمع والامع الملائكة لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة ولانكلم الانس والأناسي بفتح الهمزة جمع إنسي (٣٤) أو إنسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت في الياء (قوله

أي بعد ذلك) أي بعد قولها إني نذرت للرحمن صوما (قوله فأتت به) أي في يوم وضعه وقيل بعد أربعين يوماً لما طهرت من نقاسها (قوله فأوه) أي أبصروه (قوله قالوا) أي أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بمصدق قوله تعالى - إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض - (قوله لقد جئت) أي فعات وأتيت (قوله فريا) من فريت

الجلد قطعته أي شيئاً قطعاً وخارقاً للعادة ومقطعاً للعرض له (قوله هو رجل صالح) أي في بني إسرائيل (والسلام) شبهت به في عفتها وصلاتها . قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) أي عمران وقوله وما كانت أمك أي حنة (قوله فأشارت إليه) أي وحينئذ غضب القوم وقالوا أنسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً (قوله وجد) أشار المفسر إلى أن كان تاماً وحينئذ فصيحاً حال ويصح أن تكون ناقصة وصبياً خبرها (قوله في المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه ، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع وانسكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال إني عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ لها وكل هذه الأوصاف تقتضي براءة أمه لأن هذه الأوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس (قوله وجعلني نبياً) أي في الحال وقيل المراد سيجعلني بعد الأربعين قولان للطمأنينة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أي نفاعاً للناس) أي لأنه كان يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويهدي من ضل (قوله إخبار بما كتب له) أي فالماضي بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرني بهما) أي بضعهما (قوله وبراً) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرها إما على حذف مضاف أي ذابراً أو مبالغة (قوله متعظماً) أي بجلجلي متواضعا ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكناً .

(قوله والسلام) آل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه ، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى إلى قوله حيا (قوله ذلك) أى المذكور بتلك الأوصاف واسم الإشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدأ محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من إضافة الموصوف للصفة : أى القول الحق ، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق أى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهماء قرأتان سبعينتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر محذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحبرون (قوله قالوا إن عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما يأتى فى قوله فاختلف الأحزاب من بينهم ، وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التى يتضح إبطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لا يمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان ، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو (٣٥) محال قال تعالى - تكاد السموات

تفطرن منه وتنشق
الأرض وتخر الجبال هذا
أن دعوا للرحمن ولما
وما ينبتى للرحمن أن يتخذ
ولدا- (قوله عن ذلك) أى
اتخاذ الولد (قوله إذا قضى
أمرا) هذا كالدليل لما
فبه كأنه قال إن اتخاذ
الولد والسبب فى أسبابه
شأن العاجز الضعيف
الاحتاج الذى لا يقدر على
شئ وأما القادر المعنى الذى
يقول للشئ كن فيكون

(وَالسَّلَامُ) من الله (صَلَّى يَوْمَ وَلِدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم فى السيد يحيى . قال تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت ، والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المربة أى يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله ، كذبوا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ) أى أراد أن يحدثه (فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسر ها بتقدير قل بدليل : ما قلت لهم إلا ما أمرنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم (هَذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) مؤدب إلى الجنة (فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو اله منه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ لِمَنْ

فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إيجاب الأثني وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابنا له بل هو عبده ومخزوفه فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر (قوله وإن الله ربي وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر إن أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر يا عيسى أن الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وإن تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الأحزاب) أى أن النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية ، لما روى أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر من كل قوم عالمهم فأمروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنان للاخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبدا لله ورسوله وكلته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون أجرهم مرتين كالنجاشي وأتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم - ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الآيات - .

(قوله فشدّة عذاب) وقيل المراد بالويل واد في جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وصي بآئك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الأمر ومضاه التعجب ، وإعراجه أسمع فعل ماضٍ للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثاني لدلالة الأول عليه ، وليس المراد التعجب من التكلم وهو الله لاستحالة عليه بل المراد التعجب وهو حمل المخاطب على التعجب أى اعجبوا يا عبادي من شدّة سمعهم وبصرهم في ذلك اليوم (قوله من إقامة الظاهر مقام المضمّر) أى إشارة إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالمًا (قوله في ضلال) أى خطأ وعدم اهتداء للحقّ (قوله به صموا) أى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ في الدنيا فالعجب منهم في الحالتين شدّة الاسماع والابصار في الآخرة وضدّها في الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أى وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم للوعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه السيء الخ) أى والمحسن على ترك الزيادة في الاحسان كما في الحديث (قوله إذ قضى الأمر) أى أحكم وأمضى ، وذلك أنه ورد «إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلاموت يا أهل النار خلود بلاموت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة (٣٦) على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم» (قوله وهم في غفلة) الجملة حالية

وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكم) أى فلا يبقى حتى سوى الله تعالى لما ورد «إن الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا بأهلها لمن الملك اليوم ؟ فيجيب نفسه بقوله : لله الواحد القهار» (قوله وإلينا

فشدّة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى حضور يوم القيامة وأهواله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونََنَا) في الآخرة (لَكِنَّ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمّر (اليوم) أى في الدنيا (في ضلالٍ مبينٍ) أى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبطاره أى اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا (وَأَنْذِرْهُمْ) خوف يا محمد كفار مكة (يَوْمَ الْحُسْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه السيء على ترك الاحسان في الدنيا (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) في الدنيا (في غفلةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم باعلاكم (وَالْيَتِيمَاتُ يَرْجَعُونَ) فيه للجزء (وَأَذْكَرُ) لهم (في الكتاب إبراهيم) أى خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا في الصدق (نبيًا) ويبدن من خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَأْتِ بِتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة

ولا

يرجعون) أى يردون فيجازى كلّ أحد بما قدمه من خير وشر

(قوله واذكر في الكتاب إبراهيم) يحتمل أنه معطوف على قوله وأنذرم يوم الحسرة ، والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعلمهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل أنه معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الأقرب (قوله مبالغا في الصدق) أى في أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لأن كل نبى صديق ولا عكس وبين الولاية والصدقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولاعكس لأن الصدقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله ويبدل منه) أى يبدل اشتغال وحينئذ فقوله إنه كان صديقا نبيا معترض بين البديل والمبدل منه (قوله لأبيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة الأنعام تبعا للمفسر هنا ولا يضّر كفر أصول الأنبياء فإن الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم «مازلت أتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وإن كانوا كفارا أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بعثه إبراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور الحمدي إلى ولده وهو في حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وسمى أبا على عادة الأكبر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث للتقدمها قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أى فأصله أبى فيقال في إعراجه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقترنة على ما قبل ياء التكلم منع من ظلمه، ها اشتغال الجمل بحركة المناسبة والتاء عوض عن الياء .

(قوله ولا يجمع بينهما) أي فلا يقل يا أباي لأن فيه الجمع بين العوض والعوض ويقال يا أبا لأن الألف فيه عوض عن الياء أيضا فبها جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) أي لأي سبب تعبد ما لا يسمع فيه ولا بصير (قوله أو ضر) أي أو دفع ضر (قوله من العلم) أي العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعني) أي امتثل أمرى فيما أمرتك به (قوله مستقيا) أي لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك إياه) أي فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الأصنام حيث حسناله بوسوسته (قوله عصيا) أي وطاعة العاصيه عصيان (قوله إنى أخف أن يمك عذاب) أي في المستقبل إن لم يرجع وإتمامه بالخوف لأنه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا لإيمانه ، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب للاختصار على تفسيره بالقرين لأنه بعد الدخول في العذاب لا يتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله أرغب) مبتدأ وأنت فاعل مسد الخبر وسوغه اعتاده على الاستفهام وهو أولى من جملة خبرا مقدا وأنت مبتدأ مؤخرا لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أرغب وللعمول وهو عن آلهي بأجنبي وهو (٣٧) أنت لأن المبتدأ غير معمول

الخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف والطلاقة في الخطاب بالفاظظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن تنته لأرجحك .

وكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله بالحجارة) أي حتى تموت أو تخلى سبيل (قوله أو بالكلام القبيح) أي الستم والدم (قوله فاحذرنى) قدره إشارة إلى أن قوله واهجرنى معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرنى إنشائية

ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ) لا يكفيك (شَيْئًا) من فزع أو ضر (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقًا (سَوِيًّا) مستقيا (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه في عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) إن لم تتب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصراً وقرينا في النار (قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فتميها (لَنْ لَمْ تَنْتَهُ) عن التعرض لها (لَأَرْجُحَنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرنى (وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا) دهرًا طويلا (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ) منى أي لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) من حفي أي بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور في الشراء : واغفر لأبى ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة (وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا) أعبد (رَبِّي عَسَى أَنْ) (لَأَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَرَاهُمُ) وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ) للثلاثة (مِنْ رَحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا) رفيعا هو الشاء الحسن ،

وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) إما منصوب على الظرفية وإليه يشير المفسر بقوله دهرًا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرنى أي اعترانى سالما لا يصيبك منى مضرة (قوله أي لا أصيبك بمكروه) أي فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربى) أي أطاب غفرانه لك للترتب على هدايتك وإسلامك (قوله حفيا) أي مبالنا في لا كراحي واللفظ بى والاعتناء بشأنى ويطلق الحنى على المستقصى في السؤال ومنه قوله تعالى - كأنك حفى عنها - (قوله وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار . فأجاب بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله فلما علم ذلك تراء منه ، وبهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قصد بها هدايته وإسلامه ، فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله وأعتركم) أي أرتحل من أرضكم وبلادكم وقد فعل ذلك (قوله بأن ذهب) أي من بابل العراق إلى الأرض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم أنه بشر بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقد عاش إبراهيم مائة وخمسة وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة (قوله إسحق ويعقوب) خصهما لأنه صيد ذكر سميل بمزايا تحضه (قوله للثلاثة) أي إبراهيم وولديه (قوله المال والولد) أي فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الأرزق

وأكثرهم الأولاد جميع الأنبياء الذين جاؤا بعده من ذريته (قوله في بيع أهل الأديان) أي بكل أهل دين يعرضون عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويذكرهم بغير إلى يوم القيامة (قوله واذكر في الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف فصة على قصة . والحاصل أن الله تعالى ذكر في هذه السور أسماء عشرة من الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهرون وإدريس ، وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الإيمان بها فنيها على عظيم شأنها وتعليا للامة المحمدية ليقنوا بهم ، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخاص في عبادته) أي لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وأخلصه الله) أي صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لغا ونشرا مرتبا ، فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته وعجبه فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أي ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته ورسالته وإلا فرسالته الخارج حين المناداة (قوله بقول يا موسى) أي في سورة النقص في قوله تعالى - فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله - الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذي يلي يمين موسى) هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لأنه على يسار التوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد والأيمن صفة للجانب بدليل تبعيته له في الاعراب في قوله (٣٨) تعالى - وواعدناكم جانب الطور الأيمن - والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان

بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) أي تقريب شرف ومكانة لامكان (قوله من كل جهة) أي بكل جارحة (قوله بدل أو عطف بيان) أي وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا أي من أجل رحمتنا (قوله هي المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معني هبته له مع كونه أسن منه والموهوب

في جميع أهل الأديان (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وأخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ) بقول: يا موسى إني أنا الله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (الْأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمع الله تعالى كلامه (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه ، وكان أسن منه (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفي به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرم (نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أصله مرضو وقلت الواوان ياءين والضممة كسرة (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ) ،

يكون متأخرا عن الموهوب له . فأجاب بأن المراد جعله نبيا يعينه

ويشد عضده (قوله إجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال - واجعل لي وزيرا من أهلي - (قوله وكان أسن منه) أي بسنة وقيل بأربع سنين (قوله إسماعيل) أي ابن إبراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبها له فلما ولدت له إسماعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت ، فترى إسماعيل بين جرم عرب من اليمن فزوجوه منهم ، فلما كبر أرسله الله إليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا نفرا ، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم أفردته بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) أي شخصا وعده إسماعيل وكان عليه إراز الضمير لأن الصلة جرت على غير من هي له ، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصا أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له فكث ثلاثة أيام أو حولا (قوله وكان رسولا) أي بشرية أبيه (قوله قلبت الواوان الخ) أي فوقعت الواو الثانية من طرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وهذا الوصف جامع لكل خير لأن من كانت أفعاله مرضية لربه لا يصدر عنه إلا كل بر وإحسان ولا شك أن الأنبياء كذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته (قوله إدريس) هذا لقبه واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم ، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب ، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها ، وهو أول من خط بالقلم وخط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر في علم النجوم والحساب

هو

(قوله هو جد أبي نوح) لأن نوحاً بن ملك بفتح اللام وسكون اليم ابن متوشاخ بن إدريس (قوله ورفعه مكالاً علياً)
 اختلف المفسرون في المكان العليّ ، فقيل المراد به المكان المعنوي وهو الرفعة وعلو النزلة ، وقيل المراد به المكان الحسي ، وعليه
 فقيل هو السماء الرابعة ، وقيل الجنة . واختافوا في سبب رفعه ، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
 لجميع أهل الأرض في زمانه فنجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فاتاه في صورة
 بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ثلاث ليال فأنكره إدريس
 وقال له في الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال إدريس لي إليك حاجة
 قال ما هي ؟ قال تقبض روحي ، فأوحى الله إليه أن اقبض روحي فقبضها وردّها إليه في ساعة ، فقال له ملك الموت ما الفائدة
 في سؤالك قبض الروح ؟ قال لأذوق الموت وعذابه فأكون أشد استعداداً ، ثم قال له إدريس إن لي إليك حاجة قال وما هي ؟
 قال ترفعي إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما تريد ؟ قال
 تسأل مالك حتى يفتح أبوابها ففعل ، فقال له كما أريتي النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله
 الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرّك فتعاقق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك
 مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال : كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال : وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال : وما هم
 منها بمخرجين ولست أخرج ، فأوحى الله إلى ملك الموت باذني دخل (٣٩) الجنة وبأمرى لا يخرج منها فهو حي
 هناك . وقيل سببه أنه

نام ذات يوم فاشتد عليه
 حرّ الشمس فقال اللهم
 خفف عن ملك الشمس
 وأعنه فإنه يمارس ناراً
 حامية فأصبح ملك الشمس
 وقد نصب له كرسي من نور
 عنده سبعون ألف ملك
 عن يمينه ومثلها عن
 يساره يخدمونه ويتولون

هو جد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حي في السماء الرابعة
 أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ولم يخرج منها (أَوْلِيكَ)
 مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده
 إلى جملة الشرط صفة للنبين ، فقوله (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أي إدريس (وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)
 في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أي إسماعيل وإسحق ويعقوب
 (وَ) من ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب ، أي موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ،

عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لي هذا ؟ قال دعائك رجل من بني آدم يقال له إدريس فقال يارب اجعل
 بيني وبينه خلة فأذن له في ذلك فصار يتردد على إدريس ، فقال له إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لي عنده ليؤخر أجلي
 فأزدد عبادة وشكراً ، فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، فرفعه في مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لي صديق من
 من بني آدم يتشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إليّ ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه ، قال نعم فنظر
 في ديوانه فقال إنك كلتنى في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال إني أتيتك وزكته هناك فانطلق فوجده قد مات
 ثم أحياه الله فهو يرفع في الجنة نارة ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة نارة أخرى . قال العلماء : أربعة من الأنبياء أحياء
 اثنتان في الأرض وهما الخضر وإلياس واثنتان في السماء وهما عيسى وإدريس (قوله أولئك) اسم الإشارة عائد على الأنبياء
 المذكورين في هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم (قوله صدقة له) أي لاسم الإشارة أي أولئك
 الموصوفون بانعام الله عليهم ، وذلك أن الله لما وصف كلا من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً ذكر ثانياً لهم صفة تعمهم (قوله بيان
 لهم) أي لئنم عليهم (قوله أي إدريس) تفسير للذرية أي إن إدريس من ذرية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم (قوله
 وعن حملنا) أي ومن ذرية من حملنا (قوله أي إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لأن من حمل معه أولاده الثلاثة
 وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوسائط فان بين إبراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أي فأولاد البنات
 من الذرية . والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس ومن ذرية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحق
 ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى .

(قوله وعن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة في تعجيدهم (قوله خرّوا سجدا وبكيا) أى أن الأنبياء لما سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا (قوله وبك) أى على غير قياس وقياسه بكاء كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) أى فى السجود والخشوع والخصوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبقوا كوا » (قوله فخلف من بعدهم) أى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر وبالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستميد من حره أوديتها (قوله إلا من تاب) فتر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن المستثنى للمؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدى من الجنة) قال بعضهم إنه بدل كل من بعض لأن الجنة بعض الجنات . ورد بأن آل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله أى غائبين عنها) أى غير شاهدين لها لأن الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لا يشاهد الجنة (قوله أى موعوده) أى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) أى فاسم للفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أو موعوده الخ) أشار لتفسير آخر وعليه فاسم للفعول باق على ما هو عليه وحينئذ فيكون المراد (٤٥) بالموعد خصوص الجنة (قوله لنوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه

(قوله لكن يسمعون) سلانا) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وإنما يعرفون الليل بارضاء الحجب وغلق الأبواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل الاستراحة فيه والنوم إذ لا نوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيبته تحف فى الصباح والمساء ليم نظامهم (قوله تلك الجنة)

(وَرَمَنَ هَدَيْنَا وَأَجْتَبَيْنَا) أى من جملتهم ، وخبر أولئك (إِذَا تَسَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) جمع ساجد وبك أى فكونوا مثلهم وأصل بكى بكوى قلبت الواو ياء والضمه كسرة (فَخَلَفَ مِنْ بَدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) تركها كاليهود والنصارى (وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) من المعاصى (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) هو واد فى جهنم أى يقعون فيه (إِلَّا) لكن (مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ) يتقصون (شَيْئًا) من ثوابهم (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ) أى موعوده (مَأْتِيًّا) بمعنى آتيا وأصله مأتوى أو موعده هنا الجنة يأتيه أهله (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إِلَّا) لكن يسمعون (سَلَامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (وَلَهُمْ فِيهَا مَرْقُمَاتٌ بِكُرَّةٍ وَعَسِيًّا) أى على فدرها فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطى ونورل (مَنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ، ونزل لما تأخر الوحي أيا ما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنك أن تزورنا ،

أكثر

اسم الإشارة عائد على الجنة فى قوله : فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا

وأتى باسم الإشارة البعيد إشارة لعلو مرتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) أى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولومصرا على الكبار فمأله الجنة وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لأن الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للشركين ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر - ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه - إلى أن قال - جنات عدن يدخلونها - وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر » ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الأعمال الصالحة (قوله بطاعته) أى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تأخر الوحي) أى حين سأله اليهود عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فتأخر جبريل حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أربعين يوما ، وقيل خمسة عشر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى صافى واشتقت إليك فقال له جبريل إني كنت أشوق ولكم عهد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست حبست .

(قوله أكثر مما تزورنا) هذا صواب من رسول الله لجبريل كأنه قال له إن شوقى إليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لإلهمجر (قوله وما تنزل إلا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله للذكور والنزول شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما ويصح أن يحمل قوله ما بين أيدينا على ما يأتي ، وقوله وما خلفنا على ما سبق ، وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أى تفصيلا ، وأما علم بعضه إجمالا فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه ، إذا علمت ذلك فالتشدد بالتجرؤ على الغيبات من الضلال المبين لأنه لو استند لقواعد فهى كاذبة ولو صادفت الحق بمصدق قوله صلى الله عليه وسلم « كذب اللجج ولو صدقوا » وإن استند لكشف فصاحبه لا يطلع إلا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتمتها لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل - له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك - فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله أى تارك لك) أى إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تترك لك وهجرانا ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - ما ودعك ربك وما قلى - (قوله هو) قدره إشارة إلى أن ربّ خبر لمخدوف (قوله فاعبده) أى دم على عبادته ولا تحزن (٤١)

المكفرة (قوله أى مسمى بذلك) أى بلفظ الجلالة أو رب السموات والأرض وقيل معنى سميًا مثلا يستحق أن يسمى إلهًا واحدا يسمى بالله فإن المشركين وإن سماوا الصم إلهًا لم يسموه الله قط لظهور أحديته وأنه ربّ السموات والأرض وما بينهما ، قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله - وقد ورد أن امرأة سمّت ولدها الله فزلت عليه نار فأحرقته - (قوله المنكر للبعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان

أكثر مما تزورنا (وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) أى أمامنا من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) من أمور الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) أى ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أى له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسياً أى تاركاً لك بتأخير الوحي عنك ، هو (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَضِطِّبْ لِمَبَادِنِهِ) أى اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أى مسمى بذلك ؟ لا (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث أبى بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أعدّا) بتحقيق الممزة الثانية وتسجيلها وإدخال ألف بينها بوجهها وبين الأخرى (مَا مَثُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أى لا أحياء بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام وردّ عليه بقوله تعالى (أَوَلَا يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وأدغمت فى الدال وفى قراءة تركها وسكون الدال وضم الكاف (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الإعادة (فَوَرَبُّكَ لَنَخْشُرَنَّهِنَّ) أى المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينَ) أى نجيم كلا منهم وشيطانه فى سلسلة (ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهِنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جُثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جنود أو جنوى من جثا يجنؤ أو يجنى لفتان (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أُمَّةً

خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتنويح الخلاف فى المراد بالإنسان الذى قال تلك المقالة وفى الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله أنذا) منصوبة بقوله أخرج حيا ، ولا يقال إن ما بعد اللام لا يصل فيها قبلها لأن ذلك فى لام الابتداء وأما هذه فهى زائدة كما قال المفسر (قوله وإدخال ألف بينها) أى الثانية وقوله وبين الأخرى : أى الأولى ، وكان المناسب أن يقول وتركه فتكون القراءات أربعا وهى سبعيات (قوله أو لا يذكر) الاستفهام لتوبيخ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله من قبل) أى من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الإعادة) أى لأنها أهون . قال تعالى - وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه - (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى إليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنخضرنهم حول جهنم جنيا) أى وهو الموقف (قوله وأصله جنود) أى بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله أو جنوى) أى يياء بعد الواو قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وعلى كل كسرت التاء تصح الياء (قوله ثم لنزعن من كل شيعة) أى من كل أمة (قوله أبهم) مرصولة بمعنى الذى بنيت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله أشد خبر لمخدوف والجملة صلتها وهى وصلتها فى محل نصب مفعول لتزعن وعتيا تمييز مفعول [٦ - صاوى - ثالث]

عن البتة المحذوف : أى هتوه أهده ، والضمى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعتى فالأعتى على التريب لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يصل تبعاً لغيره وليس عذاب من يجرى ويتعبر كعذاب المفقه (قوله صلياً) بضم الصاد وكسرها قرأتان سبعيتان جمع صال كتحيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) أى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أى كرضى ، وقوله وفتحها : أى كرمى (قوله وإن منكم إلا واردة) أى مسلماً أو كافراً . والحاصل أنه اختلف المفسرون في المراد بالورود فقيل الدخول ، وقيل الحضور معها في الوقت والذي عول عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحد من السيف وأرق من التصرة ويتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يأمؤمن فقد أطفأ نورك لهي وهم في المرور مختلفون لما في الحديث « يرد الناس النار ثم يصرون عنها بأعمالهم فأولهم كلح البصر ثم كارج ثم كهدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل في مشيه » (قوله أى داخل جهنم) أى وتكون على المؤمنين ولومأواعصاة غير من تحقق فيهم الوعيد برداوسلامه لدخولهم فيها وهي خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) أى الورد (قوله حتما مقضياً) أى بمقتضى حكته لا بإيجاب عليه (قوله ثم ننجى الذين اتقوا) أى نخرجهم (٤٢) منها من غير أن يمسه عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهم من

نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) أى تركهم فيها على سبيل الخلود ، وقوله جنباً حال من الظالمين (قوله وإذا تتلى عليهم الخ) أى حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين بمالهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وإلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم

أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا) جراءة (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صُلِيًّا) دخولا واحترقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وَإِنْ) أى ما (مِنْكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) أى داخل جهنم (كَأَنَّ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) حتمه وقضى به لا يتركة (ثُمَّ نَنجِي) مشدداً ومخففاً (الَّذِينَ آمَنُوا) الشرك والكفر منهما (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جُثِيًّا) على الركب (وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى الفريقتين (نحن وأتم (خَيْرٌ مِّمَّا) منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتعدون فيه يمنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى (وَكَم) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا) مالا ومتاعاً (وَرِيًّا) منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) بمعنى الخبر أى يمد (لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) في الدنيا يستدرجه (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْمَدَابِثَ) كالقتل والأسر (وَلِإِمَّا السَّاعَةَ) المشتملة على جهنم فيدخلونها ،

(فسيماعون)

نجلس في صدر المجلس وتجلسون في طرفه الحقيق ، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا

فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لا كرمكم كما أكرمنا وقدمم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا . قال تعالى - وإن كل ذلك لما ضاع الحياة الدنيا والآخرة هتدر بك للفتن - (قوله قال الذين كفروا) أى أغنياءهم (قوله للذين آمنوا) أى الفقراء منهم (قوله نحن وأتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثياً والضم على أنه من أقام وباعياً وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبره والجملة صفة لقرن وأثانا ورييا تمييزان (قوله ورييا) أى مرتباً كالدهج بمعنى الذبوح ، وقوله منظراً: أى هيئة وصورة (قوله قل) أى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله في الضلالة) أى الكفر والغفلة عن عوالم الأمور (قوله بمعنى الخبر) أى وآتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكته كأنه أزم نفسه بذلك (قوله أى يمد له الرحمن) إيماء ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) أى بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رأوا ما يوعدون) غاية في قوله - فليمد له الرحمن - (قوله وإمما الساعاة) إما حرف تفصيل وهي مانعة خلوت تجوز الجمع

والعذاب والساعة بدلان من ما ، والمعنى يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هوشر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب إذا ، وقوله - من هوشر مكانا - راجع لقوله - خيرمقاما - وقوله - وأضعف جندا - راجع لقوله - وأحسن نديا - على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أم أم المؤمنين) أشار بذلك إلى أن من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول يعملون (قوله عليهم) متعلق بجندا لتضمينه معنى العاوين وذلك كما وقع لهم في بدر فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاءوا إليهم ليعينوهم ثم اتخذوا عنهم ، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التي قاتلت معهم كما تقدم في الأنفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أو عطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كأنه قال قل لهم من كان في الضلالة الخ وقل لهم يزد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أي فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وإيمانا . قال تعالى - وإذا نزلت عليهم آياته زادتهم إيمانا - (قوله هي الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير في الباقيات الصالحات وهو الأحسن (قوله خير عند ربك) أي من زينة الدنيا التي ينتم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أي فإتباعهم مردا لكونهم يردون إلى جهنم ، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فينتهون بها في الجنة والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيعذبون بها في النار فالعاقل يختار لنفسه أي العملين يبقى له (قوله (٤٣) والخبرية الخ) أي فأفضل التفضيل

ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع ما يقال إن أعمال الكفار لا خير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبي : أي تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاص بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد

(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أهوانا أم أم المؤمنين و جندهم الشياطين و جنده المؤمنين عليهم الملائكة (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالإيمان (هدى) بما ينزل عليهم من الآيات (و الباقيات الصالحات) هي الطاعات تبقى لصاحبها (خير عند ربك) فوآبا و خير مردا أي ما يرد إليه و يرجع بخلاف أعمال الكفار ، و الخبرية هنا في مقابلة قولهم : أي الفريقين خير مقاما (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) العاصي بن وائل (و قال) لخباب بن الأرت القائل له تبعث بمد الموت و النطالب له بمال (لا و تين) على تقدير البعث (مالا و ولدا) فأقضيك قال تعالى (أطلع القريب) أي أعلمه و أن يؤتى ما قاله و استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل حذف (أم) اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن يؤتى ما قاله (كلاً) أي لا يؤتى ذلك (سنكتب) نأمر بكتب (ما يقول و تمد له من العذاب مداً) زیده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (و ترثه ما يقول) من المال و الولد (و آياتنا) يوم القيامة ،

العبادة المشهورة (قوله لخباب بن الأرت) هو بدرى من فقراء الصحابة ، وذلك أن خبابا كان صائفا فصاغ للعاصي حليا ثم طالبه بأجرته ، فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقال خباب لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث . قال و إنى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد (قوله و استغنى بهمزة الاستفهام الخ) أي فأصله أطلع حذف همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب : أحسنها أنها حرف ردة و زجر . والثاني أنها حرف تصديق بمعنى نعم . الثالث أنها بمعنى حقا . الرابع أنها ردة لما قبلها . الخامس أنها صلة في الكلام بمعنى أي . السادس أنها حرف استفتاح ، و ذكرت في القرآن في ثلاثة و ثلاثين موضعا و كلها في النصف الثاني منه في خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع إلى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها و على ما قبلها فينتهأ بها وذلك في خمسة مواضع اللتان في هذه السورة و اللتان في الشعراء و واحدة في صيا ، و قسم اختلاف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها ، وذلك في تسعة مواضع واحدة في المؤمنون و اثنتان في سأل سائل و الأولى و الثالثة في المدثر و الأولى في سورة القيامة و الثانية في سورة ويل للمطففين و الأولى في سورة الفجر و التي في سورة ويل لكل ، و قسم لا يجوز الوقف عليها بإتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أي نظيره له و نعلمه أنا كتبناه فاندفع ما يقال إن الكتابة لا تأخر عن القول . قال تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قوله زیده بذلك عذابا الخ) أي لما تقدم أن كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله و ترثه ما يقول) أي نسلبه و تأخذه منه بأن يخرج من الدنيا خاليا من ذلك .

(قوله فردا) أى منقطعا عن ماله وولده بالكفاية فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا لاني البت ولا في سخر لا يقطع الأسباب بينهم وبين أولادهم بل وبين ما يشتهون كما قال تعالى : وحيل بينهم وبين ما يشتهون . وأما المؤمنون وإن كانوا يعنون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبهم وأولادهم وما يشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الأوثان) هو مفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) في معنى التمليل (قوله ضدا) أى أصدادا وإنما أفردته إما لكونه مصدرا في الأصل أو لأنه مفرد في معنى الجمع (قوله على الكافرين) أى وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم إلى المعاصي) أى تعريهم بزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزتهم ، والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والإزعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم وتظهر الأرض من فسادهم لأن لهم أياما محصورة وأنفاسا معدودة يعيشونها ثم يردون إلى عذاب النار (قوله إنما نعد لهم عدا) أى نضبط ما يقع منهم ولا نهمل منه شيئا ليؤاخذوا به (قوله أو الأنفاس) تفسير ثان (قوله إلى وقت عذابهم) أى وهو موتهم لأن بهم صير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها إلى قيام الساعة فيقذفون في النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله اذ كر أى اذ كر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى ركب) هذا المعنى (٤٤) ليس مأخوذا من معنى الوفد لأن الوفد في اللغة الجماعة الذين يقدمون

على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد : أنهم يحشرون ركبا على نجائب مرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب . وأزمتها من زبرجد . واختلف في وقت ركوبهم فقليل من أول خروجهم من القبور ، وقيل من المنصرفهم من الموقف

(فَرَدًا) لا مال له ولا ولد (وَاتَّخَذُوا) أى كفار مكة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأوثان (آلِهَةً) يعبدونهم (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لا يذبوا (كَلًّا) أى لمانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أى الآلهة (بِإِيَادِهِمْ) أى ينفونها كما في آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أعرافا وأعداء (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطانهم (قَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّؤُهُمْ) تهيجهم إلى المعاصي (أَزَا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالي أو الأنفاس (عَدًّا) إلى وقت عذابهم ، اذ كر (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتِّينَ) بإيمانهم (إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا) جمع وافد بمعنى ركب (وَنَسُوقُ الْجُرِمِينَ) بكفرهم (إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لَا يَمْلِكُونَ) أى الناس (الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أى شهادة أن لا إله إلا الله ،

ولا

وطى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة ، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم

من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انقضاء الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة . وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لاترث ولا تبول لجلها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض وسرجها السندس والإستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لاتبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الفرق وأمنوا الأهوال . وورد أيضا « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعر وثلاثة على بعر وأربعة على بعر وعشرة على بعر » (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالجرمين الكفار (قوله وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد « أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفني ؟ فيقول لا فيقول أنا عمك الصالح طالما ركبتك وأتبعك في الدنيا اركبني اليوم ، وأن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتها ريجا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمك السيء طالما ركبتني وأتبعني في الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى : وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » (قوله لا يملكون) أى الخاق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله إلا من اتخذ) مستثنى من العموم للتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) كسر لفظ الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى شهادة أن لا إله إلا الله) أى مع عبديتها وهي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله) في رواية : والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أى تقريرا وتوبييحا (قوله منكرا عظيما) أى فظيما شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرا عظيما (قوله ينفطرن) أى يفتتنن ويقطعن (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعية أيضا وظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لأن فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من ينفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من ينفطرن وثلاث سبعيات (قوله وتنشق الأرض) أى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى أن هذه المقالة منهم ، وجبة للغضب عليهم الذى ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الأرض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته ، والمعنى أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفرغ منها السموات والأرض والجبال وتحنى أنها لو أهلكت من تقوه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله وما ينبىئ (٥٥) للرحمن) أى لا يليق به ذلك

ولا يتأتى لاستحالتة عليه عقلا وقتلا لأن الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) أى عد أشخاصهم وأنفسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شىء من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفردا (قوله فردا) أى منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودا) أى فى الدنيا والآخرة

ولا حول ولا قوة إلا بالله (وَقَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا) أى منكرا عظيما (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (مِنْهُ وَتَنْشَقُّ) الأرضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَدًا) أى تنطبق عليهم من أجل (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) قال تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أى ما يليق به ذلك (إِنَّ) أى ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم هزير وعيسى (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فَأَنَّمَا يَسْمُرُ نَاهُ) أى القرآن (بِلِسَانِكَ) العربى (لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وَتُنذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أى جلد بالباطل وهم كفار مكة (وَكَم) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هَلْ تُحِسُّ) تجرد (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا؟ لا ، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

والتنوين للتعظيم أى ودا عظيما فكما عظمت طاعاتهم عظم ودهم لربهم ولأحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فإن المحبة رأس الإيمان وأساسه لما فى الحديث «ألا لإيمان لمن لأحبة له» فمن أعطى المحبة لله ولأحبابه فقد أعطى خيرا الدنيا والآخرة لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق لما فى الحديث القدسي «فأحبت أن أعرف غفلت الخلق فبى عرفوني» وبالجملة فالحبة أمرها عظيم ولها كان تنافس العارفين فيها كبيرا ، فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا ، وعبر بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بكفة فى مبدأ الاسلام مفرقين فوعد الله رسوله بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت فى مبدأ الاسلام نسلية له صلى الله عليه وسلم ، وودا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرهما فهو مثلث (قوله فأنما يسمرناه) أى أنزلناه مبسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أى شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم ونساية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحسن رباعيا والاستفهام إنكارى كما أشار إليه بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرهما (قوله منهم) حال من أحد لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أى والمعنى استأصلناهم بالملاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع لهم صوت خفى

[سورة طه مكية] أى كلها وقيل إلا فاصبر على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل إسلام هجر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت سببا فيه (قوله أو أر بعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها ، وقيل إن طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء ، وقيل إنه فعل أمر وأصله طأها ، والمعنى طأ الأرض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويريح الأخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه ، فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما ، وقيل إن معنى لتشتقى لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر ، فأما عليك البلاغ فأرح نفسك من هذا التعب فانا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى ، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته إنك لتشتقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشتقى به (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لأجله ولتشتقى كذلك وإنما نصب الثانى دون الأول لأن فاعل الذكرى والانزال هو الله (٤٦) بخلاف الأول (قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ

(قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله للمصدر والأصل نزلناه تنزيلا خذف الفعل وجوبا لنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتا مقطوعا قصد به المدح (قوله صرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس: قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين

(سورة طه مكية)

مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو اثنتان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طه) الله أعلم بمراده بذلك (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لَتَشْتَقِي) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل ، أى خفف عن نفسك (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذَكُّرَةً) به (لِمَنْ يَخْشَى) يخاف الله (تَنْزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (يَمُنُّ خَلْقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر ، هو (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وَمَا تَحْتِ الثَّرَى) هو التراب الندى ، والمراد الأرضون السبع لأنها تحته (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالقَوْلِ) فى ذكر أو دعاء فالله غنى عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه ، أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به ،

فلا

يفوضون علم المشابهة لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه

عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل: الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمن به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع . وأما الخلف وهم من بعد الحمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون إن المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والتفهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرمى بمعنى جلس واستوى على الأقطار بمعنى ملك وقهر ، ومن الثانى قول الشاعر : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق وحينئذ فالمتعين إطلاقة عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ترى (قوله وإن تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول إن الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إجماع الله تعالى إما جهل أو كفر وأما لفرض آخر كإرشاد العباد وحضور القاب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فانه يعلم السراج تعليلا لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفضل تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى ، وقال ابن عباس : السر ما أمره ابن آدم

في نفسه وأخى ما أخى على ابن آدم مما هو قاعه وهو لا يعلمه فآله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح اثناء والماء أوضم اثناء وكسر الماء من جهد وأجهد : أى لانتص نفسك بالجهد بقصد إسماع الله تعالى ، وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسن مؤث الأحسن) أى فهمي اسم تفضيل بوصف بها الواحد من المؤث والجمع من اللذ كر غير العاقل كآهنا (قوله وهل أتاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير في ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له إنا نرسانك بالتوحيد ولا غرابة في ذلك فإنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كإبراهيم عن كابر ، وقد خوطب به موسى حيث قيل له : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وبه ختم موسى مقالته حيث قال : إنما إلهكم الله الذي لا اله إلا هو فالقصد من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب للاحقيقته فإنه مستحيل عليه تعالى أو أن هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله إذا رأى ناراً) ظرف لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفورا واسم أختها ليا ، وقيل شرفا وقيل عبداً واختلاف في التي تزوجها فقيل هى الصغرى ، وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكنوا) إنما أتى بجمع الذكور وإن كان الخطاب لامرأته تعظيماً وأمرأة لمن معها من الخدم والأولاد (قوله وذلك في مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على (٤٧) غير الطريق مخافة من ملوك الشام

فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربي من الطور الذى هو بفلسطين لأنه هو الذى على يمين للتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة ورد بأنه على يسار التوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن ولله ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد

فلا تجهد نفسك بالجهد (الله لا إله إلا هو الأسماء الحسنى) التسمية والتسمون الوارد بها الحديث والحسن مؤث الأحسن (وهل) قد (أتيتك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله) لامرأته (أمكنوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (إني آنتت) أبصرت (ناراً لعلى أتيتكم منها يقبسى) شعلة فى رأس فتيلة أو عود (أو أجد على النار هدى) أى هاديا يبدلى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل ، وقال : لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلمآ أتيتها) وهى شجرة عوسج (نودى يا موسى إني) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقيل وفتحتها بتقدير الباء (أنا) تأكيد لياء التكلم (ربك فأخلق نملك إنك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) بدل أو عطف بيان بالتثوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلية ،

أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولما عند وقده زنده فلم يخرج ناراً فبينما هو فى ذلك إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور ناراً قائم أهل بالمكت لثلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كاهو المعتاد لثلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخطر بالبال ، فلما وصل إلى تلك النار التى أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين ففرهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى بينى إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر (قوله إني آنتت) من الايناس وهو الابصار ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء (قوله أو أجد على النار هدى) أو مائة خلوة تجوز الجمع على معنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطأها) أى لأنه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لا يدري ما يفعل الله به (قوله فلما أتتها) أى النار التى آنتها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى يا موسى إني أنا ربك) هذا أول المكلمة بينه وبين الله تعالى وأخرها قوله فيما يأتى أن العذاب على من كذب وتولى ، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وإلا فله مكالمات أخر ومع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى إن كل جارحة منه كانت أذنا (قوله فأخلق نملك) أى تواضعاً لله ومن ثم كان الساف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ ، روى أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتثوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان .

(قوله وأنا اخترتك) أى للنبوّة والرسالة وكان عمره إذ ذلك أر بعين سنة كما سيأتي عند قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى : (قوله إني أنا الله) بدل مما يوحى وهو إشارة للعقائد العقلية وقوله : فاعبدني إشارة للأعمال الفرعية ، وقوله إن الساعة آتية إشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وإن كانت داخلة في جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الذكرو وشغل القلب واللسان والجوارح فهى أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكري فيها) أى لتذكركنى فيها لأنها مشتملة على كلامى وغيره من أنواع الذكر (قوله إن الساعة آتية) أى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لأنها تأتى فى ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد إخفاء وقتها ، والحكمة فى إخفاء وقتها وإخفاء الموت أن الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفى العزفة فلو عرف الخلق وقتها لاشتغلوا بالمعاصى إلى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب للعصية فتعريف وقتها كالأغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدي (قوله لتجزى) إما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد أخفيها جملة معترضة بين التعلق والتعلق (قوله بما تسمى) ماموصولة وجملة تسمى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدك) الخطاب لموسى ، والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة (٤٨) مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله

وماتلك يمينك يا موسى) أى بعد أن خلق عليه خلعة النبوّة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم إشارة خبر وقوله يمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الإشارة وهذا أحسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى الذى ويمينك صلته لأنه ليس مذهب

(وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ) مِنْ قَوْمِكَ (فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إِلَيْكَ مِنِّي (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فِيهَا (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا) عَنِ النَّاسِ وَيُظْهِرُ لَهُمْ قُرْبَهَا بِعَلَامَاتِهَا (لِتَجْزَى) فِيهَا (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى) بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ (فَلَا يَصُدُّكَ) بِصُفْرَتِكَ (عَنْهَا) أَيْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوِيَّ) فِي إِنكَارِهَا (فَتَرْدَى) أَيْ قَهْلِكَ إِنْ انْصَدَدْتَ عَنْهَا (وَمَا تَأْتِكَ) كَأَنَّهَا (بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) الْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ لِيَرْتَبَ عَلَيْهِ الْمَعْجَزَةَ فِيهَا (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكًا) أَعْتَمَدَ (عَلَيْهَا) عِنْدَ الْوُثُوبِ وَاللُّشَى (وَأَهْشُ) أَخْبَطَ وَرَقَ الشَّجَرِ (بِهَا) لِيَسْقُطَ (فَلَى غَنَمِي) فَتَأْكُلُهُ (وَلِي فِيهَا مَا رَبُّ) جَمْعُ مَأْرَبٍ مِثْلُ الرِّاءِ أَيْ حَوَائِجِ (أُخْرَى) كَحَمْلِ الزَّادِ وَالسَّقَاءِ وَطَرْدِ الْهَوَامِ ، زَادَ فِي الْجَوَابِ بَيَانَ حَاجَاتِهِ بِهَا (قَالَ أَلْقَيْهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ) ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ (تَسْعَى) تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا سَرِيعًا كَسُرْعَةِ الثَّعْبَانِ الصَّغِيرِ ،

السمى

البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام

ككون موسى يقر ويترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها ، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فإنه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الأنبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فأخذها موسى بعلم شعيب ، وإنما زاد فى الجواب لأن المقام مقام مياسطة وخطاب الحبيب ولا شك أن الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد وإلا فكان يكفيه أن يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش بهش بمعنى خبط الشجر ليستقط ورقه ، وأما هش بهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مأرب أخرى) أجمل فى هذا الجواب إياحياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف إلى أن لها منافع أخرى فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتمى ثمرة ركزها فتصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتها تضيآن بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب به (قوله فألقاها) أى طرحها على الأرض (قوله فإذا هى حية تسمى) عبر عنها بالحية وفى آية أخرى ثعبان

وفي أخرى : بها كالجنان ووجه الجمع ما أشار له للفسر فهو تمشى على بطنها سريعاً كسرمة الثعبان الخ . والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعباناً عظيماً وجاناً باعتبار مشيها (قوله السمى بالجنان) أي وهو الثعبان الصغير . وأما الجنج فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) إنما حصل له الخوف لأن صورتها هائلة فشعبتها صارتا شديقين لها والمجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمر بالشجرة العظيمة فلتتمها وتقطع الشجرة العظيمة بأنبياءها . يسمع لأنبيائها صوت عظيم فظن أنها سطوة من الله عليه فولى مدبراً ولم يعقب فلما قال الله له خذها لا تخف تبين له أنها نعمة لا تقمة (قوله فأدخل يده) أي مكشوفة ، وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها لك كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لها أكانت المدرعة تفضى عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى أي عم (قوله أن موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أي الانكاء عليها ، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شديقين وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقاً لها (قوله ورأى ذلك) أي بصر الله موسى قائماً حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أي عنده (قوله بمعنى الكف) أي لاجمعي حقيقةً وهي من الأصابع إلى النكب (٤٩) (قوله تحت العضد) بيان للمراد من

الجنب وقوله إلى الإبط أي من المرفق منتهاً إلى الإبط (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراساً وهو أن يؤتى بشئ يرفع نوم غير اراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضى كشماع الشمس) أي فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور صاطع

السمى بالجنان المعبر به فيها في آية أخرى (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) منها (سَمِعِيدهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها (الأولى) فأدخل يده في فمها فمادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون (وَأَضْمَمُ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) أي حسبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجُ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بِيضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص تضى كشماع الشمس تفضى البصر (آيَةٌ أُخْرَى) وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لَتُرِيَنَّكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الْكُبْرَى) أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها (أَذْهَبَ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبلفها (وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه ،

يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءاً ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول (قوله الآية الكبرى) قدره إشارة إلى أن الكبرى صفة لمحدوف مفعول ثان لقوله ليريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل ، والمعنى التي هي أكبر من غيرها حتى من المصلا لأنها لم تعارض أصلاً ، وأما العصا فقد عارضها السمرة (قوله اذهب إلى فرعون) أي بهاتين الآيتين وهما العصا واليد . روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : اسم كلامي واحفظ وصيقي وانطلق برسالتى فانك بعينى وصمى وإن ملك يدي ونصرى وإنى ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبشك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حتى وأنكر بويقي ، أقسم بعزتي لولا الحجمة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان عليّ وسقط من عيني ، فبلغته رسالتى وادعه إلى عبادتي وحذره نعمتي وقل له قولاً لنا لا يفتقر لبئس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس إلا بطني ، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك ، ففند ذلك قال رب اشرح لي صدري الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أي فانك كلفتنى بأمر عظيم لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لساني) أي لكنته حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لنصاحته الأصلية وهذا هو الأحسن ، وقيل زال بعضها بدليل قوله تعالى :

- هو أنصح ، في لسانا - وقول فرعون - ولا يكاد يبين - ورد بأن معنى هو أفصح أنه لم يطرأ عليه لكنة وقول فرعون باعتبار ما يهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أى وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم فنتفت لحيته ولطمه على وجهه فاعتمّ وهمّ بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا القلام لا ينعّم منه لأنه لا يفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطست فيه تمر ، وقيل جوهر و بطست ، آخر فيه جمر فأراد أن يأخذ التمرة أو الجوهرة فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم في جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل مى بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره ويقوم بها (قوله مفعول ثان) أى والأول وزيرا والأحسن عكسه بأن يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهون مفعولا أول مؤخرا لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة لأن أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثانى لأن أصله الخبر ووزيرا نكرة وهون معرفة بالعلمية (قوله والفعالان بصيغى الأمر والمضارع الخ) حاصل ما هنا أن القراءات السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغى الأمر فتضم الممزة فى الأول وتفتح فى الثانى ، والمضارع فتفتح فى الأول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى أن تسكن الياء ممدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو فتحها والفعالان بالأمر أو تحذفها وهما بالأمر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) أى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) لتلليل لكل من الأفعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد أوتيت) أى جوابا لمطلوباته (٥٥) وقوله سؤلوك أى مستؤلوك ففعل بمعنى مفعول كأكل وخبز بمعنى مأكول

ومخبوز (قوله ياموسى)
خاطبه باسمه إشمارا
بمحبتة وتعظيم شأنه
ورفعة قدره عليه السلام
(قوله منا عليك) أى
تفضلا حاصلًا عليك
وقدره دخولا على ما بعده
(قوله ولقد مننا عليك)
استئناف مسوق لزيادة
الطمأنينة لموسى كأن

بجمرة وضعها فيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (وأجمل لى وزيرا)
معينا عليها (من أهلى هرون) مفعول ثان (أخى) عطف بيان (اشدّد به أزرى) ظهري
(وأشركه فى أخرى) أى الرسالة والفعالان بصيغى الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب
(كى نسبحك كثيرا) تسبيحا (كثيرا . ونذّ كرك) ذكرا (كثيرا . إنك كنت بنا بصيرا)
عالما فأنمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلوك ياموسى) منّا عليك (ولقد مننا عليك مرة
أخرى . إذ) للتلليل (أوحيّا إلى أمك) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك
فرعون فى جملة من يولد .

(ما)

الله يقول له إنا قد مننا عليك بمن سابقه من غير دعاء منك ولا طلب

فلأن نعطيك ما نطلبه بالأولى ، وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشأنه (قوله مرة أخرى) تأييد آخر بمعنى غير أى
تحققت منتظر عليك مرة أخرى غير المنّة التى تحققت لك بسؤلوك ، والمراد بالمنّة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتلليل)
أى لقوله مننا ، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية ، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيماننا
إلى أمك الخ . وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية . الأولى قوله إذ أوحينا . الثانية قوله وألقيت عليك . الثالثة
قوله : ولتضع على عيني . الرابعة قوله : فرجناك إلى أمك . الخامسة قوله : وقتلت نفسا . السادسة قوله : وقتلت فتونا .
السابعة قوله : فلبت سنين . الثامنة قوله : واصطنعتك لنفسى (قوله إلى أمك) أى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو
ساكنة بعدها حاء مهملة فأنف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو إلهاما) أى أو بظلة ولا ينافيه كونها ليست نبيه فان
المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف وأما الوحي بغير الصريح فإنّ حق للنساء كما وقع لمرىم أم عيسى (قوله ما ولدتك) أى فى السنة
التي رتب فرعون أتباعه لنسج كل من يولد من الله كور فى تلك السنة ، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته فقضاهى الكهنة فعبرت له بالولود
يكون زوال ما كره على يديه فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الله كور حتى شق الأمر فأبقى القتل فى سنة ورفعته فى سنة فصادف
ولادة موسى عليه السلام فى السنة التى فيها القتل ، فلما ولد جاء أتباع فرعون يفتشون على نللود فوضعت أمه فى التنور فجاءت
أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه ، فخرجوا من عندها فنظرت إلى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فناداهم من التنور
فأخرجته سالما فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى الهم ، فأخذت صدوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه

ثم طأت رأس التابوت بأقار وألقته في اليم ، فتوجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون وكان فرعون جالساً مع آسية وروجه فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً فأحبه عدو الله حبا شديداً حتى إنه لم يقدر على بعده عنه ، وذلك قوله تعالى - وألقيته عليك محبة مني - (قوله ما يوحى) أهمه للتعظيم كقوله تعالى - فضيهم من اليم ما غشيهم - (قوله في أمرك) أى شأئك (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله أى شاطئه) المراد قربه لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البرّ (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى وحكمة العدول عنه أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة مني) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة مني بأن أحبيتك فغضب عن محبي محبة الناس لك ، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فأحبوك ، والأول أحسن لعدم الكثرة فيه (قوله ولتضع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربي على رعايتي الخ) أى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازاً مرسلًا من إطلاق السبب وهو نظر العين على السبب وهو الحفظ والرعاية ، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أى وكانت شقيقته وهي غير أم عيسى (قوله لتعرف خبرك) أى فوجدتك في يد فرعون (٥١) فدلتهم على أمك حيث قالت

هل أدلكم الخ (قوله وأنت لا تقبل الخ) أى لحكمة عظيمة وهي وقوعك في يد أمك لأنك لورضت غيرها لاستغنوا عن أمك (قوله على من يكفله) أى يكمل رضاعه ، وقد أرضعته أمه قيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فأجيت الخ (قوله كي تبرد عينها) أى تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أى حين

(مَا يُوحَى) فِي أَمْرِكَ وَيَبْدَلُ مِنْهُ (أَنْ أَدْفِنِيهِ) أَلْقِيهِ (فِي التَّابُوتِ فَأَدْفِنِيهِ) بِالتَّابُوتِ (فِي الْيَمِّ) بَحْرَ النَّيْلِ (فَلْيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أَي شَاطِئِهِ وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ (يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ) وَهُوَ فِرْعَوْنُ (وَأَلْقَيْتُ) بَعْدَ أَنْ أَخَذُوكَ (عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) لَتَحْبُ مِنْ النَّاسِ فَأَحْبَبَكَ فِرْعَوْنُ وَكُلٌّ مِنْ رَأَاكَ (وَلِتَضَعَّ عَلَى عَيْنِي) تَرْبِي عَلَى رِعَايَتِي وَحَفْظِي لَكَ (إِذْ) لِلتَّعْلِيلِ (تَمَشَّى أُخْتُكَ) مَرْيَمُ لِتَعْرِفَ خَبْرَكَ وَقَدْ أَحْضَرُوا مَرَاضِعَ وَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) فَأَجِيبَتْ نَجَاتٌ بِأُمِّهِ قَبْلَ ثَدْيِهَا (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بِلِقَائِكَ (وَلَا تَحْزَنَ) حِينَئِذٍ (وَوَقَّعْتَ نَفْسًا) هُوَ الْقَبْطِيُّ بِمِصْرَ فَاعْتَمَدْتَ لِقَتْلَهُ مِنْ جِهَةِ فِرْعَوْنَ (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اخْتَبَرْنَاكَ بِالإِيْقَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ وَخَلَصْنَاكَ مِنْهُ (فَلْيَلِثْ سِنِينَ) عَشْرًا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ مِنْ عِنْدِ شَعِيبِ النَّبِيِّ وَتَزْوُجُكَ بِابْنَتِهِ (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ) فِي عِلْمِي بِالرَّسَالَةِ وَهُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً مِنْ عَمْرِكَ (يَا مُوسَى) وَأَصْطَفَيْنَاكَ (اخْتَرْنَاكَ لِنَفْسِي) بِالرَّسَالَةِ (أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ) إِلَى النَّاسِ (بِآيَاتِي) التَّسْعِ

إذ قبلت ثديها ، والمراد نبي دوام الحزن (قوله هو القبطي) أى واسمه قاب قان وكان طباطبا لفرعون (قوله من جهة فرعون) أى لامن جهة قتله فإنه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) أى خلصناك من محنة بعد أخرى . روى أن سعيد بن جبيرة سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال : خلصناك من محنة بعد محنة وله في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبيرة ، وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وفضل الطريق وفضلت غنمه في ليلة مظلمة ، وكان يقول : لكل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبيرة (قوله سنين عشرا) أى ولبت في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة فكث بمدن لرحى التميمي عشر سنين وبعدها ثمان عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسى) أى لتشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي ، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لى لالغبرى (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي) أى قد أجبتك فيما طلبت وأعطينا أحلك الرسالة فأذهب أنت وهو إلى فرعون ووعومه (قوله إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا لدلالة قوله فيما يأتي إلى فرعون عليه كأنه حذف فيما يأتي قوله بآياتي لدلالة ما هنا عليه في الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أتيت في الآخر (قوله بآياتي التسع) المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد لأن بلقي التسع لم يكن في المبدأ بل كان في أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة

(قوله ولا تنيا في ذكرى) يقال ونى ونيا كوهد بعد وعدا إذا قر وأصله نونيا حذف الواو لوقوعها بين عدوتها الفتحة والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو للقعود بالذات (قوله اذها إلى فرعون) إن قلت ما حكمة جمعها في ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا في محل المناجاة بل كان في ذلك الوقت بمصر . أوجب بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فقولا له قولنا لنا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله في سورة النازعات في قوله: هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض (قوله في رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة إليهما) أى إلى موسى وهرون ، والمعنى اذها مترجيين إيمانه وطمعته فيه ولا تذهب آيسين منه (قوله اعلمه تعالى بأنه لا يرجع) أى والفائدة في إرسالهما لإزماء الحجة وقطع عذره لجرىان عادته سبحانه وتعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد تبليغه الدعوة وعنده بعد ذلك (قوله قال ربنا) أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما وإن كان مكاتبا مختلفا لما تقدم أنه لا مانع من إزالة الحجاب (٥٢) عن هرون وسامعه من جبريل ما قيل لموسى وقت للناجاة (قوله أو يعجل

بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله وأن يطني) أى يزداد تكبرا وكفرا وأوامفة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لا تزعمانه (قوله فأتياه) أى اذها بأنفسكما إليه ولا تقصدا في مكان وترسلا له (قوله فقولا إنا رسولا ربك) أمرها الله أن يقولوا له ست جهل أولها قوله : إنا رسولا ربك . الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل . الثالثة ولا تعذبهم . الرابعة قد جئناك بآية من ربك

(وَلَا تَنِيَا) (فِي ذِكْرِي) (بِتَسْبِيحٍ وَغَيْرِهِ) (أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (بِأَدْعَاةِ الرُّبُوبِيَّةِ) (فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَيْنَا) (فِي رَجُوعِهِ عَنِ ذَلِكَ) (لَمَلَهُ يَتَدَكَّرُ) (أَوْ يَحْشَى) (اللَّهُ فَيَرْجِعُ ، وَالتَّرْجَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا لَعَلَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ) (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) (أَوْ يَعْجَلَ بِالْعُقُوبَةِ) (أَوْ أَنْ يَطْغَى) (عَلَيْنَا أَوْ يَتَكَبَّرَ) (قَالَا لَتَخْفَا إِنَّنِي مَعَكُمَا) (بِمَوْنِي) (أَسْمَعُ) (مَا يَقُولُ) (وَأَرَى) (مَا يَفْعَلُ) (فَأَتَيْنَاهُ قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (إِلَى الشَّامِ) (وَلَا تَعَذِّبْهُمْ) (أَوْ خَلَّ عَنْهُمْ مِنْ اسْتِعْمَالِكَ أَيَّامٍ فِي أَشْغَالِكَ الشَّاقَّةِ كَالْحَفْرِ وَالْبِنَاءِ وَحَمْلِ الثَّقِيلِ) (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) (بِحِجَّةِ) (بِنِ رَبِّكَ) (عَلَى صَدَقْنَا بِالرَّسَالَةِ) (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) (أَيْ السَّلَامَةُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ) (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ) (مَا جِئْنَا بِهِ) (وَتَوَلَّى) (أَعْرَضَ عَنْهُ ، فَأَتِيَاهُ وَتَالَا لَهُ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ) (قَالَ فَرْنِ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) (اقْتَصَرَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ بِالتَّرْتِيبِ) (قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) (مِنَ الْخَلْقِ) (خَلَقَهُ) (الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مُمْتَرٌ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ) (ثُمَّ هَدَى) (الْحَيَّوَانَ مِنْهُ إِلَى مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَنْكَحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ) (قَالَ) (فِرْعَوْنُ) (قَمَا بَالُ) (حَالِ) (الْقُرُونِ) (الْأُولَى) (كَقَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَلُوطٍ وَصَالِحٍ ،

في

الخامسة : والسلام على من اتبع الهدى . السادسة : إنا قد أوحى إلينا أن العذاب

على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم فانهم أولاد الأنبياء ولا يليق أن يولى عليهم خسيس ، والمعنى أن موسى وهرون أرسلوا إلى فرعون بأنه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى إسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادعينا من الرسالة (قوله فأتياه وقال له جميع ما ذكر) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله قال فن ربكما الخ مرتب على محذوف وإشعارا بأنهما سارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه (قوله قال فن ربكما) لم يصف الرب لنفسه تكبرا وطمعانا وخوفا على قومه إذا أضاف الرب لنفسه أن يميلوا لموسى (قوله أقره عليه) أى مع توجيهه الخطاب لهما (قوله لأنه الأصل) أى في الرسالة وهرون وإن كان رسولا إلا أن القعود منه معاونة موسى (قوله ولا دلالة عليه بالتربية) أى وإقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتربيته له في قوله الآتى في الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أى من كل شيء (قوله قال فما بال القرون الأولى) لما ظهر للعين حقيقة ما قال موسى وبطلان ما هو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام إلى ما لا يبينه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رباسته أن تذهب فلم يثبت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال علمها عند ربي

(قوله في عبادتهم الأوثان) أي أكان سببا في شقاوتهم أو سعادتهم وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مأمور بلاطفته فإذا وضع له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربي) أي لا يذهب شيء عن علمه (قوله ولا ينسى) أي بعد علمه (قوله الذي جعل لكم الأرض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول (قوله مهادا) أي كالمهاد (قوله طرقا) أي تسلكونها من قطر إلى قطر لتقتضوا ما ربيكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: فأخرجنا به أزواجا من كلامه تعالى لا يطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لأهل مكة وامتنانا عليهم وينتهي إلى قوله تارة أخرى وقيل إنه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لأهل مكة) أي في قوله: كلوا وارعوا (٥٣) (قوله شق) ألفه للتأنيث

(قوله يقال رعت الأنعام الخ) أي فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أي مبيحين لكم) المناسب أن يقول أي قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر بإباحة (قوله جمع نهيية) وقيل إنه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق أييكم آدم منها) أي جميع الخلق غير آدم خلقوا من الأرض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة لأن كل نطفة وقعت في الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيئا من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) إخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون وبهذا

في عبادتهم الأوثان (قال) موسى (عليها) أي علم حالهم محفوظ (عند ربي في كتاب) هو اللوح المحفوظ بمجازيهم عليها يوم القيامة (لا يضل) يغيب (ربي) عن شيء (ولا ينسى) ربي شيئا، هو (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الأرض مهادا) فراشا (وساك) سهل (لكم فيها سبيلا) طرقا (وأزّل من السماء ماء) مطرا قال تعالى تيمنا لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فأخرجنا به أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) صفة أزواجا أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرها، وشتى جمع شتيت كريض ومرضى من شت الأمر: تفرق (كلوا) منها (وأرعوها أنعامكم) فيها جمع نعم هي الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعى الأنعام (إن في ذلك) المذكور هنا (آيات) ليعبراً (لأولي النهى) لأصحاب العقول جمع نهيية كغرفة وغرف، سمى به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (منها) أي من الأرض (خلقناكم) بخلق أييكم آدم منها (وفيها نعيدهم) مقبورين بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (أخرى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (ولقد أريناه) أي أبصرنا فرعون (آياتنا كلها) التسع (فكذب) بها وزعم أنها سحر (وأبى) أن يوحد الله تعالى (قال) أجمت لنا لتخرجنا من أرضنا مصر ويكون لك الملك فيها (يسعرك يا موسى) فلنأتينك بسعير مثله) يمارضه (فاجعل بيننا وبينك موعداً) لذلك (لا تخلفه نحن ولا أنت مكاناً) منصوب بنزع الخافض: في (سوى) بكسر أوله وضمه أي وسطا تستوي إليه مسافة الجاني من الطرفين (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة).

التقرير صح قول المفسر اتسع واندفع ما يقال إن فرعون في ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجمت لنا لتخرجنا من أرضنا بسحر كما موسى) أي بعد أن رأى ما رأى من معجزة العصا واليد قال ما ذكر تستر وخوفا على حظ رياسته لثلاثيؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي وقوله بسحر متعاقب بنائينك (قوله مثله) أي في الفرابة (قوله موعداً) الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أي فالعنى عين زمانا بيننا وبينك نجتمع فيه في مكان سوى أي متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أي فها قرأتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتهيين لمزيد وثوقه بربه وعدم ميلانه بهم وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم غمرا لموسى عليه السلام.

(قوله يوم هيدلهم) أى وكان يوم عاشوراء وافترق أنه يوم بيت (قوله وأن يحشر الناس) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) أى انصرف من الجاس (قوله أى ذوى كيدته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى في يوم الزينة في المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بني إسرائيل وهذا أحد أقوال في عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما في بعض النسخ، وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد جبل وعصا) تقدم أنها كانت حمل أر بعمانة بعير (قوله أى الزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والملاك (قوله بإشراك أحد معه) أى بسبب إشراك أحد مع الله، والمعنى أزمكم الله الويل إن ائتمرت على الله الكذب بسبب إشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعي والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا (٥٤) وتشاؤروا في أمر موسى وأخيه سرا، واختلف فيما أسروه فقيل هو قولهم

إن هذين لساحران الخ
وقيل هو قول بعضهم
لبعض ما هذا ساحر فان
غلبنا اتبعناه وإن غلبناه
بقينا على مانحن عليه
(قوله وأسروا النجوى)
أى تحدثوا سرا فيما بينهم
(قوله لأبى عمرو) أى
فقراءته بالياء اسم إن
وساحران خبرها واللام
للابتداء زحلت للخبر
وقوله ولغيره خبر مقدم
وهذان مبتدأ مؤخر
وقوله وهو موافق أى
هذان موافق لمن يعرب
المتى بحركات مقصورة على
الألف فيبنى اسم الإشارة
الدال عليه على الألف
وقد أجمل المفسر في قوله

يوم عيّد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُحًى) وقته
للنظر فيما يقع (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى ذوى كيدته من السحرة (ثُمَّ أَتَى)
بهم الموعد (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد جبل وعصا (وَيَبْلُغْكُمْ) أى
أزمكم الله الويل (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بإشراك أحد معه (فَيَسْجِطَكُمْ) بضم الياء وكسر
الحاء وفتحهما أى يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ افْتَرَى) كذب
على الله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) فى موسى وأخيه (وَأَسْرُوا النِّجْوَى) أى الكلام بينهم
فيهما (قَالُوا) لأنفسهم (إِنَّ هَذَيْنِ) لأبى عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للفة من يأتى فى المثنى
بالألف فى أحواله الثلاث (لِسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بَطْرِيقَتِكُمُ الْمُنْتَلَى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف، أى بأشرفكم بميلهم إليهما لطلبتهما (فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ) من السحر بهمة وصل وفتح الميم من جمع أى لم، وبهزمة قطع وكسر الميم من أجمع
أحكم (ثُمَّ اثْتُوا صَفًا) حال أى مصطفين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فلز (الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى) غلب (قَالُوا)
يَا مُوسَى (إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ) عصاك أى أو لا (وَأِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى) عصاه (قَالَ)
بَلْ أَلْقُوا (فَأَلْقُوا) (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) أصله عضوو قلبت الواو ان ياءين،

وهكسرت

ولغيره هذان. والحاصل أن القراءات السبعيات أربع : الأولى

لأبى عمرو التى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون إن أو تخفيفها فعلى تشديد نون إن يكون هذان اسمها مبنيًا على الألف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرًا وإن محففة واسمها ضمير الشأن والجملة خبر إن (قوله أى بأشرفكم) تفسير لظريقتكم فان من جملة معانى الطريقة ثمائل الناس وأشرفهم : أى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فأجمعوا كيدكم) أى اجأوه مجعًا بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (قوله به زة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم اثتوا صفا) أى لأنه أهيب فى صدور الرائين (قوله إما أن تلقى) أن وما بعدها فى تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل ألقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) إذا جائية وحبالهم وعصيمهم مبتدأ خبره جملة يخيل إليه الخ (قوله أصله عضوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواو ان ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها منطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت

أحدهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله وكسرت العين) أي أتباعا لقصد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل إليه) أي لأنهم طأوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل أنها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفة قامت الواو ياء لكسر ما قبلها (قوله من جهة أن سحرم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولا يصل له صوء منهم (قوله إنك أنت الأعلى) فيه إشارة إلى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمئنه الله بأمر لا يخطر بباله فان ابتلع العصا لحبالهم وعصيمهم أمر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو يسكون اللام وفتح القاف قراءة ثان سبعتان (قوله ما صنعوا) أي اخترعوا مما لاحقيقة له (قوله أي جنسه) دفع بذلك ما يقال لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم فكأنه قال لا يفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أي في أي زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره إشارة إلى أن قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أي إيمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالهم وعصيمهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود لما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثوب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله فألقى السحرة سجدا، وفيه إيماء إلى أنهم (٥٥) جمعوا في الإيمان بين القول

والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف أن يقتدى الناس بهم في الإيمان بالله وحده فألقى شبهتين الأولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أي لم تشاورني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على أن إيمانكم ليس

وكسرت العين والصاد (يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حَيَاتٍ (تَسَعَى) عَلَى بَطُونِهَا (فَأَوْجَسَ) أَحْسَنٌ (فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى) أَي خَافَ مِنْ جِهَةِ أَنْ سَحْرَهُمْ مِنْ جِنْسٍ مَعْجَزَتُهُ أَنْ يَلْتَبَسَ أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ فَلَا يُؤْمِنُوا بِهِ (فَلَمَّا) لَهُ (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) عَلَيْهِم بِالظُّلْمَةِ (وَأَنْتَ مَا فِي يَمِينِكَ) وَهِيَ عَصَاهُ (تَلْقَفْ) تَبْتَلِمُ (مَا صَنَعُوا) إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ أَي جِنْسِهِ (وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بِسِحْرِهِ ، فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَتَلْقَفَتْ كُلَّ مَا صَنَعُوهُ (فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا) خَرُوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَ (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ) فَرَعُونَ (ءَ آمَنْتُمْ) بِتَحْقِيقِ الْمُهْمِزِينَ وَابِدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفَا (لَهُ قَبْلُ أَنْ آذَنَ) أَنَا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ) مَعْلَمُكَ (الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) حَالٌ بِمَعْنَى مُخْتَلِفَةٍ أَي الْأَيْدَى الْيُمْنَى وَالْأَرْجُلَ الْبَيْسَرَى (وَلَا صَلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أَي عَلَيْهَا (وَلَتَهْلِكُنَّ أَيُّهَا) بِعَنَى نَفْسِهِ وَرَبِّ مُوسَى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) أَدُومٌ ،

عن بصيرة بل بسبب آخر، الثانية قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر : أي فأنتم أتباعه في السحر فتواطأتم معه على أن تظهروا المعجز من أنفسكم تروى بجأ أمره وتفخما لشأنه لتتزعوا الملك من وهاتان الشبهتان لا يقبلهما إلا من عنده تردد أو شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شيء من ذلك اظهر شمس الهدى واتضح لهم (قوله بتحقيق المهميزين) أي الأولى وهي للاستفهام والثانية وهي المزيدة في الفعل الرباعي وقوله وابدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهي فاء الكامة فيكون في كلامه إشارة لقراءة واحدة أو يقال إن معنى قوله الثانية أي في الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام فيكون قد أشار لقراءتين : الأولى بتحقيق المهميزين ، الثانية بتحقيق همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في الأعراف وهي قلب الأولى وإوا لعدم الضمة قبها هنا ، بخلاف ما تقدم فاتها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون آمنتم وأصل الفعل آمن آمن كما كرم يهميزين الأولى زائدة والثانية فاء الكامة قلبت الثانية ألفا على القاعدة ،

قال ابن مالك : ومدا ابدال ثاني المهيزين من كلمة ان يسكن كآثر والتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أي فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله أي عليها) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكلمات الجزئيات فاستعيرت لفظة في الموضوع للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوع للاستعلاء الخاص بجماع الممكن في كل .

(قوله على مخالفته) متعلق بكل من أهد وأبى (قوله قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا) أى قالوا ذلك غير مكثرين بوعيده لهم (قوله من البيئات) أى للجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وإنما نسب الهوى لهم وإن كان موسى جاء بها فرعون وقومه أيضا لأنهم هم المنتفون بها (قوله قسم) أى وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق ولا يجوز أن يكون قوله لن نؤثرك جوابه لأن القسم لا يجاب بلن إلا شدوذا ولا يبنى حمل التنزيل عليه (قوله أو عطف على ما) أى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البيئات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض عمل أمر وقاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلته والمائد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه ، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله :

كذلك حذف ما بوصف خفضا كأنت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لا نبالى بك ولا تهديدك فافعل ما بدالك ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة أنه فعل ما هددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه البديلة منه الحياة الدنيا على نزع الحافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا : أى ويفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلموا وعملا) أى لأن فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فاعلمهم كانوا يصفونه له بهاتين العجبتين (٥٦)

فأحب أن يتبها لمعارضته
بإكرام الناس على تعليم
السحر وإكرامهم أيضا
على الاتيان بهم من
الدائن البعيدة وما يدل
على كونهم مكرهين على
عمله ماروى أنهم قالوا
لفرعون أرنا موسى وهو
نائم ففعل فوجدوه تحرسه
عصاه فقالوا ما هذا ساحر
فان الساحر إذا نام بطل
سحره فأبى إلا أن يعارضوه
(قوله والله خير وأبى)
رد لقوله وتعلمن أينأشد
عذابا وأبى (قوله قال

على مخالفته (قَالَوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خلقنا ، قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أى اصنع ما قلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا) من الإثمراك وغيره (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ) تعلموا وعملا لمعارضة موسى (وَاللَّهُ خَيْرٌ) منك ثوبا إذا أطيع (وَأَبْقَى) منك عذابا إذا عصى ، قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرًا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ) نار (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَى) حياة تنفسه (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) الفرائض والنوافل (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) جمع عليا مؤنث أعلى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أى إقامة بيان له (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) وذلك جزاءه من تزكئى (تطهر من الذنوب) (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بهمة قطع من أسرى وبهمة وصل وكسر النون من سرى لفتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فَأَضْرِبْ) اجمل (لَهُمْ) بالضرب بمصاك (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ

يبسا)

تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : إنه من يأت ربه الخ مستأنف من كلامه تعالى

وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه (قوله إنه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفسه) أى بأن تكون هنية مربية (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ما تقدم من قوله - جنات عدن - الخ (قوله تطهر من الذنوب) أى بدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا إلى موسى) عطف قصة على قصة لأن الله تعالى قص علينا أولا مبدء رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للأمم المحمدية ليعلموا أن الظالم وإن أمهله الله وأمدته بالنعم لا يمهله ، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الأعراف مبسوطا (قوله بعبادى) أى وكانوا ستائة ألف وسبعين ألفا (قوله لفتان) أى وهما قراءتان سبعيتان وكان المناسب للفسر التنبيه على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى إلى البحر فهو مأمور بالسيرة فلا يقال لم لم يسر بهم فى البر فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به تتضمن ضرب معنى اجمل كما أشار له للفسر ، والمراد بالطريق جنبه فلن الطرق كانت اثنتى عشرة بعدد أسباط بني إسرائيل .

(قوله يسا) أى يؤول إلى ذلك لأنه لم يكن ياسا قبل وإعاصرت عليه الصبا فجفته . قال ابن عباس : لما أمر الله موسى أن يقطع جومه البحر وكان يوسف عهد إليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فأخذوها وقال لها موسى اطلبي منى شيئا ، فقالت أكون معك في الجنة فلما خرجوا تبعهم نرعون ، فلما وصل البحر وكان على حصان أقبل جبريل على فرس أتى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان الفرس فاتحهم فرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالقبض الحقوا حتى إذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم ففرقوا فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم فلفظهم البحر إلى الساحل فأصابوا من أمتهم شيئا كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستأنفة لا عمل لها من الاعراب أو حال من فاعل اضرب : أى ضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف ، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية وتخف مجزوم بها ، وقوله ولا تخشى هو بالألف باتفاق القراء فعلى رفع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوفا على لا تخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الألف والألف الموجودة للإشباع أتى بها موافقة للفواصل (٥٧) ورءوس الآي (قوله فأتبعهم

فرعون) أى بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة حبشه سبعمائة ألف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فخشيتهم من اليم) ماغشيتهم) أى علام وعمرهم من الأمر المائل مالم يبلغ كنهه أحد (قوله وأصل فرعون قومه) إخبار عن حاله قبل الفرق (قوله خلاف قوله : وما

يَيْسًا) أى ياسا فامتثل ما أمر به وأبى الله الأرض فروا فيها (لَا تَخَافُ دَرَكًا) أى أن يندرلك فرعون (وَلَا تَخْشَى) فرقا (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) وهو معهم (فَخَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ) أى البحر (مَا غَشِيَهُمْ) فأغرتهم (وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ) بدعائهم إلى عبادته (وَمَا هَدَى) بل أوقصم في الملاك خلاف قوله : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَمْنَاكُمْ مِنَ عَدُوِّكُمْ) فرعون يافرقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ الْجَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) فنوتى موسى التوراة للعمل بها (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى) هما الترنجيبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر ، وللنادى من وجد من اليهود زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أى للمعم به عليكم (وَلَا تَطْفَرُوا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَجْعَلْ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر اللام وضما (فَقَدْ هَوَى) سقط في النار (وَأِنِّي لَنَفَارُ لِيَنَّ تَابَ) من الشرك (وَأَمَنَ) وحَّد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالمرض والنفل (ثُمَّ أَهْتَدَى) باستمراره على ما ذكر إلى موته .

أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى أنه مخالف له فهو تكذيب لفرعون في قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قسم أولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب في غاية الحسن (قوله فنوتى موسى التوراة) جواب عما يقال إن المواعدة كانت لموسى لاهم فكيف أضيف لهم . وأجيب أيضا بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله ما الترنجيبين) هو شئ حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل عليهم في التيه من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع (قوله والطير السمانى) أى فكان ربح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر (قوله للنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين ، وقيل الخطاب من كان في عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا (قوله من طيبات ما رزقناكم) أى لذائذه وحللاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها و بطركم لها (قوله بكسر اللام الخ) أى نفي كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط في النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالمرض والنفل) أى العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ما ذكر إلى موته) أى بأن يدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة وهو جواب عما يقال ما فائدة ذكر الاهتداء آخر ما أنه داخل في مضموم قوله وآمن فأقاد المفسران النجاة التامة والمفخرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والإيمان والأعمال الصالحة ثم استمر عليها إلى أن لقي مولاه [٨ - صارى - ثالث]

(قوله وما أهلك عن قومك يا موسى) ما استفهامية مبتدأ وأهلك خبره وعن قومك متعلق بأهلك ، والنهي أي شيء هلك متعبداً عن قومك وسابقاً لهم . وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهب موسى ثلاثين يوماً وأنها بشر بعد إغراق فرعون وقومه بصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلاً مختاراً من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقي ، وفي رواية أنه أمر هرون أن يأتي بهم عند تمام الليقات فسار موسى بالسبعين ، ثم عجل من بينهم نشوقاً إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال تعالى له : وما أهلك الخ ، والقصود من سؤال الله لموسى إعلامه بما حصل من قومه والإفستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق التفسير يقتضى أن المراد بهم جملة بني إسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لحيء ميعاد أخذ التوراة) أي لحيئتكم في ميعاد أخذ التوراة (قوله قال هم أولاء على أثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره ، وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله أي زيادة على رضاك) أي فسارعت إلى امتثال أمرك طلباً لزيادة رضاك ، لا لأصل الرضا فإنه حاصل وطلبه لا يليق بحال الأنبياء (قوله وقيل الجواب) أي جواب السؤال وهو قوله - وعلقت إليك رب لترضى - (قوله أتى بالاعتذار) أي عن سيقه لقومه ، وقوله بحسب ظنه (٥٨) متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أي ظهر لموسى أن ظنه

تخاف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه أولاً أن المراد بالقوم جميع بني إسرائيل (قوله أي بعد فراقك لهم) أي بعشرين يوماً وهذا الخبر من الله تعالى عند تمام الأربعين (قوله وأضلهم السامري) اسمه موسى بن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل كان منافقاً وكان قد رباها جبريل لأن فرعون لما

(وَمَا أَهْلَكَ عَنْ قَوْمِكَ لِحْيَةٍ مِّمَّادٍ أَخَذَ التَّوْرَةَ) (يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ) أَي بِالقَرَبِ مَنِ يَأْتُونَ (عَلَى أَثَرِي وَعَلَّيْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عَنِّي ، أَي زِيَادَةَ عَلى رِضَاكَ ، وَقَبْلَ الجَوَابِ أَتَى بِالعِذَارِ بِحَسَبِ ظَنِّهِ وَتَخَلَّفَ المَظنُونُ لِمَا (قَالَ) تَعَالَى (فَإِنَّا قَدِ فُتِنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ) أَي بَعْدَ فِرَاقِكَ لَهُم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فَبَدَعُوا العِجْلَ (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) مِن جَهَنَّمِ (أَسِيفًا) شَدِيدِ الحِزْنِ (قَالَ يَا قَوْمِ أَلِمْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَعَدَدًا حَسَنًا) أَي صَدَقًا أَنَّهُ يَعْطِيكُم التَّوْرَةَ (أَفَطَّلَ عَلَيْكُمْ الِهْمْدُ) مَدَّةَ مَفَارِقِي إِيَّاكُمْ (أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ) يَجِبُ (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ) بِبِدَاعَتِكُمُ العِجْلَ (فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي) وَتَرَكْتُمُ الحِجْيَةَ بَعْدِي (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا) مِثْلَ المِمْ ، أَي بَدَرْتَنَا أَوْ أَمَرْنَا (وَلَكِنَّا مُكْمَلُونَ) بِفَتْحِ الحَاءِ مُخَفَّفًا وَبِضْمِهَا وَكسَرِ المِمْ مُشَدِّدًا (أَوْ زَارًا) أُنْقِلَاءً (مِن زِينَةِ القَوْمِ) أَي حَلْيِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ اسْتَعَارَهَا مِنْهُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِعِلَّةِ عَرَسِ فَبَقِيَتْ عِنْدَهُمْ (فَقَدَّ فَنَاهَا) طَرَحْنَاهَا فِي النَّارِ بِأَمْرِ السَّامِرِيِّ

(فكذلك)

شرع في ذبح الولدان وضعت أمه في حفرة فتهده جبريل وكان ينفذه

من أصابه الثلاثة فيخرج له من إحداهما لبن ومن الأخرى سم ومن الأخرى عسل (قوله فرجع موسى) أي بعد أن تم الأربعين وأخذ التوراة ، روى أنه لما رجع موسى مع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل ، فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله أنه يعطيك التوراة) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله بعدكم والأول الكاف (قوله أم أردتم أن يحل) يعطيك غضب من ربكم) المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فإنه لم يطل ، وإن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم الحياء بعدى) أي لأنه وعدمه أن يتبعوه على أثره لليقات غفلوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدهم بملكنا) أي لأننا لو خيلنا وأفسنا ما أخلفنا ولكن السامري سؤل لنا وغلب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلك الميم) أي سلمها قرأت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الميم) أي فهما قرأتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو إسرائيل) أي قبل مسخ أموالهم (قوله بعلة هرس) أي إن بني إسرائيل أظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس وفي الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامري) أي فقال لهم إنما تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار فالرأي أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنوبها .

(قوله فأخرج لهم هجلاً) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري فهو معطوف على قوله : وأضلهم السامري (قوله جسداً) حال من العجل ولا يقال جسد إلا للحيوان ولا يقال لغيره جسد إلا للزعران والدم إذا بيس (قوله وأتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدون على من توقف من بنى إسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتفريع (قوله أن مخضفة من الثقيلة) أى فقوله لا يرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحه هرون قبل رجوع موسى (قوله وإن ربكم الرحمن) إيماء ذكر هذا الاسم تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو الرحمن (قوله حتى يرجع إلينا موسى) غاية لكونهم بطريق التملل والتسويق لا بطريق الوعد وترك عبادته (٥٩) عند رجوعه (قوله إذ رأيتهم ظرف

منصوب بمنك ، والمعنى أى شئ منعك وقت رؤيتك ضلالم (قوله لازائدة) أى للتأكيد ، والمعنى ما منعك من اتباعى فى النضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) أى ولم يبلغ فى منعهم والانكار عليهم (قوله بكسر الميم) أى خذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفحها أى خذفت الألف للنقلبة من الياء وبقيت الفتحه دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقباه) أى لالكونه أخاه من أمه فقط فان الحق أنه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم ترقبك أى انتظارك

(فَكَذَلِكَ) كَمَا أَقْبَيْنَا (أَلَيْسَ السَّامِرِيُّ) مَا مَعَهُ مِنْ حَلِيمٍ وَمِنَ التَّرَابِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْ أَثْرِ حَافِرِ فَرَسٍ جَبْرِيْلٍ عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي (فَأَخْرَجَ لَهُمْ هَجْلًا) صَاغَهُ مِنَ الْحَلِيِّ (جَسَدًا) لِحَاوِدِمَا (لَهُ حُوَارٌ) أَيْ صَوْتٌ يَسْمَعُ أَيْ انْقَلَبَ كَذَلِكَ بِسَبَبِ التَّرَابِ الَّذِي أَثَرَهُ الْحَيَاةَ فِيمَا يَوْضَعُ فِيهِ وَوَضَعَهُ بَعْدَ صَوْغِهِ فِي فَمِهِ (فَقَالُوا) أَيْ السَّامِرِيُّ وَأَتْبَاعُهُ (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى . فَتَسْبَى) مُوسَى رَبَّهُ هُنَا وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ ، قَالَ تَعَالَى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ) نَخْضَفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَأَسْمَاهَا مَحْذُوفٌ أَيْ ثَمَّهُ (لَا يَرْجِعُ) الْعَجَلُ (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أَيْ لَا يَرُدُّ لَهُمْ جَوَابًا (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أَيْ دَفَعَهُ (وَلَا نَقَمًا) أَيْ جَلَبَهُ أَيْ فَكَيْفَ يَتَّخِذُهَا (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ) أَيْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُوسَى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي) فِي عِبَادَتِهِ (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فِيهَا (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ) نَزَالَ (عَلَيْهِ عَاكِدِينَ) عَلَى عِبَادَتِهِ مُقِيمِينَ (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ) مُوسَى بَعْدَ رَجُوعِهِ (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بِعِبَادَتِهِ (أَنَّ) نَ (لَا تَتَّبِعِينَ) لَا زَائِدَةً (أَفَصَبْتِ أَمْرِي) بِإِقَامَتِكَ بَيْنَ مَنْ يَبْغِدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى (قَالَ) هَارُونُ (يَا أَبْنَ أُمَّ) بِكُسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا أَرَادَ أَيْ وَذَكَرَهَا أَعْطَفَ لِقَلْبِهِ (لَا تَأْخُذْ بِلِغَتِي) وَكَانَ أَخَذَهَا بِشِمَالِهِ (وَلَا يَرَأْسِي) وَكَانَ أَخَذَ شَعْرَهُ بِيَمِينِهِ غَضَبًا (إِنِّي خَشِيتُ) لَوْ اتَّبَعْتَكَ وَلَا بَدَأَ أَنْ يَتَّبِعَنِي جَمْعٌ مِنْ لَمْ يَبْغِدِ الْعَجَلُ (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وَتَغْضَبُ عَلَيَّ (وَلَمْ تَرْتَبْ) تَنْتَظِرُ (قَوْلِي) فِيمَا رَأَيْتَهُ فِي ذَلِكَ (قَالَ فَآ خَطْبُكَ) شَأْنُكَ الدَّاهِي إِلَى مَا صَنَعْتَ (يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بِالْيَأِ وَالنَّاءِ أَيْ عِلِمْتُ مَا لَمْ يَلْمُوهُ (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ) تَرَابِ (أَثْرِ) حَافِرِ فَرَسِ (الرَّسُولِ) جَبْرِيْلٍ (فَنَبَذْتُهَا) أَلْقَيْتُهَا فِي صُورَةِ الْعَجَلِ الْمِصَاغِ (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ) زَيْنَتْ (لِي نَفْسِي) وَأَلْقَى فِيهَا أَنْ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابِ مَا ذَكَرَ وَأَلْقَاهَا عَلَى مَا لَا رُوحَ لَهُ يَصِيرُ لَهُ رُوحٌ ، وَرَأَيْتُ قَوْمَكَ ،

وتأملك فى قولى حتى تفهم عذرى ذلياء فى قولى واقمة على هرون ، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر ، وقيل إنه معطوف على فرقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقمة على موسى (قوله قال بصرت) ضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو إسرائيل وقوله والناء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الألفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة كان راكباً على فرس كلما وضعت حافرهما على شئ اخضر عرف السامري أن للتراب الذى تضع الفرس حافرهما عليه شأناً (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ .

(قوله طلبوا منك) أى حين جاؤا البحر كما قال تعالى : وجاوزنا بين إمرائيل البحر فأثوا على قوم يكفرون على أصنام لهم الآية (قوله فان لك في الحياة) إن حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول في محل نصب اسمها مؤخر ، والمعنى أن هذا القول ثابت لك مادمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح في البرية لامساس وحرّم موسى عليهم مكالته ومواجهته ومبايعته ، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن ، وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم في البرية) أى مع السباع والوحوش . يقال إن موسى عليه السلام همّ بقتله فقال الله له لا تقتله فإنه سخي (قوله وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لنفسنه في اليم) أى فلا يبق له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله إنما الحكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل ، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستأنفة ذكرت نسلياً له صلى الله عليه وسلم وتكثيراً لمعجزاته وزيادة في علم أمته ليعرفوا (٦٥) أحباب الله فيخونهم وأعداء الله فيفيضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا

حيث اطلعوا على سير الأوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ (قوله هذه القصة) أل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص : قصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمي بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة في محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أن المراد بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الأثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيها) الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يحمل العائد على من باعتبار معناها ، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم محلدين فيه (قوله أى في الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الدم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحمل تمييز والمخصوص بالدم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم تنفخ) أى نأمر بالنفخ وفي قراءة سبعة أيضا بالياء مع بناء الفعل للفعل أى ينفخ إسرائيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد زهرهم) خست بالذكر لأنها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول .

طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثنى نفسى أن يكون ذلك العجل إلههم (قال) له موسى (فأذهب) من بيننا (فإن لك في الحياة) أى مدة حياتك (أن تقول) لمن رأيت (لا ميساس) أى لا تقربنى فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً أو مسه أحد حماً جيمماً (وإن لك موعداً) لهذا (لن تخلقه) بكسر اللام أى لن تعيب عنه ، وفتحا أى بل تبعث إليه (وأنظر) إلى إلهك الذى ظلت أصله ظلت بلامين أو لاهما مكسورة حذف تخفيفاً أى دمت (عليه عاكفاً) أى مقياً تعبدته (لتعزقته) بالنار (ثم لنفسنه في اليم تنفناً) نذرينه في هواء البحر وفضل موسى بعد ذبحه ما ذكره (إنما الحكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) تمييز محمول من الفاعل أى وسع علمه كل شئ (كذلك) أى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نقص عليك من أنباء) أخبار (ما قد سبق) من الأمم (وقد آتيناك) أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكراً) قرآناً (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) حملاً ثقيلاً من الإثم (خالدين فيه) أى في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملاً) تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالدم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يوم تنفخ في الصور) القرن النفخة الثانية (وتحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقاً) عيونهم مع سواد وجوههم (يتخافتون بينهم) يتساررون (إن) ما (ليثم) في الدنيا (إلا هسراً) :

من

بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الأثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيها) الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يحمل العائد على من باعتبار معناها ، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم محلدين فيه (قوله أى في الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الدم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحمل تمييز والمخصوص بالدم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم تنفخ) أى نأمر بالنفخ وفي قراءة سبعة أيضا بالياء مع بناء الفعل للفعل أى ينفخ إسرائيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد زهرهم) خست بالذكر لأنها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول .

(قوله من اليبالي بأياها) حصر المفسر المشرط اليبالي دون الأيام لتجريده من التاء فان المعدود إذا كان مؤثما جرد العدد من التاء
 هكس للذكر (قوله أمنلهم طريقة) أى أهدلهم رأيا في الدنيا (قوله لما عاينوه في الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك انقول لهم
 لشدة ما عاينوا من الهول لالكونه أقرب إلى الصدق (قوله ويستلونك) أى كفارمكة نعتنا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح)
 أى فالحنى أنها تذهب بقدره الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرهما) أى يتركها والضمير عائدة على الأرض (قوله قاعا صافصفا) حالان
 من الضمير في يذرهما ، والقاع المستوى الصلب ، والصصف الأرض للساء فهو قريب في المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا)
 تقدم أن العوج بالكسر في العاني وبالفتح في المحسوسات وما هنا من الثاني لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار
 من قبيل اللعاني (قوله يتبعون لهدامى) أى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو إسرائيل) أى فيضع الصور على فيه ويقف على
 صخرة بيت المقدس ويقول : يأيها العظام البالية والأوصال النقطعة واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء
 فيقبلون عليه ، وقيل للنادى جبريل والناضح إسرائيل وصحه بعضهم (قوله إلى عرض الرحمن) أى المرض عليه (قوله لا عوج
 له) أى لا يزيفون عنه عينا ولا شملا بل يأتونه سراعا (قوله الرحمن) أى (٦١) لجلاله وهيبته (قوله إلا همسا) مفعول به
 وهو استثناء مفرغ (قوله

وهو استثناء مفرغ (قوله
 إلا من أذن له الرحمن)
 من مفعول به وهي واقعة
 على المشفوع له أو على
 الشفيع فقول المفسر أن
 يشفع له أى أو يشفع في
 غيره (قوله بأن يقول
 لا إله إلا الله) أى مع
 عدليتها وهي محمد رسول
 الله ، والمعنى أن من مات
 على الاسلام فقد رضى الله
 قوله وأذن له أن يشفع في
 غيره وأن يشفع غيره فيه
 (قوله ما بين أيديهم) أى
 الخلق هموما (قوله ولا
 يحيطون به) أى بما بين
 أيديهم وما خلفهم (قوله

من اليبالي بأياها) (مَنْ أَحْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) في ذلك ، أى ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ امْتَلِكُمْ)
 أعدلهم (طريقة) فيه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) يستلون لبثهم في الدنيا جدا لما يعاينونه
 في الآخرة من أهوالها (وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (قُلْ) لهم
 (يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا
 (صَفْصَفًا) مستويا (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (وَلَا أَمْتًا) ارتقاعا (يَوْمَئِذٍ) أى يوم
 إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أى الناس بعد القيام من القبور (الدَّاحِي) إلى المحشر بصوته
 وهو إسرائيل يقول : هلموا إلى عرض الرحمن (لَا عِوَجَ لَهُ) أى لا تباعهم أى لا يقدررون أن
 لا يتبعوا (وَحَشَمَتِ) سكنت (الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) صوت وطء الأقدام
 في قلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحدا (إِلَّا مَنْ
 أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) بأن يقول : لا إله إلا الله (يَسْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون
 ذلك (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أى الله (وَقَدْ حَآبٍ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا)
 أى شركا (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات ،

لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا إجمالا وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنافل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل
 وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذف لتقاء الساكنين فهو من باب ساء يسوموموا وأما عنى كرضى يعنى عنافهو
 بمعنى تعب وليس مراداهنا بل المراد خضعت وذلك وأل في الوجوه للاستفراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها وخضعت الوجوه بالذ كر لأن
 الدل أول ما يظهر فيها (قوله للحى) أى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجاز بها
 على الخبر والشعر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك إلى أن الخلاق تنقسم في القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما
 في خضوع وذلك لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالا وهيبته ورغبة في الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقا من عذاب
 الله وبأسا من رحمة الله قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهتها قفرة (قوله خسر) أى
 ظهر خسراؤه (قوله من حمل ظلما) أى تحمله وارنكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون أى
 مهززون لذلك ففي الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» فان الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والهياذ بالله تعالى فإذا مات على
 ذلك فهو عند في النار وإن مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة في سيئاته والنقص من حسنة .

(قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضتها تميز الأشياء ، فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للظلم فإذا لم يبق له حسنات طرح من سيئات الظالم عليه (قوله أى مثل إنزال ما ذكر) أى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله أنزلناه) أى على لسان جبريل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعاهم يتقون الشرك) أى يجملون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) أى موعظة في القلوب فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكرار المواعظ في القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع إهمالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أو لم نعمركم بما تذكروا فيه من تذكروا وجاءكم النذير (قوله الملك) أى الناقد حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أو لا أبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) المعنى لا تعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك حتى يقرأه عليك ، وسبب ذلك أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن فيلبس جسمه ويضعه في قلبه (٦٢) فيريد النبي التعجل والنطق به فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته (وَكَذَلِكَ) معطوف على كذلك نقص ، أى مثل إنزال ما ذكر (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحَدِّثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أى بقراءته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أى بالقرآن فكلمنا أنزل عليه شيء منه زاد به علمه (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ) وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (مِنْ قَبْلِ) أى قبل أكله منها (فَنَسِيَ) ترك عهدنا (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أَبْنَى) عن السجود لآدم قال أنا خير منه (قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ) حواء بالمد (فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) تنمب بالحرث والزرع والحصد واللعن والخبز وغير ذلك ،

باللسان عليه ظاهر او هذا معنى قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرأته فإذا قرأناه فاتبع قرأته ثم إن علينا بيانه ، والحكمة في تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعية لأمره فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله) وقل رب زدني علما أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول

القرآن فانها أفضل ما يستل وأعز ما يطلب ، ومن هنا أمر المشايخ للريدين بتلاوة القرآن واقتصر والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا بأمرتهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة في ذلك أن الصفة في الذكر أخف منها في القرآن لما في الأثر : رب قارىء القرآن باعنه ، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدأ لكون غيره أفضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه أن لا يأكل من الشجرة) أى نهيناه عن الأكل منها وحثنا عليه الأكل منها فطلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) أى متأولا حيث غلظه إبليس بقوله : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، قاسمهما إني لكما لمن الناصحين ، فظن أنه لا يخاف أحد بالله كذبا (قوله وإذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن نعلما للعباد امتثال الأمر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على السبب لأن هذه القصة سبب في عداوة إبليس لآدم (قوله فسجدوا) أى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه (قوله إلا إبليس) استثناء متصل أو منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيهه للاتصال لكونه لم يعبر بلسان (قوله فلا يخرجكما) اللهم لا يبلى صورة ، والمراد نهيمها عن تعاطى أسباب الخروج فيقتسب عن ذلك حصول التمسك له في الدنيا .

(قوله والتصر على شقاه) أى مع أن النهى لهما معا (قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه ونصالي بين الجوع والعرى والظما والضحو وإن كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو ، لأن الجوع ذلّ الباطن والعرى ذلّ الظاهر والظما حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفي عن ما كن الجنة ذلّ الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله ففتح الهمة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبذت لهما سواتهما) أى بسبب نساقت حلل الجنة عنهما لما أكل من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) أى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه بعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيها نهى عنه متأولا حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة وصل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة فمصيبته وفروعه في المخالفة باعتبار الواقع لافى التصد والنية بل قصده ونيته امتثال الأمر وتجنب ما يوجب الخروج وحيفته فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل ولا نفي اسم العصيان عنه لصرح الآية وطى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف أمر الله هذا هو الحق في تقرير هذا المقام . واعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كالمعصومين في نصوص الشرع وتسمية الله له في حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات القربين (قوله بالأكل (٣٤٣) من الشجرة) تقدم أنها الخنطة

واقترن على شقاه لأن الرجل يسمى على زوجته (إِنَّ لَكَ أُن) (لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ) بفتح الهمة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لَا تَقْمُوا فِيهَا) تعطش (وَلَا تَضْحَى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانقضاء الشمس في الجنة (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أى التى يجلد من يأكل منها (وَمَلَكَ لَا يَبْتَلَى) لا يفنى وهو لازم الخلد (فَأَكَلَا) أى آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتَ كَمَا وَسَوَّاهُمَا) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وصمى كل منهما سواة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذوا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة (ثُمَّ أُجْتَبِيَهُ رَبُّهُ) قرّبه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توجه (وَهَدَى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قَالَ أَهْبِطَا) أى آدم وحواء اهبطا تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لأن مكتهما فيها كان معلقا على عدم أكتهما من الشجرة وقد سبق في علمه تعالى أنهما يأكلان منها فهو أمر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فأخراجهما

واقترن على شقاه لأن الرجل يسمى على زوجته (إِنَّ لَكَ أُن) (لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ) بفتح الهمة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لَا تَقْمُوا فِيهَا) تعطش (وَلَا تَضْحَى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانقضاء الشمس في الجنة (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أى التى يجلد من يأكل منها (وَمَلَكَ لَا يَبْتَلَى) لا يفنى وهو لازم الخلد (فَأَكَلَا) أى آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتَ كَمَا وَسَوَّاهُمَا) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وصمى كل منهما سواة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذوا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة (ثُمَّ أُجْتَبِيَهُ رَبُّهُ) قرّبه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توجه (وَهَدَى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قَالَ أَهْبِطَا) أى آدم وحواء اهبطا تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لأن مكتهما فيها كان معلقا على عدم أكتهما من الشجرة وقد سبق في علمه تعالى أنهما يأكلان منها فهو أمر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فأخراجهما

ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادها لا يحيط بمدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة في تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب . أجب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريمة أن لا يسلب نعمته عن النعم عليه إلا بحجة قال تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نعمة أنفسهم على قوم حتى ينفروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم في محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير في اهبطا (قوله بما اشتملتا عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر في التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية وطى هذا فقوله بعضكم بعضا باعتبار أن الحية وإبليس هدوا لآدم وذريره (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما في الحديث « سألت ربي أن لا يسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى » (قوله فاما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدقمة في ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح في محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاهل وقوله لمن أتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة أيضا والجلتان في محل جزم جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) في تفسير الهدى والله كر

فيما يأتي بالقرآن فصور لأن الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم أهم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النارية على الرسل فالمناسب أن يقول أي كتاب ورسول (قوله بالتنوين) أي وصلا وإبداله ألفا وقفا وفي قراءة شاذة ضحكي كسرى بألف بدل عن التنوين إجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أي وهو لا ينفى ولا يجمع ولا يؤث بل هو لفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضحكة (قوله بذاب الكافر في قبره) أي لما ورد أنه بضبط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث ، وقيل المراد بالعيشة الضحكي الحياة فيما ينضب الله تعالى وإن كان في رخاء ونعمة إذ لاخير في نعمة بعدها النار لما في الحديث «رب شهوة ساعة أورت حزنا طويلا» (قوله أي المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما هلمت (قوله أي أعمى البصر) أي وذلك في المهشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده في النار وعذابه بها (قوله الأمر كذلك) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحدوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أي فالمراد بالنسيان الأهراس وعدم الإيمان بها ، وليس المراد حقيقة النسيان وحيث فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه محشر يوم القيامة أعمى لأنه أمر اختلف فيه (٦٤) العلماء ، فذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن

مستحباً أكيد ابتداء ودواماً فنسيانه مكروه ، ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدم) أي لأنه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمة داخله على محدوف والفاء عاطفة على ذلك المحدوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يقين) أشار بذلك إلى أن يهد فعل لازم ، والمعنى أهموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به)

بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بذاب الكافر في قبره (وَحَشْرُهُ) أي المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أي أعمى البصر (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) في الدنيا وعند البعث (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِيهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وَكَذَلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (الْيَوْمَ تَنْسَى) تترك في النار (وَكَذَلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ) أشرك (وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَمَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَأَبْقَى) أدم (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول به (أَهْلَكْنَا) أي كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِينِهِمْ) في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ، وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدرى لرعاية المعنى لا مانع منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ يَعْلَمُ) لذوى العقول (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزَامًا) لازما لهم في الدنيا (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام النصل بخبرها مقام التأكيد ،

أى وتمييزها محدوف أى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحدوف صفة لذلك التمييز (قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أى إن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان ورسوله (قوله وما ذكر) مبتدأ وقوله لا مانع منه خبره ، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة النفي لا يتوقف على الحرف المصدرى بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابق لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الأعراب فلا يكون غالبا إلا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) أى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أى أن الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراما لنبيها ولولا ذلك لخل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره إهمال لا إيتدارك الكافر ما فاته فبأبقي من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر في كان) أى والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزاما أى لازما لهم ، ولم يقل لازمين لأن لزاما مصدر فى الأصل وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام النصل الخ أى أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا ، قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما

(فاصبر)

وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل منسبى معطوفا على كلمة . والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قبرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على ما يقولون) أى حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل هو لازم لهم في القيامة فتسل واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أى وعليه فالمراد بقوله اصبر لانعاجلهم بالقتال ، وقيل إن الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذى (قوله صل) إنما سمي التسبيح والتحميد صلاة لاشتغالها عليهما ولأن المقصود من الصلاة تزيه الله عن كل تقص . والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الحسن وما كان الأصل في الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة (قوله حال) أى من فاعل سبح والباء في عمدة ربك للابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناه الليل) جمع إني بكسر الهمزة والتصريح وأصله آناه بهمزتين أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لأن المراد به الزمن الذى هو آخر النصف الأول وأول الثانى (قوله للنصوب) أى بسبح . والمعنى صل في أطراف النهار وهو الوقت الذى يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح في هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك ، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين (٦٥) حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم

يقول لعلك ترضى عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «وجلت قرعة عيني في الصلاة» وقول السيدة عائشة رضى الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مأمور بها ليرضى هو ولا يكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كفاة عليه فيها لأن فيها شهوده لربه الذى هو قرعة عينه وللعارفين الكاملين

(فَأُصْبِرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وَسَبِّحْ) صل (بِحَمْدِ رَبِّكَ) حال أى متلبسا به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صل المغرب والعشاء (وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) عطف على محل من آتاء المنصوب أى صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى (لَمَّا لَكَ تَرْضَى) بما تعطى من الثواب (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَمْتَنَّهُمْ فِيهِ) بأن يطغوا (وَرِزْقًا رَبِّكَ) فى الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه فى الدنيا (وَأَبْقَى) أدام (وَأَمْرًا أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرَ) اصبر (عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ) نكفك (رِزْقًا) لنفسك ولا لتفريك (نَحْنُ نَزَّلُكَ وَالْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها (وَقَالُوا) أى المشركون (لَوْلَا) هلا (بَأْتِينَا) محمد (بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) مما يقترحونه (أَوْ لَمْ تأْتِهِمْ) بالباء والياء (بَيِّنَةٌ) بيان ،

من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر : أى لا تنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره لأن ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا منكأ أو نبيا هبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد «لست من الدنيا وليست الدينانى» (قوله أصنافا منهم) أى الخلق فالهنا دائرة فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشرف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثانى لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والأول هو قوله أزواج (قوله بأن يطغوا) الباء سببية أى فنتهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فطلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك ما يرضى وهو الدنيا وقسمته الأزلية تأنيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله ونم أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرم بذلك (قوله نحن نزرقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلناك به ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهل بيته ضيق أمرم بالصلاة وتلاهذه الآية « (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجملة الحمودة لأهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تهننا كما تقدم بضمه فى قوله تعالى : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات (قوله أوم تأتهم) همزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أى أهوا ولم تأتهم الخ (قوله بالباء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله ما في الصحف الأولى) أي الكتب المقدمة . والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على أخبار الأمم الماضية (قوله ولو أنا أهلكتناهم) كلام مستأنف لتقرير ما قبله (قوله لقالوا ربنا الخ) أي لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتفروا بهذا العذر فقطع الله هذرهم بارسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل أن نفل) أي يحصل لنا القدر والموان (قوله ونحزى) أي نفتضح (قوله ما يؤول إليه الأمر) أي أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أي انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوي) من في اللوضين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ وهو أنهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار الفسر إلى وجه المغايرة بين التسميق ، فأصحاب الصراط السوي من لم يضل أصلاً كالنبي ومن أسلم صبياً ، ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك .

[سورة الأنبياء عليهم السلام] سميت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها (قوله مكية) أي نزلت قبل الهجرة بانفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف (٦٦) مرتب على الخلاف في قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله إلى قوله أفلا تعقلون هل

هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام واردة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا محمد يهدنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بهيد فأنزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب أنه آفة لهالة وكل آيات قريب أو يقال إن قربه باعتبار ماضى من الزمان فإن ما بقى أقل ماضى (قوله وهم في غفلة معرضون) الجملة حالية أي قرب حسابهم والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له

(مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هُم مِمَّا بَدَّاب مِنْ قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) في القيامة (وَنَحْزَى) في جهنم (قُلْ) لهم (كُلُّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر ما يؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) في القيامة (مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (وَمَنْ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أتم .

(سورة الأنبياء)

مكية، وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

(يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكروى البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرَضُونَ) عن التأهب له بالإيمان (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ) شيئاً فشيئاً أى لفظ قرآن (إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسْرُوا النُّجُوى) أى الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى ،

والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة إلا أن العبارة بعمومها (قوله ما يأتيهم من ذكر) هذا في معنى العلة لما قبله كأنه قال معرضون لأنه ما يأتيهم من ذكر الخ (قوله من ربههم) الجار والمجرور متعلق بيائتهم (قوله أى لفظ قرآن) دفع بذلك ما يقال كيف وصف الله بالحدث مع أن المراد به القرآن وهو قديم . فأجاب بأن وصفه بالحدث باعتبار أفضاه الغرلة علينا ، وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما ما دلت عليه الألفاظ الحادثة ، فمنها ما هو قديم كمدلول آية الكرمي والصدية ، ومنها ما هو حادث كمدلول القصص وأخبار المتقدمين ، ومنها ما هو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم . والمعنى ما قرأ عليهم القرآن إلا استمعوه في حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت في الكفار جرت بذلتها على عصاة الأمة ، ففي هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشتاله على الأنعام المعروفة لامن حيث بلغته ومواقفه وأحكامه وكونه من عند الله فأنالله وإنا إليه راجعون (قوله بدل من واو وأسروا النجوى)

أشار بذلك إلى أن أمر فعل ماضٍ والواو فاعله والتجوى مفعوله والذين بدل وهذه إحدى طريقتين لتجو بين في الفصل الذي لحقته العلامة وأسند للظاهر . والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة والذين فاعل ونسعى بلفظ أكلوني البراهيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغي حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا إلا بشر مثلكم) بدل من التجوى مفسر لها أي فكأنوا يتناجون بذلك سرايبهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتأتون السحر) أي تحضرونه وتقبلونه (قوله وأتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله في السماء والأرض) أشار المفسر إلى أنه حال من القول أي يعلم القول حال كون القول كائنا في السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أي فلاحظ بل في القرآن إلا للانتقال لا للإبطال لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق وإعراضاً عنه لكونه صدر على وجه الغلط ونزه الله عنه خلافاً لمن يقول إنها تأتي للإبطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل في ذلك لأن بل فيها للانتقال من الأخبار بقولهم إلى الأخبار بالواقع فتأمل (قوله أضفأت أحلام) خبر محذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أي يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لاحقيقة (٦٧) لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص

الكلام المقفى الموزون قصداً بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير إتيانا كأننا مثل إرسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة في الفاعل (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (قوله

(هَلْ هَذَا) أي محمد (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فإي يأتي به سحر (أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ) تبعونه (وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر (قُلْ) لهم (رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ) كائناً (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وَهُوَ السَّمِيعُ) لما أسروه (الْعَلِيمُ) به (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْفَأَتْ أَحْلَامِي) أخلاط رآها في النوم (بَلِ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فإي يأتي به شعر (فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ) كالناقة والمصا واليد، قال تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ) أي أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتتها من الآيات (أَنْهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (وَمَا أُرْسِلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَى) وفي قراءة بالنون وكسر الهاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لِاتَّقِلُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أي الرسل (جَسَداً) بمعنى أجساداً (لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) في الدنيا (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بأنجائهم (فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ) أي المصدقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المكذبين لهم ،

يوحى إليهم) أي يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام ، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لا تمتك إلا رجلاً من أفراد جنسك متأهين للإرسال (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً (قوله فاستلوا أهل الذكر) أي المطلعين على أحوال الرسل الماضية فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والإنجيل) إنما أحاطهم عليهم لأنهم كانوا يرسلون للشركين أن ابقوا على ما أتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي أقرب من تصديقكم المؤمنين . والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لا لفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام . والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أي ما كثر على سبيل الخلود في الدنيا بل يموتون كثيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أي باهلاك أعدائهم (قوله بأنجائهم) محمول على الرسل الذين أصروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فانهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أي المؤمنين الذين اتبعوه . وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كبراه الذين حضروا منازيته لم يموتوا في حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه .

(قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التثبيت عليهم . والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لسانكم فكان يقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذى جاء به وتكونوا أول مؤمن به فأعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجليل أو شرفكم أو مواظبتكم (قوله أفلا تعقلون) الهزمة داخلة على مهذوف والفاء عاطفة على ذلك المهذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك (قوله وكم قسمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقسمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر بأنهم لا يفرغهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لا تنتهوا بذلك فإنا أهلكتنا كثيرا من أهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل للراد بهم الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم ، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شگور بعث الله عليهم موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه (٦٨) فسلب الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبي نساءهم فلما استمر فيهم القتل

هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء بإتارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالدنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الأول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شعر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فعناه

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يامشر قریش (كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغتكم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتؤمنون به (وَكَمْ قَصَمْنَا) أهلكتنا (مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلكتها (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَآ) أى شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين قالت لهم الملائكة استهزاء (لَا تَرَ كُفُؤًا وَرُجُوعًا إِلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) نصم (فِيهِ وَمَا كَيْفَ كَيْفُكُمْ لَمَلِكُمْ تُسْأَلُونَ) شيئا من دنياكم على العادة (قَالُوا يَا) لتفتنيه (وَبِئْسَ مَا كُنَّا) إنا كنا ظالمين (بِالْكَفْرِ) قَالَتْ فَذَلِكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أى كالزرع المحصود بالمنجل بأن قتلوا بالسيوف (خَامِدِينَ) ميتين كحمود النار إذا طفت (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) لا عيبين (عَابِدِينَ) دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لَأَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة ،

(إن)

تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم)

جواب عما يقال إن الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد : ذق إنك أنت العزيز الكريم (قوله ومساكنكم) بالجر عطف على ما (قوله شيئا من دنياكم) أى فاقم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيع وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فما زالت) مانافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعوام خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا إنا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجالهم وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله كحمود النار) أى سكون لها مع بقاء جمرها وأما الحمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لا عيبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النقي (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا دليل بوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - (قوله ونافعين عبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لا يلهمها إلا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لا نتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء تقيض التالى ينتج تقيض المقدم والمعنى لو علمت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد لا نتخذناه من عندنا لكننا لم نتخذناه فلخلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا .

(قوله إن كنا قائلين) يحتمل أن تكون إن نافية أى ما كنا قائلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أى شأنا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أثير بذلك إلى أن ماموصولة والعائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية . والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق (قوله أى الملائكة) عبر عنهم بالعندية إشارة إلى أنهم فى مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) أى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أى لا يكونون ولا يتعجبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكي الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والحسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أى فهو سجيبة وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كمن الكفرة وتزول الأرض وتبليغ الأحكام وغير ذلك كما أن شغلنا بالنفس لا يمنعنا الكلام . إن قلت إن هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح والعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال . أوجب بأن الملائكة لهم أسنة كثيرة بعضها يسبحون الله به وبعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على بنى آدم (قوله وهمزة الانكار) أى وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أى حيث ادعوا أنها آلهة لهم ما ذكر ضمنا والتزاما وإلا فهم لم يدعوا أنها تعجى الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لو حرف شرط (٦٩) وكان تامة فعل الشرط وآلهة

قائلين وفيها متعلق بكان والإجماع غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم . والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع فى آلهة ليس قيادا وكذا قوله فيهما وإنما أتى بذلك ردا على الكفار فى اتخاذهم الآلهة فى السماء والأرض (قوله أى غيره)

(إِنْ كُنَّا قَاعِلِينَ) ذَلِكَ لَكُنَّا لَمْ نَعْمَلْهُ فَلَمْ نَزِدْهُ (بَلْ نَقْذِفُ) نَزَمِي (بِالْحَقِّ) الْإِيمَانَ (كَلَى الْبَاطِلِ) الْكُفْرَ (فَيَذِمُّهُ) يَذْمِيهِ (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذَاهِبٌ ، وَدَمْتُهُ فِي الْأَصْلِ أَصَابَ دِمَاغَهُ بِالضَّرْبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ (وَلَكُمْ) يَا كُفَّارَ مَكَّةَ (الْوَيْلُ) الْعَذَابُ الشَّدِيدُ (مِمَّا تَصِفُونَ) اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَالِدِ (وَلَهُ) تَعَالَى (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَلَكًا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أَى الْمَلَائِكَةُ مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لَا يَمِينُونَ (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) عَنْهُ فَهُوَ مِنْهُمْ كَالنَّفْسِ مِنَّا لَا يَشْفَلْنَا عَنْهُ شَاغِلٌ (أَمْ) بِمَعْنَى بَلٍ لِلانْتِقَالِ وَهَمْزَةُ الْانْكَارِ (أَتُخَذُوا آلِهَةً) كَائِنَةٌ (مِنَ الْأَرْضِ) كَحَجَرٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ (هُمْ) أَى الْآلِهَةُ (يُنشِرُونَ) أَى يَحْيِيُونَ الْمَوْتَى ؟ لَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُمَا إِلَّا مِنْ يَحْيَى الْمَوْتَى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أَى غَيْرِهِ (لَفَسَدَتَا) خَرَجْنَا عَنْ نِظَامِهِمَا الْمَشَاهِدِ لَوْجُودِ التَّمَانِعِ بَيْنَهُمْ عَلَى وَفْقِ الْمَادَّةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانِعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ (فَسُبْحَانَ) تَتْرِيهِ (اللَّهُ رَبُّ) خَالِقِ (الْعَرْشِ) ،

أشار بذلك إلى أن إلا صفة بمعنى غير فهى اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لامن جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلائته يلزم منه نفي التوحيد إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثانى فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما وآلهة جمع منسكرف فى الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أى التخالف بين الآلهة ويسمى الدليل على ذلك يبرهان التمانع والتطارد فى فرض اختلافهما . وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية وأراد أحدهما إيجاد شىء والآخر إعدامه فاما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود الممانعة بينهما فيظل التعدد وثبتت الوجدانية وإذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا أن يقال لو فرض إلهان وأرادا معا إيجاد شىء فاما أن يحصل بارادتهما معا وذلك باطل لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما إلى إيجادها فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل ويلزم عجز الأول لوجود الممانعة بينهما . واعلم أن الدليل على ثبوت الوجدانية لله النقل والعقل ، أما النقل فكآيات كثيرة جدا منها : وإلهكم إله واحد لإله إلا هو ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف

يشاء لا إله إلا هو إلى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى - ما لعقل الله من وه وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض - وكهذه الآية إذا علمت ذلك فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس إقناعيا بحسب ما يفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة وبهذه الآية اثبت الكوم الحجة الحكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها والحكم المنفصل فيها وهو النظر فيها والحكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها والحكم المنفصل فيها وهو الأفعال وهو المشارك له فيها ، والمتصل فيها لا ينفى لأنه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه (قوله الكرسي) الصواب إبقاء العرش وهو ما هو عليه لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسي تحته وخص العرش بالله كونه أعظم من غيره فإذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالأولى (قوله لا يستل عما يفعل) أي لا يستل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب الخالق المالك لجميع الأشياء ، إذا علمت ذلك فالاعتراض على أفعال الله إما كفر أو قريب منه (قوله وهم يستلون) (٧٠) أي يقال للخالق لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم

الكرسي (عَمَّا يَسْتَلُونَ) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره (لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ) عن أفعالهم (أَمْ أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ تَعَالَى أَى سِوَاهُ (آلِهَةً) فِيهِ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) عَنِ ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ (هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى) أَى أُمَّتِي وَهُوَ الْقُرْآنُ (وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي) مِنَ الْأُمِّ وَهُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ لَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِّنْهَا أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا قَالُوا ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أَى تَوْحِيدَ اللَّهِ (فَهُمْ مُّعْرِضُونَ) عَنِ النَّظَرِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَى) وَفِي قِرَاءَةِ بِالنُّونِ وَكَسْرِ الْهَاءِ (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أَى وَحْدُونِي (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) مِنَ الْمَلَائِكَةِ (سُبْحَانَكَ ، بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) عِنْدَهُ وَالْعِبُودِيَّةُ تَنَافَى الْوِلَادَةَ (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لَا يَأْتُونَ بِقَوْلِهِمْ إِلَّا بَعْدَ قَوْلِهِ (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أَى بَعْدَهُ (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أَى مَا عَمِلُوا وَمَا مَعْمُولُونَ (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) تَعَالَى أَنْ يَشْفَعَ لَهُ (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ) تَعَالَى (مُشْفِقُونَ) أَى خَائِفُونَ ،

وتبين بهذا أن من يستل عن أعماله كعيسى والملائكة لا يصلح للألوهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب اتقالي من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أي من حيث إن أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضا (قوله على ذلك) أي الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن

(ومن) قد أتينا ببراہین دالّة علی وحدانیتنا فاتوا ببراہان یدل علی ثبوت الشریک لنا (قوله هذا ذكر من مهي) أي عظمتهم و متمسكهم على التوحيد (قوله ليس في واحد منها) أي فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الاشرار (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب اتقالي من معاجتهم إلى بيان أنهم كالبهايم لا يعيزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أي توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطق به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبغية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافي الولادة) أي لأن عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي فهم برأيتونه في جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لهم بأنهم تعالى محيط بهم (قوله إلا لمن ارتضى) أي كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أن الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أي وجلون لا يأمنون

مكره ، والاشفاق الخوف مع الاجلال وبرادفه الحشية .

(قوله ومن يقل منهم) أي من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله بل عبادة منعمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لأهم مصومون من الكفر والمعاصي ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقاً بهم في العبادة حتى قيل إنه كان أعبدهم (قوله دعا إلى عبادة نفسه) أي لأجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه أنه رب العالمين وكما وقع لبعض العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لي : أنا أخلصك وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله تعالى وآيها من رحمته إذا علمت ذلك فكللام المفسر لاغبار عليه (قوله كذب يجرى الظالمين) أي إياها (قوله أولم ير) الحمزة داخله على هذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ويعلموا (قوله بواو ودونها) قراءة ثان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد وأن ماسوى الله مهوور وهو القاهر فوق عباده (قوله كاتارتقا) أي شيئاً واحداً لما روي أن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطتها ففتتها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والأرض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعة والأرض سبعة (٧١) ولكن السموات طباق والأرض

مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الأقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وإفراد الأرض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الأرض (قوله أن كانت لا تعطر) بفتح الحمزة مصدرية أي كونها لا تعطر فأمرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شيء مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئاً ومتسبباً عنه (قوله نبات وغيره) أي فالحياة في كل شيء بحسبه

(وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ) أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ) كما نجزيه (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أي المشركين (أَوْ لَمْ يَبُواوْا وَتَرَكُوا) يعلم (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) أي سداً بمعنى مسدودة (فَفَتَقْنَا هُمَا) أي جعلنا السماء سبعة والأرض سبعة، أو فتق السماء أن كانت لا تعطر فأمرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّارِ مِنَ الْأَرْضِ) (كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ) نبات وغيره أي فالسبب لحياته (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) بتوحيدي (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا) جبلاً ثوابت (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي الرواسي (فِي جَبَالًا) مسالك (سُبُلًا) بدل أي طرقاً نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصد في الأسفار (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) للأرض كالسقف للبيت (مَحْفُوظًا) من انبوع (وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيطمعون أن خالقها لا شريك له (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فِي فَلَكٍ) أي مستدير كالطاحونة

حياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره (قوله رواسي) جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت واستقر (قوله أن تמיד) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل أي لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله إلى مقاصد) أي الدنيوية والأخروية (قوله كالسقف للبيت) أي وهذا ما عليه أهل السنة وقالت الحكماء إن السماء محيطة بالأرض كاحاطة بياض البيضة بصفارها إذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله إلا إليه (قوله محفوظاً من الوقوع) أي أو عن الفساد والحلل (قوله وهم عن آياتها) أي الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أي وغيرها كالنجوم وارتفاعها من غير عمد وتزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) أي مع أنهم لو سألوا همن خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله وهو الذي خلق الليل الخ) فيه اثبات من التكلم للفتية (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف إليه المحذوف (قوله أي مستدير كالطاحونة) أي كهيئة فلكة المنزل أي ثقائه وقيل الفلك السماء التي تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن في البحر. واختلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال قيل إن الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذي يدل عليه لفظ القرآن، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة

كل تدافع حركة الآخر ، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى . واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء أو منتهى سيرهما في العالم العلوي وعليه أهل السنة (قوله وللتشبيه به) جواب عما يقال جمعهما بضمير العقلاء . فأجاب بأنه لما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت) أي شماته به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لا يتخذ في الدنيا بل يتفوق الموت ويتصغر على البشر وإن كان غيره كذلك يدل على ما بعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الأخيرة الخ) أي فالجملة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصلابة والأصل أنهم الخالدون إن مت (قوله كل نفس) أي مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله أهم منه وليس معيبا وقوله ذاتة الموت أي ذاتة حرارة مفارقة الروح للجسم وهي في غاية الصعوبة جدا ومثاؤه بعصر القصب بالآلة المعروفة فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلا بل يؤخذ للنار حالا غير أن المؤمن يتسلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب للقيم (قوله فختبركم) أي فاملكم معاملة المختبر إذ لا يخفى على الله شيء (قوله أتبصرون) راجع للشكر وقوله وتشكرون راجع للخبر (٧٢) فالؤمن الكامل يشاهد الأشياء كلها من الله فإذا ابتلى بالفقر أو المرض مثلا

رضى به وازداد إقبالا عليه وإذا أقم عليه بالغي أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله في الحالتين وأما الكافر والفاسق فيشاهد الأشياء من الخلق فإذا ابتلى سخط وإذا أقم عليه بطر فهو مضروب عليه في الحالتين ، (قوله وإلينا ترجعون) أي تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم إن خيرا غير

في السماء (يَسْتَبْعُونَ) يسيرون بسرعة كالساحج في الماء ، وللتشبيه به أي بضمير جمع من يقل . ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أي البقاء في الدنيا (أَفَأَنْتُمْ مُتُّمْ فَمَنْ أَتَخْلَدُونَ) فيها ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) في الدنيا (وَتَبْلُوكُمْ) تختبركم (بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) كقفر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم (وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوماً) أي مهزوماً به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَدَّكُمْ) أي يعيها (وَهُمْ يَدَّكُرُ الرَّحْمَنِ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا مانعوه . ونزل في استعجالهم العذاب (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ) أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه (سَارِبَكُمْ آيَاتِي) مواعدي بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ) فيه فأراهم القتل بيلدر ،

(ويقولون

وإن شرافنا (قوله وإذا رآك الذين كفروا)

رأى بصرية أي أبصرك المشركون (قوله إن يتخذونك) جواب إذا وإن نافية بمعنى ما كما قال للفسر (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله أهذا الذي الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض في حال الهزؤ والسخرية أهذا الخ (قوله وهم يدكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره وبدكر . متعلق به وهم الثانية تأكيد لفظي للأولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والعمول بالموكد وبين المؤكد والمؤكد بالعمول وإضافة ذكر الرحمن من إضافة المصدر لقاعله كما أشاره الفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر إرشاد الله لمعباده برسالة الرسل وإزالة الكسب ويحتمل أنه مضاف لمفعوله أي ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله إذ قالوا مانعوه) أي الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لانصرف الرحمن إلا رحمن العجامة وهو مسيلة الكذاب (قوله في استعجالهم العذاب) أي حيث قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء أي السرعة في الأمور (قوله أي أنه لكثرة عجله في أحواله الخ) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث إن الإنسان طبع عليه حتى صار كالجملة له بالطين الذي خلق منه البشر وطوى ذكر التشبه به ورمزه بشيء من لوازمه وهو خلق ، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة في الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع في المضرة ولا يشعر (قوله مواعدي بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب في الدنيا كوقعة بدر وغيرها في الآخرة كعذاب النار

(قوله ويقولون) أي استهزاء واستعجالاً للعذاب (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير قاتوا به وهو خطاب منهم للنبي وصاحبه (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) أي فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ما قالوا ذلك) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) إضراب انتقال من قولهم إلى بيان كفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أي دفعها (قوله فيه تسلياً للنبي) أي حيث كان يقم من استهزؤهم وعدم انقيادهم (قوله قر من يكلو كم الخ) أي قل يا محمد للستهزئين القائلين لانعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن أرادكم بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لا يخافون الخ) بثلاثة لقوله: بل هم عن ذكر ربهم معرضون، والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن غير أنهم لا يخافونه لإعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمة) (٧٣) أي زيادة على بل (قوله لا يستطيعون نصراً أنفسهم) أي فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) أي ينقدون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) إضراب عما توهموه من أن حفظهم وإمدادهم بالنم من قبل آلهتهم بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبي) أي وتسلط المسلمين عليهم (قوله أفهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الإنكار ولذا قدر المفسر لا، وقوله بل النبي وأصحابه أي هم الغالبون (قوله قل إنما أنذركم بالوحي) المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذهبوا لها (قوله ولا يسمع الصم الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على الفعولية وفي قراءة سبعة أيضاً بالياء المضمومة وكسر الليم خطاب للنبي والصم مفعوله الأول والدعاء مفعوله الثاني والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق المميزين) أي همزة الدعاء وهمزة إذا (قوله وتسهيل الثانية) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قعة خفيفة) أخذ الحفة من التعبير بالسم والتفح والتاء الدالة على المرة والنفخ في الأصل هبوب رياحة الشيء، والمعنى وثان أصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما ياولنا الخ وهو كناية عن كونهم في غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالي به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قریش في هذه السورة والجمع في الموازين للتعظيم فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما يمين

(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بِالْقِيَامَةِ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِيهِ ، قَالَ تَعَالَى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ) يَدْفَعُونَ (عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يَنْصَرُونَ) يَنْصَرُونَ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ ، وَجَوَابُ لَوْ مَا قَالُوا ذَلِكَ (بَلْ تَأْتِيهِمْ) الْقِيَامَةُ (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تَحْيِرُهُمْ (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يَهْلُونَ لَعُوبَةً أَوْ مَعذَرَةً (وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَخَاقَ) نَزَلَ (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وَهُوَ الْعَذَابُ فَكَذَا يَحْيَقُ بِمَنْ اسْتَهْزَأَ بِكَ (قُلْ) لَهُمْ (مَنْ يَكْلُوْكُمْ) يَحْفَظُكُمْ (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) مَنْ عَذَابُهُ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ ؟ أَيْ لَا أَحَدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَالْمَخَاطَبُونَ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ) أَيْ الْقُرْآنِ (مُعْرِضُونَ) لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ (أَمْ) فِيهَا مَعْنَى الْهَمَزَةِ لِلإِنْكَارِ أَيْ أ (لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ) مِمَّا يَسُوؤُهُمْ (مِنْ دُونِنَا) أَيْ أَلَهُمْ مِنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ غَيْرِنَا (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أَيْ الْآلِهَةُ (نَصْرًا أَنْفُسِهِمْ) فَلَا يَنْصَرُونَهُمْ (وَلَا هُمْ) أَيْ الْكُفَّارُ (مِنَّا) مَنْ عَذَابِنَا (يُصْحَبُونَ) يَجَارُونَ ، يُقَالُ صَحَبَكَ اللَّهُ ، أَيْ حَفِظَكَ وَأَجَارَكَ (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ) بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فَاعْتَرَوْا بِذَلِكَ (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ (نَنْفَعُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ (أَفَهُمْ الْغَالِبُونَ) ؟ لَا ، بَلِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ (قُلْ) لَهُمْ (إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَحْيِ) مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ قَبْلِ تَقْصِي (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا) بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْيَاءِ (مَا يُنذَرُونَ) أَيْ هُمْ لَتَرْكِهِمُ الْعَمَلُ بِمَا سَمِعُوهُ مِنَ الْإِنْذَارِ كَالصَّمِّ (وَلَكِنَّ مَسْتَهْتِمَهُمْ نَفْعَةٌ) وَقَعَةٌ خَفِيفَةٌ (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ يَا) لِتَنْبِيهِهِ (وَيْلَنَا) هَلَا كُنَّا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بِالْإِشْرَاقِ وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على الفعولية وفي قراءة سبعة أيضاً بالياء المضمومة وكسر الليم خطاب للنبي والصم مفعوله الأول والدعاء مفعوله الثاني والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق المميزين) أي همزة الدعاء وهمزة إذا (قوله وتسهيل الثانية) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قعة خفيفة) أخذ الحفة من التعبير بالسم والتفح والتاء الدالة على المرة والنفخ في الأصل هبوب رياحة الشيء، والمعنى وثان أصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما ياولنا الخ وهو كناية عن كونهم في غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالي به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قریش في هذه السورة والجمع في الموازين للتعظيم فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما يمين

الشرقي والغرب ومكانه قبل الصراط كفته الجهي الحسنات وهي نيرة عن يمين العرش وكنهه اليسرى للسيئات وهي مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بموده ناظرا إلى لسانه وميكائيل أمين عليه يحضره الجن والإنس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن في حق كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا ، والحق أن الكفارات توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لالنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع ، وأما قوله تعالى : فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا ، فعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود في النار ، وقيل حسناتهم التي فعلوها يجازون عليها في الدنيا كسعة وعافية ولا يجازون عليها في الآخرة أصلا . واختلف هل الوزن يصنع أولا ، واستظهر الأول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنيع بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له إلا حسنات فقط أوسيئات فقط وضعت الصنيع في السكفة الأخرى . واختلف أيضا هل الأعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع في كفة الحسنات ، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع في كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الأشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لأنه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيئا) إما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وإن كان العمل) قدره الفسر إشارة إلى أن كان ناقصة واحمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفي قراءة سبعة برفعه على أنها تامة (٧٤) (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالمين

وللقصود منه التحذير لأن الانسان العاقل إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع في ذكر قصص الأنبياء تسلية له

التسَطُّ (ذوات العدل (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي فيه (فَلَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وَإِنْ كَانَ) العمل (مِثْقَالَ) زنة (حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) أي بموزونها (وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) محصين في كل شيء (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ) أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وَضِيَاءً) بها (وَذِكْرًا) أي عظة بها (لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) عن الناس أي في الخلاء عنهم (وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ) أي أهوالها (مُشْفِقُونَ) أي خائفون (وهذا) أي القرآن (ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) الاستفهام فيه للتوبيخ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أي هداه قبل بلوغه ،

(وكفانا

صلى الله عليه وسلم وزيادة في علم أمته ، وذكر منها عشر قصص :

الأولى قصة موسى وهرون . الثانية قصة إبراهيم . الثالثة قصة لوط . الرابعة قصة نوح . الخامسة قصة داود وسليمان . السادسة قصة أيوب . السابعة قصة إسماعيل وإدريس وذى الكفل . الثامنة قصة يونس . التاسعة قصة زكريا . العاشرة قصة صريم وهبسي صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أي يستضاء بها من طلعات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أي عذابه (قوله بالنسب) حال من الفاعل في يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس ، والناس في ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محبوب قد تقع منه المعاصي . ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد أنه في حضرة الله وأنه مطلع عليه وهذا أعلى من الأول ، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة . ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لأهل مكة تقريبا لهم أي إن هذا القرآن فيه تكبركم وفيه خير كثير أيلقي منكم إنكاره والاستهزاء به (قوله أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصالح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة ، وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل أنه إن كان المراد بقوله قبل أي قبل البلوغ ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصالح الدين والدنيا لأن الله تعالى لم يتخذ وليا جهلا بمعرفته فضلا عن نهي وإن كان المراد به قبل موسى وهرون ، فالمراد بالرشد النبوة والرشاد الخلق .

(قوله وكنا به عالمين) أى ولم نزل كذلك (قوله إذ قال لأبيه) ظرف لقوله آتينا أو لمحدوف أى اذكر (قوله لأبيه) أى آزر (قوله التمائيل) جمع تمائل وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب ، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل (قوله عا كفون) عبر بالكوف الذى هو عبارة عن الاستمرار على الشئ لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آباءنا على) أجابوا بذلك وإن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه مأل سؤاله إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ما هى لأى شئ عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد (قوله فى ضلال مبين) أى لعدم استنادكم إلى دليل (قوله قالوا أجتنا بالحق الخ) أى لما استبعدوا تضليل آباءهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا أصدق ما تقوله أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) إضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وأنا على ذلكم) أى على ما ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض دون ما عداه (قوله من الشاهدين) أى العالمين (٧٥) بالبرهان (قوله وتالله لأكيدن

أصنامكم) انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية فلما لم يقد فيهم الدليل القولى عدل إلى الدليل الفعلى وهو الكسر ، والمعنى لأجتهدن فى كسرها وأكيدنكم فيها (قوله بعد ذهابهم إلى مجتمهم) أى وقصد ذهب معهم إبراهيم فلما كان فى أثناء الطريق أتى نفسه وقال إني سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس : تالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع إبراهيم إلى بيت

(وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أى بأنه أهل لذلك (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ) الأصنام (الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أى على عبادتها مقيمون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) فاتقدينا بهم (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بَيِّن (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) فى قولك هذا (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِيِينَ) فيه (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ) الذى قلته (مِنَ الشَّاهِدِينَ) به (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمهم فى يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها : فتاتا بئس (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) علق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ) إليه أى إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيرون ماضل بغيره (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه (قَالُوا) أى بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ) أى يعيهم (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أى ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل (قَالُوا) له بعد إتيانه (ءَأَنْتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين السهلة والأخرى وتركه (فَمَلَّتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ) ساكتا عن فعله

الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه ، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم ، فقال لهم إبراهيم : ألا تأكلون ؟ فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقرىء شذوذا بفتحها (قوله بئس) هو مهموز الآلة التى يكسرها الحجر (قوله إلا كبيرا لهم) أى لم يكسرها بل تركه والضمير فى لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها (قوله من فعل هذا) أى التكسير ومن يمتثل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلته وإنه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه (قوله أى يعيهم) أى ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له إبراهيم) مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أى يقال له إبراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء محذوف أو خبر محذوف أى يقال له هذا إبراهيم (قوله قالوا فاتوا به) القائل لذلك الخروذ (قوله لعلهم يشهدون) أى لعل الناس يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) أى بادخال ألف بينهما وتركه فتكون القراءات السبعيات خسا . وحاصلها أن الهمزتين إما محقتان أو الثانية مسهلة وفى كل إما بادخال ألف بينهما أولا

فهذه أربع والخامسة إبدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرم هذا) اعلم أن هذا من التعريض لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعلجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في الآخر فهو إشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرم أو نعت له . ورد أن إبراهيم قال لهم إن الكبير غضب من إثمنا ككم معه غيره الصغار في العبادة فكسره ن ، وأراد بذلك إقامة الحججة عليهم (قوله إن كانوا ينطقون) أى إن كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكور وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبيكتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أى وهو قوله فأسألوم وفيه إشارة إلى أن قوله : بل فعله كبيرم هذا مرتبط بقوله إن كانوا ينطقون ، والمعنى بل فعله كبيرم هذا إن كانوا ينطقون فأسألوم (قوله فرجعوا إلى أنفسهم) أى إلى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة كيف يصلح أن يكون لها (قوله ثم نكسوا على رؤوسهم) أى انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول في قراءة العامة . وفاعل النكس هو الله كما يشير له ما نكس قرى شذوذا بالتشديد وبالتخفيف مبنيا للفاعل (قوله أى ردوا إلى كفرهم) أى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك إلى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى بترك التنوين فالقرآت ثلاث سبعيات (قوله ٧٦) أفلا تعقلون (الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير

أجهلتم فلا تعقلون .

[فائدة] : ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات فثان منها في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله كبيرم هذا ، وقوله لسارة هذه أختي » والمعنى أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث فقوله إني سقيم أراد

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الضم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون لها (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) بالتفكير (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ) أى بعبادتكم من لا ينطق (ثُمَّ نَكَسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أى ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَمَا هُوَ لَاءُ يَنْطِقُونَ) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى بدله (مَا لَّا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئا إذا لم تعبدوه (أَفِ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر ، أى تننا وقيحا (لَكُمْ) ولما تعبدون من دُونِ اللَّهِ أى غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أى إبراهيم (وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أى بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوتقوا إبراهيم وجعلوه ،

في

سقيم القلب من ضلالتكم ، وقوله بل فعله كبيرم هذا تبيكت لقومه وقوله هذه أختي

أى في الدين والخالقة فهذه الألفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله أنهما من أحل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمرود بن كنعان ابن سنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيبوب خسف الله به الأرض والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالضحية والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع الشهيرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل الاتصاف في ذلك أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول : لئن عوفيت لأجمعن حطب إبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه لئن أصابته لتحطينة في نار إبراهيم وكانت المرأة تنزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب وإلقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتتت حتى إن كان الطير ليرب بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقبل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم همدوا إلى إبراهيم فقيده ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مظلولا فصاحت السماء والأرض ومن بهما

من اللائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يمددك فيه فأنذرت لنا في نصرته ، فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لى خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيرى فان استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيرى فأنا وليه وأنا أعلم به غلوا بينى وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن اللباه وقال : إن أردت أحمدت النار ، وأتاه خازن الهواء وقال : إن شئت طبيرت النار في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة لى إليكم حسبي الله ونعم الوكيل . روى أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار « لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك » ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالى ، وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، ولما ألقى فيها جعل كل شيء يطفى النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار فصرم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقال من قتل وزغاً في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك . ذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ، ومدة مكثه في النار سبعة أيام وقيل أربعون يوماً وقيل خمسون يوماً (قوله في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارصى معرب لأن الجيم والثاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كوني بردا وسلاما) أى بردى بردا غير ضار ، ورد « أنه لما ألقى فيها أخذت اللائكة بضبعه فأقدموه على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر وزجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطفنسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا إبراهيم : إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لاتضر أحبائى قال إبراهيم : ما كنت أياما قط أنعم منى من الأيام التى (٧٧) كنت في النار ، ثم نظر نمرود وأشرف

على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه فناداه يا إبراهيم إن إلهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم . قال هل

في منجنيق ورموه في النار ، قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وأرادوا به كيدا) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ) فى مرادهم (وَجَعَيْنَاهُ لُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم (وَوَهَبْنَا لَهُ) أى لإبراهيم وكان سأل ولداً ،

تخفى إذا قت أن ضرك ؟ قال لا . قال قم فأخرج منها فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قول له يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثلك فى صورتك قاعدا إلى جنبك ؟ قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنسنى فيها . قال نمرود يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . قال إبراهيم إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى دينى ، فقال لأستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمرود وكف عن إبراهيم عليه السلام (قوله وبقوله وسلاما الخ) أى ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت النار أحدا ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الأخسرين) أى لأنهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالأخسرين الممالك لأن الله ساط عليهم البعوض فأكات لحومهم وشربت دماهم ودخلت فى رأس النمرود بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أى الأصغر وكان له أخ ثلاث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أى وصحب معه لوطا وسارة ونزل بجران فكث بها ثم خرج منها حرة . قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فيهضه الله نبيا الى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ماورد « إن عمر ابن الخطاب قال لكعب : ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره ؟ فقال كعب : أنى وجدت فى كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله فى أرضه وبها كنزه من عباده » وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) فتح الله وكسرها مع فتح اللام لاغير قرى بيت المقدس (قوله لوطا بالمؤتفكة) هى قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقابرة بأمر من الله .

(قوله كما ذكر في الصفات) أى فى قوله: ربّ هب لى من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب أى أعطى يعقوب لإبراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولده) أى إسحق ويعقوب (قوله وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت فى سورة برائة (قوله يهدون بأمرنا) أى يدعون الناس بوحينا (قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) عطف خاص على عام لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والى كملته أفضل العبادات المالية (قوله وكأنا لى عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أى كأنوا لنا لا غيرنا (قوله ولو طأ) منصوب بفعل مقتر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) أى على وجه الحق (قوله وعلما) أى بالشرائع والأحكام (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أوفيه مجاز عقلى (قوله الأعمال) قدره إشارة إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمى بالبندق) أى رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا فى هذه الأمة (قوله (٧٨) وغير ذلك) كالضراط فى المجالس (قوله بأن أنجينا من قومه) المناسب

أن يقول: وأدخلناه فى أهل رحمتنا أى جنتنا وإلا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن نوحا منصوب بفعل محذوف وبث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين جملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الأرض الخ) أى بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (قوله الذين فى سفينته) وجملة ستة رجال وسأؤمهم ، وقيل أربعون رجلا وأربعون

كما ذكر فى الصفات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أى زيادة على المسئول ، أو هو ولد الولد (وَكَلًّا) أى هو وولده (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً) بتحقيق المهرتين وإبدال الثانية ياء يقتضى بهم فى الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أى أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف (وَكَاوْنَا لَنَا عَابِدِينَ. وَلَوْ طَأ آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلاً بين الخصوم (وَعِلْمًا وَنَجْمِيْنَاهُ مِنَ الْقُرْبَىِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ) أى أهلها الأعمال (الْخَبَائِثِ) من اللواط والرمى بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْهٍ) مصدر ساءه نقيض سره (فَأَسْقَيْنَهُ) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجينا من قومه (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الخ (مِنْ قَبْلِ) أى قبل إبراهيم ولو طأ (فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين فى سفينته (مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) أى الفرق وتكذيب قومه له (وَنَصَرْنَاهُ) منعه (مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا) الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْهٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَ) اذكر (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) أى قصتهما ويبدل منهما (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) هو زرع أو كرم (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ) أى رعبه ليلاً بلا راع بأن انقلبت (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنتين ،

قال

امرأة (قوله منعه) أشار بذلك إلى أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن (قوله ألا يصلوا إليه) أى ائلا يصلوا إليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون ، وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة (قوله أى قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) فى الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف (قوله إذ يحكما) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لمرابته (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله إذ نفست) أى تفرقت وانتشرت فيه فأفسدته (قوله غم القوم) أى بعض القوم: أى قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنتين) أى بناء على أن أقل الجمع اثنان ، وبجاء أيضا بأن الجمع باهتبل الحاكمين والمحكوم عليهما .

(قوله قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم) أى عوضا عن حرثه . وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث إن هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوفقت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث ، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال كيف قضى بينكما فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لتقضيت بنير هذا . وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفر يمين ، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفر يمين . قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيكته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود القضاء ما قضيت . ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحا كما إلى داود فقضى به للسكبري ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرناه ، فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنا فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد الخ) أى ويهجز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لا يبيتهم الله عليه لعصمتهم ، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن الصيب له أجران ، والخطي له أجر واحد (قوله وقيل بوحى) أى لكل منهما وهذا في شريعتهم ، وأما في شريعتنا فذهب (٧٩) مالك ما أنفلته البهائم ليلا وهى

غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يلقى عليها قطي ربهما وإن زاد على قيمتها يقوم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت ، وأما ما أنفلته نهارا وهى غير عادية ولم يكن معها راع وصرحت بعبيدة عن المزارع فلا ضمان على ربهما وإن كان معها راع أو صرحتها ربهما

قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال سليمان ينتفع بذرهما ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها إليه (فَفَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَانَ) وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان ، وقيل بوحى والثاني ناسخ للأول (وَكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) . (حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بأمر الدين (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) كذلك سُخِّرَا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم أى مجاوبته للسيد داود (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهى الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنمها وكان قبلها صفائح (لَكُمْ) فى جملة الناس (لِنُعْصِنَكُمْ) بالنون لله وبالتحتانية لداود ، وبالتوقانية لللبوس (مِنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنْتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعى بتصديق الرسول أى اشكرونى بذلك ،

قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربهما ليلا أو نهارا ، ومذهب أبى حنيفة لا ضمان فيما أنفلته البهائم ليلا أو نهارا إلا أن يكون معها سائق أو قائد ، ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظره ، ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل قيمة الحرث وصاحب الغنم مفلس ، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك ما يتوهم من قوله ففهمناها سليمان أن داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) أى ذلنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءة ثان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب إما على أنه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك ، وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لأمره به إذا وجد فترة) أى فكان إذا وجد فترة أمر الجبال والطير فيسبحن (قوله وإن كان عجبا عندكم) أى مستغربا ، وقد اتفق فى هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وأمثاله (قوله وعلما صناعة لبوس) وسبب ذلك أنه صر به ملكان على صورة رجلين ، فقال أحدهما للآخر نم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يزقه من كسبه فالآن الله له الحديد فكان يعمل منه الدرع فيه نار كأنه طين فى يده (قوله وهى الدرع) وأنت الضمير لكون درع الحديد تؤث وتذكر ، وأما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنمها) أى حلقا بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن فى زمنهم فأقصد أنها نعمة ائتمت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم (قوله وبالتوقانية لللبوس) أى لأنه بمعنى الدرع وهى تؤث .

(قوله وسليمان الريح) عبر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح وجعلها ممثلة لأمره وهب جمع في حق داود لأن الحبل والطير قد صاحبا في التسبيح واشتركا معه (قوله أي شديدة المهبوب الخ) نف ونشر مرتب (قوله تجرى بأمره) حال (قوله إلى الأرض التي باركنا فيها) أي لأنها مقره فكان ينتقل منها ويرجع إليها . قال وهب : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريريه وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يجمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله . وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسحا في فرسخ ذهبيا في إبرييم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعملاء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الراح . وقال الحسن : لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فقهر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأمرع الريح تجرى بأمره كيف يشاء ، فكان يندو من إيليا فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بيايل ، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الأرض مشرقا ومغربا ملك سلطنة وحكم ، وأمارساته فكانت لبني إسرائيل (قوله ومن الشياطين) أي الكفار منهم (قوله وغيره) أي كالتورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخرجاتهم (قوله لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل الخ) قيل إن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال (٨٠) له إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله ويخرجه

(قوله وأيوب) قدر اذ كر إشارة إلى أن أيوب معمول لخدوف (قوله ويسدل منه) أي من أيوب والنفى اذ كر قصة أيوب إذ نادى ربه ففى الحقيقة الإبدال من المضاف المقدر كاتقدم نظيره وسيأتى (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أي جملة ما ابتلاه الله به أربعة

(وَ) سَخَرْنَا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وَفِي آيَةٍ أُخْرَى رَحَاءَ أَي شديدة المهبوب وخفيته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وَهِيَ الشَّامُ (وَكَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ حَالِيمِينَ) مِنْ ذَلِكَ عَلِمَ تَعَالَى أَنَّ مَا يَعْطِيهِ سُلَيْمَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الْخُضُوعِ لِرَبِّهِ فَعَمَلُهُ تَعَالَى عَلَى مَقْتَضَى عِلْمِهِ (وَ) سَخَرْنَا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوضُونَ لَهُ) يَدْخُلُونَ فِي الْبَحْرِ فَيُخْرِجُونَ مِنْهُ الْجَوَاهِرَ لِسُلَيْمَانَ (وَ) يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ (أَي سَوَى الْفُوضِ مِنَ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ) (وَ) كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (مَنْ أَنْ يَفْسُدُوا مَا عَمَلُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَرَّغُوا مِنْ عَمَلٍ قَبْلَ اللَّيْلِ أَنْ يَسُدُّهُ إِنْ لَمْ يَشْفُلُوا بِغَيْرِهِ) (وَ) اذْكَرَ (أَيُوبَ) وَيَبْدِلُ مِنْهُ (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) لَمَّا ابْتَلَى بِفَقْدِ جَمِيعِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَتَمْزِيقِ جَسَدِهِ وَهَجْرِ جَمِيعِ النَّاسِ لَهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ سَنِينَ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا ،

أو

أمر . وحاصل قصته باختصار أن أيوب كان رجلا من الروم

وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم ، وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والحبل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكترة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له أهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لأنعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولا وكان إبليس لا يحب عن شيء من السموات فيقف فيهن من حيث ما أراد فسمع صلاة الملائكة على أيوب فغسده ، وقال الهى نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليت لرجع عن شركك وطاعتك ، فقال الله له انطلق فقد سلطت على ماله ، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب ، فقال هفريت أعطيت من القوة ما إذا شئت تحوت إعصارا من نار فأحرق كل شيء آتى عليه . قال إبليس اذهب فانت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الابل ورعاتها حتى آتى على آخرها ، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلى فقال له أحرقت نار إبلك ورعاتها ، فقال أيوب الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها ، ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فأتوا جميعا وعلى الحوت فتحوّل ريحا عاصفا فآطارها ، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك فحمد الله وأثنى عليه ، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء صعد إلى السماء وقال : يارب سلطنى على أولاده ، فقال له : انطلق فقد سلطت على أولاده ، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فأتوا جميعا ، ثم جاءه في صورة للعلم الذى يصلحهم

الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه فأخبره بموت أولاده وفصل له ذلك حتى رقى قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعا على رأسه وقال ياليت أُمى لم تلدني ففرح إبليس وصعد إلى السماء صريحا لينظر مايفعل به فأوحى الله إلى أيوب إنه إبليس فاستغفر فوقف إبليس خاسئا ذليلا ، فقال يارب سلطني على جسده ، فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقهر عدو الله صريحا فأثاه فوجده ساجدا فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثا ليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فكك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى قطع جسده وأثن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كنانسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ، ونقل أن سبب قوله - أتى مسنى الضر- أن الدود قصد قلبه ولسانه فغشى أن يفتر عن الذكر ولا ينافى صبره قوله : أتى مسنى الضر لأنه شكوى للمخاطق وهي لاتنافي الصبر . إن قلت إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض . أوجب بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء (١) وإنما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ العين إبليس وأعظم الله ضررها لخصوص أيوب تعظيما لقدرة لأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل كماورد بذلك الحديث (قوله أو ثمانى عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) إما فعل مبنى للفعل عطف على ابتلى أو مصدر عطف على فقد (قوله وأنت أرحم الراحمين) أمرىض يطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) أى الذى فى ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا ما به من ضره وآئنا أهله) من ضر (قوله روى أن الله تعالى قال له اركض برجلك الأرض فركض فخرجت عين ماء فأمره أن يغسل منها فغسل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أر بعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب

أو ثمانى عشرة وضيق عيشه (أتى) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مسنى الضر) أى الشدة (وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له) نداءه (فكشفنا ما به من ضره وآئنا أهله) أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (ومثلهم معهم) من زوجته وزيد فى شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سبحانه أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (برحمة) مفعول له (من عندنا) صفة (وذكري للعابدين) ليصبروا فيثابوا (و) اذكر (إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين) على طاعة الله وعن معاصيه (وأدخلناهم فى رحمتنا) من النبوة (إنهم من الصالحين) لها ، وصمى ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك ،

منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وهو معنى قوله تعالى فى سورة ص - اركض برجلك هذا مفصل بارد وشراب - (قوله بأن أحيوا له) أى لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم ، وقيل رزقه الله مثلهم ، روى أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث أو سبع) أى فجعلتهم ستة أو أربعة عشر (قوله وكان له أندر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب) أى لمناسبته له فى الحجره وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكري للعابدين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وإسماعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على التبع ستأتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وإدريس) هو جد نوح ولد فى حياة آدم قبل موته بمائة سنة وبعث بعد موته مائة سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجعله عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن أيوب (قوله وأدخلناهم) معطوف على عذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ (قوله لأنه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أى فكان يصوم النهار ويصلى بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيولة وكان لا ينام إلا تلك النومه فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا فأثاه إبليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب ، فقال من هذا؟ فقال شيخ (١) إذا كان تمنن الجسم ونبد الانسان على الكنانسة وهجر جميع الناس إياه لا يعده منفرا فأى شيء منفر بعد ذلك ؟ اللهم

إن هذا كلام لا يلقى بمقام الأنبياء .

كبير مظلوم بيني وبين قوهي خصومة وإنهم ظلموني ، فقام وفتح له الباب وضار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القبولة فقال له إذا قدمت للحكم فانتني أخلص حثك فلما جاس للحكم لم يجدده فلما رجع إلى القائلة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا ؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك إذا قدمت للحكم فانتني ؟ فقال إن خصومي أخطب قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حثك وإذا قمت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أتاه فإنه قد شق على الناس ، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتمام والحصوم ببابك فعرف أنه عدو الله وقال فعات مافعات لأغضبك فعممك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أي بل كان عبدا صالحا والصحيح أنه نبى قيل بعث إلى رجل واحد (قوله وذو النون) لقب ليونس وجمعه أنوان ونيان وهو اسم للحوت كبيرا أو صغيرا (قوله ابن متى) اسم أبيه ، وقيل اسم أمه (قوله ويبدل منه) أي بدل اشتال (قوله مفاضيا لقومه) أي لآلئيه لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدمه بالعذاب فلما ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله) (٨٢) أي غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أن الفاعلة ليست على بابها (قوله أي تقضى

عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى أن ان تقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من التقدر وهو القضاء ، والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أو نضيق عليه) أي فمضى تقدر نضيق كافي قوله تعالى - الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - وقوله تعالى - ومن قدر عليه رزقه - لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضد العجز (قوله من حبسه في بطن الحوت) أي وكانت مدة مكثه

وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذَا النُّونِ) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) لقومه : أي غضبان عليهم مما قامى منهم ولم يؤذن له في ذلك (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي تقضى عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أَنْ) أي بأن (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) في ذهابي من بين قومي بلا إذن (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ النِّم) بتلك الكلمات (وَكَذَلِكَ) كما نجيناه (نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زَكَرِيَّا) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) بقوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي بلا ولد يرثني (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) الباقي بعد فناء خلقك (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداه (وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيَى) ولدا (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) فأتت بالولد بعد عقمها (إِنَّهُمْ) أي من ذكر من الأنبياء (كَانُوا يُسَارِعُونَ) يبادرون (فِي الْخَيْرَاتِ) الطاعات (وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا) في رحمتنا (وَرَهْبًا) من عذابنا (وَكَانُوا لَنَا حَاشِمِينَ) متواضعين في عبادتهم ،

(و)

بيطن الحوت أربعين يوما أو سبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله

إلى ذلك الحوت لاتأكل له لحما ولا تهشم له عظما فإنه ليس رزقا لك وإنما جعلتك سبحانه . وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي توقعه به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقعت في لجة البحر ، فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضر بها فخرجت على يونس فألقوه في البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه فدعاه به فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزاة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعا . قال تعالى - وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتنعناهم إلى حين - (قوله أن لا إله إلا أنت) أن إما مخففة من الثميلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ، وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقترار بالدب ، ولذا ورد في الحديث « مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له » (قوله وزكريا) معمول لمخدوف قدره بقوله اذكر (قوله أي بلا ولد يرثني) أي في العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) التراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله إنهم كانوا يسارعون) هلة لمخدوف : أي قالوا ما قالوا لأنهم الخج (قوله رغبا ورهبا) إمامنصوبان عنى للمفول من أجله أو على أنهما واقعان موقع الحال : أي راضين راضين .

(قوله والتي أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أى يصل إليه أحد بحلال أو حرام . إن قلت المزية ظاهرة في حفظه من الحرام وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه . أوجب بأن الهرهب كان مشروعاً لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نزع في جيب درعها) أى أمرناه بفعل ذلك أو المراد نزعنا فيها بعض الأرواح الخالقة لنا وهي روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لأن كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة وفيه الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه (قوله إن هذه أمتكم) أشار المفسر إلى أن اسم الإشارة يعود على ملة الإسلام والأمة في الأصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لأنها قسائم الاجتماع ، والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين وإنما التغيير في الفروع فمن غير وبدل في الملة فهو خارج عنها ضال مضل ، وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أى من أمة ، وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البديل والبدل منه بخبر إن نحو إن زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر إن وقرئ شذوذا بالنصب على أنه بدل من هذه أو (٨٣) عطف بيان (قوله فاعبدون)

إن كان الخطاب للمؤمنين
فمعناه دوموا على العبادة
وإن كان الخطاب
للكفار فمعناه إنشاء
العبادة والتوحيد
(قوله وتقطعوا أمرهم)
أى تفرقوا في أمرهم
واختلفوا في دينهم
وهذا إخبار من الله بأن
الجميع لم يكونوا على دين
واحد لسبق حكمته البالغة
بذلك ، والحكمة في ذكر
العبادة هنا والتقوى في
المؤمنون وذكر الواو هنا
والفاء هناك ، قيل تفنن
وقيل لأن الخطاب هنا

(و) اذكر مريم (الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من أن ينال (فَدَفَعْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا)
أى جبريل حيث نزع في جيب درعها فحملت بعيسى (وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) الإنس
والجن والملائكة حيث ولدته من غير نخل (إِنَّ هَذِهِ) أى ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم
أيها المخاطبون أى يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)
وحدون (وَتَقَطَّعُوا) أى بعض المخاطبين (أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى تفرقوا أمر دينهم متخالفين
فيه وهم طوائف اليهود والنصارى ، قال تعالى (كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ) أى فنجازيه بصله (فَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ) أى جحود (لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)
بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه (وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها (أَنَّهُمْ لَا)
زائِدَةٌ (يَرْجِعُونَ) أى ممنوع رجوعهم إلى الدنيا (حَتَّى) غاية لامتناع رجوعهم (إِذْ أَفْتَحَتْ)
بالتخفيف والتشديد (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) بالهمز وتركه اسماء أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله
مضاف أى سدما ،

للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك لارسل فناسبه ذكر التقوى وآتى بالواو هنا لأنها لا تقتضى الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق
كان حاصلًا من قبل بخلاف ما يأتى فان التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم
له بل هذه الأمة افتقرت ثلاثاً وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية كما في الحديث (قوله كل إلينا راجعون) تهديد
للكفار . والمعنى أن الله تعالى لا يفت أحدًا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع إليه (قوله من الصالحات)
أى الأعمال المحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) أى لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه ، قال الكفران مصدر
بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار فشبّه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وإنا له كاتبون) أى حافظون للعمل فلا يضيع
منه شئ (قوله وحرام) خبر مقدم وأنهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر ، والمعنى رجوع أهل قرية أهلكتها ممنوع ، وقوله إلى الدنيا
أى إلى البقاء والعباسة فيها ، وقيل إلى الإيمان يعنى أن رجوعهم إلى الإيمان ممنوع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى - ولو ردوا
إلادوا لما تنهوا عنه - (قوله غاية لامتناع رجوعهم) أى فهى متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح أن تكون ابتدائية وتكون
الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قرأتان سبعيتان (قوله اسمان أعجميان
لقبيلتين) أى من نبي آدم يقال إنهم تسعة أمصار نبي آدم وتقدمت قسمتهم .

(قوله وذلك قرب القيامة) أى بعد نزول هبسى وهلاك الدجال حين يأتى ويمكث أربعين يوماً كسنة ويوم كسهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كباقي الأيام ، وفي الحديث «فقلنا يا رسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما أسراعه فى الأرض؟ قال كالغيث استندبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرقى دمشق عليه حلتان بمصرتان فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد فيحصل للخاق جذب عظيم حتى تكون رأس التور خيراً من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل البنف فى رقابهم فيهلكون جميعاً فتملاً رجمهم وحيثهم الأرض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض من آثارهم ثم يقول الله الأرض أبقى ثمرك فيكثر الرزق جداً ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فينهم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحاً لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الأرض كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» وبين موت عيسى والنفخة الأولى وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر نقي عشرة سنة من السنين المعتادة وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى تزوا قبلها عشر آيات : الدخان والدجال والداية وطاوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج (٨٤) من الجن تطرد الناس إلى محشرهم» (قوله وهم من كل حذب ينسانون)

أى يأجوج ومأجوج ينتشرون فى الأرض ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض (قوله واقرب الوعد) عطف على فتحت (قوله أى النصه) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هى والتعقيب عسرفى لأن التفاوت القليل كالعدم

وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسِلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أى يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أى القصة (شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى ذلك اليوم لشدة يقولون (يَا) للتنبيه (وَيَلْنَا) هلاكنا (قَدْ كُنَّا) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أفسنا بتكذيبنا للرسول (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها (لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَوْثَانُ آلِهَةً) كما زعمتم (مَا وَرَدُوهَا) دخلوها (وَكَلٌّ) من العابدين والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ) لهم (لَهُمْ) للعابدين (فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئاً لشدة غليانها . ونزل لما قال ابن الزبيرى عبد عزيز والمسيح والملائكة فهم فى النار على مقتضى ما تقدم (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) ،

المنزلة

فانذع ما يقال إنه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع أن الشخوص لا يوجد

إلى يوم القيامة (قوله يقولون يا بلنا) أشار بذلك إلى أن يا بلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) إضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الأوثان) خصها بالله كرا لأنها كانت معظم معبوداتهم وإلا فالشمس والقمر يصيران نورين عقيرين فى النار (قوله وقودها) أى وسعى حصبا لأنه يرمى بهم فيها كما ترى الحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبيكت عليهم (قوله زفير) أى أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فهدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد «إذا بقى من يخلف فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم تلك التوابيت فى توابيت أخرى عليه مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحدهم منهم أن فى ذلك راحدا يعذب غيره» (قوله ونزل لما قال ابن الزبيرى الخ) حاصل ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنفاً فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفمه ثم تلا عليه : إنكم وما تعبدون من دون حصب جهنم الآيات اثلاث ثم قام فأقبل ابن الزبيرى وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء متصوراً وقد أسلم بعد ذلك فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لحصته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبيرى أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبنو مدحج يعبدون الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان ففرقت هذه الآية رداً عليه .

(قوله للنزلة الحسنى) أى الدرجة والرتبة الحسنى أو المراد الكلمة الحسنى وهى لإله إلا الله أو المراد السعادة الأبدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزير وعيسى والملائكة ، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولاً فهو مبعود عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - والورود يقتضى القرب منها . أجب بأن المراد مبعدون عن عذابها وأهلها فإن المؤمنين إذا مروا على النار تحمد وتقول جز يأمؤمن فإن نورك قد أطفأ لهما وهذا لا ينافى الورد (قوله لا يسمعون حسيبها) أى حركة تلهبها وفى هذا تأكيد بعدم عنها (قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان تجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أى الكافر ، وقيل هو حين تفاق النار على أهلها ويأسون من الخروج ، وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادى بأهل النار خالد بلاموت، وقيل هو جميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالشمس والسرور عند ذلك ، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولأمانع أنها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وطى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فإن هذا الملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه (قوله واللام (٨٥) زائدة) أى والكتاب مفعوله

(قوله أو السجل الصحيفة) أى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) أى سبعة أيضاً (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الأفراد فاللجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق وإضافة أوله من إضافة

النزلة (الحسنى) ومنهم من ذكر (أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيبها) صوتها (وهم فيها أشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وتلقاهم) تستقبلهم (الملائكة) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم) منصوب باذكار مقدراً قبله (نطوى السماء كطى السجل) اسم ملك (للكتاب) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كما بدأنا أول خلق) عن عدم (نميدته) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بتعديد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وعدنا عابدين) منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إننا كنا فاعلين) ما وعدنا (ولقد كتبنا فى الزبور) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزل (من بعد الذكر) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أن الأرض) أرض الجنة (يربها عبادى الصالحون) عام فى كل صالح (إن فى هذا) القرآن (لبلاغاً) كفاية فى دخول الجنة (لقوم عابدين)

الصفة للوصوف ، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيدة ثانياً (قوله بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة . والقول الثانى أن الإعادة بعد تفرق الأجزاء فال فى الجوهرة : وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق (قوله وما مصدرية) أى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدنا علينا) أى فعلينا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على إنفاذه (قوله لمضمون ما قبله) أى الجملة الخبرية (قوله إننا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) أى فال فى الزبور للجنس ، والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الأرض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الأمة وغيرها من الأمم والمراد بالصلاح الموت على الإيمان ، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة وينعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالبراث لأنه ملك مستمر يأتى من غير تكسب ، وأما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطىها لأعدائه ، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرعة ماء» ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية ما ندم الكافر فيها لهواه عاين فقتل الله فى لأزل أن الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) أى من حيث أنه يوصل لمرضاة الله تعالى فى الدنيا ويؤنس صاحبه فى القبر ويؤرض فى الميزان ويرقى به فى درجات الجنة

(قوله عاملين به) أى ممثلين أو امره مجتنبين نواهيه (قوله أى للرحمة) أشار بذلك إلى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لأجله ويصح أن يكون منصوبا على الحال أى أنه نفس الرحمة لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة وبنينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث «إنما أنا رحمة مهداة» (قوله الانس والجن) أى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لأنه رفع بسببه الحسف والسبخ وعذاب الاستئصال ورحمة أيضا من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل إنما يوحى إلى أنما إلهك إله واحد) اعلم أن فى هذه الآية قصرين . الأول قصر الصفة على الموصوف . والثانى بالعكس . والمعنى كما قال المفسر ما يوحى إلى فى أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية فقيه رد (٨٦) على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الأمر) أى فالمراد منه

التخصيص على الإسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أى أنذرتكم به والراد بالحرب عمارته هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بأنى عمار بكم والحال أنى وأتم مستوون فى العلم بنقض الصالح لثلاث أنسب للغدير المذموم فاعلمه (قوله لتأهبوا) أى لتستعدوا وتتهيئوا له وهو علة للبنى لا للبنى فالبنى لا أستبد به بل أعلمتكم لتأهبوا (قوله وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدري الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وإنما علمه موكول إلى الله ، والمراد بالعذاب تعذيبه بإمام بحزبه فى الدنيا وقوله أو القيامة أى

عاملين به (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا رَحْمَةً) أى للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّتِي إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ) أى ما يوحى إلى فى أمر الإله إلا وحدانيته (قُلْ أَنْتُمْ مُسْأَلُونَ) منقادون لما يوحى إلى من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن ذلك (قُلْ أَذَنْتُكُمْ) أعلمتكم بالحرب (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أى مستوون فى علمه لا أستبد به دونكم لتأهبوا (وَإِنْ) ما (أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتمة عليه وإنما يعلمه الله (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أتم وغيركم من السر (وَإِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فَتِنَّةٌ) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَىٰ حِينٍ) أى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قُلْ) وفى قراءة قال (رَبِّ أَحْكُم) بينى وبين مكذبنى (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا بيدر وأحد والأحزاب وحنين والحنديق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولداً ، وعلى فى قولكم ساحر ، وعلى القرآن فى قولكم شعر .

(سورة)

تعذيبهم بالنار (قوله إنه يعلم الجهر من القول) أى ما تقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله أى ما أعلمتكم به) أى وهو تأخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) أى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للأول الخ) حاصله أن قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع إلى حين فهو محقق الحصول والأحسن أن يجعل قوله ومتاع خبرا لمخدوف تقديره ، وهذا متاع إلى حين أى وتأخير عذابكم متاع أى تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل والجملة مستأنفة (قوله وفى قراءة قال) أى وهى سبعة أيضا فلا يرى أمر . والثانية إخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أى عجل النصر لى والعذاب لأعدائى (قوله والحنديق) المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب (قوله المستعان) أى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) أى على وصفكم لر بكم وتلبيه بالنقائص . فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إلى الله والصبر على المشاق تعليما لأئمة حسن الاتجاه إلى رسهم

[سورة الحج ، مكية] سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله إلا ومن الناس الحج) هذا أحد قولين في اللفظ منها (قوله أو إلا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أي وتنتهي إلى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآياتان متعلقتان بالمومنين ، وقيل إن السورة كلها مدنية وقيل إلا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلى قوله عذاب مقيم فهي مكيات والتحقيق أنها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا ساميا وحريرا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أي أنها سبعون آية جزما والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أي أهل مكة) إما برفع أهل يلى أن أى حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على أن أى حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو نصب وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أى بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (قوله إن زلزلة الساعة الحج) تعليل للأمر بالتقوى . والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج قال تعالى : إن للتقين في مقام أمين وإضافة زلزلة الساعة من إضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الأرض وإسناد الزلزلة (٨٧) الساعة مجاز عقلى لأنها مقدمتها

ومن علاماتها الكبرى

لماروى في حديث الصور :

إنه قرن عظيم ينفخ فيه

ثلاث نفخات نفخة الفزع

ونفخة الصعق ونفخة

القيام لرب العالمين وأن

عند نفخة الفزع يسير الله

الجبال وترجف الراجفة

تدبعها الرادقة تلأوب يومئذ

واجفة وتكون الأرض

كالسفينه تضربها

الأمواج أو كالنديل للعلق

تحركه الرياح (قوله أى

الحركة الشديدة) أى

وتكون تلك الحركة

في نصف رمضان (قوله

التي يكون بعدها طلوع

(سورة الحج)

مكية إلا ومن الناس من يعبد الله الآيتين ، أو إلا هذان خصمان الست آيات فدييات
وهى أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة وغيرهم (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى
عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) أى الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع
الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة (شئ عَظِيمٌ) في إزعاج الناس الذي هو نوع من
العقاب (يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أى تنساه
(وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أى حبلها (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) من شدة الخوف
(وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) من الشراب (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه . ونزل في النضر بن
الحرث وجماعة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن
أساطير الأولين ، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا (وَيَقْبَعُ) في جداله (كُلُّ شَيْطَانٍ ،

للشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أن تلك الزلزلة تكون في الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول
قوله تعالى : تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا وقيل تكون مع النفخة لأولى وقيل تكون
مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل كل مرضعة مبالغة أى أن الزلزلة من شدة هولها وعظمة شأنها أن
تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للرضاع (قوله عما أرضعت) يصح أن تكون ماصدرة
أى عن إرضاعها ويصح أن تكون موصولة أى عن الذى أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان في بطن أو على
رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه
الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الحج فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا في غزوة بنى المصطلق
ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأها عليهم فلم يركبوا كيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا
السروج عن الدواب ولم يضربوا الحيام ولم يطبخوا والناس من بين بالك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل في الله) أى في قدرته
وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أى حيث قالوا أنمادمتنا وكنا ترابا وعظاما أننا

جعوتون خلقا جديدا (قوله مرید) أي عاتق والرداء إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده وهو الأقرب لقوله في الآية الأخرى : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبني للفعل وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) إما شرطية والفاء واقفة في جوابها أو موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبهه للتبديل بالشرط (قوله يدعوهم) أي وصي الدعاء هداية تهكما بهم (قوله أي النار) أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة السعياة بذلك (قوله بأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في البعث ذكر دليلين على ذلك : الأول في نفس الانسان وابتداء خلقه . والثاني في الأرض وما يخرج منها فاذا تأمل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وأنه واقع لاحالة (قوله ثم من علقته) أي بأن (٨٨) نصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنون

مَرِيدٍ (أَي مَتَرِدٍ) (كُتِبَ عَلَيْهِ) نَفْسٌ عَلَى الشَّيْطَانِ (أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ) أَي اتَّبَعَهُ (فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ) يَدْعُوهُ (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أَي النَّارِ (بِأَيِّهَا النَّاسُ) أَي أَهْلُ مَكَّةَ (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شَكٍّ (مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أَي أَصْلَحْنَاكُمْ (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) خَلَقْنَا ذُرِّيَّتَهُ (مِنْ نُطْفَةٍ) (مِنْ) (ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ) وَهِيَ الدَّمُ الْجَامِدُ (ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ) وَهِيَ لَحْمَةٌ قَدْرٌ مَا يَمِضُغُ (مُخَلَّقَةٍ) مَصُورَةٌ تَامَةٌ الْخَلْقِ (وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ) أَي غَيْرِ تَامَةِ الْخَلْقِ (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) كَمَا قَدَرْنَا لِمَسْتَدَلُّوا بِهَا فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ عَلَى إِعَادَتِهِ (وَتَقْرَأُ) مُسْتَأْنَفٌ (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وَقَدْ خَرُجَ (ثُمَّ نَخْرُجُكُمْ) مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ (طِفْلًا) بِمَعْنَى أَطْفَالًا (ثُمَّ) نَصْرَمُكُمْ (إِنِّي لَنُفِئُونَا أَشَدَّكُمْ) أَي الْكَمَالَ وَالقُوَّةَ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً (وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى) يَمُوتُ قَبْلَ بُلُوغِ الْأَشَدِّ (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أَخْسَهُ مِنَ الْمَرَمِ وَالْحَرْفِ (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قَالَ عِكْرَمَةُ مِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَصِرْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يَابِسَةً (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تَحْرَكَتْ (وَرَبَّتْ) ارْتَفَعَتْ وَزَادَتْ (وَأُنْبِتَتْ مِنْ) زَائِدَةٌ (كُلُّ زَوْجٍ) صِنْفٍ (بِهَيْجٍ) حَسَنٍ (ذَلِكَ) لِلذِّكْرِ مَنْ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ إِلَى آخِرِ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ (بِأَنَّ) بِسَبَبِ أَنْ (اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ) الثَّابِتُ الدَّائِمُ (وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة لما ورد أن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث أربعين يوما ثم تصير دما في الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة وانفقوا على أن تفتح الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك أربعة أشهر (قوله تامة الخلق) أي تامة التصوير بأن خاق الرأس واليدين والرجلان (قوله أي غير تامة الخلق) أي غير تامة التصوير بأن لم يخلق فيها شيء من ذلك (قوله كمال قدرنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله وتقرئ الأرحام ما نشاء) أي فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أي معين لإخراجه فتارة يخرج لسته أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر في الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف أي كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أزدل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والحرف) بفتح الحاء هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بربد أي لكيلا يعلم من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أي فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأمام فلا يردون إلى الأزدل بل يزداد عقلهم كما طال همهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أي في رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أي هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذي

وإن

قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله وتقرئ الأرحام ما نشاء) أي فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أي معين لإخراجه فتارة يخرج لسته أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر في الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف أي كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أزدل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والحرف) بفتح الحاء هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بربد أي لكيلا يعلم من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أي فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأمام فلا يردون إلى الأزدل بل يزداد عقلهم كما طال همهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أي في رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أي هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذي

لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته (قوله وأن الساعة آتية) تؤكد لقوله وأنه يحيى الموتى وكذا قوله - وأن الله يبعث من في القبور - (قوله ونزل في أبي جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بأبي الحكم (قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الأول، والمعنى أن الكفار تنوعوا في كفرهم فبعضهم كان يقاتل غيره في الكفر وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم، وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره في الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك وهو الآتي في قوله - ومن الناس من يعبد الله على حرف - وحينئذ فليس في الآية تكرار (قوله بغير علم) أى معرفة وقوله ولا هدى أى استدلال وقوله ولا كتاب أى وحى. والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانياً عطفه) أى لاوى جنبه، والمراد منه الاعراض عن الحق لأن شأن من أعرض عن شئ لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلّى الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجماع الاعراض في كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والعامّة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذاً بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كأنه قال تاركاً تعطفه أى رحمته وتمسك بالقسوة (قوله أى لاوى عنقه) الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب إلا أن يقال يلزم من لى الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بجادل وقوله بفتح الياء أى فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل له الضلال في نفسه وقوله وضمها أى فهو متعد. والمعنى ليوقع غيره في الضلال (٨٩) وهما قراءتان سبعيتان واللام

للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) في بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التشويز على حد شرأه ذائب (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف لصفته: أى العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أى من قبل الله على السنة

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّأَرْبَابٍ شَكَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) مَعَهُ (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) لَهُ نُورٌ مَعَهُ (ثَانِيًا عِطْفُهُ) حَالٌ أَيْ لَاوِي عِنْفَهُ تَكْبَرًا عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْعِطْفُ الْجَانِبُ عَنِ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ (لِيَضِلَّ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أَيْ دِينِهِ (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عَذَابٌ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ (وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أَيْ الْإِحْرَاقَ بِالنَّارِ وَيُقَالُ لَهُ (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ) أَيْ قَدَّمْتَهُ، عِبْرَةٌ عَنْهُمَا دُونَ غَيْرِهَا لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَمْثَالِ تَزَاوَلُ بَيْنَهُمَا (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أَيْ بَدِيءٌ ظَلَمَ (لِلْعَبِيدِ) فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أَيْ شَكٍّ فِي عِبَادَتِهِ شَبَّهَ بِالْحَالِ عَلَى حَرْفٍ جَبَلٍ فِي عَدَمِ ثَبَاتِهِ (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) نَحْوَةَ وَسَلَامَةً فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ (أَطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) مَحْنَةٌ وَسَقَمٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ،

ملائكة العذاب (قوله ذلك) أى ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليمين بالله كرم مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاوَل) أى تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أى بدى ظلم) أى فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال إن نفي الكثرة يستدعى ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه لأن حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يستل عمافعل وحينئذ فلا يليق من اشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وإنما يرضى وإسالم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أى ومماه ظلماً لأنه وعد الطائغ بالجنة ووعد لا يتخاف لكن لو فرض لم يكن ظلماً (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت في المناقطين وأعراب البوادي كان أحدهم إذا قدم المدينة فصح فيها جسمه وتجت بها فرسه مهراً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله قل هذا دين حن وقد أصبت فيه خيراً وطمأن له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه. قال ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أى متزلاً وقد صار مثلاً لكل من كان عنده شك في شئ (قوله أى شك في عبادته) أى ضف يقين فيها (قوله شبه بالحال) على حرف جبل في عدم ثباته) أشار بذلك إلى أن في الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل تحته مهلو بجماع التزلزل وعدم الثبات في كل (قوله اطمأن به) أى رضى به وسكن إليه (قوله فتننة) المراد بها هنا كل مكروه لطبع وتهييل على النفس ولم يقل وإن أصابه شر ليقع في مقابلة الخبر لأن ما يخبر [١٢ - صاوى - ثالث]

هذه الطبع ليس شراً في نفسه بل لقد يكون خيراً إذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) أي ارتد للحالة التي كان عليها أولاً من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بغوات مأملة) أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه (قوله ذلك هو الحسran اللين) أي الذي لا حسran مثله لغوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصم) لامفهوم له بل مثله كل مخلوق . والحاصل أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال أيضاً للتجأ للمخلوق وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق . وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمات كمواساة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو في الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذلك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لامنشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أي ومن مفعول يدعو وضرة مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من . إن قلت إنه أثبت الضم والنفع هنا ونفاها فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض . أجييب بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالدم محذوف (٩٠) (قوله وعقب ذكر الشاك بالحسran) الجار والمجرور حال من الشاك والباء

للإلياسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب ، والمعنى لما ذكر الشاك في الدين حال كونه ملتبسا بالحسran ذكر عقبه للمؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) أي وهي ما أمر بها المكلف أمراً جازماً يعزب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هي ما أمر بها الشخص أمراً غير جازم يعزب على فعلها الثواب ويلبس في تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها)

(أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي رجع إلى الكفر (حَسِرَ الدُّنْيَا) بغوات ما أمّله منها (وَالْآخِرَةَ) بالكفر (ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُنِينُ) البين (يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الصم (مَا لَا يَنْصُرُهُ) إن لم يعبده (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الحق (يَدْعُوا لَمَنْ) اللام زائدة (ضُرَّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) إن فجع بتخيله (لَيْئَسَ الْمُؤْمِنِ) هو أي الناصر (وَلَيْئَسَ الْمَشِيرُ) صاحب هو ، وعقب ذكر الشاك بالحسran بذكر المؤمنين بالثواب في (إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) إن الله يفعل ما يريد من إكرام من يعطيه وإهانة من يعصيه (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ) أي محمداً نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بجبل (إِلَى السَّمَاءِ) أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ) في عدم نصرته النبي (مَا يَعْظِمُ) منها، المعنى فليختنق غيظاً منها فلا بد منها (وَكَذَلِكَ) أي مثل إزالنا الآيات السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن الباقي (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ظاهرات ،

حال

أي من تحت قصورها (قوله إن الله يفعل ما يريد) أي فلا معقب لحكمه

ولا يستل هما يفعل (قوله من كان يظن أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف ، وأما قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد . والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكيين في دينهم أن الله لا ينصر محمداً في الدنيا والآخرة فليات بجبل يشده في سقف بيته وفي عنقه ثم يختنق به حتى يموت فليظن هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرته محمد فالإتيان بالجبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظاً فيكون بمعنى قوله تعالى - قل موتوا بغيظكم - وهذا هو المشهور في تفسير الآية ولما مشى عليه الفسر . وقيل إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً فيطلب حياة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك (قوله بلن يقطع نفسه) بالتحريك ، وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما في الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بجبل إلى السماء الخ . والصحاح فتح الصادام كتاب في اللغة للامام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري (قوله ما يَعْظِمُ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويضبط صلتها والعائد محذوف والتقدير الشيء الذي يَعْظِمُ (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرته النبي

(قوله حال) أى من الهاء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فالهوى وأنزلنا إن الله يهدى من يريد أى ويضل من يريد فى الآية اكتفاء (قوله إن الذين آمنوا الخ) أى فالآديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس ويقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس أبدلت النون ميم (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله إن الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله إن الله يفضل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذى لا يفتى عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ، ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الأرض وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقة لأنه ورد «ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له» وقال تعالى - والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر إلى أنه معطوف على (٩١) فاعل يسجد (قوله يشقه)

أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله إن الله يفعل ما يشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر ، وسبب نزولها تخاصم حمزة وطى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر ، وقيل نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب

حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) هذاه معطوف على هاء أنزلناه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِغِينَ) طائفة منهم (وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بادخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من عملهم (شهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) يخضع له بما يراد منه (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الاهانة والاكرام (هَذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة (يُضْرَبُ) يذاب (بِهِ مَائِنِ بَطُونٍ) من شحوم وغيرها ،

نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون نحن أحقّ بالله منكم آمننا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا . واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ، ولنا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجنوا يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لأنه مصدر فى الأصل ، والنائب لاعتداله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى - وهل أتاك نبأ الخصم - ويتنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى - وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا - (قوله أى فى دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى تمدرت على قدر جنهم ، فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترتها لأبدانهم ، وجمع الثياب لأن زكركم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ، ولما ذكر ما يصيب ظاهرا الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذوب ما فى البطن من الأحياء لما فى الحديث «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم

حق يخلص إلى جوفه فيسلب ماني جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يصاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع فصل مقتر لأن الجلود لا تذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيديا فيها) أى لما ورد « إن جهنم تفور بهم فيضطدون إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهبون فيها سبعين خريفا » (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم لللائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله إن الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل في حقهم والذين آمنوا عطفًا على قوله فالذين كفروا إشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الأنهار) جمع نهر والنفى تجرى من تحت قصورهم (قوله من أساور) من إمازائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لا ابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ، وفي آية هل آتى - وحلوا أساور من فضة - فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد « إن المؤمن يسور في الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفي الحديث « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الضوء » (قوله ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث (٩٢) لم يقل ويلبسون فيها حريرا إشارة إلى أن الحرير نياهم المعتادة في الجنة

فان السدرول إلى الجملة
الاسمية يدل على الدوام
(قوله وهو المحرم لبسه
على الرجال في الدنيا)
أى بوصولهم الله في الآخرة
إلى ما حرمه عليهم في
الدنيا . قال عليه الصلاة
والسلام « من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة » واختلف في
معنى الحديث ف قيل لم
يلبسه في الآخرة إذا مات

(و) تشوى به (الجلود) . وَكَمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ لضرب رؤوسهم (كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) أى النار (مِنْ غَمٍّ) يلحقهم بها (أَعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها بالمقامع (و) قيل لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى البالغ نهاية الإحراق، وقال في المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) بالجر أى منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب عطفًا على محل من أساور (وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا (وَهُدُوا) في الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ) أى طريق الله الحمودة ودينه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبداً (لِلنَّاسِ) ،

سواء

مصراودخل النار فلا ينافى أنه إذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة

بل يتنعم بغير الحرير وأما هو فلا يشتهيها فيها والاعتماد الأول . وكذا يقال في الأحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى أفضل القول لمنافى الحديث « أفضل ما قلته أنا والتببون من قبلى لا إله إلا الله » فهى رأس المال لذا كرها لا يقبل شيء من الأعمال إلا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة . نسأل الله تعالى الثبات عايبها في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله إلى صراط الحميد) أى وهو دين الاسلام وسعى صراطا لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى (قوله أى طريق الله الحمودة) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود في أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ فاما أن يراد بالماضى المضارع أو بمجرد المضارع عن معناه بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب المطف وهذا هو الأحسن ولا يصح جعل جملة ويصدون حالا لأن الجملة المضارعية للثبته إذا وقعت حالا لاتقرن بالواو . قال ابن مالك :

وذلك بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لأن الأصل عدمها وخبر إن محذوف يقتر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من عذاب اليم عليه فاسيأتى في التفسير (قوله منسكا) قدره إشارة الى أن مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف فهو لما متعلق بمنسكا الذى قدره للتفسير أو بجعلنا وهذا التقدير إنما هو لإيضاح المعنى والألا فيصبح جعل جملة سواء الطائفت

فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العا كف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعا كف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعا كف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ . وللمعنى أن المقيم في المسجد والطارى سواء في النزول به فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها فالقريب وأهل البلد سواء فيها بل هي مملوكة لأربابها ويحوز بيعها وإيجارها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفنا أو حذفها فيهما أو حذفها وقفا وإثباتها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وقوله الطارى فع به ما يتوهم من قوله البادى أن المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارى كان من البادية أولا وإسماعى الطارى باديا لأنه لا يأتي إليها إلا من البادية (قوله ومن يرد فيه) أى يقصد فى المسجد الحرام (قوله بالحاد) أى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) أى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أى فى الآخرة إلا أن يتوب . وأخذ منه أن السبئة فى مكة أعظم من السبئة فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير أهلها ونادى بالمدينة (قوله ومن هذا) أى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر إن) أى ويكون مقفرا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن قوله بوأنا ظرف المحذوف (قوله بينا لإبراهيم مكان البيت) أرينا أصله لينيه حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر فى تلك الأرض وأنتم الله عليهما بزمن (٩٣) فدعا الله بعمارة هذا البيت ،

فبعث الله له ريحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعد عليه لأن أساسه فى الأرض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم ، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بجذاء البيت وفيها رأس يتكلم بإبراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل

سواء العاكف المقيم (فيه والباد) الطارى (ومن يرد فيه بالحاد) الباء زائدة (بظلم) أى بسببه بأن ارتكب منيها ولو شتم الخادم (نذقه من عذاب أليم) مؤلم أى بعضه ، ومن هذا يؤخذ خبر إن ، أى نذيقهم من عذاب أليم (و) اذكر (إذ بوأنا) بينا (لإبراهيم مكان البيت) لينيه وكان قد رفع زمن الطوفان وأمرناه (أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى) من الأوثان (للطائفين والقاتلين) المقيمين به (والرؤكع الشجود) جمع راعى وساجد : المصلين (وأذن) نادى (فى الناس بالحج) فنادى على جبل أبى قبيس : يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر (يا أتوك رجلا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام ،

الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت و بناه قبله شيث وقبل شيث آدم وبنى شيث آدم للملائكة ثم بعد إبراهيم بناه العمالق ثم جره ثم قصى ثم قرىش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بناءه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجدها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره إشارة إلى أن قوله أن لا تشرك معمولا المحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الأوثان) قيل المراد بها الأصنام لأن جرهما والعمالق كانت لهم أصنام فى محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن إظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الأقدار والأنجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) أى بالدعاء إليه والأمر به (قوله على جبل أبى قبيس) أى فلما صعد للنداء خفضت الجبال رهوسها ورفعت له القرى ، فنادى فى الناس بالحج ، فأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ ، فمن لبي مرة حج مرة ، ومن لبي مرتين حج مرتين ؟ ومن لبي أكثر حج بقدر تليته (قوله لبيك اللهم لبيك) أى أجبتك إجابة بعد إجابة (قوله يا أتوك) أى أتوا مكانك لأن المقصود آتيان البيت لا آتيان إبراهيم وقوله رجلا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راهكب البحر لا يجب عليه الحج لأن مكة ليست على البحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحائتين .

(قوله وعلى كل ضامر) التضمير في الأصل أن نعلف الفرس حتى يسمن ثم نقلل عنه الأكل شيئا فشيئا حتى يصل إلى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجرى وقدم الرجل لما ورد أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات المحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة ، وأخذ الشافعي من هذا الحديث أن المشي أفضل من الركوب ، وقال مالك الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشي أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهي لا تقضى لأفضلية (قوله حملا على المعنى) أي حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتي (قوله بالتجارة) أي لأنها جائزة للحاج من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أي عند إعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذى الحجة) أي وصيبت معلومات لحرض الحجاج على علمها لأن وقت الحج في آخرها (قوله إلى آخر أيام التشريق) راجع للتولين قبله (قوله على مارزقهم) أي لأجل مارزقهم (قوله فكلوا منها) أمر بإباحة مخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا جاز الأكل منه ، واختلفوا في الهدى الواجب فقال الشافعي لا يأكل منه (٩٤) وقال مالك يأكل من كل هدى وجب إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى

والنذر إذا قصد به الساكن . وقال أصحاب أبي حنيفة يأكل من دم النتح والقران ولا يأكل من واجب سواها (قوله ثم ليقضوا نفهم) أي بعد تمام حجهم وتحللهم لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمي فالنحر فالحلق فطواف الأفاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شيء كان محرما عليه قبل الأحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لأنه أول بيت وضع) وقيل

(وَ) ركبانا (على كل ضامر) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يأتين) أي الضواصر حملا على المعنى (من كل فحج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) أي يحضروا (متأفح لهم) في الدنيا بالتجارة ، أو في الآخرة ، أو فيهما أقوال (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) أي عشر ذى الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكلوا منها) إذا كانت مستحبة (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقضوا نفهم) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليؤفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) طواف الأفاضة (بالبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور (ومن يمتظم حرمات الله) هي ما لا يحل انتهاكها (فهو) أي تعظيمها (خير له عند ربه) في الآخرة (وأحل لكم الأنعام) أكلها بعد الذبح (إلا ما يتلى عليكم) تحريمه في : حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه

(فاجتنبوا)

سمى عتيقا لأن الله أعتقه من تسلط الجبارة

عليه ومن الفرق لأنه رفع أيام الطوفان (قوله أي الأمر أو الشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمخبرف وهذا على عادة النصحاء إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض في كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد (قوله هي ما لا يحل انتهاكها) أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمها في الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفي المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدي لذلك (قوله خير له عند ربه) أي قرينة وطاعة يثاب عليها في الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزرهه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد «رب شهوة ساعة أورث حزنا طويلا» (قوله الأنعام) أي الإبل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أي أو النحر أو العقر (قوله إلا ما يتلى عليكم) أي إلا بدلول الآية التي تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أي ووجهه أن في الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم والحزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أي ووجهه العموم في قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقا ولو منخقة وموقودة ومتردية فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية .

(قوله أَجْتَنِبُوا الرَّجْسَ) هو في الأصل القفر والأوساخ وعبادة الأوثان فذكر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيصه لأن عبادة الأوثان رأس الزور (قوله أى الشرك بالله في تليبتهم) أى فاهم كانوا يقولون ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) أى الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) أى فى اجتنابوا لكن الأولى مؤسفة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للشرك ، والمعنى أنه شبه حال الشرك بحال الهاوى من السماء فى أن كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة إما بتخطف الطير لهما أو تفرقة الرياح لأجزائه فى أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الأمر مبتدأ) أى واسم الإشارة خبر نظير ما تقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهى البدن) فسرهما بذلك وإن (٩٥) كانت الشعائر فى الأصل أعلام

الحج وأفعاله مراعاة للسباق (قوله بأن تستحسن) أى تختار حسنة بأن تكون غالبية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أى من امتثال الأوامر واجتناب النواهي وقوله منهم قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أى بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كظمن حديدة بسنامها) أى وشق الجلال وإخراج السنام من الشق وكتعليق النعال فى رقبته (قوله كركوبها والحمل عليها) أى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أى عنده) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى عند (قوله

(فَأَجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من للبيان أى الذى هو الأوثان (وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أى الشرك بالله فى تليبتهم أو شهادة الزور (حُنَفَاءَ لِلَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ سَقَطًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ) أى تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أى هو لا يرجى خلاصه (ذَلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أى فإن تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدى كظمن حديدة بسنامها (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ يَحْمِلُهَا) أى مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْمَقْبُورِ) أى عنده ، والمراد الحرم جميعه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنَسْكَ) بفتح السين مصدر وبكسرهما اسم مكان أى ذبحاً قرباناً أو مكانه (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) عند ذبحها (قَالُوا كُمْ إِلَهُ وَوَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) اللطيمين المتواضعين (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) من البلايا (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فى أوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة وهى الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع فى الدنيا كما تقدم وأجر فى المقبى (فَإِذْ كُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافٍ) قائمة على ثلاث مقولة اليد اليسرى ،

والمراد الحرم جميعه) أى لخصوص الكعبة (قوله أى ذبحاً قرباناً) مفعول للمصدر الذى هو ذبحاً ، والمعنى أن يذبحوا قربان وقيل معنى منسكاً نوعاً من التعبد والتقرب (قوله ليدكروا اسم الله) مضاه أمرناهم عند ذبحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الأنعام) أى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أى خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لأن الاخبات نزول الحبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين إذا ذكر الله) أى بأن سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بأنفسهم (قوله من البلايا) أى المحن بأن لا يجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أى صدقة التطوع ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى (قوله وهى الإبل) أى فالبدن عند الشافى خاصة بالإبل ، وقال أبو حنيفة البدن الإبل والبقر وهى كل حال فالبدن من شعائر الله أيضاً (قوله لكم فيها خير) الجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) أى بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله ، والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله قائمة) الناسب أن يقول قائمات

(قوله فاذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا سقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبيه لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن (قوله سقطت إلى الأرض) أي فالجوب السقوط ، يقال وجبت الشمس : أي سقطت (قوله فكلوا منها) أي إن كانت مستحبة باتفاق وكذا إن كانت واجبة عند مالك إلا في جزاء الصيد وفدية الأذى والتذر إذا قصد به الساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي (قوله وأطعموا القانع) أي المستغنى بما أعطيه التمتع مما في أيدي الناس الذي لا التفات له إليهم الذي قال الله في حق من انصف بصفته : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وقال الامام الشافعي رضى الله عنه :

أمت مطامى فأرحت نفسى فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففي إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص عانته مهانة وصلاته هون

(قوله أي مثل ذلك التسخير) أي المفهوم من قوله صواف (قوله وإلا لم تطلق) أي وإلا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه الشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضمينها بالدم تقربا إلى الله تعالى (قوله أي (٩٦) لا يرفعار إليه) أي وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصديق (قوله لتكبروا

(فَأَذا وَجِبَتْ جُنُوبُها) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكَلُوا مِنْها) إن شئتم (وَأَطْعَمُوا الْقانِعَ) الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (وَالْمُتَعَرِّجَ) السائل أو المتعرض (كَذَلِكَ) أي مثل ذلك التسخير (سَخَّرَناها لَكُمْ) بأن تنحروا وتركبوا وإلا لم تطلق (لَمَلَكُمْ تَشْكُرُونَ) إنا مى عليكم (لَنْ يَنالَ اللهُ لُحُومَها وَلَا دِماؤها) أي لا يرضان إليه (وَلَكِنْ يَنالُهُ التَّقوى مِنْكُمْ) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (كَذَلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِيَكْبُرُوا اللهُ عَلَى ما هَداناكُمْ) أرشدكم لمعلم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أي الموحدين (إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللهَ لا يَحبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فى أمانته (كَفُورٍ) لنمته وهم المشركون المعنى أنه يماقبهم (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتِلُونَ) أى المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت فى الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (ظالمُونَ) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ)

الله على ما هداكم) أي بأن تقولوا : الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أي برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله إن الله يدفع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كان

قائلا يقول بأى شىء تمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع

فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنها يمكثون من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم ، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف العمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون ما لهم للعز والنصر والفوز الأكبر وإن امتنعوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره إشارة إلى أن للفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهي ما يصبب الإنسان من الكروه (قوله فى أمانته) مفرد بضاف أى أماناته وهي الأوامر والنواهي (قوله وهم المشركون) أى لأنهم خائنون كافرون فى كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين لأن شأن الخائن يجازى على خيائه بالخزى والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أى يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفى قراءة سبعة أيضا يقاتلون بالبناء للفعول (قوله وهذه أول آية نزلت فى الجهاد) أى بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نيف وسبعين آية ، وذلك أن مشركى مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية حينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وإن الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة

سيفتح وعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية .

(قوله هم الذين) فدر للفسر الضمير إشارة إلى أن الوصول خبر محذوف وهو أحد أوجه في إعرابه ريبح أن يكون هنا أو بيانا أو بدلا من الذين الأول أو منصوبا على المدح (قوله إلا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره للفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل ، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم إلا تعصب الشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين . إن قلت إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه . أجب بأن سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب الشركين عليهم ولا يصح استثناءه من المذكور لأنه محصور المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود وإضافة دفع لما بعده من إضافة المصدر لفعاله وقوله بعضهم أي الكافرين وقوله ببعض أي المؤمنين ، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم في زمن موسى الكنايس التي كانوا يصلون فيها في شرعه ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن نبينا المساجد ، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطار كل دين يخالف دينه قال تعالى - ومن يتبع غير الاسلام ديننا فان يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين - فالعنى لولا عز (٩٧) الاسلام وقوة شوكته ما عبد الله

في أي زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهي المثل المرتفع البناء في الأماكن الخالية (قوله للرهبان) أي وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنايس بذلك لأنه صلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوتا بفتح الصاد والثاء المثناة والقصر ومعناه في لغتهم

م (الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ) في الإخراج ، ما أخرجوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أي يقولهم (رَبَّنَا اللَّهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بَبَعْضٍ كَلَّمَتِ) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صَوَامِعُ) للرهبان (وَبِيعُ) كنايس للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) كنايس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذَكِّرُ فِيهَا) أي في المواضع المذكورة (أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بخرابها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أي ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع في سلطانه وقدرته (الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَخْرَجُوا بِالْمَعْرُوفِ) وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله م مبتدأ (وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي إليه مرجعها في الآخرة (وَإِنْ يَكْذِبُوكَ) إلى آخره فيه نساية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (قَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ) قوم هود (وَثَمُودٌ) قوم صالح (وَقَوْمُ إِزْرَائِيلَ) وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكَذَّبَ مُوسَى) :

المصلى (قوله اي ينصر دينه) اي واوليائه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر اوليائه بأعدائه ومعنى نصر العبيد لرهبهم هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله أو بإضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلاء (قوله منيع في سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أمجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين إن مكناهم في الأرض الخ) يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله (قوله جواب الشرط) أي قوله أقاموا أو ما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) أي الشرط وفعله وجوابه (قوله صلة الموصول) أي لا محل لها من الإعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أي على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم (قوله والله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه فيجازى كل شخص بعمله إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله وإن يكذبوك) أي يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك والضمير عائد على أهل مكة ، والمعنى لا تحزن وتسل فلست بأول من لذبته قومه (قوله باعتبار المعنى) أي وهو الأمة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارها بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكر وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا لأنهم ساجدون عليهم في التكذيب له خصوصا

بأنه كر لسبقهم بالتكذيب .

[١٣ - صاوى - ثالث]

(قوله كذبه القبط لأقومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل في هذا الأخير لفصول ، والقبط بوزن القسط أهل مصر (قوله فأملت للكافرين) وضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التشنيع عليهم (قوله أي إنكارى عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الإنكار (قوله باهلا بهم) أي بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أي واللغى فليقر المخاطبون بأن إهلاكهم لهؤلاء كان واقعا موقعه وفي الحقيقة هو مضمن معنى التعجب . وللغى ما أشد ما كان إنكارى عليهم (قوله فكأين) مبتدأ ومن قرية تميز وقوله أهلكتها خبره وقوله وهي ظالمة الجملة حالية . واللغى عدد كثير من القرى أهلكتها والجمال أنها ظالمة (قوله وفي قراءة) أي أي وهي سبعية أيضا (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهي خاوية على عروشها) أي تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبمعةطة) قدر المفسركم والجار إشارة إلى أنه معطوف على قرية . واللغى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها ، وقيل إن البئر واحدة معهودة وهي التي نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر من آمن به ونجى الله من العذاب وهم محضرموت ، وصحبت بذلك لأن صالحا حين خضرها مات وهناك بلدة عند البحر اسمها حاضورا (٩٨) بناها قوم صالح وصرخوا عليهم جلس بن جلاس وأقاموا بهازمانم كفروا وعبدوا

كذبه القبط لأقومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أهلهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكارى عليهم بتكذيبهم بإهلاكم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه (فَكَأَيْنَ) أي كم (مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا) وفي قراءة أهلكتها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أي أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سفوحها (وَ) كم من (بَيْتٍ مُعْطَلَةٍ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرِ مَشِيدٍ) رفيع خال بموت أهله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أي كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) منازل بالكاذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيمتبروا (فَأَنبَأَهَا) أي القصة (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالذَّبَابِ وَلَنْ يُخَفِّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَنَّ سَنَةً) مما تعدون (بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ فِي الدُّنْيَا ،

صنا وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بقرهم وخرب قصورهم ، والتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله أفلم يسبروا) الممزجة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أغفلوا فلم يسبروا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليصبروا وهم وإن كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجلسوا كأن لم

(وَأَيْنَ)

يسافروا ولم يسبروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على

قوله يسبروا المنقح فهو منقح أيضا (قوله منازل بالكاذبين) مفعول يعقلون (قوله أي القصة) أي وما بعده تفسير له (قوله لانعمى الأبصار الخ) أي فالحال ليس في حواسهم الظاهرية وإنما هو في قلوبهم فترتب على ذلك انهما كهم في الشهوات وعدم إذعانهم للحق لأن عمى القلب هو الضار في الدين لما ورد في الحديث «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (قوله تأكيد) أي قوله التي في الصدور تأكيد للقول لأن من العلوم أن القلوب حالة في الصدور ، ومنه قولهم سمعت بأذني ونظرت بعيني (قوله ويستعجلونك بالعذاب) أي يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون أين ما وعدتنا به مع صكوننا كذبناك كما كذبت الأمم الباطية رسلهم (قوله ولن يخفف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا وتضمن قوله وإن يوما عند ربك الخ عذابهم في الآخرة فهم يعذبون مرتين في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أي فقتل منهم سبعون وأسر سبعون من صناديدهم (قوله كأن سنة) اقتصر على الألف لانه منتهى العدد لا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه (قوله بالباء والياء) أي فيها قراءة فان سهلتان .

(قوله وكأين من قرية) أتى هنا بالوار مناسبة ما قبلها في قوله : ولن يخلف الله وعده وإن يوما الخ بخلاف الأولى فأتى بالفاء
لناسبة ما قبلها في قوله : فكيف كان نكير ، فأتى كل بما يناسبه (قوله قل يا أيها الناس) للوصوفون باستحجال العذاب وقد
جرت عادة الله في كتابه أنه يخاطب المؤمنين بيا أيها الذين آمنوا وكفار مكة بيا أيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) فتره
إشارة إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التعميم للذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أي من الذنوب الصغار والكبار (قوله والذين
سعوا) أي اجتهدوا (قوله باطلها) الباء بمعنى في ، والمعنى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا في القرآن إنه أصاير الأولين وسحر
وكهانة (قوله من اتبع النبي) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف (قوله ويطغونهم) أي يعوقونهم ويشغلونهم (قوله
أومقدري عجزنا) أي فالمفعول محذوف تقديره الله ، والمعنى عليه طائنين عجزنا عنهم (قوله وفي قراءة معاجزين) أي وهي
سبعية أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أي مساجين له ، ومعنى مساجينهم ظنهم الفرار من عذاب الله ، ومعنى مسابقة الله
إتزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أي فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أي ما لهم لها
وهي معدة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه تسليية ثانية لرسول الله (٤٩) صلى الله عليه وسلم (قوله من
رسول) من زائدة في

المفعول أي رسولا (قوله
هو نبي أمر بالتبليغ)
أي إنسان ذكر حر
أوحى إليه بشرع وأمر
بتبليغه . (قوله ولا نبي)
عطف على رسول . إن
قلت إن تفسير النبي
بكونه لم يؤمر بالتبليغ
ينافي قوله أرسلنا . أجيـب
بأن الإرسال معناه البعث
لنفسه لأنه أوحى إليه
بشرع يعمل به في نفسه
وليس مأمورا بتبليغه
للخلق أو يقدر قبل قوله
ولا نبي ما يناسبه كأن يقال
مثلا ولا نبأنا من نبي على

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِمَا أُخَذَتْهَا) المراد أهلها (وَإِلَى الْمَصِيرِ)
للرجع (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار وأنا بشير
للمؤمنين (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو
الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعْجِزِينَ) من اتبع النبي أي ينسبونهم
إلى المعجز ويطغونهم عن الإيمان أو مقدرين معجزنا عنهم ، وفي قراءة معاجزين مساجين لنا
أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ) هو نبي أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيٍّ) أي لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا عَمَى)
قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ
النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد : أفرايم اللات والعزى ومناة
الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الفرائيق
العلاوين وإن شفاعتهن لترجي ، ففروحا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من
ذلك فخرن فسلى بهذه الآية ليطمنن (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ
اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَإِنَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكيته منه يفعل ما يشاء

حد : * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله أي لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أن العطف في الآية مغاير
وإن كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) إنما سميت القراءة أمنية لأن القارئ إذا وصل إلى آية رحمة تمي حصولها أو آية
عذاب تمي البعد عنه (قوله ما ليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل إليهم) أي وهم
الكفار (قوله وقد قرأ النبي) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم ، وذلك كان في رمضان
سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة ، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك
السنة (قوله بإلقاء الشيطان) متعاقق بقرأ (قوله تلك الفرائيق) معمول قرأ ، والفرائيق في الأصل الله كور من طير الماء
واحدها غرنوق كغردوس أو غرنوق كعصفور ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي
تصلو في السماء وترتفع (قوله ففروحا بذلك) أي بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أي يزيل
فالنسخ في اللغة معناه الإزالة وما ذكره المفسر من قصة الفرائيق رواية عامة للمفسرين الظاهريين . قال الرازي : أما أهل
التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمقول ، أما القرآن فبوجوه :

أحدها قوله تعالى : ولوقول علينا بعض الأقاويل الآية . ثانيها : قل ما يكون لي أن أبته من تلقاء نفسى الآية . ثالثها قوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . وأما السنة فنما مروى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى في صحيحه « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها للمسلمون والكفار والانس والجن » وليس فيه حديث الترانيق ، وأما المعقول فن أوجه : أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً للأوثان فقد كفر . ثانيها لو كان الاقواء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من أول الأمر أولى وهو الذى يجب علينا اعتقاده فى كل نبي . ثالثها وهو أقوى الأوجه أنا لوجوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ، ثم قال الرازى وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب ، ثم قال وهذا هو الذى يطمئن إليه القلب وإن أظن ابن حجر الصفلى فى صحته اه ، ويكون معنى الآية على هذا التحقيق ألقى الشيطان فى أمئته أى تلاوته شها وتخيلات فى قلوب الأم بأن يقول لهم الشيطان هذا صعر وكهانة فىنسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى ويحكم الله آياته فى قلوبهم (١٠٠) والله عليم بما ألقاه الشيطان فى قلوبهم حكيم فى تسليطه عليهم ليز

المفسد من الصالح (قوله)
ليجعل ما يلقى الشيطان
متعلق بيحكم أى ثم يحكم
الله آياته ليجمع الخ
(قوله والقاسية قلوبهم)
عطف على الدين أى فتنة
للقاسية قلوبهم (قوله)
حيث جرى على لسانه
الخ) قد علمت أن هذا
خلاف الصواب والصواب
أن يقول حيث سلط
الشيطان عليهم بالسوسة
والطمع فى القرآن (قوله
وليعلم) عطف على
ليجعل (قوله فىؤمنوا به)
أى بالقرآن (قوله أى
دين الاسلام) أى وسمى

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك وفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أى المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَنِي شِقَاقِي بَعِيدٍ) خلاف طويل. مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) أى القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أى ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التى لا تأتى بخير ، أو هو يوم القيامة لا ليل له (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ) أى يوم القيامة (لَهُ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين يده (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) شديد بسبب كفرهم (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لِيُرْزَقْنَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا)

هو

صراطاً لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم

(قوله ولا يزال الدين كفروا) رجوع له كرحال الكفار وما هم عليه (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أى فى شك من أمر الرسول من كونه صادقاً أولاً (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب ، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان فى قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم فى الأصل عدم الولادة فشبّه اليوم الذى لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو المقم فآياته تخييل والجامع عدم الثمرة فى كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أى الملك يوم تأتيم الساعة بغتة أو يأتيمهم العذاب يوم القيامة لله ، ومعنى كونه لله عدم نسبة شئ فى الملك لأحد سواه فى ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) أى قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جواباً لسؤال مقتر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أى لاسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبره ليرزقهم الله وخصهم بالذكور وإن كانوا داخلين فى جملة المؤمنين تعظيماً لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أى فى الحروب وقوله أو ماتوا أى على فراشهم من غير قتل .

(قوله هورزق الجنة) أى التتم فيها (قوله أفضل المطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينصب للخالق كما ينسب للخالق إلا أن نسبه للخالق حقيقة وغيره مجاز (قوله ليدخلهم الخ) إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يسجل بالمقربة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الإشارة خبر لمخدوف تقديره الأمر الذى قصصناه عليك ذلك : أى لا تفسر فيه ولا تبديل فهى كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو محيى الشيء بعد غيره وحيث قد قوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية ، وأما قوله - بمثل ما عوقب به - أتى به لمشاكلة الأول للزوج نظير - فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - والباء فى بمثل للآلة والباء فى به للسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين الليثيين بقيتا من الحرم فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحلوا عليهم فنأشدهم المسلمون أن لا يقاتلهم فى الشهر الحرام فأبوا فحلوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم ، وإلى هذا يشير التفسير بقوله : غفور لهم عن قتالهم فى (١٠١) الشهر الحرام ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلاً بتوم

من المسلمين قتالهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، وقيل إنها عامة فى النبي وأصحابه ، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمداً وأصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوا لأنهم فعلوا دعوا عن أنفسهم لا نجري على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ وبأن

هو رزق الجنة (وإن الله لمؤخروا الذين) أفضل المطين (ليدخلهم) بضم الميم وفتحها أى إدخالاً أو موصفاً (يرضونه) وهو الجنة (وإن الله لعليم) بنياتهم (حليم) عن عقابهم ، الأمر (ذلك) الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلماً من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر الحرام (ثم ينجى عليه) منهم أى ظلم بإخراجه من منزله (لينهزته الله إن الله لمؤول) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذلك) النصر (بأن الله يؤلج الليل فى النهار فى الليل) أى يدخل كلاهما فى الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وإن الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم (ذلك) النصر أيضاً (بأن الله هو الحق) الثابت (وأن ما يدعون) بالياء والتاء : يعبدون (من دونه) وهو الأصنام (هو الباطل) الزائل (وأن الله هو التلى) أى العالى على كل شىء بقدرته (الكبير) الذى يصنر كل شىء سواه (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء) مطراً (فتصبغ الأرض مخررة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إن الله لطيف) بعباده فى إخراج النبات بالماء

الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر ، وقوله ذلك : أى الإيلاج فهو إشارة إلى أن الإيلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر أحبابه وخلفائه أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على أن الأولى وقرئ شذوذاً بالكسر استئنافاً (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو إمام مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) الذى لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى القاتل الذى لا بقاء له (قوله وأن الله هو العلى الكبير) نتيجة ما قبله من الأوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وبما هو باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله فى الأدلة الترتيبية فى الاحتجاج والمعرفة فتأمل . الأول إنزال الماء الناضى عنه اخضرار الأرض . الثانى قوله - له ما فى السموات وما فى الأرض - . الثالث تسخير ما فى الأرض . الرابع تسخير الفلك . الخامس إمساك السماء . السادس إحياء ثم الإماتة ثم الإحياء ثانياً (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الإبصار لأن الماء وإن كان مرتباً إلا أن كونه من السماء غير مرئى (قوله مطراً) لا مفهوم له لأن النيل وما الأبار من السماء إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو الشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبغ الأرض مخررة) عبر بالمضارع إشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله .

(قوله بما في قلوبهم عند تأخير المطر) أى من التأخر والضيوط (قوله على جهة الملك) أى فلا ملك لأحد معه (قوله سخر لكم مافي الأرض) أى ذلك لكم مافيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب في قراءة العامة عطف على ما في قوله مافي الأرض: أى وسخر لكم الفلك ، وأفردها بالذكر ليكون تسخيرها أعجب من سائر السخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أولئلا تقع) أشار بذلك إلى أن تقع إما في محل نصب على المفعول لأجله: أى لأجل أن لا تقع أو في محل جرّ على حذف حرف الجرّ ، والتقدير من أن تقع: أى من وقوعها (قوله لإيادته) استثناء مفرغ من معنى قوله - ويمسك السماء أن تقع على الأرض - ، والتقدير لا يتركها تقع في حال من الأحوال إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذي أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الأحياء الأول والثاني إما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) أى للثواب أو العقاب (قوله إن الإنسان لَكفور) أى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) (١٠٢) أى أهل دين فالمراد بالأمة من له ملة وشرع (قوله ففتح السين وكسرها)

(خَيْرٌ) بما في قلوبهم عند تأخير المطر (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) على جهة الملك (وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن عباده (الْحَمِيدُ) لأوليائه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) من البهائم (وَالْفُلُوكَ) السفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) للركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَيُمسِكُ السَّمَاءَ) من (أَنَّ) أو لئلا (تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فهل كوا (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) في التسخير والإمسك (وهو الذي أحياكم) بالإنباء (ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عند البعث (إِنَّ الْإِنْسَانَ) أى للشرك (لَكفورٌ) لنعم الله بتركه توحيد (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا) ففتح السين وكسرها: شريعة (هُم نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يَنزَعُكَ) يراد به لا تنازعهم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ) أى إلى دينه (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى) دين (مُسْتَقِيمٍ) وَإِنَّ جَادِلُوكَ) فى أمر الدين (فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيما كنتم فيه تختلفون (بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر) (أَلَمْ تَعْلَمَ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ) أى ما ذكر (فِي كِتَابِ) هو اللوح المحفوظ ،

أى فيهما قرأتان سبعيتان (قوله شريعة) أى أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والأمة للوجودون عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لاغيره وحينئذ فقوله فلا ينازعك في الأمر: أى لا ينازعك هؤلاء الأمم في أمر دينك

(إن

زعموا منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ فإن التوراة والانجيل شريعتان

لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم . إذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعك في الأمر: أى أمر الذبيحة الخ لا يسلم لأنه يقتضى أن يكون أكل الميتة من جملة الناسك والشرايع التي جعلها الله لبعض الأمم ولا شك في بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع إلى ربك) أى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو مفسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين ، وقيل إن الآية محكمة ، وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم ونقض الأمر إلى الله بقولك الله أعلم بما تعملون ويكون وعيد لهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافي قتالهم لأن القتال يرقه أحد أمرين الإسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) أى يقضى ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب

(قوله أي علم ما ذكر) أي للوجود في السماء والأرض (قوله سلطانا) أي من جهة الوحي (قوله وما ليس لهم به علم) أي دليل عقلي (قوله حال) أي من آيات (قوله في وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع الضمير تبيكيتا عليهم (قوله أي الإنكار لها) أشار بذلك إلى أن النكر مصدر ميمي على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال إيمان الوصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء وإلا فهو متعدّ بعل (قوله النار) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف كأنه قيل وما الأشر فقبل هو النار (قوله وعدا الله الذين كفروا) وعد تعدى لمفعولين الماء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى - وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم - ويصحّ العكس بأن يجعل الضمير هو للمفعول الأول والذين كفروا هو للمفعول الثاني ، وإليه يشير المفسر بقوله بأن مصيرهم إليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هي الوعود ، وللمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدا بهم والأول أنسب من جهة العربية لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (١٠٣)

- ويسعدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا - فالخطاب وإن كان لأهل مكة إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام . والمثل في اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية في ما شبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيقت اللبن ، وليس مرادا هنا بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة وإليه يشير المفسر في آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أي اصغوا إليه لتعتبروا (قوله

(إِنَّ ذَلِكَ) أي علم ما ذكر (هَلَىٰ أَفَّهُ يَسِيرٌ) سهل (وَيَتَّبِدُونَ) أي المشركون (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِنْ نَصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله (وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ أَنبَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) أي الإنكار لها ، أي اثره من الكراهة والمبوس (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هَلِيمَهُمْ آيَاتِنَا) أي يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمْ) أي بأكره إليكم من القرآن الملعون عليكم ، هو (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأن مصيرهم إليها (وَيُسِّنَ الْمَصِيرُ) هي (بِأَيِّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) وهو (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تصدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) اسم جنس ، واحده ذبابة يقع على الذكر والمؤنث (وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ) خلقه (وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا) مما عليهم من الطيب والزعفران اللطخون به (لَا يَسْتَنْفِذُوهُ) لا يسترده (مِنْهُ) لسببهم فكيف يصدون شركاء لله تعالى ؟ هذا أمر مستغرب هو عنه بضرب المثل (صَمَفَ الطَّالِبُ) العابد (وَالْمَطْلُوبُ) المبود ،

وهو) أي المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) أي ويجمع على ذبان بالسكسر كغربان وذببان بالضم كقضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا لرجع لأنه يذب فيرجع وهو أحرص الحيوانات وأجهلها لأنه يرى نفسه في المهلكات ، ومدة عيشه أربعون يوما ، وأصل خلقته من الصفوات ، ثم يتواله بعضه من بعض يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض (قوله ولو اجتمعوا له) الجملة حالية كأنه قال اتفق خلقهم الذباب على كل حال ولو في حال اجتماعهم (قوله وإن يسلبهم) أي يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) أي لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورفوسها بالصل وينلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، وكانوا يحلون بها بالوقايت واللائي وأنواع الجواهر ويطيبونها بأنواع الطيب فربما سقط شيء منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله اللطخون بها) المناسب أن يقول اللطخين لأنه نصت سببي للطيب والزعفران (قوله لا يستنفذوه) أي لا يخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب مما يقال إن الشيء ضرب وبين ليس بمثل حقيقة فكيف سماه مثلا ، فأجاب بأن القصة العجيبة تسمى مثلا تشبها لها ببعض الأمثال في التبراة .

(قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل خبر مرتبطة بما قبلها وعليه سيكون سبب نزولها كما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أخبار اليهود ، فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت في التوراة أن الله ينض الحبر السمين ؟ فقال نعم ؟ فقال له رسول الله : وأنت حبر سمين ، فضحك القوم ، فالتفت مالك إلى عمر ابن الخطاب وقال - ما أنزل الله على بشر من شيء - وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الأحد والأرض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والأوراق والأشجار يوم الأربعاء والشمس والقمر في يوم الخميس وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجله على الأخرى واستراح ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها من تمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله بصطفي) أي يختار (قوله من اللائكة رسلا) إن قلت إن هذا يقتضى أن يكون الرسل بعض اللائكة لا كلهم ، وآية فاطر تقتضى أن الكل رسل . أجييب بأن التبعض بالنسبة لإرسالهم لبي آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك إلى أن في الآية الخلف من الثاني لدلالة الأول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن الغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من اللائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) (١٠٤) أي من الاعمال (قوله وما خلفوا) أي لم يملأوه بالفعل (قوله أو ما عملوا)

أي بالفعل وقوله وما هم عاملون : أي في المستقبل (قوله ترجع الأمور) أي نصير أمور الخلاق إليه تعالى ويجازى كلا بهله (قوله أي صلو) أي وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أي وغيرها من الخيرات الواجبة والندوبية (قوله لعاسكم فتلحون) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح

(مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ (حَقَّ قَدْرِهِ) عَظَمَتُهُ إِذْ أَشْرَكُوا بِهِ مَا لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الذُّبَابِ وَلَا يَنْتَفِصُ مِنْهُ (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غَالِبٌ (اللَّهُ بِصُطْفِيِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) رَسُلًا . نَزَلَ لِمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لِمَقَالَتِهِمْ (بَصِيرٌ) بَمَنْ يَتَّخِذُهُ رَسُولًا كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ وَغَيْرِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أَي مَاقَدَمُوا وَمَا خَلْفُوا ، أَوْ مَاعَمَلُوا وَمَا مَعَلُوا بِمَدِّ (وَالِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَبُوا أَسْجُدُوا) أَي صَلُّوا (وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وَحُدُودَهُ (وَأَقْرَبُوا الْخَيْرِ) كَصَلَةِ الرَّحْمِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (لَمَلَكُمْ تَقْلِحُونَ) تَهْوِزُونَ بِالْبَقَاءِ فِي الْجَنَّةِ (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لِإِقَامَةِ دِينِهِ (حَقَّ جِهَادِهِ) بِاسْتِغْرَاحِ الطَّاقَةِ فِيهِ ، وَنَصَبِ حَقِّ عَلَى الْمَصْدَرِ (هُوَ اجْتِبَاءُكُمْ) اخْتَارَكُمْ لِدِينِهِ (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أَي ضَيْقٍ بَأَنَّ سَهْلَهُ عِنْدَ الضَّرُورَاتِ كَالْقَصْرِ وَالْتِهْمِمْ وَأَكَلَ اللَّيْتَةَ وَالْفَطْرَ لِلرُّضِ وَالسَّفَرَ (مَلَّةً أَيْبِكُمْ) .

منصوب

(قوله وجاهدوا في الله) أي أعداءكم الظاهرية والباطنية ،

فالظاهرية فرق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معالمة ويسمى الجهاد الأصغر ، والباطنية النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئا فشيئا ويسمى الجهاد الأكبر كما في الحديث ، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتضالغ وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة بخلاف الأعداء الباطنية فلا تغيب أصلا ولا يمكن الصلح معها وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار (قوله حق جهاده) من إضافة الصفة للوصف : أي جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أي اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج) المراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم ، فمن ذلك قبول توهمهم إذا ندموا وأقلعوا ولم يجعل توهمهم قتل أنفسهم ، وإذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه في الدنيا بأن يجده مكتوبا في جيبته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك . إن قلت كيف لا حرج في الدين مع أن السيد تقطع بسرقة ربع دينار والمحسن يرمم بزنا مرة ونحو ذلك . أجييب بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع ، وأما السرقات وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لأن الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء لها أجزاء من شتى

الحدود إلا التشديد عليه (قوله بُنِعَ الخافض الكاف) أى كلمة أيكم فالتشبيه في أصول الدين وفي سهولة الفروع (قوله هو صاكن المسلمين) أشار للفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على إبراهيم (قوله أى قبل هذا الكتاب) نهي في الكتب القديمة (قوله وفي هذا) أى بقوله - ورضيت لكم الإسلام ديناً - (قوله ليكون الرسول) متعلق بساكنم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) نى بشر وطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أى لمستحقيها (قوله ثقوا) أى في جميع أموركم (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمحذوف ويحذفه من الثاني لدلالة هذا عليه .

[سورة المؤمنون مكية] سورة مبتدأ وللمؤمنون مضاف إليه مجرور بياء مقترنة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره أن جميعها مكي ، وقيل إلا ثلاث آيات وهى قوله ولو رحمنهم إلى آخرها فانهم مدنيت (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين ، وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أى لتحقيق ما يحصل في المستقبل وتزليده منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أى ظفروا (١٠٥) بمقصودهم ونجوا من كل مكروه

قال تعالى - فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز - والمؤمنون جمع مؤمن وهو الصادق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه وصره (قوله خاشعون) أى ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة كهدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد في الحاصرة وغير ذلك ، والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكير بديوى ، وقدم الصلاة

منصوب بنزع الخافض الكاف (إبراهيم) عطف بيان (هو) أى الله (سَمِعْتُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وفي هذا) أى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلمهم بلغتهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم .

(سورة المؤمنون)

مكية ، وهى مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ) لتحقيق (أُنْفَلِحَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) أى من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى السرارى (فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) في إتيانهم (فَمَنْ أَبْتَغَى زَوَاجًا ذَلِكَ) من الزوجات والسرارى ،

لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا كان قولاً أو فعلاً أو مكروهاً أو مباحاً كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعنى والتوغل في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه ، وبالجملة فينبغى للانسان أن يرى صاعياً في حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » قوله والذين هم للزكاة) اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من التقدين والعشر أو نصفه من الحرف والشاة من الأر بعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون لأن القدر المخرج لامعنى لفعله وعلى الثاني ففاعلون على بابه (قوله حافظون) أى مانعون (قوله عن الحرام) أى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله نهي من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بعض من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وإن كان المقام له لأن الاناث ناقصات ولا سيما الأرقاء ففيهن شبه بالبهائم في حل البيع والشراء (قوله أى السرارى) جمع سرية بالضم وهى في الأصل الأمة التى بوئت بيت مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسرها ويستترها عن حرته أو من السرور لأن مالكتها يسرها (قوله فانهم غير ملومين) علة للإستثناء . [١٤ - صاوى - ثلاث]

(قوله كالاستمنا باليد) أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وقال أحمد بن حنبل : يجوز بشرط ثلاثة أن يخاف الزنا وأن لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وأن يفعله بيده لا يبيد أجنبي أو أجنبية (قوله والذين هم لأماناتهم أي ما اتفقوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وهوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للأمانات (قوله حافظون) أي غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أي يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانها ابتداء بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لاغيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو إضافي لا حقيقي لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى - ويضفر مادون ذلك لمن يشاء - أو يقال إن الحصر فيهم حقيق بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرتون الفردوس) عبر بالارت دون الاستحقاق لأن الارت ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر للبدا بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، والمعنى أن الآية التي سبقت ذكر فيها للعاد وما يؤول إليه أمر من انصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدأ وحيثنذ فيبين الآيتين (١٠٦) مناسبة وهذا أمر مما قيل إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها

بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الإنسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى: الأول تقلب الانسان في أطوار خلقته وهي تسعة آخرها قوله تبصرون . الثاني خلق السموات . الثالث إزال الماء . الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام

كالاستمنا باليد في إيمانهم (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَادُّونَ) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (يُحَافِظُونَ) يقيمونها في أوقاتها (أُولَئِكَ هُمُ الزَّارِعُونَ) لا غيرهم (الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) في ذلك إشارة إلى العاد ويناسبه ذكر للبدا بعده (وَ) الله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هي من سللت الشيء من الشيء ، أي استخرجته منه وهو خلاصته (مِنْ طِينٍ) متعلق بسلالة (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أي الانسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيا (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) هو الرحم (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دما جامدا (فَخَلَقْنَا الْمُلَقَّةَ مُضْغَةً) لحما قدر ما يمشغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في الموضع الثالث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

أي

موطئة لتسليم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق

بسلالة) أي لأنه بمعنى مسلول (قوله أي الانسان نسل آدم) أشار للمفسر بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان لكن لا بالمعنى الأول وحيثنذ في الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى - وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - (قوله في قرار مكين) أي في مقر متمكن وصف بذلك لأنه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقه) قيل كانا وقيل جزء منها والباقي بوضع نصفه في موضع تربته والنصف الثاني يوضع في السماء فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطفة النازلة من السماء بالنطفة الباقية في الأرض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - (قوله وفي قراءة عظما) أي وهي سبعة أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أي من غير توان ، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك ، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا ، وقيل خروج أسنانه وشعره ، وقيل كالشبابه والأتم أنه عام في هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل العقولات وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين : ونصب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(قوله فتبارك الله) أي تعظم وتترفع قدره .

(قوله للمقدرين) أى للصوريين ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أنه لاخالق غيره . فأجاب بأن للرد بالخلق التقدير لا الإيجاد والإبداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعالم به) أى من قوله الخالقين فإنه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أى من الأمور العجيبة (قوله يوم القيامة) أى هند النفخة الثانية . إن قلت ما حكمة اختلاف المتعاطفات بتم والفاء لأنه ورد أن مدة كل طور أو بعون يوما فإن نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بتم وإن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء . أوجب بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النظفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له فى اللون أو الصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير فى كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لأن كونها فوق إنما هو بعد خلق الخلق وإلا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لأنها طرق الملائكة) أى فى العروج والهبوط والطيران ، وقيل معنى طرائق مطروقات أى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا فى الآية الأخرى (قوله وأنزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بأنزلنا (قوله بقدر) أى تقدير بجلب منافعهم ودفع مضارهم ، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم وإليه يشير المفسر (قوله فأسكنناه فى الأرض) أى جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا (١٠٧) فى الأرض بعضه على ظهرها وبعضه

فى بطنها (قوله وإنا على ذهاب به لقادرون) الباء فى به للتعدية ، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه . روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيعون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها

أى المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به ، أى خلقنا (ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (وما كنا عن الخلق) تحتها (غافلين) أن تسقط عليهم قهلكم بل نمسكها كآية «ويمسك السماء أن تقع على الأرض» (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) من كفايتهم (فأسكنناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) ها أكثر فواكه العرب (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) صيفا وشتاء (وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تنبت) من الرباعى والثلاثى (بالدهن) الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثانى ، وهى شجرة الزيتون (وصبغ للاكيلين) عطف على الدهن أى إدام يصبغ اللقمة بنفسها فيه وهو الزيت ،

الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رمت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين» (قوله لكم فيها) أى الجنات، (قوله ومنها) أى من ثمر الجنات كالزيتون والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت وهى أول شجرة نبتت فى الأرض بعد الطوفان وتبقى فى الأرض كثيرا حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو اللطيف بالأشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتأنيث) أى وقيل للعلمية والعجمة لأنه اسم أعجمى نطقت به العرب فاختلفت فيه لفاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كاسمى القيس ومنع من الصرف وإن كان جزء علم نظرا إلى أنه عومل معاملة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أى والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للإلحاق بقرطاس وهى منقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعى والثلاثى) أى فهما قرءانان سبعيتان .

(قوله وإن لكم في الأنعام لعبرة) عبر في جانب الأنعام بالعبارة دون الثبات لأن العبارة فيها أظهر (قوله مما في بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير في النحل باعتبار البعض فإن المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبث (قوله أي الإبل) خصها لأنها المحمول عليها غالباً ويصح عوده على الأنعام لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقر (قوله ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستاً : الأولى قصة نوح . الثانية قصة هود . الثالثة قصة القرون الآخرين . الرابعة قصة موسى وهرون . الخامسة قصة عيسى وأمه ، والقصود منه اطلاع الأمة الحمديّة على أحوال من مضى ليقتدوا بهم في الحصال الرضية ويقباعدوا عن خصالهم الذمومة ، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعمائة ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله مالكم من إله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أي قوله إله ، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع إتباعاً لجل إله والجر إتباعاً للفظه قراءتان سبعيتان (١٠٨) (قوله وما قبله الخبر) أي وهو الجار والمجرور وما مشى عليه للمفسر طريقة

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) أي الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نَسْتَكِيمُ) بفتح النون وضمها (بِمَا فِي بَطُونِهَا) أي اللبث (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا) أي الإبل (وَعَلَى الْفُلْكِ) أي السفن (تُحْمَلُونَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) أطبعوه ووجدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بمبادتكم غيره (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعاً وأتم أتباعه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لا يعبد غيره (لَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِرِيشٍ) بذلك لا بشراً (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي دعا إليه نوح من التوحيد (فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ) أي الأمم الماضية (إِنْ هُوَ) أي مانوح (إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُنَا) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى زمن موته (قَالَ) نوح (رَبِّ انصُرْنِي) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم، قال تعالى مجيباً دعاه (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحَيْنَا) أمرنا ،

ضعيفة للنحاة وهي جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً والشهور إجمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهاتم فلا تتقون (قوله فقال لتلاً) أي الأشراف . وحاصل ما ذكره خمس مقالات : الأولى ما هذا إلا بشر مثلكم . الثانية ولو شاء

(فإذا)

الله أنزل ملائكة . الثالثة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين .

الرابعة إن هو إلا رجل به جنّة . الخامسة فتر بصوابه حتى حين ، ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردّها (قوله بأن يكون متبوعاً) أي بادعاء الرسالة (قوله أن لا يعبد غيره) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أي بأن لا يعبد غيره (قوله لا بشراً) أي لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً (قوله حالة جنون) أي ففعله بالكسر للهيئة . قال ابن مالك : * وفعله لهيئة كجسه * (قوله إلى زمن موته) أي فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فإنه إن كان نبياً حقا لله ينصره ويقوى أمره وإن كان كاذباً فإله يحذله ويبطل أمره فنترج منه أو المراد بالبين الزمان الذي تظهر فيه العواقب الملقى انتظروا عاقبة أمره فإن أفاق وإلا فاقبلوه (قوله قال رب انصُرني) أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير في اصنع وجمع الأعين للبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسل لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه فأطلق اللازم وأريد الملزوم (قوله ووحينا) أي تعليمنا فإن الله أرسل إليه جبريل فعلمه صنعها ، وضمنها في عامين وجعل طولها ثمانين فرساً وعرضها خمسة مائة فرساً ثلاثين والنراع إلى المنكب وهذا أشهر الروايات

وقيل غير ذلك ، وقد تقدم في هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للرباع والهوام والوسطى للدواب والأنعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) أى ابتداء ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لحيى الأمر . روى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام « إذا فار الماء من التنور فاركب أنت ومن معك » وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا . واختلف في مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة طى عيين الداخل مما يلي باب كندة اليوم ، وقيل كان في عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) أى غير البشر لما يأتى أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل ما يلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالديد والبق فلم يحمله فيها (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله (١٠٩) بالتثنية) أى حذف ما أضيف إليه

كل وعوض عنه التثنية
 (قوله أى زوجته) أى
 المؤمنة لأنه كان له
 زوجتان إحداهما مؤمنة
 فأخذها معه فى السفينة
 والأخرى كافرة تركها
 وهى أم ولده كنعان (قوله
 وهو زوجته) أى الكافرة
 (قوله بخلاف سام) أى
 وهو أبو العرب وحام هو
 أبو السودان وياث هو
 أبو الترك (قوله ستة
 رجال) أى فالجملة اثنا عشر
 (قوله بترك إهلاكهم)
 متعلق بتخاطبى (قوله
 إنهم مفرقون) أى يحكمون
 عليهم بالفرق (قوله
 وإهلاكهم) أى ونجانا
 من إهلاكهم (قوله وقل
 رب أنزلنى الخ) العبرة
 بعموم اللفظ فهذا الدعاء
 يبنى قراءته لكل من

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) يَاهِلَاكُمْ (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَاسْأَلْتُكَ فِيهَا) أى أدخل فى السفينة (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأشى ، أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكرًا وأشى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك ، وفى القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطيور وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السفينة . وفى قراءة كل بالتثنية فزوجين مفعول واثنين تأ كيد له (وَأَهْلَاكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام وياث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود « وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ » قيل كانوا ستة رجال ونساءهم ، وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ . فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ قَتَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين وإهلاكهم (وَقُلْ) عند نزولك من الفلك (رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا) بضم الميم وفتح الزاى مصدر أو اسم مكان و بفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مُبَارَكًا) ذلك الانزال أو المكان (وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ما ذكر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار (لآيَاتٍ) دلالات على قدرة الله تعالى (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا) قومًا (آخِرِينَ) هم عاد ،

نزل محلا يريد الإقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركاً ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركاً والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وإن كنا لمبتلين) إن مخففة واللام فارقة ، والمعنى وإنا كنا معاملةين قوم نوح معاملة المختبر لنظر هل ينعونوه ويتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) أى قوما سمو بذلك لأن بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل إليها هود وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد والرسول هود هو ما عليه أكثر المفسرين ويشهد له مجىء قصة هود عقب قصة نوح فى الأعراف رهود والشعراء . وخير ما فسره بالوارد . ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة : فأخذتهم الصيحة الموهم أن القرن هود وأن الرسول صالح لأنه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته

(قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن وإعما جعل القرن . ووضع الارسال ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكاتبهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لأن هودا بن عبد الله بن رباح بن الحارث بن عاد بن هوص بن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود (قوله بأن اهدوا) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جهة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال نلأ) عطف على ما قبله وآتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين بخلاف ما فى الأعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقتر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف محض لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وآتفرناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيتناهم ملكا عظيما قال تعالى مذاكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم - أممكم بأنعام وبنين وجنات وعميون - (قوله ما هذا إلا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله : لخاسرون . والثانية إنكارهم البعث وتنتهى لقوله بمبعوثين وأهل الجواب عنهما لفسادها وركاكتها (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه حذف العائد لاستكمال الشروط التى أشار إليها ابن مالك بقوله : كذا الذى جرب بالموصول جرب كمر بالذى مررت فهو بر (قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله : واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (١١٠)

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) هوداً (أن) أى بأن (أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنون (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَآذَوْا بِلِقَاءِ آخِرَةِ) أى بالمصير إليها (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) نعمانهم (فى الحَيَوةِ الدُّنْيَا ما هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلُكُمْ تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ بِمِثْلِ شَرْبِ بُونَ . وَ) الله (لئن أطفمتم بشرأ مثلكم) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مضمون عن جواب الثانى (إنكم إذا) أى إذا أطفمتموه (لخاسرون) أى مغبونون (أريدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لما طال الفصل (هيئات هيئات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لما تواعدون) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان (إن هي) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا تموت ونحيا) بحياة أبنائنا (وما نحن بمبعوثين . إن هو) أى ما الرسول (إلا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أى مصدقين فى البعث بعد الموت (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي)

ولا يصح أن يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله إنكم إذا الخ) الكاف اسم إن وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلت للخبر وإذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر إذا أطفمتموه (قوله أريدكم) استفهام لتقرير ما قبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيدها)

أى تأكيد لفظى (قوله اسم فعل ماض) اختلاف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل وعليه فهو مبنى على الفتح لاجل له من الاعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتواعدون صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه ، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور ، وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما تواعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدأ فاللام ليست زائدة إذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الإجمال لأن قوله اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل للماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهرة على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لاجل كونها للبيان ولاعلى كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب أن يأتى بأو وترك التفرع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر ، وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيئات بفتح التاء وضمها وكسرهما وفى كل مع التنوين وبدونه وهيئات بأسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان إما بالهاء أولا أو إبدالها همزة وقرئ بالجميع لكن للتواتر القراءة الأولى وهى التمتع من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك إلى أن إن نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن فى قولهم ونحيا اهترافا بالبعث مع كونهم منكربين له . فأجاب بأن المراد ونحيا أبنائنا بعد موتنا .

(قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (قوله صيحة العذاب والملاك) جواب عما يقال إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كاذبة بالحق) أى الندل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غناه) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت ييس) الأوضح أن يقول وهو العشب إذا يبس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدما مصدر بدل من لفظ الذم والأصل بدوا بعدوا واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو بعدوا وهو إخبار أودعاء عليهم (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستأخرون) أى لا يتأخرون عنه ، وللقصود من هذه الآية التقرير والتخويف لأهل مكة كأنه قال لا تنتروا بطول الأمل فإن للظالم وقتا يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى في قوله أجلها الرجوع إلى أمة وقوله رعاية لجنى أى لأن أمة بمعنى قوم (قوله نورا) التاء مبدلة (١١١) من واو وأصله نورا وهو مصدر

على التحقيق ومعناه التابعة مع مهلة ، وقيل التابعة مطلقا وإن لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع (قوله بالتثنية وعدمه) أى فهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال إن ألفه للألحاق بجعفر كعلقى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال إن ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع أحادثة كأعجوبة وأضحوكه : ما يتحدث به

بِمَا كَذَّبُوا . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) من الزمان وما زائدة (لِيُصِيبَهُنَّ) لِيُصِيبَنَّ (نَادِمِينَ) على كفرهم وتكذيبهم (فَأَخَذَهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والملاك كأنه (بِالْحَقِّ) فاتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً) وهو نبت ييس أى صيرناهم مثله فى اليبس (فَبَعْدًا) من الرحمة (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقوامًا (آخَرِينَ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) بالتثنية وعدمه أى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رُسُلًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِمُضَاهَا) فى الملاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينة ، وهى اليد والمصاويغىها من الآيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَسْتَكْبَرُوا) من الإيمان بها وباللّه (وَكَانُوا قَوْمًا ظَالِمِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَشَرٍ مِثْلنا وَقَوْمُهُمْ لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَمَلَكِهِمْ) أى قومه بنى إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتياها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة (وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ) أى قومه بنى إسرائيل (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع ،

عجبا ونسليا ولا يقال ذلك إلا فى الشرّ ولاية ل فى الخير (قوله فبعدا لتوؤ لا يؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف أى بعدوا عن رحمتنا بعدا لا يزول (قوله باياتنا) أى التسع وهى العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرها) أى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) أفرد مثل لأنه يجرى مجرى المصادر فى الأفراد والتذكير ولا يؤثف أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى إسرائيل) أشار بذلك إلى أن الضمير فى عليهم راجع لقوم موسى لانزعون وقومه لأن التوراة إنما جاءت به بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) إما راجع لقوله وأوتياها أو راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لأن الآية فيها واحدة) أى لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لها وله (قوله وآويناها إلى ربوة) سبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل موسى عليه السلام فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

(قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب البقاع إلى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين وأصله معيون كعبوع استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى سا كان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال ، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة ، بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل رسول: كل من الطيبات واحمل صالحا إلى بما تعمل عليهم ، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشجيع على رهباني النصراني حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله فرد الله عليهم بأن اللذات على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) أي مستلذات أم لا (قوله واحملوا صالحا) أي شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فأجازيكم عليه) أي إن خيرا خيرا وإن شرا فشر فالآية فيها ترهيب وترهيب (قوله واعلموا أن هذه أممكم) قتر للمصنف لفظ اعلموا إشارة إلى أن أن بفتح الهمزة معمولة (١١٢) محذوف وهذه اسمها وأممكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم)

وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذات قرار) أي مستوية يستقر عليها ساكنوها (ومعين) أي ماء جارٍ ظاهر تراه العيون (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) الحلالات (وأعملوا صالحا) من فرض ونقل (إني بما تعملون عليهم) فأجازيكم عليه (و) اعلموا (أن هذه) أي ملة الإسلام (أممكم) دينكم أيها المخاطبون ، أي يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة ، وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرها مشددة استثناء (وأنا ربكم فاتقون) فاحذرون (فتقطعوا) أي الاتباع (أمرهم) دينهم (ينههم زبرا) حال من فاعل قطعوا ، أي أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كل حزب بما لديهم) أي عندهم من الدين (فرحون) مسرورون (فذرهم) أي اترك كفار مكة (في غمرتهم) ضلاتهم (حتى حين) أي حين موتهم (أيمسبون أنما عمدتهم به) نعطيمهم (من مال وبنين) في الدنيا (نسارع) نعبل (لهم في الخيرات) لا (بل لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم (إن الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه (مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بإيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشعرون) معه غيره (والذين يؤثون) ،

أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين ، والمراد به العقائد لأنها هي التي اتحدت في جميع الشرائع ، وأما الأحكام الفرعية فقد اختلف باختلاف الشرائع (قوله وفي قراءة بتخفيف النون) أي والهمزة مفتوحة والفاعل مقتركا في المشددة واسمها ضمير الشأن وهذه أممكم مبتدأ وخبر والجملة خبر أن (قوله استثناء) أي فهو إخبار من الله بأن جميع الشرائع متفقة الأصول والقراءات الثلاث سبعيات (قوله فاتقون)

يعطون

أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا

أمرهم) أي جعلوا دينهم مفرقا ، فذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أي لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسليية له (قوله في غمرتهم) مفعول ثان للرم : أي مستقرين فيها ، والهمزة في الأصل الماء الذي يضرر القامة ثم استعير ذلك للجبال ، والضمير بالضم يقال لمن يجرب الأمور ، والضمير بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) إضراب انتقالي : أي لا يعلمون أن نوسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم ، قال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثمًا - (قوله إن الذين هم) الذين اسم إن وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون ، وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الحرف مع زيادة التعظيم فهو أهل من الخشية ، وهذه الأوصاف متلازمة من انصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقي (قوله القرآن) أي وغيره من باقي الكتب السماوية .

(قوله يعذون) أشار بذلك إلى أن قوله يؤتون من الإيتاء وهو الإعطاء (قوله ولقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون : أى والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيئته وعزته واستنفائه ، ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال : لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت السموع في خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) أى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون في الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله - إن الذين هم من خشية ربهم - وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لما سابتون) الضمير قيل للخيرات ، وقيل للجنة ، وقيل للسعادة ، وقوله في علم الله : أى كتبوا سابقين في علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقة العلم (قوله ولا تكلف نفسا إلا وسعها) أى فضلا منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يستل عميا فعل ، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الانسان وكذا جميع التكليف التي افترضها الله على عباده فعلا أو تركا ، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب ، وأما المحجوب فيبرى التكليف تهمة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين : إذا رفع الحجاب فلا ملاله لتكليف الإله ولا مشقه (١١٣) (قوله عندنا) أى عندية رتبة

ومكانة واختصاص (قوله يملون) (مَا آمَنُوا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر (إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) . أَوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ كَمَا سَابِقُونَ) في علم الله (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا ، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أى عندنا (كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) بما علمته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أى النفوس العاملة (لَا يَظْلُمُونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزداد في السيئات (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أى الكفار (فِي غَمْرَةٍ) جهالة (مِنْ هَذَا) القرآن (وَكَلَّمْ أَعْمَالٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ كَمَا عَامِلُونَ) فيمذبون عليها (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) أغنياءهم ورؤسائهم (بِالذَّابِ) أى السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْرُونَ) يضجون يقال لهم (لَا تَجْرُوا أَيَّامَ بِرِّكُمْ مِمَّا لَا تَنْصُرُونَ) لا تمنعون (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي) من القرآن (تُنزِلُ عَلَيْكُمْ فَكُذِّبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ) ترجعون قهقري (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الإيمان (بِهِ) أى بالبيت أو الحرم بأنهم أهل في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم (سَامِرًا) حال ،

الكفار (قوله ولهم أعمال) أى سيئة (قوله من دون ذلك) أى غير ما ذكر للمؤمنين ، والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لما عاملون) أى مستمرين عليها (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها العمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للفتحة قائمة مقام الفاء . قال ابن مالك : وتختلف الفاء إذا المفاجأة كأن تجد إذا لنا مكافأة

(قوله أغنياءهم ورؤسائهم) أى كآبي جهل وأضرابه من صنديدهم (قوله يجأرون) أى يصرخون ويتهلون أو يستغيثون و يلتجئون في كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتهم لللائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم ، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار (قوله قد كانت آياتي الخ) تعليلا لما قبله (قوله تنكصون) من باب جاس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقري) أى إلى جهة الخلف وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامرا ، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر ، وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للفسر أن يقول أحوال رتبة خيرة عن قوله : تهجرون لأن الأحوال

[١٥ - صاوي - ثالث]

ثلاثة مستكبرين وسامرا وثميجرون (قوله أى جماعة) أثار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده مسامر (قوله من الثلاث) أى مأخوذ من المجران وهو الترك أو من هجرهجر بالتحريك : هذى ونكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرباعى) أى مأخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) المزمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أعصوا فلم يدبروا ، وهذا شروع فى بيان أن إقدامهم على هذه الضلالات لابد أن يكون لأحد أمور أربعة : أحدها أن لا يتأملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته . ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم . ثالثها أن لا يكونوا علمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الأمانة والصدق . رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل من (١١٤) الناس ، وسيأتى خامس فى قوله - أم تبسّطهم خرجا - وأم فى المواضع الأربعة

أى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهَجُرُونَ) من الثلاثى : تتركون القرآن ، ومن الرباعى أى تقولون غير الحق فى النبي والقرآن ، قال تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء فى الدال (أَقُولُ) أى القرآن الدال على صدق النبي (أَمْ جَاءَهُمْ مَالٌ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومحجىء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ) أى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ) أى القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوىونه من الشرك والولد لله ، تعالى عن ذلك (لَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) أى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع فى الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بالقرآن الذى فيه ذكركم وشرفهم (فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجرأ على ما جئتهم به من الايمان (فَخَرَّاجُ رَبِّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفى قراءة خرجا فى الموضعين وفى قراءة أخرجا فيها (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) أى الطريق (لَنَّا كِوْنٌ) عادلون ،

مقدرة بيسل الاتقالية وهزمة الاستفهام التقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبي الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله وأكثرهم للحق) أى القرآن وغيره فهو أهم من الحق الأول ولذا أظهر فى مقام الاضمار وأشار بقوله : وأكثرهم إلى أن الاقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لأن وجود الشرك يقضى بفساد العالم عقلا لعادة (قوله بل أتيناكم

بذكركم) إضراب اتقالي ، والمعنى كيف يكفهون الحق مع أن القرآن أنام بشريفهم وتعظيمهم فالائق بهم الاتقياد له وتعظيمه ، والعامية على قصر أتيناكم وقرىء بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء إما زائدة وذكركم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرىء بالقصر مع تاء المتكلم أرتاء المخاطب ، وقوله بذكركم هكذا قرأ العامة وقرىء شذوذا بذكراهم بألف التأنيت ونذكركم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله - أم يقولون به جنة - وما بينهما اعتراض (قوله فخرارج ربك خير) تعليل لتفى السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى فى الآخرة ، وقوله ورزقه : أى فى الدنيا فهذه الأمور كالحراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفى قراءة خرجا فى الموضعين الخ) أى فالقرآت الثلاث سبعيات لكن الأولى أبغى من حيث إنه عبر فى حق الله بالحراج المفيد للتكرار وفى حق العبيد بالحرج المفيد عدم التكرار والمائلة فى القراءتين الباقيتين للشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد : أى أتاب (قوله عن الصراط) متعلق هنا كيون (قوله عادلون) أى زاتمون ومصحفون .

(قوله ولورحمنهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية والتين بعدها إلى مبلسون مديات ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله : اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقصطرا حتى أكلوا العلهز وهو بين مكسورة ولا م سا كنه وهاء وزاي معجبة شئ كانوا يتخذونه من السم ووبر الأبل في سنى المجاعة فجاه أبوسفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أشدك الله والرحم ألت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التهادى والاستمرار على العناد في تعاطى الفعل المنهى عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد لما قبله (قوله لما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ما قبلها فتحركات الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل (قوله ابتداءية) أى بتبدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية وإذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فالابلاس اليأس ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذى أنشأ لكم الخ) خطاب (١١٥) للخلق عموما قصد به تذكير

النم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها لأن السمع خاق ليسمع به ما يرشد والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها في مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى - فلما أغشى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتدتهم من شئ - وأفرد السمع وجمع الأبصار تفننا (قوله تأكيد للقللة) أى لنظ ما تأكيد للقللة الاستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أى تحيون بعد

(وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّهِمْ مِنْ ضُرِّهِمْ) أى جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلْجَوَا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَعْتَهُونَ) يترددون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء (حَقِّي) ابتداءية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (لَكُمْ السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا) تأكيد للقللة (تَشْكُرُونَ) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي) بفتح الروح في المضغة (وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتمتبرون (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ) قَالُوا) أى الأولون (أَنْذَأْ مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ) لا ، وفي المهرتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا) أى البعث بعد الموت (مِنْ قَبْلُ) (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (قُلْ) لهم (لَيْنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها (سَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال : تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ،

لموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أى خلقا وإيجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أى كفار مكة (قوله مثل ما قال الأولون) أى من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وترك الإدخال فالقرا آت أربع سبعيات في الثاني وثلاث في الأول بترك الإدخال بين الحقيقةين (قوله لند وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للجهد ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعده ونائب الفاعل مفعول أول والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقد المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس في الغل تفننا وإشارة إلى أنه يجوز الأمران (قوله قل لهم) أى لأهل مكة المنكرين أيعت (قوله من الخلق) أى المخلوقات عقلا وغيرهم (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقهما . (قوله سيقولون لله) إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه (قوله بإدغام التاء) أى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها

(قوله الكرسي) للناسب إيقاؤه على ظاهره فان العرش على التحقيق غير الكرسي (قوله واتناء للمبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كز. يادتهما في الرحموت والرهوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الأول بفتح الياء كيرحمى والثاني ضمها . والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه قال تعالى - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الأخيرين وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باضاق السبعة ولم يقرأ بدونها أحد (قوله نظرا إلى أن المعنى) أى فلام الجر مقدره فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لأنه لا فرق بين قوله : من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وإن شئت قلت لزيد لأن السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربه (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف تخيل لكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر (١١٦) التخيل والوهم لاحقيقته (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من

زائدة فى المفعول وقوله من إله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لو كان معه إله) أشار بذلك إلى أن قوله إذا للذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من إله وتقديم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى سورة الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى أن هذا أمر عادى لا إزاهى قطمى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أنه دليل عقلى قطمى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على

وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسي (سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلُّ شَيْءٍ) والتناء للمبالغة (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمى ولا يحمى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ اللَّهُ) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ) تحذرون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف تخيل لكم أنه باطل (بَلْ أْتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (وَأَنزَلْنَا لَكَ آيَاتٍ) فى نفيه ، وهو (مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا) أى لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَمَّا بَعْثُنَا عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيهاً له (عَمَّا يُصِفُونَ) به مما ذكر (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد ، بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (قُلْ رَبِّ إِنَّمَا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تُرِيئِنى مَا يُوْعَدُونَ) من العذاب هو صادق بالقتل بيد (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنى فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بهلاكهم (وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُزِيلَكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ . أَدْفَعْ بِأَلْتى هى أَحْسَنُ) ،

الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة

أى

وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة أو بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدراً أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كأنه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو عجاب لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له (قوله إما ترينى) إن شرطية وما زائدة وترينى فعل شرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للأول وقوله فلا تجعلنى الخ جواب الشرط (قوله بالقتل بيد) أى وهو الذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لأن شؤم الظالم قديم غيره . إن قلت إن رسول الله مصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجبب بأنه أمر بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره وليكون فى جميع الأوقات ذا كرامة تعالى (قوله وإنا على أن نزلك الخ) إن حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر إن واللام للإبتداء زحلت للخبر والمعنى وإنا لقادرون على أن نزلك العذاب الذى نعدم به .

(قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك إلى أن الصفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتي هى أحسن ولو فى حال القتال كأن الله يقول له إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحيثئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو وإن كان معصوما فالمقصود تعليم أمته واطهار الاتجاه لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) أى إفساداتهم ، والمعنى آتخصن بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل إشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجنى بالافراد مع أن المخاطب واحد . وأجيب أيضا بأن الواو لتسكير الطلب كأنه قال ارجعن ارجعن ارجعن أو الجمع باعتبار اللانكسة الذين يقبضون روحه كأنه استفاد بالله أولا ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من اللانكسة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لارجوع) أشار بذلك إلى أن كلا (١١٧) هنا معناها النقي ومع ذلك

فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى وما بعدها (قوله ومن ورأهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت إلى البعث والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجابا وما نعا من الرجوع وهو الموت إذا علمت ذلك فالأموات لا تعود أجسامهم فى الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدا وإنما يعنون يوم القيامة لافرق بين الأنبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبي

أى الخصلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةَ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى يكذبون ويقولون ، فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) أعتصم (بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزغاتهم بما يوسوسون به (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) فى أمورى لأنهم إنما يحضرون بسوء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ) الجمع للتعظيم (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته ، قال تعالى (كَلَّا) أى لا رجوع (إِنَّهَا) أى رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) له ولا فائدة فيها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أمامهم (بَرْزَخٌ) حاجز يصد عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاخرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفيقون ، وفى آية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ)

صلى الله عليه وسلم بقظة فالمراد أن روحه الشريفة تشكات بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الأولياء والشهداء لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لانسى فى الملكوت (قوله ولا رجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الأولى) هو قول ابن عباس وقوله أو الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح فيها فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم . وأجيب أيضا بأن معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تفصهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) أى لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجعل المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على أن المراد النفخة الثانية وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نقي السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حيثئذ وإثباته إنما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الوزن (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات ، والمعنى فمن رجعت حسنة فأولئك هم المفلحون ومن رجعت سيئاته فأولئك الذين خسروا الخ .

(قوله فهم في جهنم) أشار المفسر إلى أن قوله في جهنم خبر لمخذوف (قوله تفتح وجوههم) الفتح الإصابة بشدة (قوله صخرت شفاههم الخ) أي فالكلاوح تشر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد أنه تنقاص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ مرتته (قوله تتلى عليكم) أي في الدنيا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى) أي وهوسوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أي وقدرها قبل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج، وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسثوا فيها) أي اسكنوا سكوت هوان وذل (قوله فيقطع رجائهم) أي وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله إنه كان فريق) تعليل لما قبله (١١٨) (قوله بضم السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) للناسب

أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب إليهم) أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) أي وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما قال إن قوله قال يقتضى أن الله يكلمهم مع أنه قال في آية أخرى: ولا يكلمهم الله. فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفي قراءة قل) أي وهي سبعة أيضا. والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله قال إن لبثتم ثلاث قرات سبعيات الأمر فيهما والماضي في الأمر

فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تخرقها (وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) من القرآن (تَتْلَى عَلَيْكُمْ) تخوفون بها (فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ). قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهداية (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا) إلى الخالفة (فَأِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (أَخْسَثُوا فِيهَا) ابعدوا في النار أذلاء (وَلَا تُكَلِّمُونِ) في رفع العذاب عنكم فيقطع رجائهم (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإساءة فنسب إليهم (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم (إِنَّهُمْ) بكسر الهمزة (هُمُ الْفَاطِرُونَ) بطلوبهم استئناف وفتحها مفعول ثانٍ لجزيتهم (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) في الدنيا وفي قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَسئَلُ الْمَأْذِينَ) أي للملائكة المحصنين أعمال الخلق (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضاً قل (إِنْ) أي ما (لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ عَبَثًا) لا لحكمة،

في الأول والماضي في الثاني (قوله كم لبثتم) كم في محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين (وأنتكم

هو عجزها، والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا ويقولون على اللبث فيها، ينكرون البعث فلما أدخلوا النار وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها صألهم عن لبثهم في الدنيا زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث أظهر خلافه (قوله فاستل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لأنه غسيهم من الهول والذباب ما يشغاهم عن ضبط ذلك وإحصائه (قوله قال تعالى) أي تقر يعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أي في علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لمعلمتكم قلة لبثكم في الدنيا (قوله أفحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهاتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين أو مفعول

لأجله والعيب اللب وكل ما ليس فيه فرض صحيح فقولوه : لحكمة تفسير لعيب (توبه وانكم إلينا لاترجعون) عطف على : أما خلقناكم فيكون حسب مسلطاً عليه (قوله بالبناء للفاعل وللفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جواباً للاستفهام (قوله بل لنتعبدكم) أي لنكافكم (قوله على ذلك) أي على امتثال التعبد المذكور (قوله إلا ليعبدون) أي حكمة خلق لهم كونهم يمتنعون أوامرهم ويحتمنون نواهيهم (قوله فتعالى الله) أي تنزه (قوله للملك الحق) أي الذي يحق له التصرف في ملكه بالإيجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ما سواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرى شدوداً بالرفع على أنه نعت مقطوع للذبح (قوله الكرسي) تقدم أن المناسب لإبقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ وفي بعضها إسقاطها (قوله صفة كاشفة) أي بيان للواقع لأن كل من ادعى مع الله إلهاً آخر لا بد وأن يكون لا برهان له به (قوله فأما حسابه عند ربّه) هو جواب الشرط (قوله إنه لا يفلح الكافرون) الجهور على كسر إن استئنافاً وفيه معنى العلة وقرى شدوداً بالفتح على أنه خبر حسابه والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم (قوله في الرحمة زيادة) (١١٩) على المغفرة) أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تحلية

في الغفران هو السيئات وفي الرحمة رفع الدرجات (قوله أفضل رحمة) بالنصب على التمييز .
[سورة النور]

سميت بذلك لذكر النور فيها وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة ، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة : علموا نساءكم سورة النور ، وقالت عائشة رضي الله عنها : لانزلوا النساء

(وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل وللفعول ؟ لا ، بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (فتعالى الله) عن العيب وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الكرسي هو السرير الحسن (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) صفة كاشفة للمفهوم لها (فأما حسابه) جزاؤه (عند ربّه) لأنه لا يفلح الكافرون) لا يسعدون (وقل رب اغفر وارحم) المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة (وأنت خير الراحمين) أفضل رحمة ،

(سورة النور)

مدنية ، وهي اثنتان أو أربع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالات (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية في الدال : تتمظون (الزانية والزاني) أي غير المحصنين ،

في الغفر ولا تلهوهم الكتابه وعلموهم سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر إلى أن سورة خبر لمخدوف قدره بقوله هذه والاشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر الشاهد و يصح أن تكون سورة مبتدأ وجملة أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني ، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا والخبر مخدوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهي لعامة القراء وقرى سورة بالنصب بفعل مضمرة يفسره أنزلناه فهو من باب الاشتغال أو على الاعراء أي دونك سورة (قوله وفرضناها) أي أوجبتنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً (قوله مخففاً ومشدداً) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كسر الإيصال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أي دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله : وفرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله : وأنزلنا فيها آيات بينات إشارة إلى الأدلة (قوله بادغام التاء الثانية) أي بعد قلبها دالاً فدالاً أي وبسكتين أي فهما قراءتان سبعيتان و بقيت ثالثة سبعة أيضاً وهي حذف إحدى التاءين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر مخدوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة فاجهوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر ، وقامت للمرأة في حد الزنا وأخرت في آية السرقة لأن شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهي في الرجل أقوى وأكثر .

(قوله لرجعها بالسنة) أشار بذلك إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحسن وغيره فالسنة أخرجت المحسن وبيئت أن حقه الرجم فصار الكلام في غيره (قوله فاجلوا كل واحد منهما الخ) أي بسوط لين له رأس واحد - ويجرد الرجل من ثيابه والوراة مما يقبها ألم الضرب وتوضع في قفص فيها تراب للسكر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي وقال مالك : لا يترتب إلا الذكركر الحر ، وأما المرأة والرقيق فلا يتربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شدوذا بالياء التحتية (قوله رافة) بسكون الميمزة وتحتها قراءة ثان سبعيتان قرئ بالمد بوزن سحابة ، والرافة أشد الرحمة ويقال رحف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تركوا شيئا من حدتها) أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد « إقامة حد لله تعالى في الأرض خير من أن تمطروا أو يمين صباحا » (قوله في هذا) أي قوله إن كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) أي حث على ما قبل الشرط وهو قوله : ولا تأخذكم بهما رافة فالواجب بالغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (قوله وهو جوابه) أي كما هو رأى الكوفيين وقوله أودال كما هو رأى البصريين (قوله وليشهد هذاهما طائفة) الأمر للندب والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حاقة (قوله قيل ثلاثة الخ) (١٢٠) القولان للشافعي وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أي للناس لكل منهما

ما ذكر) أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية ، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو للشركة والزانية ترغب في نكاح الزاني أو للشرك (قوله وحرّم ذلك على المؤمنين) أي لما فيه من الفساد كالطعن في النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعتيفات لما في الحديث « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » (قوله نزل ذلك) أي الآية

لرجعها بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أي ضربة ، يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ مِنْ دِينِ اللَّهِ) أي حكمه بأن تركوا شيئا من حدتها (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلِيَشْهَدَ عَدَاؤَهُمَا) أي الجلد (طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة ، وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ) يتزوج (إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي ، المناسب لكل منهما ما ذكر (وَحُرِّمَ ذَلِكَ) أي نكاح الزواني (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأخيار ، نزل ذلك لما هم قراء المهاجرين أن يتزوجوا بنات المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيا ، التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى : وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) العفتات (العفتات :

وحيث فاطمات بسبب النزول هو الجملة الثانية وإنما ذكر الأولى زيادة في التفسير (قوله وهن موسرات) بالزنا أي عفتات (قوله خاص بهم) أي ولم ينسخ إلى الآن (قوله وأنكحوا الأيامى) جمع أيم وهي من ليس لها زوج تكرا أو ثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزاني والزانية وغيرهما فتأية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم أن الزاني والزانية إما أن يرجمان كانا محصنين أو يجلدان إن لم يكونا كذلك فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد لا بد وأن يثبت إما باقرار أو بأربعة عدول ، فان اتفق واحد من ذلك حد المدعى فين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة وقوله لا ين مبتدأ ويرمون صلته والخبر ثلاث جمل . الأولى فاجلوه . الثانية قوله : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا . الثالثة قوله : وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبّه الاتهام بالرمي بجامع التأدية للهلاك في كل لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك الرمي وإن لم يثبت فقد هلك الرمي وقوله المحصنات لامفهوم له بل وكذا المحصنون وإنما خصهن بالذكور لأن الشأن قوة شهوة النساء . (قوله العفتات) تفسير للمحصنات باعتبار اللفظ لأن الإحصان كإطلاق على العفة يطلق على الزوج وعمل الحرية ومفهوم قوله العفتات أنه إذا رمي غير عفيف لا يحد ويشتد زيادة على العفة أن يكون الرمي يتأتى منه الزنا واللواط بأن يكون ذا آلة فان رمي محبوا عزير ولا يحد وأن يكون حرا مسلما مكافئا فان اتفق شرط منها يحد القاذف إلا الرمي بالصبي بالوط به أو الصبية الطيبين فعند مالك يحد وعند الشافعي يحد

(قوله بالزنا) أي أو اللواط في أدنى مطبق أو حتى تشكل بآدمي (قوله باربعة شهداء) أي عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء أي شهداء في أنهم رأوا الذكر في الفرج ولا بد أن يتحدثوا في الرؤية والأداء فان اختلفوا ولو في أي صفة حد الجميع (قوله أبدا) أي ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعي وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله إلا الذين تابوا) استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جاتهم (قوله من بعد ذلك) أي القذف (قوله فيها ينتهي فسقهم) هذا من جنس على رجوع الاستثناء للجماعتين الأخمين وهو مذهب مالك والشافعي فنسبها أن التائب تقبل شهادته ويحول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لا تقبل) هذا مذهبه أبي حنيفة واتفق الجميع على أن القاذف يجلد وإن تاب فليس الاستثناء راجعا إلى الجملة الأولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أفصح من إثباتها إلا في الوازيت (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعي له ترك البينة ويلاعن وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب الغرول فانه لم يكن لهم بينة (قوله إلا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) أي قذف الزوجة بالزنا (قوله جماعة من الصحابة) أي وهم هلال بن أمية (١٢١) وعومر العجلاني وعاصم بن عدى (قوله نصب على المصدر)

بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) على زناهن برؤيتهم (فَأَجْلَدُوهُنَّ) أي كل واحد منهم (تَمَّائِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً) في شيء (أَبْدَأَ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لا تيمانهم كبيرة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَجِيمٌ) بهم بإلهامهم التوبة فيها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم ، وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) عليه (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمى به روحته من الزنا (وَالْحَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) في ذلك وخبر المبتدأ تدفع عنه حد القذف (وَيَذَرُ) يدفع (عَنْهَا الْعَذَابَ) أي حد الزنا الذي ثبت بشهادته (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَالْحَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في ذلك (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بالستر في ذلك (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بقبوله التوبة في ذلك وغيره (حَكِيمٌ) فيما حكم به في ذلك وغيره ليبيِّن الحق في ذلك وعاجل العقوبة من يستحقها (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِنكِبِ) أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها،

أربع الأول فيه الوجهان والثاني بالنصب لا غير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب ان اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفي لعانه إبعاد الزوجة والولد ، وفي لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدأ) أي الذي هو قوله فشهادة أحدهم (قوله في ذلك) أي فيما رماها به .

[قائدة] يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وإيجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأييد تحريرها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لين الحق في ذلك) جواب لولا (قوله إن الذين جاءوا بالانكاف الخ) شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالانكاف وهي ثمانية عشر تنتهي بقوله أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما في الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر أنه لا يلبق بأحد الأمة فضلا عن زوجة سيد الرساين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أي أقبحه وأخفشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثمانين سنة

(قوله عصبة منكم) العصبه من العشرة إلى الأربعمائة وإن كان من عيبتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر (قوله من المؤمنين) أي ولو ظاهرا فإن عهد الله بن أبي من كبار المنافقين (قوله قالت) أي عائشة في تعيين أهل الافك (قوله وحننة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لا تحسبوه شرًا لكم) مخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان نسبية لهم (قوله بل هو خير لكم) أي لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أي يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أي السلمي ابن المظلم (قوله في غزوة) قيل هي غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة . وسببها أن رسول الله (١٢٢) صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقادهم الحرث

ابن ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المرسيع من ناحية قديد إلى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونساءهم وأموالهم فأقاهها وردها عليهم (قوله بعدما أنزل الحجاب) أي وهي قوله تعالى وإذا سألتهم عن متاعا فاستألوهم من وراء حجاب (قوله وآذن) بالمد والقصر أي أعلم (قوله وقضيت شأني) أي حاجتي كالبول مثلا (قوله فإذا عقدت) أي وكان من جزع أنظار وهو الحرز الجمانى غالى القيمة وكان أصله لأمه أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى

(عَصْبَةٌ مِنْكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت : حسان بن ثابت . وعبد الله بن أبي ومسطح وحننة بنت جحش (لَا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبية (شَرًّا لَكُمْ) أي هو خير لكم (يأجركم الله به) ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه ، وهو صفوان فإنها قالت « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فحسيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرجل فإذا عقدي انقطع » هو بكسر المهملة القلادة « فرجعت ألتسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعيرى يحسبونى فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن الملقه » هو بضم المهملة وسكون اللام « من الطعام » أي القليل « ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى فلبنتى عيناي فتمت ، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج » ما بتشديد الراء والهدال : أي نزل من آخر الليل « للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم أي شخصه فرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى » أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون « فحمرت وجهى بجلبابى » أي غطيته بالملاء « والله ما كلنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحته ووطئ على يدها فركبتها فانطلق يقودى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة » أي من أوغر واقفين في مكان وغر « من شدة الحر فهلك من هلك في » وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله ،

ابن

الله عليه وسلم وقيل لأختها أسماء (قوله ألتسه) أي أفتش عليه (قوله جلست

في المنزل الذى كنت فيه) أي وهذا من حسن عقلها رבודה رأيها فان من الآداب أن الانسان إذا ضل عن رفقته وعلم أنهم يفتشون عليه أن يجلس في المكان الذى فقدوه فيه ولا ينتقل منه فر بما رجعوا فلم يجدوه (قوله قمت) أي وكانت كثيرة النوم لحدائة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) أي وأن صاحب ساقه رسول الله لشجاعته وكان إذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فما سقط منهم شيء إلا حملته حتى يأتي به أصحابه (قوله فسار منه) أي فادلج بالتشديد سار من آخر الليل وأما ادلج سار من أوله (قوله في منزله) أي منزل الجيش الذى مكنت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) أي الراحلة خوف أن تقوم (قوله موغرين) أي أتينا الجيش في وقت القيلولة (قوله نهلك من هلك) أي تكلم بما كان سببا في هلاكه (قوله في) أي بسبب

(قوله ابن أبي سؤل) نسب أولاً لأبيه ثم لأمه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره والإغديتها له بقية كما في البخاري وهي « فقد منا المدينة فاشتكت بها شهراً وهم يفيضون من قول أصحاب الافك ويرين في وحي أني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف نيك لا أشعر بهي من ذلك حتى نقيت بفتح فكسر أي برئت من مرضي فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناسخ متبرزنا لانحراج إلا ليلاً إلى نيل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التزه ، فأقبات أنا وأم مسطح بنت رم نمشي ، ففترت في مرطها وهو بكسر الهم كساء من صوف ، فقالت أمس مسطح ، فقلت لها أمس ماقت أنسيين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت ياهنتاه أي قليلة المعرفة ألم تسمى ما قالوا ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك فزددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف نيك ؟ فقالت أنذن لي إلى أبوي ، قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثبت أبوي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس ؟ قالت يا بنيت هوني على نفسك الشأن فوالله قلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكرهن عليها ، فقلت سبحان الله ولقد تحدثه الناس بهذا ، قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة فأشار إليه بالذي يعلم من نفسه بالوعد لهم ، فقال أسامة هم أهلاك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وأسال الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريك ؟ فقالت بريرة لا والذي بعنك بالحق نبيا إن رأيت منها أمراً أعجبه عليها هو همزة مفتوحة فبين معجمة فصاد مهملة أي أعجبه وأنكره أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ، فيأتي الداجن هو بديل مهملة ثم جيم ما يأنف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من (١٢٣) عبد الله بن أبي ابن سؤل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من

ابن أبي ابن سؤل» اه قولها رواه الشيخان ، قال تعالى :

رجل بلغي أذاه في أهلي فوالله ما علمت في أهلي إلا خيراً وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله أنا والله أهدرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحبان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فغزل خفضهم حتى سكتوا وسكت وقيت يوهي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبوي وقد بكيت ليلتي ويوما حتى أظن أن البكاء فاتك كبدي ، قالت فيبينهما جالساً عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأن شي قالت فتشهد ثم قال : يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيرونيك الله ، وإن كنت أملت بذنب فاستقري الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله قلص دمي : أي انتطح جريانه حتى ما أحسن منه بقطرة وقلت لأبي أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت لأمي أجيبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، فقلت إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم إنى بريئة لاتصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إنى بريئة لاتصدقني . والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال - فصر جميل والله المستعان على ما تصفون - ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن ما ظننت أن يغزل في شأن وحي ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فوالله ما رام أن يرح مجلسه ولا يخرج أحد من أهل البيت حتى أزل عليه الوحي ، فأخذته ما كان يأخذه من البرحاء أي الشدة

والكرب حتى إنه لينتحرر منه مثل الجنان أى الأوثان من العرق في يوم شات ، فلما مرتى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احدى الله فقد براك الله ، فقالت أى قولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأزل الله عز وجل - إن الدين جاءوا بالافك عصبه منكم - الآيات ، فلما أنزل الله هذا في براتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرايته منه والله ما نفق على مسطح بشئ أبدا بعد ما قال في عائشة فأزل الله عز وجل - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - الآية إلى قوله - غفور رحيم - فقال أبه نكر بلى والله إنى لأحب أن يفرق الله لى فرج إلى مسطح الذى كان يجرى عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زيب بنت جحش عن امرى فقال يا زيب ما علمت ما رأيت ؟ فقالت يا رسول الله أحى سمى و بصرى والله ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت وهى التى كانت تسمى فقصها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرى منهم) أى من العصبه (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى ، فأنهم قد حنوا حد القذف ، وسمى حسان وشلت يده فى آخر عمره ، وسمى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى ، فعذبه الله بجزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا إذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الحاضرين فى الافك وأثم اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر : الأول هذا . الثانى لولا جاءوا عليه الخ . الثالث (١٢٤) لولا فضل الله الخ . الرابع إذ تلقونه الخ . الخامس لولا إذ سمعتموه الخ .

السادس يعظكم الله الخ . السابع إن الدين يحبون الخ . الثامن لولا فضل الله عليكم الخ . التاسع يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، إلى سمع عليم لولا هنا للتوبيخ لدخولها على الخاضى ، لأن لولا لثلاثة أحوال : إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) أى عليه (مَا كَتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) فى ذلك (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبى (لَهُ هَذَابٌ عَظِيمٌ) هو النار فى الآخرة (لَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ) أى ظن بعضهم ببعض (خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) كذب بين فيه التفات عن الخطاب أى ظنتم أيها العصبه وقتلتم (لَوْلَا) هلا (جاءوا) أى العصبه (عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) شاهده (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ) أى فى حكمه (هُمُ الْكَاذِبُونَ) فيه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فَمَا أَفْضَمْتُمْ) أيها العصبه أى خضم (فِيهِ هَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى يرويه بضمك عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين ، وإذ منصوب بضمك أو بأفضم (وَتَتَوَلَّوْنَ بِأَنفُسِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا) لا إثم فيه (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فى الاثم ،

(ولولا)

وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية ، وقد كررت هنا

فى ستة مواضع : الأول والثانى والرابع توبيخية لاجواب لها . والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر وإذا ظرف لظن ، واللفظ كان يفتى لكم بمجرد سماعه أن تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصرّوا على الأمر التبيخ بعد سماعه (قوله بأفضمهم) أى بأبناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله به التفات عن الخطاب) أى إلى النبية إذ كان مقتضى الظاهر ظنتم ، وحكته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاءوا عليه) أى الافك (قوله شاهد) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر ، وهذا جواب عما يقال إنهم كاذبون والله مطلقا ولو أتوا بشهداء . فأجاب بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع ، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون فى الظاهر ، فأراد الله أن يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله لولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم ، واللفظ امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضمتم فيه) أى بسببه وما اسم موصول وأفضم صلتة أو مصدرية : أى بسبب الذى أفضمتم فيه أو بسبب إفضمتمكم . (قوله عذاب عظيم) أى لغير ابن ساول فان عذابه عظم (قوله إذ تلقونه بألسنتكم) أى تلتفطون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها وإنما تافظهم بالافك محض حسد وهناد

(قوله ولولا إذ سمعتموه) لولا توبيخية وإذ ظرف لقتم ، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك
 وصل بالظرف بين لولا وقاتم لأنه يشتر في الظروف ما لا يشتر في غيرها (قوله هو لتعجب هنا) أي مع التزييه ، والمعنى تزيها
 لك عن انتهاك حرمانك ، فانه غير لائق بك ولا بأحبائك الذين قلت فيهم - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 ويظهركم تطهيرا - (قوله فيها كم) أشار بذلك إلى أنه ضمن يعظكم معنى فيها كم فعدها بمن (قوله أبدا) أي مدة حياتكم
 (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فلا تعودوا مثله (قوله باللسان) أي فالمراد بأشاعتها إشاعة
 خبرها (قوله بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالدين آمنوا خصوصا عائشة وصفوان (قوله وهم العصبه) تفسير للذين
 يحبون (قوله لحق الله) أي ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبي ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وأن الله
 رءوف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لما جلتم بالعقوبة) جواب لولا (١٢٥) وخير المبتدأ محذوف والتقدير

موجودان (قوله خطوات)
 بضم الطاء وسكونها
 قراءتان سبعيتان (قوله
 ومن يتبع خطوات
 الشيطان) شرط حذف
 جوابه تقديره فلا يفلح
 أبدا وقوله فانه يأمر الخ
 تعليل للجواب (قوله أي
 التبع) هكذا بصيغة اسم
 المفعول وهو الشيطان
 (قوله باتباعهما) متعلق
 بيأمر (قوله ما زكا منكم
 من أحد أبدا) هذا يفيد
 أنهم تابوا وطهروا وهو
 كذلك لإعبد الله بن أبي
 فانه استمر على النفاق حتى
 هلك كآرا (قوله ولا ياتل)
 لانهية والفعل مجزوم
 بحذف الياء (قوله أي
 أصحاب النبي) في تفسير

(وَلَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ) ما ينبغي (لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا
 سُبْحَانَكَ) هو لتعجب هنا (هَذَا بُهْتَانٌ) كذب (عَظِيمٌ . يَبْغِطُكُمْ اللَّهُ) فيها كم (أَنْ
 تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) تعظون بذلك (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) في
 الأمر والنهي (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حَكِيمٌ) فيه (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ
 تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) باللسان (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بنسبتها إليهم وهم العصبه (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا) يجد القذف (وَالْآخِرَةَ) بالنار لحق الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) انتفاءها عنهم (وَأَنْتُمْ) أيها
 العصبه بما قلم من الإلثك (لَا تَعْلَمُونَ) وجودها فيهم (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها
 العصبه (وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم لما جلتم بالعقوبة (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) أي طرق تزيينه (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أي
 التبع (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أي القبيح (وَالْمُنْكَرِ) شرعا باتباعهما (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ) أيها العصبه بما قلم من الإلثك (مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أي ما صلح وطهر
 من هذا الذنب بالتوبة منه (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَزَقَكُمُ) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) من الذنب بقبول
 توبته منه (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) بما قلم (عَلِيمٌ) بما قصدتم (وَلَا يَاتِلِ) يهلف (أُولُوا الْفَضْلِ)
 أي أصحاب النبي (مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ) لا (يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدرى

الفضل بالنفي نوع تكرر مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق
 (قوله أن لا يؤتوا) أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير لا نافية . قوله أولى القربى) أي القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين
 معطوفان على أولى فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لا ينفق على مسطح) أي فبعد ذلك تاب
 وجاء إلى أبي بكر واعتذر وقال إنما كنت أغشو مجلس حسان وأسمع منه ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما
 قيل وكفر عن عيبي . [لطيفة] وقع لابن المقرئ أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لأبيه :

لأقطعن عادة برّ ولا تجعل عقاب المرء في رزقه فان أمر الإلثك من مسطح
 يحط قدر النجم من أفقه وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فكتب إليه والده : قد يمنع للضطرّ من مينة إذا عصى بالسير في طرقة
 لأنه يسوي على توبه توجب لإصلا إلى رزقه

(قوله لما خاض في الافك) ظرف لقوله حاف (قوله وليعفوا) أى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أى ليعرضوا عنهم
لومهم (قوله ورجع إلى مسطح ما كان يتفق عليه) أى وحلف أن لا ينزع نفاقه منه أبداً ومسطح هو ابن أمانة بن عباد بن
الطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله العافلات عن الفواحش) أى لسلامة صدورهن وبقاء قلوبهن
واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا في الدنيا) أى بهدوا فيها عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وقوله والآخرة
أى بالعذاب إن لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) أى والتقدير وعذاب عظيم كأن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية
والتحتانية) أى فهما قراءتان (١٢٦) سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم أو ليعلمون (قوله

جزاءم الواجب عليهم)
أشار بذلك إلى أن المراد
بالدين الجزاء لما في الحديث
كاندين تدان (قوله هو
الحق) أى الثابت الذي
لا يقبل الزوال أزلا ولا
أبداً (قوله ومنهم عبد الله
ابن أبي) أتى بهذا ليصح
قوله كانوا يشكون فيه
فالشك من بعضهم وأما
حسان ومسطح وحمنة
فهم مؤمنون لا يترددون
في الجزاء (قوله أزواج
النبي) أى لأن من قذف
واحدة منهم فقد قذف
الجميع لا شترا كهن في
العفة والصيانة والنسبة
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم (قوله لم يذكر في
قذفهن توبة) أى مثل
ما ذكر نيا تقدم في قوله
إلا الذين تابوا (قوله ومن

لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من
تكلم بشيء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم في ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين ، قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان
ينفقه عليه (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفاف (الْعَافِلَاتِ) عن الفواحش بأن
لا يقع في قلوبهن فعلها (الْمُرْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ . يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ
أَسَدْتَهُمْ وَأَبْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ
يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي . والمحصنات
هنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة
التوبة غيرهن (الْحَبِيثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْحَبِيثِينَ) من الناس (وَالْحَبِيثُونَ)
من الناس (لِلْحَبِيثَاتِ) مما ذكر (وَالطَّيِّبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (وَالطَّيِّبُونَ)
منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر : أى اللاتي بالحبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون
والتطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبْرَدُونَ بِمَا يَقُولُونَ) أى الحبيثون والحبيثات
من النساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الجنة ، وقد
افتخرت عائشة بأشياء : منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .

(بأيها)

ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهنيل والتعظيم لأمر الإفك وإلا فهو كغيره

من صائر المعاصي التي تمحى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان ككفرا لمصادمة القرآن
العظيم فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان (قوله الحبيثات للحبيثين) كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة وتقييحا
على من تكلم فيها . والمعنى أن المجالسة من دواعي الانضمام فالحبيث لا تكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم :
كل إناء بالذي فيه ينضح (قوله من النساء ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير الحبيثات وقوله مما ذكر أى من
النساء والكلمات (قوله والطيبات للطيبين) لشارة بذلك لرسول الله وعائشة أى حيث كان رسول الله أطيب الطيبين تبيين
بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات (قوله أى اللاتي بالحبيث مثله) أى من نساء أو كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها
أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرفة حرير وقال هذه زوجتك ، ويروى أنه أتى بصورتها فراحته ، وضمان النهي

صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهم معه في الاحاف ونزلت براءتهم السماء وانها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت متفجرة ورزقا كريما، وفي القرطبي قال بعض اهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رعى بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في الهمد وإن مريم لما رويت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وإن عائشة لما رويت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يأبى الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله أحكام المغاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير إلا باذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك، وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله إنى أكون في بيتي على حال لأحب أن يرانى عليها أحد لا والله ولا ولد فىأتى الأب فيدخل على وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) أى غير همل سكنكم وحيث قد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكترها فيجب عليه الاستئذان لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمى بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الأكثر والحق التفصيل فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام وإلا قدم الاستئذان (١٢٧) ثم يسلم ويكون كل من السلام

والاستئذان ثلاث مرات
يفصل بين كل مرتبة
بسكوت يسير: الأول
إعلام. والثانى للتهيؤ.
والثالث استئذان في
الدخول أو الرجوع وإذا
أتى الباب لا يستقبله من
تلقاء وجهه بل يجىء
من جهة ركنه الأيمن
أو الأيسر وإذا طلب منه
التعيين فليعين نفسه
بصفة تميزه ولا يكتفى

(يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) أى تستأذِنُوا (وَتَسَلُّوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أدخل كما ورد في حديث (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَمَلِكُمْ تَذَكُّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الدال خيريته فتمثلون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ) بعد الاستئذان (أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ) أى الرجوع (أَرْجِعُوا) أى خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أى منفعة (لَكُمْ) باستئذان وغيره كبيوت الربط والحانات المسبلة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسياق أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

بقوله أنا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال «استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا قلت أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك لعدم إعادته» فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أُرُود الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة، فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أي دخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حيثكم صباحا حيثكم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف (قوله بادغام التاء الثانية في الدال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله أحد يأذن لكم) السالبة تصدق بنى الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتىكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أركبى) أى أطير للأمن من الرذائل والدنات (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالأستئذان من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم. وسبب نزولها أن أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والحانات أفلا يدخلها إلا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والحانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستئذان) أى طلب كمن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والعمارة (قوله المسبلة) اقتصر عليها لأن مورد سؤال أبى بكر في الحانات المسبلة التي بين مكة والشام (قوله وسياق) أى في آخر السورة في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن لللائكة ردة عليكم أى وإن كان بها أهل فسلموا عليهم

(قوله قل للمؤمنين الخ) شروع في ذكر أحكام سم المستأذنين وغيرهم (قوله يفضوا) أي يخفضوا (قوله ومن زائدة) أي يفضوا
أبصارهم وحكمة دخول من في غض البصردون حفظ الفرج الاشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أركي
لهم) أي لأنه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقي الجوارح كذلك وخض البصر والفرج بالذكور لأنهما مقدمتان
فبهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أي فالتفاض يجازي بالحسنات وغيره يجازي بالسبئات (قوله وقل للمؤمنات يفضن
من أبصارهن) هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بفض الأبصار وحفظ الفروج وبسط الكلام في شأنهن لأن النساء
شأنهن التبرج والحيلاء والعجب لما روى «إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزيها لمن ينظر وإذا أدبرت جلس على
عجزتها فزيها لمن ينظر» وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للآثام ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير
في القرآن في هذا الشأن (قوله مما لا يحل لمن فعله بها) أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج كان تمكن المرأة من فرجها
غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زيتتهن) أي موضع زيتتهن (قوله فيجوز نظره لأجنبي الخ) هذا مذهب مالك وأحد قولين
عند الشافعي (قوله حسما للباب) أي (١٢٨) سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أي يلقين خمرهن على

موضع جيوبهن وهو
العتق والجيب في الأصل
طوق القميص وكانت
النساء على عادة الجاهلية
يسدلن خمرهن من
خلفهن فتبدو نحو رهن
وقلائدهن من جيوبهن
لسقتها فأمرن بارسال
خمرهن على جيوبهن
سترا لما يبدو منها (قوله
زيتتهن) أي مواضع
زيتتهن (قوله إلا لمعتنهن)
حاصل هذه الاستثنائات
انما عشر نوعا آخرها
أو الطفل (قوله أو آبائهن)
أي وإن علا وقوله أو
أبائهن) ولو من الرضاع

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)
عما لا يحل لهم فعله بها (ذَلِكَ أَرْكَى) أي خير (لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا يَصْنَعُونَ) بالأبصار
والفروج فيجازيهم عليه (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لا يحل لمن نظره
(وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لمن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرون (زَيْتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ
مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين . والثاني يحرم
لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس
والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (إِلَّا
لِجُيُوتِهِنَّ) جمع بعل أي زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ)
فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات
فلا يجوز للسلمات الكشف لمن وشمل ما ملكت أيماهن الصيد (أَوْ التَّابِعِينَ) في فضول
الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أَوْ لِإِزْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنْ
الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوْ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال ،

(الدين)

وإن سفلوا (قوله أو إخوانهن) جمع أخ كان من نسب أو رضاع (قوله أو نسائهن)

أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الإيمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أي يجوز للرجال المحارم رؤية
ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء . ويجوز لمن نظر ذلك منهم . وهذا مذهب الشافعي ، وعند مالك لا يحل للرجال
المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم ، وأما النساء فيحل لمن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم
(قوله فلا يجوز للسلمات الكشف لمن) أي باتفاق مالك والشافعي لثلاث تصفها الكافرة لأهل دينها فتصل المفسد (قوله الصيد)
أي فيجوز أن يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ، وهذا مذهب الشافعي
وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدهته الوجه والأطراف وغيره كالجر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين
(قوله أو التابعين) الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء أو الأب الذي لا يعرف الأرض من السماء ولا
الرجل من المرأة (قوله غير أولى الإربة) بالسكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين : أي فيجوز لمن ذكر نظر
ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط .

(قوله الدين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلفه وليس فيه نوران شهوة وهذا كالحرم ، أو يعرف أمرا جماعا والشهوة وهذا كالبالغ بانفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي فان ذلك يورث الرجال ميلا إليهن ، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط والإفصاح الخلل مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا إلى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أي في قوله وتوبوا الخ (قوله) وأنكحوا الأيامي منكم الخ) الخطاب للأولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أي بوزن فيعل ، قيل غير مقلوب ، وقيل إن الأصل أيام فقلب (قوله وهي ممن ليس لها زوج الخ) أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة غير المتزوجين سواء سبق لهما تزويج أولا ، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لكن المرأة يزوجه وليها والرجل يتزوج نفسه إن كان رشيدا أو أذن له وليه ، وهذا مذهب مالك والشافعي ، وهند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها فان لم تخف الزنا أولم تضطر للمرأة كان مباحا عند الشافعي ومندوبا عند مالك وأبي حنيفة . واعلم أن النكاح تعتبره الأحكام الأربعة: فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا ولو كان ينفق عليها من حرام ، وتارة يندب إذا كان راجيا إليه ولم يخش الزنا أو راجيا للنسل، وتارة يحرم كما إذا كان يقطع عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع (١٢٩) كونه لم يخش الزنا ، وتارة يكره كما

إذا كان يقطع عن عبادة إذا كان يقطع عن عبادة مندوبة (قوله وهذا في الأحرار الخ) أي بقرينة قوله وإمائكم (قوله أي فالعبيد المؤمنون بزواجهم) أي فالعبيد المؤمنون بزواجهم وجوبا إن خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعي وهند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحيفئذ فالأمر عنده للندب (قوله من عبادكم) أي فيزوجه سيده ولو بجمرة

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يَظْهَرُوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) لِلْجَمَاعِ فَيَجُوزُ أَنْ يَبْدِينَ لَهُمْ مَا عَدَا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) مِنْ خَلْخَالِ يَتَقَمَّقُ (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) نَمَا وَقَعَ لَكُمْ مِنَ النَّظَرِ الْمَنْعُوقِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ (لَمَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تَنْجُونَ مِنْ ذَلِكَ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْهُ ، وَفِي الْآيَةِ تَغْلِيْبُ الذَّكَوْرِ عَلَى الْإِنَاثِ (وَأَنْكِحُوا الْيَأْمِي مِمَّنْكُمْ) جَمْعُ أَيِّمْ ، وَهِيَ مِنْ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ بَكَرًا كَانَتْ أَوْ ثِيْبًا وَمِنْ لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ وَهَذَا فِي الْأَحْرَارِ وَالْحُرَاتِ (وَالصَّالِحِينَ) أَي الْمُؤْمِنِينَ (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وَعِبَادٌ مِنْ جَمْعِ عَبْدٍ (إِنْ يَكُونُوا) أَي الْأَحْرَارُ (فَقَرَاءُ يُفْنِيهِمُ اللَّهُ) بِالتَّزْوِجِ (مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) خَلْقَهُ (عَلِيمٌ) بِهِمْ (وَلَيْسَتْ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أَي مَا يَنْكِحُونَ بِهِ مِنْ مَهْرٍ وَهَوَقَّةٍ عَنِ الزَّانَا (حَتَّى يُفْنِيَهُمُ اللَّهُ) يَوْسَعُ عَلَيْهِمْ (مِنْ فَضْلِهِ) فَيَنْكِحُونَ (وَالَّذِينَ يَبْتَتِنُونَ الْكِتَابَ) بِمَعْنَى الْمَكَاتِبَةِ (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ،

وقوله وإمائكم : أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحرته بشرط أن لا يجد للحرائر طولاً وأن يخشى الزنا ومحل الشرطين إن لم يكن عقياً (قوله من جموع عبد) أي وله جموع أخر كعبيد وأعباد وأعبود ونحو ذلك (قوله إن يكونوا فقراء يفنهم الله من فضله) أي فان في فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام « اطلبوا الفنى بالتزويج » فالهم تزويج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وإن كانوا فقراء لما في الحديث « تنكح المرأة لما لها وجمالها ودينها فليلك بذات الدين تربت يداك » (قوله والله واسع) أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفذ (قوله عليهم بهم) أي بحالمهم فيفنيهم (قوله وليست تعفى الذين لا يجدون نكاحا) أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما في الحديث « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليله بالصوم فانه له وجاء » ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوى الشهوة واستعمال ضتها (قوله أي ما ينكحون به) أي فالصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله من الزنا) قدره إشارة إلى أن متعلق يستغف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويتفنون صلته والكتاب معمول لبيتفنون ، وقوله : مما ملكت أيمانكم حال من فاعل بيتفنون ، وقوله : فكاتبوم الجملة خبر وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبه) أي وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على

(قوله فكاتبوهم) الأمر للندب (قوله أي أمانه) أي في دينه (قوله وقدرة على الكسب) أي بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الأمر فيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شيء) أي وهو أفضل من الاعطاء لأنه قد يصرفه في غير جهة الكتابة والأفضل أن يكون ذلك الحط في آخر نعيم (قوله ولا تسكروها فتياتكم) جمع فتاة ولا مفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وإنما عبر به لأنه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بفت المرأة تفتى بغاء : أي زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله إن أردن تحصنا) لا مفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن ، وإنما نصت على ذلك لأنه الواقع من عبد الله بن أبي الذي نزلت في حقه الآية (قوله محل الاكراه) أي فلا يتحقق الاكراه إلا عند تلك الإرادة وأما عند ميله له فذلك باختياره فلا يتصور الاكراه حينئذ فالتقييد لأجل صحة قوله تسكروها (قوله كان يكره جواريه) أي وكن - ستا فشكا ثنتان منهن للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لمن) أي ما وقع منهن لأن الكره وإن لم يكن آتياً فلا يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف المقتل أو الضرب المؤدى له أو تلف عضو ، وأما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره ، وأما ترك الصلاة (١٣٥)

(فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة ، وصيغتها مثلاً كاتبك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا أدبتهما فأت حر فيقول قبلت (وَآتُوهُمْ) أمر للسادة (مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْتُكُمْ) ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه (وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ) أي إمائكم (عَلَى الْبِغَاءِ) أي الزنا (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) تعفوا عنه وهذه الإرادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لِتَقْتَبَعُوا) بالإكراه (عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا) نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (وَمَنْ يُكْرَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ) لمن (رَحِيمٌ) بهن (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرهما في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينة (وَمَثَلًا) خبراً مجيباً وهو خبر عائشة (مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) أي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة كعبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) في قوله تعالى : ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الخ ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه قلم الخ ، يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي منورها بالشمس والشمس (مِثْلُ نُورِهِ) أي صفته في قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ)

فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ما ذكر) راجع للفتح ، وقوله أو بينة راجع للكسر (قوله ومثلاً) عطف على آيات (قوله أي من جنس أمثالهم) أشار بذلك إلى أن في الآية حذف مضافين والأصل ومثلاً من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والأرض) اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولاً وتدرج بواسطتها سائر البصيرات كالكيفية الفائضة من النسرين على الأجرام

الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله تعالى ، وحينئذ

فيجاب عن الآية بأن معنى قوله - نور السموات والأرض - خالق النور في السموات والشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة ، وفي الأرض بالمصباح والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين أفاد هذا المفسر بقوله : أي منورها وقيل معنى نور السموات والأرض مظهرها لأن النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره ، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر للأشياء من العدم إلى الوجود . قال ابن عطاء الله في الحكم : الكون كله ظلمة أثاره ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله إذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ ، وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف : أي كمثل مشكاة (قوله أي صفته في قاب المؤمن) أشار بذلك إلى أن في الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولاً بمعنى ثم ذكره ثانياً بمعنى آخر نتجصل أنه فسر النور أولاً بالحسي وثانياً بالمعنوي (قوله كمشكاة) اختلف في هذه اللفظة ، قيل عربية وقيل حبشية مخرجة (قوله في زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرأه شافعية .

(قوله هي القنديل) بكسر القاف (قوله الوقوفة) صوابه الوقوفة (قوله غير النافذة) قيد به لأنه في تلك الحالة أجمع للوقوف (قوله أي الأنبوبة) هي السنبلة التي في القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة ، وحديث فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة فتحصل أنه اختلفت في المشكاة فقيل هي الطائفة غير النافذة التي وضع فيها القنديل وعليه فهي ظرف للقنديل ، وقيل هي السنبلة التي تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضما) أي مع الهمزة قراءة ثان سبعيتان ، وقوله وضمها وتشديد الياء قراءة سبعة أيضا فتكون القراءات ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) أي وبابه قطع (قوله منسوب إلى الدر) أي لشدة صفائه (قوله بالماضي الخ) حاصله أن القراءات ثلاث سبعيات بالماضي وبالماضي بالتحانية ويكون الضمير عائدا على المصباح وبالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجية على حذف مضاف : أي فتيلة الزجاجية (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار للمفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) أي لكثرة منافعها . قال ابن عباس : في الزيتون منافع يصرج بزيتيه وهو إدام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الزماد بفصل به الأبريسم ، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لاشرقية ولا غربية) بالجر صفة لشجرة وقرئ شدودا بالرفع خبر لمحدوف أي لاهى شرقية ولا هي غربية والجملة في محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما) (١٣١) الخ أشار بذلك إلى أن المراد بقوله لاشرقية

المراد بقوله لاشرقية ولا غربية أنها متوسطة لاشرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما هو الشام فان زيتونه أجود الزيتون وفي الحديث « لاخبر في شجرة ولا نبات في مقناة ولاخبر فيهما في مضحي » والمقناة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس والمضحي هو

هي القنديل ، والمصباح : السراج أي الفتيلة الموقدة ، والمشكاة : الطائفة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل (الزجاجية كآبها) والنور فيها (كوكب دري) أي مضى بكسر الدال وضما من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام وضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر الأوّل (توقد) المصباح بالماضي ، وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا المفعول بالتحانية ، وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجية (من) زيت (شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) لصفاته (نور) به (على نور) بالنار ، ونور الله أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان (يهدي الله لنوره) أي دين الاسلام (من يشاء ويضرب) بين (الله الأمثال للناس) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء عليم) ومنه ضرب الأمثال ،

الذي تشرق عليه دائما فحرقه وهو أحد قولين ، وقيل معنى لاشرقية ولا غربية أن الشمس تبقى عليها دائما من أول النهار لآخره لا يواربها عن الشمس شيء كالثي تكون في الصحارى الواسعة فإن غرمتها تكون أنضج وزيتها أصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها (قوله مضرين) هذا هو محل النفي وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لأضاء (قوله نور به) أي الزيت ، وقوله على نور : أي مع نور وهو نور المصباح والزجاجية فلا توارب المشبه بها متعددة كأنوار المشبه فليس المقصود في الآية التشبيه بل الكثرة وتراكم الأنوار (قوله ونور الله : أي هداه الخ) أي فبراهين الله تزداد في قلب المؤمن برهانا بعد برهان . إن قلت لم ضرب الله المثل بنور الزيت ولم يضرب به بنور الشمس والقمر والشمع مثلا . أوجب بأن الزيت فيه منافع ويسهل لكل أحد كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة . واختلف في هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء وذلك بأن يراد مثل نور الله الذي هو هداه وبراينته الساطعة كجملة النور الذي يتخذ من هذه الهيئة أو تشبيه جزء بجزء بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقابله بالزجاجية ومعارفه بالزيت وإيمانه بالمصباح (قوله يهدي الله لنوره من يشاء) أي من يريد هدايته فان الأسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور (قوله أي دين الاسلام) المراد به ما يشمل الإيمان وهو الذي ضرب له المثل المتقدم وأظهر في مقام الاضرار اعتناء بشأنه (قوله ويضرب الله الأمثال للناس) أي تقريبا للمعقول من المحسوس بحيث كان نور الإيمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن إلا شاهدتها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر ويشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده

بين البصر ، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون فأدناهم أهل الرقية وأعلام أهل المشاهدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقوله في الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر خبوء الله » وقوله في الحديث أيضا « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وللعارفين تفننات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور (قوله في بيوت) المراد بها جميع المساجد ، وقيل خصوص مساجد أربع الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباه لأنه لم يبقها إلا النبي فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباه بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقرب الأول لأن العبادة بموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتي) أى سواء قرئ يثناه لفاعل أو المفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد لماورد « بيوت الله في الأرض نصي ، لأهل السماء كما نضى النجوم لأهل الأرض » ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دل عليه قوله يسبح ، والتقدير سبحانه بكم في بيوت وطى هذين فالوقف طى علم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وطى هذه الأربعة لا يوقف طى علم (قوله أذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء المقدرة ، والتقدير أمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد أو أعلى ولا مناقاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدكم » لأن المنهى عنه الزخرفة والتزويق لاحسن البنيان وإيقانه ومن التعظيم الحسى (١٣٢) تطهيرها من الأقدار والنجاسات . قال القرطبي : كره بعض أصحابنا تعليم

الصبيان في المساجد لأنهم لا يتحرزون عن الأقدار والأرساخ فيؤدى ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال « جنبوا مساجدكم صبيانكم وجانينكم وسملى سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع

(فِي بِيُوتِ) متعلق بيسبح الآتي (أذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) تعظم (وَيَذُكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ) بتوحيده (يُسَبِّحُ) ففتح الموحدة وكسرهما : أى يصلى (لَهُ فِيهَا بِالْفُدُوِّ) مصدر بمعنى الغدوات أى البكر (وَالْأَصَالِ) المشاي من بعد الزوال (رِجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر كأنه قيل من يسبحه (لِأَنَّهُمْ تِجَارَةٌ) أى شراء (وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضرب (فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) من الخوف ، القلوب بين النجاة والملاك ، والأبصار

بين

أصواتكم وخصوماتكم وجروها في الجمع واجملوا لها على أبوابها المطاهر والتعظيم

المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا يعنى (قوله ويذ كرفها اسمه) أى بأى ذكركان (قوله بفتح الموحدة وكسرهما) أى فهما قرأتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاثة والأول أولى ، ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر محذوف تقديره بحسبه أو المسبح وعليه فالوقف على الأصال وطى الكسرفرجال فاعله ولا يوقف على الأصال (قوله أى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتغالها عليه ، واختاف في المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح في الغدو وباقى الخمس فى الأصال ، وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال ، وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الأصل وأما هنا فالمراد منه الأزمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار ، وقوله المشاي هي أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكركر لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لكره البيع بعده ، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكركر لأن الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله : وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذكركر الحصى بعد العام اعتناء بشأنهما فإن الواظبن عليهما كامل الإيمان (قوله وإقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء رجال وإن أكثروا الذكركرو الطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لهم بأنهم ماعبدوه حق عبادة (قوله بين النجاة والملاك) وراجع لتقلب القلوب ، وليل معنى قلب القلوب لارتفاعها إلى الخناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول

(قوله بين ناحيتي اليمين والشمال) وقيل قلب الأجر شخصها من هول الأمر وشدة (قوله ليجزئهم الله) اللام العاقبة والصبرية أي إن مال أحرم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لأن هذه مرتبة عامة للمؤمنين وتلك الأوصاف إنما هي لكامل لايمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أي فلهترز عنه المجازة على التبيح فالمنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى - إنا لانضيق أجر من أحسن عملا - ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها ضرب المثل للكفار بأشرف الأشياء وأخسها . والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لأعمالهم الحسنة بقوله كسر اب الخ ومثل لأعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسر اب خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتغال وكسر اب خبر الدين (قوله أعمالهم) أي الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله بقية) الباء بمعنى في كاشير له للفسر بقوله أي في فلاة (قوله جمع قاع) أي كجيرة جمع جار ، وقيل القية مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجاري) أي ويسمى آلا أيضا قال الشاعر : إذا أنا كالذي يجري لورد إلى آل فلم يدرك بلالا (١٣٣) ويسمى سرايا لأنه يقسرب

أي يجري كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءة ثان سببها وتحتها قراءتان سببها وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب نبت في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فانهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضا (قوله الظمان) أي وكذا كل من رآه وإنما خص

بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أي ثوابه وأحسن : بمعنى حسن (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب : أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع : أي في فلاة ، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (بِحَسْبِهِ) يظنه (الظَّمَانُ) أي العطشان (مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفقه (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) أي عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أي جزاءه عليه في الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي المجازة (أو) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كظلماتٍ في بحرٍ ،

الظمان لأنه أخرج إليه من غيره (قوله حتى إذا جاءه) أي جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية في محذوف أي يستمر سائرا إليه حتى إذا جاء الخ (قوله كذلك الكفار الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح ينفقه في الآخرة فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته بحال الظمان الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعاقب به فإذا جاءه لم يجده شيئا (قوله ووجد الله) أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو العنى وجد عذاب الله له (قوله أي جزاءه عليه في الدنيا) المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق أن الله جزاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وإن كان صحيحا في نفسه إلا أن المفسرين على خلافه فانهم قالوا : معنى وفاه حسابه جزاءه عليه في الآخرة بالعذاب . والحاصل أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نية فسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة ولا تنزه أصلا وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعا أصلا ، وقيل يجد نفعا إما في الدنيا كتوسيتها عنه وعافيته وغير ذلك ، أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكافر (قوله أو كظلمات) أوللتقسيم أي أن أعمال الكافر جميعها تنقسم قسمين : قسم كالسراب وهو العمل الصالح ، وقسم كالظلمات وهو العمل السيئ ، وقوله : أو كظلمات محذوف على قوله : كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذا ظلمات يدل عليه قوله - إذا أخرج يده لم

(قوله لجي) . نسوب للبحر أو لاجبة وهو الماء الغزير (قوله يشاء موج الخ) أي يعلوه وهو إطارة إلى كلمة الأمواج وتراكبها ، والمعنى أن البحر اللجى يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء فإذا تراكفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان مع ذلك سحب ازدادت الظلمة جدا ، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات : ظلمة البحر والأمواج والسحاب ، كذلك الكفار له ثلاث ظلمات : ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحب) أي قد غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك إلى أن قوله : ظلمات خبر لمخدوف (قوله إذا أخرج يده) خصها لأنها أقرب الأشياء إليه (قوله) ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء ، والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له (قوله ألم تر) الخطبات لكل عاقل وهو توبيخ للسكفار كأن الله يقول لهم إن تسبيحى ليس قاصراً عليكم بل جميع من فى السموات والأرض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله - كل قد علم صلواته وتسبيحه - فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله وأطير) بالرفع عطف على من والنصب على العيبة وصفات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف أي أجنحتها (قوله بين السماء والأرض) (١٣٤) والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير لأنه فى حالة الطيران يكون

لجى) عميق (يشاء موج من فوقه) أى الموج (موج من فوقه) أى الموج الثانى (سحاب) أى غيم ، هذه (ظلمات بعضها فوق بعض) ظلمة البحر ، وظلمة الموج الأول ، وظلمة الثانى ، وظلمة السحاب (إذا أخرج) الناظر (يده) فى هذه الظلمات (لم يكدر أها) أى لم يقرب من رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) أى من لم يهده الله لم يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض) ومن التسبيح صلاة (وأطير) جمع طائر بين السماء والأرض (صافات) حال باسطات أجنحتهن (كل قد علم) الله (صلواته وتسبيحه) والله عليم بما يفعلون (فيه تغليب العاقل) (ولله ملك السموات والأرض) خزائن المطر والرزق والنبات (وإلى الله المصير) المرجع (ألم تر أن الله يرزق سحاباً) يسوقه برفق (ثم يؤلف بينه) يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المنفردة قطعة واحدة (ثم يجمعه ركاماً) يضمه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) يخارجه (ويُنزل من السماء من) زائدة (جبال فيها) فى السماء ،

بين السماء والأرض (قوله قد علم الله صلواته الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى علم يأتى على الله ، ويصح عوده على كل أى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أى حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للأرض وفى كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل والله ملك

بدل

خزائن السموات والأرض ، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره

وعلى كل فهو من أدلة تزيه المخلوقات له (قوله وإلى الله المصير) أى مرجع الخلائق كلها إلى الله فيجازى كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لخصوص النبى صلى الله عليه وسلم لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه لأن كل جزء سحب وبهذا اندفع ما قيل إن بين لا تدخل إلا على متعدد وإلى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه إلى بعض الخ (قوله ركاماً) الركام الشيء المتركم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) أى تبصره (قوله يخارجه) أى ثقبه فالسحاب غربال المطر . قال كعب الأحبار : لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأنسد ما يقع عليه من الأرض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها : من الجبال التى هى البرد وهو ضرر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير والثانية فيها ثلاثة أوجه : قيل زائدة ، وقيل ابتدائية ، وقيل تبعيضية وهو الأحسن ، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الأحسن وحيثما يكون المعنى على ذلك وينزل من جبال كائنة فى السماء التى هى البرد إزالا ناشئاً ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الحار والمجروح متعلق بمحذوف صفة لجبال .

(قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال وللناسب ليمسّر أن يقول أو يدل فيكون قولنا لأن هذا لا يتأدى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أي بالبرد (قوله سنابره) هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء وأما بالمد فعناه الرفعة وليس مرادا (قوله أي يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار لتعدية ، والمعنى يذهبها بسرعة لأن الضوء القوي يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء إذا فعل رجل بآخر فعلا أذهب بصره وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع في الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله أي يأتي بكل منهما بدل الآخر) أي ويقصر هذا ويطول هذا وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر (قوله لأولى الأبصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكور لأنهم ينتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد فسبحان القادر على كل شيء (قوله على قدرة الله) متعاقب بدلالة (قوله أي حيوان) أشار بذلك إلى أن الراد بالدابة مادب على وجه الأرض لا خصوص ذوات الأربع (قوله أي نطفة) هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية وإلا فاللائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذي نفخه (١٣٥) جبريل في جيب أمه والودود

تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد أن الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا خلق منه الملائكة وجعل بعضه ناراً خلق منه الجن وجعل بعضه طينا خلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجمع (قوله من يمشي على بطنه) قدمه لغرابته وصحابة عشيا مشا كلة لما

بدل باعادة الجار (من برّدي) أي بعضه (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ هُنَّ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ) يقرب (سَنَابِرُهُ) لمانه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) الناظرة له أي يخطفها (يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي يأتي بكل منهما بدل الآخر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) التقليل (لَعِبْرَةً) دلالة (لِأُولَى الْأَبْصَارِ) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) أي حيوان (مِنْ مَاءٍ) أي نطفة (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ) كالحيات والهوام (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) كالبهائم والنعامة (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ) أي بينات هي القرآن (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الإسلام (وَيَقُولُونَ) أي المنافقون (آمَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ) بتوحيده (وَبِالرَّسُولِ) محمد (وَأَطَعْنَا) هما فيما حكاه به (ثُمَّ يَتَوَلَّى) يعرض (فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) عنه (وَمَا أُولَئِكَ) المعرضون (بِالْمُؤْمِنِينَ) اليهوديين الموافق قلوبهم لألسنتهم (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه (لِيَحْكُمَ بِهِمْ) إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن الهجيء إليه (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) مسرعين طامعين (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كتمر

بعده وإلا هو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أي خشاش الأرض وأدخات الكفاف البدود (قوله كالإنسان والطير) أي والنعامة (قوله ومنهم من يمشي على أربع) أي ومنهم من يمشي على أكثر كالعقارب والفضكيوت والحيوان المعروف بأربع وأربعين وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره وولدهوله في قوله: يخلق الله ما يشاء (قوله إن الله على كل شيء قدير) أي بما ذكر وما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف: أي والله لقد أنزلنا الخ (قوله مينات) بكسر الياء وفتحها قراءة ثان سبعيتان (قوله والله يهدي من يشاء) أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى إلا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا في الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع في ذكر أحوال المنافقين (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير في ليحكم مع أنه تقدمه اثنان فاجب بأن الرسول هو المباشر للحكم وإنما ذكر الله معه تفخيما لشأنه وتعظيما لقدمه (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أي إن كان الحكم عليهم بدليل مابعد (قوله إليه) يصح أن يكون متعلقا بآتوا أو بمذعنين (قوله أفي قلوبهم مرض) أشار بذلك إلى أن منشا الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير يعني النفي . والمعنى الامل لحونهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) أي الحكم (قوله إنما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم أن وما دخلت عليه وقرئ شذوذًا برقعته على آتة اسمها وأن وما دخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) أي قولاً وفعلًا (قوله حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول (قوله ومن بطع الله الخ) قال بعض الأخبار هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى وإلا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرهما) أي باشباع ودونه فهذه ثلاث قراءات و بسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفأزون) أي الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة ، والمعنى جهدوا أيمانهم جهدا خذف الفعل وأقيم المصدر مقامة وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنت نكنا معك لئن خرجت خرجنا ولئن أفتت أفتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن) (١٣٦)

(أم أرتابوا) أي شكوا في نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكم أي فيظلموا فيه ؟ لا (بل أولئك هم الظالمون) بالإعراض عنه (إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالإجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه) بسكون الهاء وكسرهما بأن يطيعه (فأولئك هم الفأزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) فإتيها (لئن أمرتهم) بالامهاد (ليخرجن ، قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذي لاتصدقون فيه (إن الله خير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ بين (وعهد الله الذين آمنوا منكم وأعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بني إسرائيل بدلا عن الجبارة (وليمكّن لهم دينهم ،

اللام موثقة للقسم ويخرجن فصل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجون حذف تون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذف الواو لالتقاءهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) متداً ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح أن يكون طاعة خبرا لمحذوف تقديره أمرم طاعة معروفة أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة

الذي

بالصدق وموافقة الواقع لا مجرد القول باللسان (قوله إن الله

خير بما تعملون) تحليل لما قبله والمعنى لا تخلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فأنما عليه ما حمل هلة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) أي كلف (قوله تهتدوا) أي حصلوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم ، وقوله وما على الرسول إلا البلاغ المبين راجع لقوله فأنما عليه ما حمل على سبيل اللطف والنشر للشوش (قوله أي التبليغ بين) أي الظاهر وقد أداءه فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعهد الله الخ) وعد فعل ماضى ولفظ الجلالة فاعله الاسم الموصول مفعوله الأول والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا بدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موثقة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الأمة (قوله في الأرض) أي لجميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) ماضية والمعنى استخلفا كما استخلف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان

(قوله الذي ارتضى لهم) العائد محذوف أي لرضاه لهم ، وليس وليقبلن دينهم الذي رضيه لهم ظاهرا وفاقا على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعتان (قوله بما ذكر) أي وهو ما تقدمت من الأمور الثلاثة (قوله يعبدوني) أي يوحّدوني ، وقوله لايشركون بي شيئا حال من فاعل يعبدوني أو بذل مما قبله (قوله هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بلهم يستطوفون ويحجل دينهم ظاهرا على جميع الأديان ويؤمنون فقيل يعبدوني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة ، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله - فأولئك هم الفاسقون - وليس المراد به مقابل الإيمان والإلقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) أي بالإنعام (قوله قتلة عثمان) أي وهم جماعة من الرعية أخذوه بقتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول - (قوله لعلكم ترحمون) الترحي في القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعتان (قوله والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين واسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله بأن يفوتونا) أي يفوتونا من (١٣٧) عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن

أو على مقدر تقديره بل هم متهورون ومأواهم (قوله هي) قدره إشارة إلى أن الخصوص بالنعم محذوف (قوله بإيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختلاف في الأمر فقيل للوجوب وقيل للندب والأمر متعق بالخدمين لا بالخدم . وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعا فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام

الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها (وَلِيُبدَلْنَهُمْ) بالتخفيف والتشديد. (مِنْ بَعْدِ حَوْنِهِمْ) من الكفار (أَمْناً) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر ، وأثنى عليهم بقوله (يَعْبُدُونَنِي لِأَشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) هو مستأنف في حكم التعليل (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الإنعام منهم به (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي رجاء الرحمة (لَا تَحْسَبَنَّ) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُعْجِزِينَ) لنا (فِي الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَأْوَاهُمْ) مرجعهم (النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هي (بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْتَاعُوا الْحُرْمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أسر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه ، أي هي أوقات ، وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدوا فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ ،

عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فأنكشف منه شيء ، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمتنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا باذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أسر النساء) أي ميزوا بين النورة وغيرها (قوله في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أي لأنه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أي التي تلبس في اليقظة تضعونها لأجل التقليل (قوله من الظهيرة) أي من أجل الظهيرة وهي شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أي لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم في الفراش (قوله بالرفع) أي وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أي هي أوقات الخ) أي فالأصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله وبالنصب) أي وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعتان (قوله وهي لإلقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدوا فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أي في تمكينكم لإيام من لدخول عليكم .

(قوله ولا عليهم) أي في الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) اشترط بذلك إلى أن طوافون خبر محذوف (قوله هل بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر من قوله بعضكم فمره للفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة ، لأن المعنى الأطفال والماليك يطوفون عليكم للخدمة وأنهم تطوفون عليهم للاستخدام فلا كلفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيرها لصاق الأمر عليكم بقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ما قبله (قوله وآية الاستئذان) أي قوله قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) أي لما روى أن نفرا من العراق قالوا لابن عباس : كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد ، فقال ابن عباس : إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يجب السر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب ، فرجما دخل الخادم أو الولد أو يقيم الرجل والرجل على أهله ، فأمر الله بالاستئذان في تلك المناسبات فجاءهم الله بالستور والحجاب فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) أي كما روى عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان) أي لسكرة النطاء والوطاء ، ومع ذلك فالمناسب (١٣٨) تعليم الاستئذان في هذه الأوقات للصبيان والماليك ليكونوا متخلقين

بالأخلاق الجميلة (قوله) ولهذا بلغ الأطفال) مقابل لقوله - والذين لم يبلغوا الحلم - (قوله الذين من قبلهم) أي الذين ذكروا في قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية (قوله آياته) أي أحكامه (قوله والله عليم حكيم) أي بأمور الخلق فالذي يفطن الخلق بأخلاق الشرع ولا يعول الانسان على ما يعلسه من صيانة حريمه ويترك آداب الشرع (قوله والقواعد)

وَلَا عَلَيْهِمْ) أَي الْمَالِيكِ وَالصَّبِيَّانِ (جُنَاحٌ) فِي الدَّخُولِ عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ (بَدَءَهُنَّ) أَي بَعْدَ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ ، هُمُ (طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ) لِلخِدْمَةِ (بَعْضُكُمْ) طَائِفٌ (هَلْ بَعْضُ) وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا (كَذَلِكَ) كَمَا يَبَيِّنُ مَا ذَكَرَ (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أَي الْأَحْكَامَ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بِأُمُورِ خَلْقِهِ (حَكِيمٌ) بِمَا ذَكَرَهُ لَهُمْ ، وَآيَةُ الاسْتِئْذَانِ قِيلَ مَنْسُوخَةٌ ، وَقِيلَ لَا وَلَكِنْ تَهَانُونَ النَّاسَ فِي تَرْكِ الاسْتِئْذَانِ (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ) أَيِهَا الْأَحْرَارُ (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَيِ الْأَحْرَارِ الْكِبَارِ (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ قَعْدَنَ عَنِ الْحَيْضِ وَالْوَلَدِ لِكِبَرِهِنَّ (الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لِذَلِكَ (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) مِنَ الْجِلْبَابِ وَالرِّدَاءِ وَالقِنَاعِ فَوْقَ الْحِجَابِ (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مَظْهَرَاتٍ (بِزِينَةٍ) خَفِيَّةٍ كَقِلَادَةٍ وَسَوَارٍ وَخَلْمَالٍ (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بِأَنْ لَا يَبْضِعْنَ (خَيْرٌ لِمَنْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لِقَوْلِكُمْ (عَلِيمٌ) بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) فِي مَوَاقِلَةٍ ،

جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء مقابلهم فلا يحتاج تمييز بناء وهو مبتدأ واللاتي صفته ، وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالغاء لعموم البتداء فان ال فيه اسم موصول أو لسكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن من الحيض) أي انقطع حيضهن (قوله اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه موت شهوتهن عن الرجال (قوله ان يضعن) أي يزرعن (قوله من الجلباب) أي وهي الملحفة التي يغطي بها جميع البدن كالملافة والحبرة (قوله والقناع) أي الذي يلبس فوق الحمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينه) أي متزينات بحيث وجد الشرط جزأ من كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة وهو الملقى به هند مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله بأن لا يرضعها) أي بأن يرضع لوجهه والكففين بين الأجانب (قوله خبر لمن) أي لما فيه من سد الذرائع فالأفضل لمن ستر لوجهه واليدين لأن كل ساقطة لها لا تقطع (قوله ليس على الأعمى حرج الخ) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية ، فقال ابن عباس : لما نزل - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - نحرَج المسلمون عن مؤاكلة العيب والزمني والعسى والمرج ، وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يمشي من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمرضى يضطرب عن

الغناول ولا يستولى حقه من الطعام فزلت هذه الآية ، وهى هذا فتكون على معنى فى : أى ليس عليكم فى مؤاكلة الأعمى والأعرج والمرضى حرج . وقيل سبب نزولها أن هؤلاء الجماعة كانوا يخرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقنروهم وهى فعل على بابها ، وقيل إن الآية نزلت فى الجهاد ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى التخلف عن الجهاد ، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للنزود دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يخرجون من ذلك ويقولون لاندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذتهم من طيب نفس ، فزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح إذ علمت ذلك فنفى الحرج عن هؤلاء فى أمور مخصوصة وليس ذلك على العموم فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابلهم) أى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى ، والمعنى ليس عليكم حرج فى الأكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) يضم الباء وكسرها قراءة ثان سبعتان هنا وفى جميع ما يأتى (قوله أى بيوت أولادكم) أى ذكورا أو إناثا لأن بيت الولد كبيتته لقوله عليه الصلاة والسلام « أنت ومالك لأبيك » وقوله عليه الصلاة والسلام « إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولفه من كسبه » والحامل للفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة ، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أى وإبنه علوا (قوله إخوانكم) جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا ، لأن المراد بهم إخوة النسب وهم من (١٣٩) شاركوك فى رحم أو صلب

(قوله أو بيوت إخوانكم) جمع أخت أى مما تملكه أو من ملك زوجها إن كان صديقاله أو مأذونة فيه وكذا يقال فيما يأتى (قوله أو ما ملككم) بالتخفيف وقرئ شذوذا يضم الميم وتشديد اللام مكسورة أى ملككم غيركم (قوله مفتاحه) جمع مفتاح بكسر الميم فى قراءة العامة وقرئ مفتاحه بالياء ومفتاحه بالافراد

مقابلهم (ولاً) حرج (على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملككم مفتاحه) أى خزنتموه لغيركم (أو صدقكم) وهو من صدقكم فى مودته ، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ، أى إذا علم رضاهم به (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً) مجتمعين (أو أشنتا) متفرقين جمع شت ، نزل فىمن تخرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل (فإذا دخلتم بيوتنا) لكم لأهل بها (فساموا على أنفسكم) أى قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة تود عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تحية) مصدر حيا (من عند الله ،

(قوله أى خزنتموه لغيركم) أى حفظتموه بان تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وما شئته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمره ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اه (قوله وهو من صدقكم فى مودته) أى من كان خالصا لكم فى المحبة (قوله من بيوت من ذكر) أى الأصناف الأحد عشر وخصوصا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله أى إذا علم رضاهم به) أى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء ، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به ، لأن القرابة التى بينهم تقتضى العطف والسماح . فان قلت على الأول حيث كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب . وأجيب بأن هؤلاء يكنى فيهم أدنى قرينة بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الاذن أو قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشنتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فىمن تخرج الخ) أى فهو كلام مستأنف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بنى كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا . وقيل نزلت فى قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الأكل وقلته (قوله فإذا دخلتم بيوتنا لكم) أى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست فودا ولأت وقوا (قوله من عند الله) أى تاجه تأمه .

(قوله مباركة) أى لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لى تفهوا ذلك) أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأب للعباد (قوله إنما للؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين ولتعرض بدم المنافقين وإنما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الدين آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) إسناد الجمع للأمر مجاز عقلى وحقه أن يسند للؤمنين (قوله كخطبة الجمعة) أى والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد حاجة أو هضم لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنه) أى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم (قوله إن الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكره تفخيا وتعظيما للاستئذان (قوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم) أى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) (١٤٠) فى ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ) يثاب عليها (كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أى يفصل لكم معالم دينكم (لِمَلِكِكُمْ تَقُولُونَ) لى تفهوا ذلك (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أى الرسول (عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَمْ يَذْهَبُوا) لمروض عذرهم (حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أَمْرُهُمْ (فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ) إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد ، بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت (قَدْ يَسْمَعُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَئِذَا) أى يخرجون من المسجد فى الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء ، وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى أمر الله أو رسوله (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء لا أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة (أَلَا إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا خلقا وعبيدا (قَدْ يَسْمَعُ مَا أَنْتُمْ) أيها الكافرون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق ،

الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لأحد هلم من ذلك أن رضا الله فى إذنه قال العارف: وحصل بالمهدى فى كل أمر فليست تشاء إلا ما يشاء (قوله واستغفر لهم الله) أى ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من أجل العذر الذى نزل بهم (قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) أى نداءه بمعنى لاتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخطبوه بالعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا إمام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فهذا يعلم أن من استخف بجانبه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المناققين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لو اذا) حال من الواو فى يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله ضمن يخالفون معنى يعرضون فعداء بمن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا إن لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أتم عليه) كذا للتحقيق . وللعلى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المناققين من الخفاة والأعراض عن أوامر الله تعالى

(و)

والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا إمام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فهذا يعلم أن من استخف بجانبه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المناققين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لو اذا) حال من الواو فى يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله ضمن يخالفون معنى يعرضون فعداء بمن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا إن لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أتم عليه) كذا للتحقيق . وللعلى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المناققين من الخفاة والأعراض عن أوامر الله تعالى

(قوله ويوم يرجعون إليه) مطوف على ما : أى يردون إليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بأعمالهم فينبئهم على الحسنات ويعاقبهم على السيئات .

[سورة الفرقان] سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل لاشتغالها على أحكام التوحيد وأدلتها ومكارم الأخلاق وأحوال المعاد (قوله إلى قوله رحيم) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أى تنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ماسواه له لأنه قديم وما سواه حادث أو معنى تبارك تعظم أى تصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك الساطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتي منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرئ شدوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الأجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدین والصحيح أنهما بمعنى واحد في المعاني والأجسام (قوله القرآن) أى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لأنه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا ويصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك وبمعنى الاستقبال بالنسبة لما سينزل (قوله لأنه فرق بين (قوله الفرقان) أى ميز بينهما وقيل لأنه نزل مفرقا في أوقات

كثيرة (قوله على عبده) إنما وصفه بهذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائذ على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائذا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والأوضح الأول (قوله دون الملائكة) أشار بذلك إلى أن الانذار خاص بالانس والجن لأن

(وَ) يعلم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فِيهِ الثَّمَاتُ عَنِ الْخَطَابِ أَى مَتَى يَكُونُ (فَيُنَبِّئُهُمْ) فِيهِ (بِمَا عَمِلُوا) مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِهَا (عَلِيمٌ) .
(سورة الفرقان)
مكية : إلا ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله رحيم أفندي
وهي سبع وسبعون آية
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تَعَالَى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) الْقُرْآنَ لِأَنَّهُ فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (عَلَى عِبْدِهِ) مُحَمَّدٍ (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَ الْمَلَائِكَةِ (نَذِيرًا) مَخَوْفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْلُقَ (قَدْرَهُ قَدِيرًا) سِوَاهُ تَسْوِيَةٍ (وَأَتَّخَذُوا) ،

الملائكة لا يجوز عليهم العاصي والمخالفة لهم صمتهم من ذلك وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسالا تكليفيا بما يليق بهم على المعتمد . والحاصل أن إرسالا النبي للثقلين إرسالا تكليفيا وكذا للملائكة ، وأما للحيوانات التي لا تعقل والجمادات فإرسالا تشریف (قوله نذيرا) أى وبشيرا وإنما اقتصر على الانذار لأن السورة مكية ، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والأرض) نعت للموصول الأول أو بيان أو بدل أو خبر لمحدوف : أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني على جملة تابعها له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك في الملك) رد على عباد الأصنام (قوله وخلق كل شيء) كالدليل لما قبله لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقال إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته . فأجاب بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق وهو العدم (قوله سواء تسوية) أى عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل إن الآية فيها قلب لأن الخلق متأخر عن التقدير لأن التقدير أزلي لأنه تعلق العلم والإرادة الأزلي والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزي الحادث . فأجاب بأن التقدير معناه التصور على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجادها على طبق العلم والإرادة ، وهذا سر قول الفزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان لأن ما أوجده الله من المخالقات تعلق به العلم

والارادة ألا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التفسير لذلك مستحيلا لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لا يتحقق به القدرة . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وقوله تعالى : إنا لنقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضى أن فى قدرة الله إذهاب هذا العالم والأتان بغيره . أوجب بأن ما فى الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجوز العقلى ومافاله الغزالي باعتبار التعلق النجيزى الذى حصل متعلقه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قولنا للعالمين (قوله آلهة) ومنهم بسبمة أوصاف أولها قوله لا يخلقون شيئا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لأنفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لأن دفعه أهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن إزا كاذبيهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا إنهم يأتون له بالأخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى إعانتهم له (قوله (١٤٣) قال تعالى) أى ردالمقاتلهم (قوله كفرا وكذبا) لف . نشر مرتب (قوله

أى الكفار (من دونه) أى الله أى غيره (آلهة) هى الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون ولا يشعرون ضرا) أى دفعه (ولا نفعا) أى جرءه (ولا يملكون موتا ولا حياة) أى إماتة لأحد وإحياء لأحد (ولا نشورا) أى بعثا للأموات (وقال الذين كفروا إن هذا) أى ما القرآن (الإفك) كذب (افتراه) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فقد جاءوا ظلما وزورا) كفرا وكذبا ، أى بهما (وقالوا) أيضا هو (أساطير الأولين) أ كاذبيهم جمع أسطورة بالضم (أكتتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهي تملى) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا ، قال تعالى ردا عليهم (قل أنزله الذى يعلم السر) الغيب (فى السموات والأرض إنه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول يأت كل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا) هلا (أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) يصدقه (أو يلقى إليه كنز) من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (يأت كل منها) أى من ثمارها فيكتفى بها ، وفى قراءة نأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) أى الكافرون للمؤمنين (إن) ما تتدعون إلا رجلا مسحورا) مخدوعا مغنوبا على عقله قال تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمس

أى بهما) أشار بذلك إلى أن ظاهرا وزورا منصوبان برفع الخافض ويصح نصبهما بجماء بتضمينه معنى فصل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ماتقدم (قوله أساطير الأولين) خبر لمخدوف قدره بقوله هو (قوله أكتتبها) أى أمر بكتبتها لأنهم يعلمون أنه أسمى لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس المراد بالاملاء الالتقاء على الكتاب ليكتبه (قوله بكرة وأصيلا) نراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى

مقاتلهم الشنعة (قوله الغيب) أى ما غاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد (يقولوا)

الكفار فيكون تعليلا لمخدوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ ، وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام . والمعنى أى شئ حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كأننا كل ويمشى فى الأسواق لطلب الرزق كما تفعل قسميتهم إياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تخصيصية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفًا على أنزل (قوله يصدقه) أى يشهدله بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) ببناء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لأن نؤت الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) إظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغنوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من إطلاق المزوم وإرادة اللازم (قوله أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء التمجى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التى كانت سببا فى ضلالم

(قوله فضلوا بذلك) أي ضرب الأمثال (قوله عن الهدى) أي الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلاً) أي لا يقدر على الوصول إلى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كال مستلزم لنفي كل قصي وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه لما كان ما تقدم مقام تزيه فسرته تعالى ، ولما كان ما هنا مقام إعطاء فسره بتكثير خبره ولما كان ما أتى في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسرته بتعظيم وهكذا يقال في كل مقام (قوله خيرا من ذلك) أي مما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك في الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لأنه شاء أن يسطيه إياها في الآخرة) عليه لقوله . أي في الدنيا ، وللعنى تكثير خير الله الذي إن شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك في الدنيا وإعمال تتعلق بإرادة الله به لسكونه قانيا ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار ممر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أي عطفنا على هل جعل لأنه جواب الشرط والمطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استثناء) أي أو معطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم بقول ابن مالك * وبعد ماض رفعك الجزا حسن * وإعمال مجزم لضف تأخير إن في الشرط لسكونه ماضيا فرفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) إضراب استقالي عن ذكر قبائحهم إلى بيان ما لهم (١٤٣) في الآخرة من أنواع العذاب

(قوله واعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا ، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى - أهلت للتقيين - (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله إذا رأتهم) أي حقيقة بعينها لما في الحديث «من كذب على متعمدا فليقبوا بين عينيه جهنم مقعدا قيل يارسول الله أولها عينان ؟ قال أما سمعت الله عز وجل يقول : إذا رأتهم من مكان

(فَضَّلُوا) بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَيْهِ (تَبَارَكَ) تَكَثَّرَ خَيْرُ اللَّهِ (الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْكَنْزِ وَالْبَسْتَانِ (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَيْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ شَاءَ أَنْ يَسْطِيهَ إِيَّاهَا فِي الْآخِرَةِ (وَيَجْمَلْنَ) بِالْجَزْمِ (لَكَ قُصُورًا) أَيْضًا فِي قِرَاءَةِ الرَّفْعِ اسْتِثْنَاءً (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) الْقِيَامَةِ (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نَارًا مَسْعُورَةً أَيْ مُشْتَدَّةً (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفِيضًا) غَلِيظًا كَالنَّضْبَانِ إِذَا خَلَى صَدْرُهُ مِنَ النَّضْبِ (وَزَفِيرًا) صَوْتًا شَدِيدًا أَوْ سَمَاعَ التَّفِيضِ رُؤْيَاهُ وَعَلِمَهُ (وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ بَأَنَّ يَضِيقُ عَلَيْهِمْ وَمِنْهَا حَالٌ مِنْ مَكَانَاتٍ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لَهُ (مُتَرَيْنِ) مُصَفِّدِينَ قَدْ قَرَنْتَ أَيْ جَمَعْتَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ وَالتَّشْدِيدِ لِكَثْرَتِهِ (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) هَلَاكَ كَمَا يُقَالُ لَهُمْ (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ،

بعيد سمعوا لها تفيضا وزفيرا - يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكنت بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر به من الطير يحب السمسم فيلتقطه ، وفي رواية « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول : إنى وكنت بكل جبار عنيد وكل من دعاه الله إلها آخر وبالصورين » انتهى ، وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الكلام على حذف مضاف : أي رأته زبانتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التفيض رؤيته وعلمه) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم ، وأجيب أيضا بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولا فتحصل أن للفسر أجاب بجوابين (قوله وإذا ألقوا) أي طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية : أي في مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أي كضيق الحائط على الرشد الذي يدق فيه نصف (قوله لأنه في الأصل مفعول) أي وهو نكرة ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يربح حالا كقول الشاعر * لية موحشا طلل * والأصل لجة طلل موحش (قوله مفرنين) حال من الواو في ألقوا ، والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والاثاقم بالقيود (قوله دعوا ههناك) أي حتى ذلك المكان (قوله ثبورا) أي فيقولون يا ثبوراه هذا أولئك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أي صفة

واحدة (قوله كذبايكم) تشبيه في الكثرة وفي نسخة باللام : أي لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعواكم ككذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والإفليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال إنهم تنكروا جزاء ومصيرا الآن ، فأجاب بأن الغنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أي مستقرا (قوله لهم فيها ما يشاءون) أي من النعم الاتفة بهم ، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله ، وبهذا اندفع ما قيل إن مقتضى الآية أن الإنسان يتمي مراتب الأنبياء في الجنة ويعطها (قوله حال) أي من الماء في لهم أو من الواو في يشاءون (قوله كان وعدمه ما ذكر) أشار بذلك إلى أن اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله : وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم ، وقوله : ربنا وأدخلهم أي كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمخوف تقديره اذكر والضمير في نحشرهم للعابدين لعير الله (قوله بالنون) أي مع النون في تقول أو الياء ، وقوله والتحتانية : أي مع التحتانية في يقول فالقرآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوجهه المفسر (١٤٤) من أنها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع

ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفنده المفسر بالتخيل ويسح أن يراد من ما العاقل وغيره كالأصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرة (قوله إني أتالوجه على العابدين) أي وتبكيه لهم وهو جواب عما يقال إن الله عالم في الأزل بما ذكر لها فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءة ان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوجهه المفسر من

كذبايكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد التي وعدت) ها (المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاءون خالدين) حال لازمة (كان) وعدمه ما ذكر (على ربك وعدا مستقولا) يسأله من وعده : ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، أو سأله لهم الملائكة : ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) أي غيره من الملائكة وعيسى وهزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إني أتالوجه على العابدين (أنتم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أضللتهم عبادي هؤلاء) أو قمتهم في الضلال بأمرهم بعبادتهم (أم هم ضلوا السبيل) طريق الحق بأنفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي) يستقيم (لنا أن نتخذ من دونك) أي غيرك (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني فكيف ناصر بعبادتنا (ولكن مقعتهم وآبائهم) من قبلهم بإطالة المصير وصحة الرزق (حق نسوا الله كرا) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ،

(وكانوا)

أنها أربع وكلها سبعة . إن قات على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء

الساكنين على غير حده وهو ممنوع . أجيب بأن محل منعه ما لم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أي العابدون وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) أي أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء التبوعون : أي معبودون لنا لأن الولي كما يطلق على التبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني ، إذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لعير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلمهم لعيره هدايهم الله وأمر بالعلق بأذيالهم (قوله مفعول أول) أي نتخذ (قوله وما قبله) أي وهو قوله من دونك (قوله فكيف نمر بعبادتنا) أي بعبادتهم إيانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن مقعتهم الخ) استدراك لرفع ما يتوهم نبوته ، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك ، وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكير في آياتك فالنسيان معناه الترك .

(قوله بورا) يحتمل أنه جمع باء مصدر من البوار وهو الملاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين قاروا واقعة على المبودين والكاف على العابدين ، وقوله بما تقولون : أي فيما تقولون ، وقوله بالفوقانية : أي باتفاق العشرة ، وقوله إنهم آلمة مقول القول (قوله أي لام) راجع للتحتمانية ، وقوله ولا أتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أي أيها المكلفون من العابدين والمبودين فظلم العابد بعبادته غير الله وظلم المبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة في قراءة العامة (قوله وما أرسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسليته صلى الله عليه وسلم والرد على الشركين حيث قالوا - مال هذا الرسول يأكل الطعام - الخ (قوله إلا إنهم) الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلت للخبر، والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال إلا في حال أكلهم الطعام ومشيهم في الأسواق : أي فهذه عاداتهم ودأبهم فإن هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان جعل بعض الصبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى النبي بالفقير الخ) أي فالتقى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالفني يستخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمرض يقول لم لم نفاق ونصير مثل هذا والمرضى ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويفتر بصحته والشريف كالأنبياء والمعلماء والصلحاء ممتحن بالوضع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا (١٤٥) والمخلص من ذلك الصبر على

أحكام الله والرضا بها لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو فوقه ولا ينظر إلى من هو فوقه لئلا يزدري نعمة الله عليه وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبنى محبة الصالحين والساكنين ومرافقتهم ليقبدي بهم (قوله يقول الثاني) أي الفقير والمرضى والوضع ، وقوله في كل

(وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكت ، قال تعالى (فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ) أي كذب المبودون العابدين (بِمَاتَقُولُونَ) بالفوقانية إنهم آلمة (فَمَا يَسْتَعْلِمُونَ) بالتحتمانية والفوقانية أي لام ولا أتم (صَرَفًا) دفعا للمذاب عنكم (وَلَا نَصْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمُ) يشرك (مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديداً في الآخرة (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّامَّ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلى النبي بالفقير والصحيح بالمرضى والشريف بالوضع يقول الثاني في كل : مالي لا أكون كالأول في كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر ومن يجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ تَرَى رَبَّنَا) فنخبر بأن محمداً رسوله ، قال تعالى (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأنهم (أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُورًا كَبِيرًا) ،

أي من اللفظ الثلاثة ، وبالجملة فافتته أن يحسد المعنى المبلى والصبر أن يحبس كل منهما نفسه هذاعن البطر وهذا عن الضجر ، عن أبي لرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - (قوله استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته : أي لينظر أحصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) في ذلك تأنيس للبعد : أي إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبئ الشكوى للخاق ولا إظهار مافي القلوب بل إن وجد الشخص في نفسه صبرا فليشكر الله وإن وجد غير ذلك فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أي لأنهم منكرون له فهم يزعمون أنهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تخصيصية (قوله فكانوا رسلا إلينا) أي بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو ترى ربنا) أي يكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للفعل : أي يخبرنا هو بأن محمداً رسوله (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم مقالاتهم (قوله تكبروا) أي حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله في شأن أنفسهم) أي أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأص

(قوله بطليموس رؤية الله) متعلق بتعوا والباء للسببية ولم يرد كمتعلق استكبروا وقد علمته ، وفي الآية لف ونهر مررب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتور راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على أصله) أى من غير إبدال (قوله بالابدال فى مريم) أى لمناسبة رءوس الآى وأصله عتور كسرت الحاء فوقعت الواو سا كنة إثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أى التوليين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أى لقوله تعالى : بشرناكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعبدون من الملائكة) أى يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله همدنا) أى تعلق إرادتنا ودفع بذلك ما قبل إن القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلازمه وهو القصد والراد من القصد فى حقه تعالى تعلق إرادته بالشئ (قوله وقرى ضيف) بكسر الكاف مع القصر أو فتحها مع اللد ومعناه الاحسان إليه (قوله فى الدنيا) متعلق بعمالوا (قوله فى الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (١٤٦) (قوله ويجازون عليه فى الدنيا) أى باعطاء المال والولد والعافية وغير

ذلك من ملاذ الدنيا فأعمال الكافر الحسنة التى لا تتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا ، وأما ماتتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أى إن مستقر المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فأفعل التفضيل على بابها وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب عما يقال إن مستقر أهل النار لا خير فيه ويصح

بطلبهم رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالابدال فى مريم (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذ كر مقدرأ (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) أى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا) على عادتهم فى الدنيا إذا نزلت بهم شدة : أى عوداً مُعَاداً يستعبدون من الملائكة قال تعالى (وَقَدِمْنَا) همدنا (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير : كهدفة وصلة رحم وقرى ضيف وإثارة ملهوف فى الدنيا (فَجَمَلْنَا هَبَاءً مُنْقَثِرًا) هو ما يرى فى الكوى التى عليها الشمس كالقبار المفرق : أى مثله فى عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه فى الدنيا (أَسْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) من الكافرين فى الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أى موضع قائلة فيها ، وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ) أى كل سماء (بِالْفَمَامِ) أى معه وهو غيم أبيض (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ،

ونصبه

أن يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقرير والتوبيخ للكفار

(قوله من ذلك) أى من قوله وأحسن مقبلا (قوله كما ورد فى حديث) قال ابن مسعود «لا يتنصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، والقبولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال : وأحسن مقبلا والجنة لأنوم فيها ويروى « أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس » (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول محذوف تقديره إذ كر كما قاله المفسر (قوله أى كل سماء) أشار بذلك إلى أن أل فى السماء استغراقية (قوله أى معه) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع ويصح أن تكون للسببية أو للابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أى سحب فوق السموات السبع ثمخه كسخرن السموات السبع ونقله كسقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بشقله وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الأرض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا وإذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى الحشر صفا وإذا نزل ملائكة السماء الثانية لاصطفوا خاف هذا الصف صفا آخر ، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل الحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة إبراهيم عند قوله تعالى : يوم تبطل الأرض غير الأرض الخ .

(قوله ونصبه باذكر مقدرًا) أى وهو معطوف على : يوم يرون الملائكة ، وكذا قوله : ويوم يعص الظالم (قوله فى الأصل) أى قبل قلبها شينا وتسكينها وإدغامها فى الشين (قوله وفى أخرى ونزل بنونين الخ) هذه القراءة إنما أتت عند تشديد الشين فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى نزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى نزل قراءة واحدة وهى كونه ناصيا مبنيا للفعل خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره ، والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده ، وحكمة التفتيد بهذا اليوم وإن كان الملك لله فى كل زمن أن نبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لأحد ملك ظاهر أبدا ، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى وإلى هذا أشار المفسر بقوله لا يشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أى فليس عليهم عسيرا لما ورد « أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة » (قوله ويوم) منصوب باذكر أو معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعص الظالم) هو من باب تعب ونفع ، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعص على يديه . قال عطاء : يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم يبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبت يدها يأكلهما (قوله عقبة بن أبى معيط) أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين ، وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) « وذلك أنه صنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله (١٤٧) صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله

على وسلم ما أتانا بكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى عهد رسول الله ففعل فأكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لأبى ابن خلف فلما أخبر بذلك قال له يا عقبة صبأت قال لا ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن

ونصبه باذكر مقدرًا ، وفى قراءة بتشديد شين تشقى بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها ، وفى أخرى ونزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملكُ يومئذ الحقُّ للرحمن) لا يشركه فيه أحد (وَكَانَ) اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين (وَيَوْمَ يَعصُ الظَّالِمُ) المشرك عقبة بن أبى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبى بن خلف (عَلَى يَدَيْهِ) ندما وتهمسرا فى يوم القيامة (يَقُولُ يَا) للتنبية (لَيْتَنِي) أُتَّخِذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سَيِّلًا) طرقا إلى الهدى (يَا وَيْلَتَى) أنه عوض عن ياء الإضافة : أى ويلى ، ومعناه هلكتى (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا) أى أيبا (خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أى القرآن (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) بمن ردفى عن الإيمان به قال تعالى (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ) الكافر (خَذُولًا) بأن يتركه ويعترأ منه عند البلاء (وَقَالَ الرَّسُولُ) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشا (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأبىه فتبرق فى وجهه ففعل عقبة فعاد بزائه على وجهه حرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأصر يوم بدر فأمر هلبيا فقتله ، وطعن النبي آيبا بأحد فى المبارزة فرجع إلى مكة ومات ، وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتماعا على معصية الله تعالى لما روى « يحشر الرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » (قوله يقول ياليتنى) الجملة حالية من فاعل يعص (قوله للتنبية) أى وليست للنداء لأن النداءى شرطه أن يكون اسما وليت حرف تمن أو للنداء والنداءى عنونوف أى يا قوم (قوله عوض عن ياء الإضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابه ويأتا مضاف والألف مضاف إليه فى محل جر وليس لنا ألف فى محل جر إلا ما كانت عوضا عن ياء التكلم (قوله لم أتخذ فلانا خايلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتنبية وأكده باللام القسمية إظهارا لندمه وتحسره (قوله أى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم ثم عند قوله جاءنى (قوله وكان الشيطان) أى وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والانس (قوله بأن يتركه) أى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحق بهم فى الآخرة من الأهوال ، وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا ، وهليه يحمل قول المفسر فأصبر كما صبروا ، وقيل سبق منه

في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم ، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم - حقا حقا (قوله مهجورا) أي فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لاقمن حفظه من المؤمنين ثم نفسه وإن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد « من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة منه قاه يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه » (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا (قوله برك) الباء زائدة في الفاعل (قوله هاديا) أي موصلا لك إلى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفرا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اهتدى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لأن نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وأنزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا (قوله قال تعالى) أي رد تلك الشبهة بأمر ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا : الأول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم . الثاني ترتيبه ليسهل حفظه . الثالث قوله ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك نص لمصدر محذوف والمعنى نزلناه منزلا مثل ذلك التزويل (قوله لنثبت به فؤادك) (١٤٨) علة للمحذوف الذي قدره المفسر ، والمعنى أنزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على

مَهْجُورًا) مَتْرُوكًا قَالَ تَعَالَى (وَكَذَلِكَ) كَمَا جَعَلْنَا لَكَ عَدُوًّا مِنْ مَشْرِكِي قَوْمِكَ (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ) قَبْلَكَ (عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) الْمَشْرِكِينَ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) لَكَ (وَنَصِيرًا) نَاصِرًا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هَلَا (نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ) جُمْلَةً وَاحِدَةً (كَالتَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ) وَالزُّبُورِ قَالَ تَعَالَى نَزَّلْنَاهُ (كَذَلِكَ) أَي مَتَفَرِّقًا (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) هَوَىٰ قَلْبِكَ (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) أَي أَتَيْنَا بِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ بِتَهْمَلٍ وَتَوَدُّةٍ لِيَسِرَ فِيهِمْ وَحَفَظَهُ (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) فِي إِبْطَالِ أَمْرِكَ (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدَّافِعَ لَهُ (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) بَيَانًا ، هُم (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أَي يَسَاقُونَ (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) أَوْلِيَّكَ شَرًّا مَكَانًا) هُوَ جَهَنَّمَ (وَأَصْلُ سَبِيلًا) أَخْطَأَ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِهِمْ وَهُوَ كَفَرُمْ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التَّورَةَ ،

تلقية فلا يحصل لك منه ثقل لأن القرآن في نفسه ثقيل سبعا على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى - إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً - ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم أقرأه الوحي ثلاث سنين ليشناق للتلقي فان الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت (قوله ورتلناه ترتيلاً) أي فرقناه آية بعد آية وشيئا بعد

(وجعلنا

شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة) (قوله لتيسر

فهمه وحفظه) أي لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد « جعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم » ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سببا للأطفال ليثبت في قلوبهم واعتقد التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل إذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أي سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك (قوله إلا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق وبما هو أحسن بيانا له ، والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبت عنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسئل عنها فيكون الأمر موكولا له فتكون الكافة عليه وما كان موكولا إلى الله كان أمم بما هو موكول إلى العبد وفيه قبح للعائدين (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أي يساقون) أي يسحبون مقلوبين يطشون الأرض بوجوههم وترتفع أقدامهم بقدره الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأصل والمراد بغيرهم باقي الكفار ، والمعنى أن من عانده صلى الله عليه وسلم فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الأنبياء

على سبيل الاجمال ، واللحن لا يحزن يا محمد فان من خالك وعانك يحل به الدمار كما حل بالخالف من الأمم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) مطوف على آتينا والواو لا تقتضي تزيبا ولا تعقيبا فان آيات موسى التوراة كان بصد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ، ويمكن أن يجاب عن الآية بأن المراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له أن يأتيه في علمنا فهو إخبار عما سيحصل فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله (قوله أخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا ، والمضي جعلنا هرون معينا لموسى يوحى منا له في دعوى القوم إلى التوحيد وإهلاء الكعبة فهونيه ورسول بما جاء به موسى ، بخلاف وزارة علي للنبي صلى الله عليه وسلم الاستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له « أنت مني بمنزلة هرون من موسى » فالمراد بها مطلق الاعانة للمشاركة في الاتصاف بالرسالة فان من أثبتنا لمي فقد كفر (قوله بآياتنا) أي أدلة توحيدنا لخصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهب الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين : الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه فكانه رسل متعددة . (١٤٩) الثاني أن من كذب رسولا

فقد كذب باقي الرسل (قوله وجعلناهم) أي جعلنا هلاكم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمير تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) أي ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرهما بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لا غير (قوله وتمدودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءة ثان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هي اسم لبئر التي لم تطو أو لبئر مطلقا وما قاله

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيْرًا) معينا (قَعَلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) أي القبط فرعون وقومه فذهب إليهم بالرسالة فكذبوها (فَدمَرْنَاهُمْ تدمِيرًا) أهلكناهم إهلاكا (وَ) اذكر (قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكانه رسل ، أولأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لا شتراكم في الهوى بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بدم (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) في الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا (وَ) اذكر (عَادًا) قوم هود (وَثَمُودًا) قوم صالح (وَأَنْحَابَ الرَّسْمِ) اسم بئر ، ونبيهم قيل شعب ، وقيل غيره كانوا قومودا حولها فانهارت بهم وبمنزلهم (وَقُرُونًا) أقواما (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أي بين عاد وأصحاب الرس (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) في إقامة الحجة عليهم فلم يهلكهم إلا بعد الانذار (وَكُلًّا نَبَّزْنَا تدمِيرًا) أهلكناهم إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم (وَلَقَدْ آتَوْنَا) أي مر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَطْرَقَتْ مَطَرُ السَّوْءِ) مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعالهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) في سفرهم إلى الشام فيمتيرون ؟ والاستفهام للتقرير ،

المفسر أحد أقوال في الرس ، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود ، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلام الله بطير عظيم فيسه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أي وهو حنظلة (قوله فانهارت) أي انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا في معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الأمثال ، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تدميرا : أي فتنناهم فقتلنا جعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك إلى أنه ضمن آتوا معنى مروا فعدى يعلى وإلا فأتى بتعدى بنفسه أو بالي ، والمعنى مروا عليهم في أسفارهم إلى الشام (قوله مصدر ساء) أي بحسب الأصل والمراد في الآية بالمطر السوء الرمي بالحجارة (قوله وهي عظمى قرى قوم لوط) أي واسمها سدوم وتقدم أن القرى خمسة ، وقيل إن آل في القرية لا جنس فيشمل جميعها لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لاتعمل الحنات (قوله يرونها) أي يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حل الخطاب على الاقرار بما يعرفه .

(قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله إن يتخذونك) جواب إذا (قوله إلا هزوا) مفعول ثانٍ ليعخذون وقوله مهزوا به أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثاني في الأصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به إلا بتأويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة في محل نصب مفعول لقول محذوف قدره المفسر (قوله في دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ماذا كر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الأدلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أى ثبقتا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى ردا لقولهم إن كان ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله أم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثاني) أى وقيل لا تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة وإلا فهى وصلتها في قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والمهزمة والاستفهام فيها إنكارى (قوله أن أكثرهم) استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فأمن (قوله إن هم إلا كالأنعام) أى في عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أى لأن الأنعام تنقاد لمن يتبعها (١٥٠) وتميز من يحسن إليها من يسىء إليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضرها

وهولاء ليسوا كذلك
(قوله ألم تر إلى ربك
كيف مد الظل) أقام الله
سبحانه وتعالى أدلة
محسوسة على انفراده تعالى
بالألوهية وذكر منها
خمسة الأول هذا الثاني
قوله - وهو الذى جعل
لكم الليل لباسا - الثالث
قوله - وهو الذى أرسل
الرياح - الرابع قوله
- وهو الذى مرج
البحرين - الخامس قوله
- وهو الذى خلق من
الماء بشرا - وهذا

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (نُشُورًا) بمثا فلا يؤمنون (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن) ما يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوعًا) مهزوعاً به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) في دعواه محقرين له عن الرسالة
(إِنَّ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أى إنه (كَادَ لِيُضِلَّنَا) يصرفنا (هَنَّا لِهَيْبَتِنَا لَوْلَا
أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها، قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) هيأنا
في الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً أم أم المؤمنون (أَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنْ أَخَذَ
إِلَهُهُ هَوَاهُ) أى هوى به قدم المفعول الثاني لأنه أم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني
(أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا) حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ (أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ
يَسْمَعُونَ) سماع تفهم (أَوْ يَفْقَهُونَ) ماتقول لهم (إِنَّ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتبعها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم
(أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع
الشمس (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقبلاً لا يزول بطلوع الشمس ،

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل عرف أن موجدها (ثم
فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال . والمعنى ألم تنظر
إلى صنع ربك مد الظل كيف على أى حالة وقدر المفسر فعل إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لأروية الذات لأن المقصود
نصب الأدلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لا بد لها من صانع وإن كان يلزم من التفسر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب
لأنه لا يشيب عن مخلوقه طرفه عين ، ومن هنا قيل بها العارف يرى الله في كل شىء فالآثار كالمرآة للناظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها
ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب أن يقول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إذ هو أحد
أقوال ثلاثة للمفسرين . ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها . ثلثها من طلوع الشمس إلى أن تزول ومن زوالها إلى غروبها ، وأما
مقاله المفسر فلم يوافق عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها ولذا
وصفت به الجنة قال تعالى - وظل ممدود - وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد
وتطيب نفوس الأحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجملة ساكنة) أى ثابتة
مسقرا لا يذهب عن وجه الأرض (قوله لا يزول بطولع الشمس) أى بأن لا تطلع فلا يزول بأن يستمر الليل مقبلاً أو تطلع من غير ضوء

(قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أى جعلنا الشمس دليلا على النخل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس وكل من الظل ، ونور الشمس عرض لقيامه بغيره ، وأما ذات الشمس فجوهى (قوله ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) أى قليلا شيئا فشيئا ، وذلك أن الشمس إذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل إلى جهة المغرب فكما ارتفعت فى الأفق نقص الظل شيئا شيئا حتى إلى أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا فى بعض أيام السنة ككمكة وزبيد وما عداها تنقله بقية وهذا على حسب الأشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله « طزه جبا ابدوحى » فالطاء بتسعة لطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزاي بسبعة لأمشير والهاء بخمسة لبرمهاث والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والألف بواحد لبثونة والألف الثانية بواحد لأيب والباء باثنين لمسرى والعدل بأربعة لتوت والواو بستة لبابة والحاء بثمانية لهاثور والياء بشرة لكيبك ، فإذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئا شيئا حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة والجامع بين التشبه والشبه به الستر فى كل (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الأعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) أى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) أى البشريات وهى ثلاث (١٥١) الشمال وتأتى من جهة القطب

والجنوب تقابلها والصبأ وتأتى من مطلع الشمس والدبور وتأتى من المغرب وبها أهلكت قوم عاد (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراءات الأربع وكلها سبعية الأولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نمر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الأولى) أى والثانية

(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيَّهِ) أى الظل (دَلِيلًا) دلولا الشمس ما جرف الظل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أى الظل للمدود (إِيَّانَا قَبْضًا يَسِيرًا) خفيا بطولع الشمس (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسًا) ساترا كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) منشورا فيه لا ابتغاء الرزق وغيره (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ) وفى قراءة الريح (نُشْرًا يَبِينُ بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ) أى مفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخوة بشير (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) مطهرا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) بالتحضيف يسعوى فيه الذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (وَنُفِثِيهِ) أى الماء (مِمَّا خَطَبَتْهَا أَنْعَامًا) إبلا وبقرا وغنما (وَأَقَامِي كَثِيرًا) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت للنون ياء وأدخمت فيها الهاء أو جمع إنسى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أى الماء (بِيَدَيْهِمْ لِيَذَّكُرُوا) أصله يذكروا ،

(قوله وأزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) أى طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره (قوله لهدى) أى أرضا (قوله بالتحضيف) أى لاغير لأن الخفف لما ليس ذا روح غالبا وأما بالتحديد لما كانت فيه الروح . قال تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون - وقال بعضهم :

أيا سألنى تفسير ميت وميت فسوفئك قد فسرت ماهنه نسال
فما مكان ذا روح فذلك ميت وما لبثت إلا من إلى القبر يحمل

(قوله يسعوى فيه الذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع أنه نعت لهدى وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب أن يأتى بأو (قوله أنعاما) خصها بالذكور لأنها هزينة عند أهلها لسكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع إنسان) هو الراجح ، وقيل جمع إنسى وهو معترض بأن الياء فى إنسى للتنبؤ وهو لا يجمع على فعلى كما قال ابن مالك :
* واجعل فعلى لغير ذى نسب * (قوله وأصله أناسين) أى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أى فرقناه فى البلاد المختلفة والأوقات المتغيرة على حسب ما قدر فى سابق عمله . روى عن ابن مسعود أنه قال : « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكييل معلوم ، وإذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم ، وإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر إلى الضيالى والبحار » .

(قوله أدعتم التاء في الذال) أي بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أي نعمة الله به) أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جودا للنعمة) أي حيث أضافوها لتبر خالقها (قوله مطرنا بنوه كذا) التوءم سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقبه من للشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب خيف الأمطا والرياح والحرق والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر لأنه لا أثر لشيء في شيء من الأثر هو الله وحده وإما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالإحراق للنار والرى للماء والشبع للأكل (قوله لبثنا في كل قرية) أي في زمناك (قوله ليعظم أجرك) أي قالبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته إلى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أي بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أي أجراما متلاصقين لا يمازجان ولا يبني أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف صرحهما ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول أي مقولا فيهما هذا عذب الخ وحسب الماء العذب فراتا لأنه يفتر العطش (١٥٢) أي يشقه ويقطعه (قوله شديد اللوحة) أي وقيل شديد الحرارة وقيل

شديد الحرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (قوله حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر) أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله ومع ذلك لا يتضرطمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ما هو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الأدلة

أدعتم التاء في الذال وفي قراءة ليدذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به (فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) جوداً للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوه كذا (وَلَوْ شِئْنَا لَبَمَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بشناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ) في هوامم (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أي القرآن (جِهَادًا كَبِيرًا) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ (أرسلهما متجاورين) (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد اللوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وَجِجْرًا مَحْجُورًا) أي سترًا ممنوعا به اختلاطهما (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) من المني إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وَصِهْرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادرا على ما يشاء (وَيَصِدُّونَ) أي الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) بعبادته (وَلَا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) معينًا للشيطان بطاعته ،

(وما

على انفراد الله تعالى بالألوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم أن معناه

تعودنا تعودا وللراد هنا الستر للمانع فشبها البحران بطاقتين متعاديتين كل منهما تنصن من الأخرى وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستمارة للكنية (قوله حجرا) أي خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وهروق ودم على شكل حسن . قال تعالى - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم - (قوله ذا نسب الخ) أي قسمه قسمين ذرى نسب أي ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أي إناا يصاهر بهن وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والنزوح (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أي حيث خلق من مادة واحدة إنسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجملة قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بأن لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع في ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الأدلة (قوله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) قدم الدفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وأل في الكافر للجنس فالمراد كل كافر ، وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعصا به فعلى بعض عند ، والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أي الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر مهينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته إياه والخروج عن طاعة الله .

(قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) أي لم نرسلك في حال من الأحوال إلا في حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أي المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لا أطلب من أموالكم جهلا لنفسي لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاه فليفعل (قوله في مرضاته تعالى) أي كإصدقة والنفقة في سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الله الذي لا يوب) لما قدم أن الكافر يخرج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول أن لا يسألهم أحدا على تبليغه أمره بالاعتقاد عليه تعالى ليكفيه ضرورهم ويضيه عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها (قوله الذي لا يموت) صفة كاشفة لأن معنى الحى في حقه تعالى ذو الحياة الأبدية التي يستحيل عليها الموت والفساد ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لانصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أي تزه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للابسة كما قال المفسر أي صغره بالكلمات (قوله أي قل سبحان الله والحمد لله) أي فذلك جمع التسبيح والتحميد لأن معنى سبحان الله تنزيهه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التي بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين (١٥٣) ليكون النطق بها عن معرفة

ويقين فهي نتيجة ما قبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تزه عن النواقص وانصف بالكلمات وثبت أنه لا إله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لأنهما مستلزمان للجملتين بعدها (قوله وكفى به) الباء زائدة في الفاعل

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) بالجنة (وَنَذِيرًا) مخوفا من النار (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلَّا) لكن (مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا باتفاق ماله في مرضاته تعالى فلا آمنه من ذلك (وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أي قل سبحان الله والحمد لله (وَكَفَىٰ بِهِ بَدُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا) علما تعلق به بدنوب ، هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو ناء خلقهن في لحة والعدول عنه لتعلم خاتمه الثابت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) هو في اللغة سرير الملك (الرَّحْمَنُ) بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ،

(قوله علما) أي بالمدن والطائع (قوله تعلق به) أي بخبير (قوله بدنوب) أي لفظ بدنوب وقدم لرعاية الفاصلة ، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخاق في كل وقت فلا ينظر الإنسان لصوب الناس ولا طاعتهم بل عليه بنفسه ويهوض أمرهم إليه (قوله هو الذي) أشار بذلك إلى أن الوصول خبر المحذوف وهذه الجملة سبقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فان من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله في ستة أيام) أي فالأرض في يومين الأحد والاثنين وما عليها في يومين الثلاثاء والأربعاء والسماوات في يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أي في قدرها) دفع بذلك ما يقال إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك (قوله والعدول عنه) أي عن الخلق في لحة (قوله الثابت) أي التؤدة في الأمور وعدم العجلة فيها لما ورد « إن العجلة من الشيطان » واستثنى العلماء من ذلك مسائل : إفراء الضيف وترويج البكر وتجهيز الميت والصلاة في أول وقتها وقضاء الدين وتعبيل الأوبة للسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو في اللغة سرير الملك) أي ومنه قوله تعالى - أياكم يأتي بعرشها - والمراد هو جسم عظيم يحيط بالعالم فوق السماوات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا المحذوف أو خبر الذي خلق (قوله أي استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الحسمانة ومذهب الخائف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو أحد معنى الاستواء واستدلوا بذلك بقول الشاعر :
قد استوى جسر على العراق من غير سيف ودم مهراق
وفي قوله الرحمن إشارة إلى أن الله

وكان سقف الجنة لأبوصف الجلال والإلهاب ولم يبق له أثر (قوله فسئل به خيرا) به متعلق بخيرا قدم لرعاية الفاصلة . والمعنى لسأل يا محمد خيرا بصفاته تعالى وليس خيرا بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى ، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقا بأسأل والباء بمعنى عن . والمعنى أسأل عنه خيرا أى عالما بصفاته يطالعك على ماخى عليك والخير يخالف باختلاف السائل ، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخير هو الله ، وإن كان السائل التامعين فالخير الصحابة عن النبي عن الله وهكذا فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين يبيدون الطالب عن الله ، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله وإذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظنا منهم أن المراد به غيره تعالى لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والأمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلفظه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله نماظم) أى اخرد بالعملة لأن من كانت هذه أوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة فصر في كل مقام بما يناسبه (قوله بروج) جمع برج وهو فى الأصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجاً لأنها للكواكب السبعة السيارة كالمنزل الرفيعة (١٥٤) التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة

(قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والأسد) أى ويسمى بالليث أيضا وقوله والهلوى يسمى الهالى أيضا (قوله المريج) بكسر الليم (قوله وله) أى من البروج المذكورة . والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت هجرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحدا من البروج وتقدم

(فَسئَلَهُ) أَيهَا الْإِنْسَانُ (بِدِ) بِالرَّحْمَنِ (خَيْرًا) يَخْبِرُكَ بِصِفَاتِهِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لِكْفَارِ مَكَّةَ (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ) قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بِالْفُوقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ وَالأَمْرُ مُحَمَّدٌ وَلَا نَعْرِفُهُ ؟ (لَا) (وَزَادَهُمْ) هَذَا الْقَوْلُ لَهُمْ (تَفُورًا) عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ تَعَالَى (تَبَارَكَ) تَعَاظِمُ (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثْنَيْ عَشَرَ : الْحَمْلُ وَالثَّوْرُ وَالْجُوزَاءُ وَالسَّرَطَانُ وَالْأَسَدُ وَالسَّنْبَلَةُ وَالْمِيزَانُ وَالْقُرْبُ وَالْقَوْسُ وَالْجُدَى وَالذُّلُ وَالْحُوتُ ، وَهِيَ مَنَازِلُ الْكُوكَبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ ، الْمَرْيَجُ وَهُوَ الْحَمْلُ وَالْقُرْبُ ، وَالزَّهْرَةُ وَمَا الثَّوْرُ وَالْمِيزَانُ ، وَعِطَارْدُ وَهُوَ الْجُوزَاءُ وَالسَّنْبَلَةُ ، وَالْقَمَرُ وَهُوَ السَّرَطَانُ ، وَالشَّمْسُ وَمَا الْأَسَدُ ، وَاللُّشْتَرَى وَهُوَ الْقَوْسُ وَالْحُوتُ ، وَزَحَلُ وَهُوَ الْجُدَى وَالذُّلُ (وَجَعَلَ فِيهَا) أَيضًا (مِرَاجًا) هُوَ الشَّمْسُ (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وَفِي قِرَاءَةٍ مَرَجًا بِالْجَمْعِ أَي نِيرَاتٍ وَخَصَّ الْقَمَرَ مِنْهَا بِالذِّكْرِ لِتَنَوُّعِ فَضِيلَتِهِ . (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) أَي يَخْلَفُ كُلُّ مَنِمَا الْآخَرَ (لِيَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ كَمَا تَقَدَّمَ ،

فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم أن

زحل نجم فى السماء السابعة والمشتري فى السادسة والمريج فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الأولى وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بينها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بروج الكواكب السبعة وذلك لأن البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة ، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعديل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لأبناها نهي من جملة الأسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر ، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) أى لأن مواقيت العبادة تنهى على الشهور القمرية قال تعالى : يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله أى يخلف كل منهما الآخر) أى بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أى فاصله يتذكر قلبت التاء واللام ذالا وأدغمت فى الدال (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أى فى قوله : وقد صرفناه عنهم ليدكروا .

(قوله ما فاتته في أحدهما من خير الخ) أى لمن فاتته نهي من الخير بالليل أدرکه بالتهار ومن فاتته بالتهار أدرکه بالليل من فرائض وسنن وغيرها (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلاص تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية وإضافتهم إليه تعالى للتحريف وإلا فكل الخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستخص بهم في الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التي أولها قوله الدين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله إلى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله متابا وهو ثلاث آيات . وحاصل ما ذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكينة) أى تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث «كاد الحليم أن يكون نبيا» وفي الحديث «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم» الآثار ٤ (١٥٥) في ذلك كثيرة (قوله والذين

يبيتون) شروع في ذكر معاملتهم للخالق إثر معاملتهم للخالق وخص البيوتة بالذكر لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفي الحديث لازال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمي لا ينامون ، وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق صلاة المشاء والصبح في جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم

مافاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أو أراد شكورا) أى شكرا لنعمة ربه عليه فيها (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجوزون غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أى بسكينة وتواضع (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلَامًا) أى قولوا يسلمون فيه من الإثم (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وَقِيَامًا) بمعنى قائمين أى يصلون بالليل (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أى لازما (إِنَّهَا سَاءَتْ) بنست (مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) هى أى موضع استقرار وإقامة (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) على عيالهم (لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) بفتح أوله وضه أى يضيقوا (وَكَانَ) إفتاقهم (بَيْنَ ذَلِكَ) الاسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطاً (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أى واحدا من الثلاثة (يَلْقَ أَثَامًا) أى عقوبة (يُضَاعَفْ) وفي قراءة يضاعف بالتشديد (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْمِلُهُ فِيهِ) مجزم الفاعل ،

مع حسن المعاملة للخلق وللخالق ليس عندهم غرور ولا امن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجاؤون من هيئته (قوله إن عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله إنها ساءت) الفاعل ضمير مستقر يفسره التمييز للذكور والخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) ها بمعنى واحد وهو الذى يشير إليه المفسر وقيل مستقرا لعصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضما من باب ضرب وفصر وقوله وضه أى مع كسر التاء لاغير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم للعاصى إثر بيان إتيانهم الطاعات (قوله إلا بالحق) أى لا يقتلون النفس الهرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق بأن تكون مستعقة للقتل كالمرتد والزانى المحسن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ما ذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لأن الشرك إذا ارتكب العاصى مع الشرك تضاعف له العقوبة (قوله وفى قراءة يضاعف) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل فدفعه فالقراآت لربح سبعيات .

(قوله بدلا) أى من يلقى بذلك اشتغال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله إلا من تاب) استثناء متصل من الضمير في يلقى (قوله فأولئك) اسم الإشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبذل الله سيئاتهم) أى يحو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أو يفتتها . وفي القرطبي ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصي بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن جأه الموت عقب التوبة (قوله فيجاز به خيرا) دفع بذلك ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال : من تاب وعمل صالحا فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) أى لا يحضرونه أو لا يشهدون به (قوله وإذا هموا بالغوا) أى من غير قصد منهم له (قوله وغيره) أى وهو الفعل التبحيح (قوله مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم بالفض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك إلى أن النقي مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا ، واللحن إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعلمهم ولم يتغافلوا حتى يتأخروا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ١٥٦) قرآنة أعين (قوله واجعلنا للمتقين إماما)

أى اجعلنا هداة يقتدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات بأن نصنع بواطننا من غيرك حتى نكون حالنا سببا في هداية الخلق ولذا قيل : حال رجل في ألف رجل أضع من وهظ ألف رجل في رجل ولفظ إمام يستوى فيه الجمع وغيره فالطابفة حاصلة (قوله أولئك) اسم الإشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية (قوله الفرفة) اسم جنس أريد به الجمع والفرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الفرفة أعلاما مساكين

بدلا ورفضهما استثناء (مهانا) حال (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم (فأولئك يبذل الله سيئاتهم) للذكورة (حسنات) في الآخرة (وكان الله غفورا رحيمًا) أى لم يزل متصفا بذلك (ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) أى يرجع إليه رجوعا فيجاز به خيرا (والذين لا يشهدون الزور) أى الكذب والباطل (وإذا مروا بالغوا) من الكلام التبحيح وغيره (مروا كراما) معرضين عنه (والذين إذا ذكروا وعظوا) (بآيات ربهم) أى القرآن (لم يخروا) يسقطوا (عليها صما وعميانا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) بالجمع والافراد (قرآنة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين إماما) في الخير (أولئك يجزون الفرفة) الدرجة العليا في الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويؤمنون) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فيها) في الفرفة (تحية وسلاما) من الملائكة (خالدين فيها حسنات مستقرًا ومقامًا) موضع إقامة لهم ، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن مبتدأ (قل) يا محمد لأهل مكة (ما) نافية (يعبوا) يكثر (بكم ربى لولا دعاؤكم) إياه في الشدائد فيكشفها (فقد) أى فكيف يعبأ بكم وقد (كذبتم) الرسول والقرآن ،

(فسوف)

الدنيا (قوله بالتشديد) أى ومعناه يعذبون والفاعل الله وقوله والتخفيف

أى لعنائه يجذبون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لأن المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله أو من بعضهم لبعض ، واللحن تحييم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل أن قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان ، فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف ، والسلام الدعاء إما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) أى لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أى الواقع مبتدأ وقوله وما بعده ؛ أى قوله يجزون الواقع خبره (قوله بل ما يبأ بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد أن المداير على تلك الأوصاف التي بها العادة لله ، فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكثر بهم ولم يعتد بهم عنده فإن الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده وإلا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ففي العبادة ينافس التنافسون وبها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم إياه) أشار بذلك إلى أن الصدر مضاف لتمامه

(قوله فسوف يكون العذاب) أى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفي الآية شهيد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد مضين الدخان والزمام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس أى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالسخان هو قوله تعالى - يوم تأتي السماء بدخان مبين - والمراد به شئ يشبه السخان وقد نزل بقرش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخانا ، والقمر فى قوله تعالى - اقتربت الساعة واشتق القمر - والروم فى قوله تعالى - غلبت الروم فى أدنى الأرض - والبطشة فى قوله تعالى - يوم نبطش البطشة الكبرى - وهى القتل يوم بدر والزمام هو الأسرى يومها (قوله دل عليه ماقبلها) أى وهو قوله قل ما يعابى بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم : أى طلبكم من الله رفع الشدائد وأتم تتعلقون بأستار الكعبة ما يعابى بكم أى ما يكثر بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دتم على تكذيبه بعد إخراجها من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لا يرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء قدبر .

[سورة الشعراء] أى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى ، وقد ورد فى فضل الطواسين أحاديث منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله أعطانى السبع الطوال (١٥٧) مكان التوراة وأعطانى المص

مكان الانجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والنصل ما قرأهن نبى قبلى» (قوله) إلا والشعراء إلى آخرها) أى وجملة أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصلة من بعضها وبها قرىءة فتقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف وقرىءة هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال

(فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم فى الآخرة بعد ما يجلب بكم فى الدنيا قتل منهم يوم بدر سبعون ، وجواب لولا دل عليه ماقبلها .

(سورة الشعراء)

مكية إلا : والشعراء إلى آخرها فمدنى ، وهى مائتان وسبع وعشرون آية

(يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ . طَسْمَ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن ، والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) الظاهر الحق من الباطل (لَمَلَكٌ) ياعحمد (بَاخِعٌ نَفْسِكَ) قاتلها غمًا من أجل (أَنْ) (لَا يَكُونُوا) أى أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) ولعل هنا للاشفاق : أى أشفق عليها بتخفيف هذا الغم (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ) بمعنى المضارع : أى تظل أى تدوم (أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذى هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وَمَا يَأْتِيهِمْ ،

الطاء بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أى والمعنى آيات من الكتاب (قوله الظاهر الحق من الباطل) أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أى الظاهر إيجازه (قوله لملك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من نزع من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى فالترجى بمعنى الأمر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أى أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى وبوصلها من الثلاثى والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف وإن تعدى بلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله إن نشأ نزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فانتا لو شئنا لإيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم إيمانهم منا لانهم فأرح نفسك من التوب القائم بها ، إن حرف شرط ونشأ فعل الشرط ونزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم كما وقع لبنى إسرائيل (قوله بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله ظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على نزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الأعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك ما يقال كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء ؟ فأجلب بأنه لما نسب بالخضوع لها وهو وصف العقلاء مجمعا بالياء ، النون

كقوله تعالى - رأيتهم لى ساجدين - قالتا أين أطاثنين - وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول حاضمة وهناك أجوبة أخر : منها أن المراد بالأعناق الرؤساء ، ومنها أن لفظ الأعناق متعمم والأصل فظلوا لها حاضمين ، ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أى لأنه فهم من قوله يأتيهم لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله إلا كانوا عنه معرضين) أى غير متأملين له (قوله عواقب) أى وعبر عنها بالأنباء لأن القرآن أغبر عنها والمراد نزل بهم مثل منازل بمن قبلهم (قوله أو لم يروا إلى الأرض) أى إلى عجائبها والهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ وهذا بيان للأدلة التي تحدث في الأرض وقتا بعد وقت تدل على أنه منفرد بالألوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم في محل نصب مفعول لأنبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله إن في ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات (قوله في علم الله) هدامبني على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) أى الهيبه والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أى بظهر عزته الذي هو الفهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بظهر رحمته (قوله وإذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهرون . ثانياها قصة إبراهيم . ثالثها قصة نوح . رابعها قصة هود . خامسها قصة صالح . (١٥٨) سادسها قصة لوط . سابعها قصة شعيب ، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص

أن بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة في علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء وكافرها أشقى الأشقياء وحكمة التكرار الزيادة في إيمان المؤمن وقطع حجة الكافروالظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكروليس المراد به ذكر وقت الندادة بل المراد ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت

مِنْ ذِكْرِ (مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثِ) صفة كاشفة (إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا) به (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا) أى كثيرا (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) نوع حسن (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) دلالة على كمال قدرته تعالى (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) في علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرَّحِيمُ) يرحم المؤمنين (وَ) اذكرو يا محمد لقومك (إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى) ليلة رأى النار والشجرة (أَنْ) أى بأن (أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) رسولا (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبنى إسرائيل باستعبادهم (أَلَا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يَتَّقُونَ) الله بطاعته فيوحدونه (قَالَ) موسى (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم لى (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) بأداء الرسالة ،

للمقدمة

(قوله ليلة رأى النار والشجرة) أى رأى النار موقدة

في الشجرة الخضراء وليس هذا مبدءا ما وقع في الندادة وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى - إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا ، إلى قوله : لنريك من آياتنا الكبرى - (قوله أن أنت القوم الظالمين) يصح أن تكون أن مصدرية كما مشى عليه المفسر أو مفسرة لثقتنهما جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى معمه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل أنت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أى فرعون وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال (قوله وبنى إسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى إسرائيل (قوله باستعبادهم) أى معاملتهم بإيهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشاقة والصنائع الحسيسة نحو أر بعائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب أن يقول للاستفهام التعجبي لأن المعنى على الانكار فاسد لأنه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى إثبات ، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك ، ويصح أن تكون ألا للعرض (قوله قال رب إني أخاف الخ) اعتذابه من موسى لظهور العجز عن الأمر الذي كلفه وقد أتى بثلاثة أعضار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدري ولا ينطق لساني) ها بالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر إن عند السبع وقرى شذوبا بنصبهما عطفًا على مدخول إن وللنصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الأمر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان وليرصال أخيه والأمن من القتل وقد دل

على ذلك قوله في سورة طه رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني الآيات (قوله للعقدة التي فيه) أي الثقيل الحاصل بسبب وضع الحجر عليه وهو صخر حين تف لحية فرعون فافتم لذلك وم بقتله فأشارت عليه زوجته أن يتحنه فقدم له تمرًا وحجرة فأخذ الحجرًا بتحويل جبريل يده فوضعا على لسانه فحصل فيه قتل في النطق (قوله فأرسل إلى هرون) أي وكان في مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة موسى جياته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وإن كان حنصرًا وهرون جياته الرسالة في ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله مي) أي ليكون معينا لي وهو بمعنى قوله في سورة القصص فأرسله مي رداً يصدقني (قوله ولهم على ذنب) أي في زهمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أي يفوت المقصود من الرسائل (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) أي بالنسبة لموسى وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع أنهما اثنتان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله إنا معكم) أي معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) أي تعظيما لهما (قوله أي كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها الذي هو الرسول حيث أفرد (قوله أن) (١٥٩) أرسل معنا بني إسرائيل أي خلصهم

وأطلقهم (قوله فأتينا الخ) أشار بذلك إلى أن قوله قال ألم نربك الخ مرثب على محذوف روى أنهما لما انطلقا إلى فرعون لم يؤذن لهما سنة في السخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال له فرعون أئذن له لعلنا نضحك معه فدخل عليه فوجداه قد أخرج سباعا من أسد وغور وفهود يتفرج عليها غاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون

للعقدة التي فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أَخِي (هَرُونَ) مَي (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ) بِقَتْلِ الْقَبْطِيِّ مِنْهُمْ (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) بِهِ (قَالَ) تَعَالَى (كَلَّا) أَيْ لَا يَقْتُلُونَكَ (فَأَذْهَبَا) أَيْ أَنْتِ وَأَخُوكَ ، قَبِيهِ تَغْلِيْبُ الْحَاضِرِ عَلَى الْغَائِبِ (بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) مَا تَقُولُونَ وَمَا يُقَالُ لَكُمْ أَجْرِيَا مَجْرَى الْجَمَاعَةِ (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أَيْ كَلَامَنَا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إِلَيْكَ (أَنْ) أَيْ بَأْنِ (أُرْسِلْ مَعَنَا) إِلَى الشَّامِ (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فَأْتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ مَا ذَكَرَ (قَالَ) فِرْعَوْنَ لِمُوسَى (أَلَمْ نَرْبُكَ فِينَا) فِي مَنَازِلِنَا (وَلِيدَا) صَغِيرَا قَرِيبَا مِنَ الْوِلَادَةِ بَعْدَ فَطَامِهِ (وَكَلَيْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ) ثَلَاثِينَ سَنَةً يَلْبَسُ مِنْ مَلَابِسِ فِرْعَوْنَ وَيَرْكَبُ مِنْ مَرَاكِبِهِ وَكَانَ يُسَمَّى ابْنَهُ (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْآتِي فَعَلْتَ) هِيَ قَتْلُهُ الْقَبْطِيَّ (وَأَنْتِ مِنَ الْكَافِرِينَ) الْجَاهِلِينَ لِنَعْمَتِي عَلَيْكَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ الْاِسْتِعْبَادِ (قَالَ) مُوسَى (فَعَلْتَهَا إِذَا) أَيْ حِينَئِذٍ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عَمَّا آتَانِي اللَّهُ بَعْدَهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّسَالَةِ (فَرَزَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) طَلَمَا (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) أَصْلُهُ تَمُنُّ بِهَا عَلَيَّ (أَنْ عَيْدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بَيَانٌ لِتِلْكَ أَيْ اتَّخَذْتُمْ عَيْدَا

فأسرعوا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتناصق خدودها بتخذيها ففجع فرعون من ذلك فقال ما أتتكم قالوا إنا رسول رب العالمين ففرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فأمتمت عليه أولا بنعمة التربية . وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطي (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ماورد على الآية بأن الوليد يطلق على اللود حال ولادته ولبس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم أخذه فرعون بعد الغطام والأولى إبقاء الآية على ظاهرها لأن موسى وإن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون فهو في تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) أي اتخذك لي عبدا مثل بني إسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لاجل إهراق وهي حرف، جواب فقط ، وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتاني الله بعدها الخ) أي فليس على فيما فعلته في تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ ، أو المعنى من الخطئين لامن التعمدين (قوله وجعلني من المرسلين) في ذلك رد لما وبغ به فرعون وهو القتل بين حق فكانه قال كيف تدهي الرسالة وقد حصل منك مايقدر في تلك الدعوى فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة ثم أتته بعد ذلك (قوله تلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عيادت الخ عطف بيان موضع التبتدأ كما قاله للمفسر (قوله أصله تمن سما على) أي بخذف الجار فاقصل الضمير فهو من باب الخذف واللاهل

(قوله ولم تستعبدني) أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي لأن استعبادك غيري ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وهمهم بعضهم) أي وهو الأخفص (قوله أول الكلام) أي والأصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) أي وهو بمعنى النفي (قوله أي أي شيء هو) أي وذلك لأن ما يستل بها عن الحقيقة . والمعنى أي جنس هو من أجناس الوجودات (قوله وما بينهما) أي جنس السموات والأرض ، فاندفع ما قيل لم نفي الضمير مع أن مرجعه جمع (قوله إن كنتم موقنين) أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشرف قومه) أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن لبسها إلا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) أي لأن ما يستل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يستل عنها بأى والعدول عن المطابقة لأن السؤال عن الحقيقة عيب (١٦٥) وسفه لاستحاطته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الأولين) إنما ذكر ذلك

ولم تستعبدني لانمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم ، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسوله : أي أي شيء هو ، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون (لَئِنْ حَوَّلَهُ) من أشرف قومه (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله فيمضي فرعون ولذلك (قَالَ) إن رسواكم الذي أرسل إليكم ليجنون . (قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن كنتم تعلمون) أنه كذلك فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنْ أَخَذْتِ الْهَامِغِرَى لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا (قَالَ) له موسى (أَوْ لَوْ) أي أقفل ذلك ولو (جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) أي برهان بين على رسالتى (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) حية عظيمة (وَوَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ذَاتُ شَعَاءٍ) للنَّاطِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ) فرعون (الَسَّلَا حَوْلَهُ) إن هذا لساحرٌ عليم) فائق في علم السحر (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرها (وَأَبْتَتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) وهو وقت الضحى

لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم (قوله وهذا) أي الجواب (قوله ولذلك) أي لشبهة غيظه (قوله قال إن رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى مخاطبين استنكافا من نسبتة له (قوله قال رب الشرق والغرب وما بينهما) أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من الشرق ويذهب بها من الغرب (قوله إن كنتم تعقلون) أي إن كان لكم عقل ، وفيه رد لقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم ليجنون (قوله قال لئن اتخذت إلها غيري الخ) عدول عن الحاجة إلى التهديد لتصرحته وجهله وعدم استقامته روى أنه فزع

من موسى فزعا شديدا حتى كان

اللعين لا يسك بوله (قوله أي أنفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فأت به) إنما أمر فرعون بالاتبان به لظنه أنه يقدر على معارضته (قوله وزع يده) أي من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها ؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولما شعاع يكاد ينشى الأبصار ويسد الأنف (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه أن يتبعوه فتنزل إلى مشاربهم بعد أن كان مستقلا بالرأى والتدبير ، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فلذا تأمرون) أي أي شيء تأمرون به (قوله ما لك) مجزوم في جواب الأمر (قوله بفضل موسى) أي بفوقه

ويزيد عليه .

(قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم ، وقيل كان يوم - وفي (قوله والترجى على تقدير غلبتهم) أى الترجى على فرض التلبية
 لمتفضية للاتباع (قوله على الوجهين) أى تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أى ترك الإدخال على الوجهين
 فتصكون القراءات أربعا (قوله لأجرا) أى أجره وحلا (قوله قال نعم) أى لكم الأجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله
 وإنكم إذا الخ (قوله فالأمر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر مع أنه لا يجوز الأمر به لأن الأمر به رضا والرضا
 بالكفر كفر .. وحاصل الجواب أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسنا له ، وأما الأمر به للتوسل لابطاله فليس فيه
 استحسان ولا رضا بل هو المدح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى تقسيم وتحلف بعزة فرعون وأقسموا لفرط اعتقادهم
 في أنفسهم أنهم غالبون (قوله من الأصل) أى أصل الصيغة (قوله (١٦١) يتلبونه) أى يغيرونه عن حاله الأول
 من الجمادية إلى كونه

حية تسمى وقوله بتجويرهم
 الباء سببية (قوله فأتى
 السحرة) أى خروا
 وسقطوا ساجدين لما رأوا
 من باهر العجزة فلم
 يتالكوا أنفسهم (قوله
 رب موسى وهرون)
 بدل مما قبله للتوضيح
 وللإشعار بأن سبب
 إيمانهم ما أجراه الله على
 يد موسى وهارون (قوله
 وابدال الثانية ألفا) صوابه
 الثالثة لأنها هي المنقلبة
 ألفا وترك قراءة أخرى
 وهي حذف الأولى من
 الهمزتين وقلب الثالثة
 ألفا (قوله فعلمكم شيئا
 منه وغلبكم بأخر) أى
 أخفاه سننكم وأراد فرعون
 بهذا الكلام التلييس على
 قومه لئلا يعتقدوا أن

من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم محتممون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم
 الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجى على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم
 فلا يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
 وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا إن كنا نأخذن الغالبين . قال نعم وإنكم
 إذا) أى حينئذ (لن المتربين . قال لهم موسى) بعد ما قالوا له إما أن تأتى وإما أن تكون
 نحن الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) فالأمر فيه للاذن بتقديم إلقاءهم توسلا به إلى إظهار
 الحق (فألقوا حيا لهم وعصيتهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبين . قال قى موسى
 عصاة فإذا هي تلف) بحذف إحدى التاءين من لأصل يتلع (ما يافسكون) يقبلونه
 بتجويرهم فيخيرون حيا لهم وعصيتهم أنها حيات تسمى (فأتى السحرة ساجدين . قالوا آمنا
 رب العالمين . رب موسى وهرون) ألمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قال -
 فرعون (أ آمنتم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (له) لموسى (قيل أن أذن) أنا
 لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بأخر (فلسوف
 تعلمون) ما ينالكم مني (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى يد كل واحد اليمنى
 ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين . قالوا لأضرب) لا ضرر علينا في ذلك (إنا إلى ربنا)
 بعد موتنا أى وجه كان (منقلبون) راجعون في الآخرة (إنا نطمع) نرجو (أن يغير
 لنا ربنا خطأنا أن) أى بأن (كنا أول المؤمنين) في زماننا (وأوحينا إلى موسى)
 بعد سنين أقامها بينهم يدعوم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا اعتوا (أن أمر

السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم اشتد
 خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم في الإيمان فنفر الباقي بقوله لأقطعن الخ (قوله إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لتق
 الضير وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل (قوله في زماننا) أى من أتباع فرعون فلا
 ينافى أن بنى إسرائيل سبواهم بالإيمان (قوله وأوحينا إلى موسى) يحتمل أن يكون الوحي بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله
 بعد سنين) أى ثلاثين وذلك أن موسى مكث في مصر أولا ثلاثين ، وفي مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيا مكث
 يدعوم إلى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله)
 أى باقى التسع لأن موسى اقتحهم أولا بالعصا والييد فلم يؤمنوا بخلافهم بالسنين المحمدة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم
 والطمس على أموالهم فلم يهد فيهم ذلك . قد سبق ذلك مفصلا في الأعراف .

(قوله صادى) الإضافة لتقديريه ، والمعنى سر بعبادى المتصين برحمتى وإلا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله إلى البحر) أى بحر التازم فخرج موسى عليه السلام بنى إسرائيل فى آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بنى إسرائيل يراحمه فى ذلك فيقول هكذا أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى بنى إسرائيل خرج فى أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش (قوله نكم متبعون) عاة للأمر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون إن لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حلبيهم بهذا السبب ثم خرجوا. تلك الأموال فى الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أى وجملة جيشه ألف ألف وستائة (قوله فاعلون ما يفيضنا) أى حيث خالفوا دينا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبقارنا لما روى : أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبقار القبط وأوحى إلى موسى أن يجمع بنى إسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا (١٦٢) أولاد الضأن وياطخوا أبواهم بدسائهم لتميز الملائكة بيوت

بنى إسرائيل من بيوت القبط فذخات الملائكة فقتلت أبقارهم فأصبحوا مشغولين بموتهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وإنما جميع حذرون) أى من عادتنا الحذر والحزم فى الأمور (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا بمعنى الأولى ، وقيل الحذر التيقظ والحذر الخائف (قوله كانت على جانبي النيل) أى من أوان إلى رشيد . قال كعب الأحبار : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا سيحان وجيحان والنيل

بعبادى) بنى إسرائيل ، وفى قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لثة فى أسرى أى سر بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجئون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فى المدائن) قيل كان له ألف مدينة واثنان عشر ألف قرية (حاشرين) جامعين الجيش قائلا (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقتلهم بالنظر إلى كثرة جيشه (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِقُونَ) فاعلون ما يفيضنا (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أى فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وَعَمِيُونَ) أنهار جارية فى الدور من النيل (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة ، وسميت كنوزا لأنه لم يمط حق الله تعالى منها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم (كَذَلِكَ) أى إخراجنا كما وصفنا (وَأُورِثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه (فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ) أى رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طاقه لنا به (قَالَ) موسى (كَلَّا) ،

والقرات فسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة

والنيل نهر العسل فى الجنة والقرات نهر الحمر فى الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل المراد بالكنوز الأموال التى تحت الأرض وخصها بالدكر لأن ما فوق الأرض انطمس وحيث قد قسمتها كنوزا ظاهرا (قوله مجلس حسن للأمرء والوزراء) قيل كان إذا قعد على سريريه وضع بين يديه ثلثة كرسى من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمرء وعليهم قبة الذهب مرصعة بالذهب ، وقيل المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أى إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لحدوف (قوله وأورثناها) أى الجنات والعيون والكنوز . وقيل المراد أورثنا بنى إسرائيل ما استعاروه من حلى آل فرعون ، والأحسن أن يراد ما هو أعم فان بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الأرض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أى يوم الملاقة وليس المراد أنهم أدركوا بنى إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتهم .

أى

(قوله آى لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن كلا لثنى ، والثنى لاسبيل لهم علينا لأن الله وعدنا بالخلص منهم (قوله فأوحينا إلى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج فصار يرمى موج كالجبال فصار بنو إسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فإذا الرجل واقف على فرسه ولم يقتل سرجه ولا لبيده (قوله اثني عشر فرقا) أى قطعة بعدد أسباط بنو إسرائيل (قوله بينها مسالك) أى بين اثني عشر فرقا (قوله على هيئته) أى وهى انه لاقه اثنا عشر فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور في قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أى وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبع مائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام) وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف إذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن في قبر بحر النيل فخر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام .

قائدة — قال قيس بن حجاج : لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بثبونة من أشهر التبط فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة ، عادة لايجرى إلا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا إذا كان (١٦٣) لثنى عشرة ليلة تخلو من هذا

الشهر عمدا إلى حارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحلنا عليها من الخلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن لا يكون في الاسلام ليهدم ما قبله ، فأقاموا بثبونة وأيب وسرى لايجرى قليلا ولا كثيرا وهو بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعلمه بالقصة ، فكتب إليه عمر

أى لن يدركونا (إن مَعَى رَبِّي) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضر به (فَأَمْلَقَ) فانشق اثني عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يقتل منها سرج الراكب ولا لبيده (وَأَرْزَلْنَا) قربنا (مِمَّ) هناك (الْآخَرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ) بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بنو إسرائيل منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى إغراق فرعون وقومه (لآيَةً) عبرة لمن بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن من آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من الفرق (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ) أى كفار مكة (نَبَأًا) خبر (إِبْرَاهِيمَ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَنظَلَّ لَهُمْ عَاكِفِينَ) أى قميم نهاراً على عبادتها زادوه في الجواب افتخاراً به (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ)

ابن الخطاب : إنك قد أصبت بالثنى فعلت وإنى قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي فالتقها في النيل إذا أتاك كتابي ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجروا وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك ففسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ إبراهيم) عطف على إذ ذكر العامل في قوله : و إذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أى كفار مكة) خصهم بالله كراثة لهم الحاضرون وقت نزول الآية وإلا فهو خطاب لهم ولن بعدهم إلى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله ما تعبدون) ما صنم استفهام معمول لتعبدون ، والمعنى ما هذا الذى تعبدونه أى ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله : ويستأونك ماذا ينفقون قل العفو . فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار (قوله أى قميم نهاراً على عبادتها) هذا معنى نظل الأصلى ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندم على عبادتها ليلا ونهاراً (قوله زدوه) أى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت في الأصنام في الماضى والحال والاستقبال ولا بد من محذوف هنا دل عليه قوله : إذ تدعون تقديروه هل يسمعون دعاءكم .

(قوله إذ تدعون) إذ هنا بمعنى إذا استحضارا للحال الماضية وحكاية لها تبكيها عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب فيفيد تسليم مقاله إبراهيم وإنما اعتدوا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أنما كنتم فعلتم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآبأؤ كم) عطف على الضمير في تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير للفصل . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير للفصل

(قوله فأنهم عدو لي) أسند العداوة لنفسه ثم يضاهيهم وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فأنهم عدو لكم . إن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تنقل ؟ أوجب بأجوبة منها : أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا ، ومنها أن الكلام على حذف مضاف : أي فإن أصحابهم عدو لي ، ومنها أن الكلام على القلب : أي فأنى عدو لهم (قوله إلا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعلو لي بل هو ولي في الدنيا والآخرة (قوله الذي خلقني) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفي قوله فهو يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الإطعام والاستقاء فليس بينهما ترتيب وأتى بهم في جانب الإحياء لبعد زمنه عن زمن (١٦٤) الموت لأن المراد به الإحياء في الآخرة (قوله إلى الدين) أي وغيره من مصالح

دنياي وآخري وإنما خص الدين لأن المقام للرد ولأنه أهم (قوله والذي هو يطعمني ويسقين) أي في الدنيا والآخرة (قوله وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وإن كان الكل من الله ناديا كما قال تعالى - بيدك الخير - ولم يقل والشمر ، وقال الخضر : فأردت أن أعيبيها، وقال فأرد ربك

إِذْ حِينَ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ) إِنْ عَدْتُمُوم (أَوْ يَصْرُؤْنَ) كَمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُمْ (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أَيْ مِثْلَ فَعَلْنَا (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) لِأَعْبُدُمْ (إِلَّا) لَكِنْ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَإِنِّي أَعْبُدُهُ (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إِلَى الدِّينِ (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ) أَرْجُو (أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أَيْ الْجَزَاءِ (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) عَلِمًا (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) النَّبِيِّينَ (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ) ثَنَاءً حَسَنًا (فِي) (فِي الْآخِرِينَ) الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أَيْ مِمَّنْ يَمُوتُهَا (وَأَغْفِرْ لِأَبْنِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بِأَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِ فَتَغْفِرَ لَهُ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَّبِينِ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَكَ كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ (وَلَا تُخْزِنِي) تَفْضَحْنِي (يَوْمَ يَبْتُئُونَ) أَيْ النَّاسَ ،

قال

أن يبلغا أشدهما (قوله والذي أطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب

مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله أن يغفر لي) ذكر ذلك تواضعا وتعليلًا للأمة وإلا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لي حكما) لما ذكر تلك الأوصاف قوى رجاؤه في ربه فطلب منه معالي الأمور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أي زيادة فيه (قوله وألحقتني بال صالحين) أي في العمل أوفى درجات الجنة (قوله واجعل لي لسان صدق) من إضافة الموصوف للصفة : أي ذكرنا حسنا من باب تسمية الشيء باسم آله (قوله الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى فإمن أمة من الأمم إلا وهي تحييه وتقي عليه بخير سيما في هذه الأمة الحممدية خصوصا المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير في كل تشهد وإمطال ذلك لينتفع به وهو ينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان، أو ما حديث « من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل بهم لهم » فعناه إذا اشتد كوامعهم في الايمان وإن لم يصابوا لقاءهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أي مندرجا فيهم ومن جهاتهم وإضافة جنة النعيم من إضافة المحل إلى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك ، وقد أجابه الله في جميع دعواته سوى الدعاء بالفقران لأبيه (قوله بأن تتوب عليه الخ) ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حتى ولكن ينافيه قوله - وهذا قبل - أن يتبين له - فان التبيين المذكور إنما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له في حياته بالتوفيق للايمان وإنما يصح لو كان المراد الدعاء بحفرة الذنوب على حاله التي هو عليها، وأوجب بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرا وهو حتى وحينئذ فقد صح مقاله المفسر (قوله وهذا) أي الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر في سورة براءة) أي في قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه - الآية (قوله تفضحني)

أى تمكثف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجوز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ من كلام الله تعالى و يصح أن يكون من كلام إبراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من آتى الله الخ) أشار للمفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله مال ولا بنون ويكون المعنى لكن من آتى الله بقلب سليم فانه ينتفع أو متصل إن جعل من المفعول الذى أتى قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا إلا الذى آتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قاب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى أتقنه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف ويعرفون ما فيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للناوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب فتحصل لهم الساءة والأحزان و يوقنون بأنهم موافقوها ولا يجنون (١٦٥) عنها مصرفا (قوله وقيل لهم)

أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقتم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لأن الكبكية تكرير الكب وهو اللقاء على الوجه كأن من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها (قوله والناوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف

قال تعالى فيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أَحَدًا (إِلَّا) لَكِن (مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والتناق وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ) قربت (الْمُتَّقِينَ) فيرونها (وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ) أظهرت (لِلنَّافِينَ) الكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) من دون الله) أى غيره من الأصنام (هَلْ يَنْصُرُونَكُم) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) بدفعه عن أنفسهم ، لا (فَكَبِّبُوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ وَالنَّافُونَ) وجنود إبليس) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أَجْمُونَ) قالوا) أى الناوون (وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم (تَاللَّهِ إِنَّ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين (إِذْ) حيث (نُسُوبِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فى العبادة (وَمَا أَضَلَّنَا) عن الهدى (إِلَّا الْأَجْرُ مُونَ) أى الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم (فَمَا لَبَّا مِنْ شَاقِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبیین والمؤمنين (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى يهيمه أمرنا (فَلَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمنى وتكون جوابه (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى الهوى بالتوحيد ، أو لأنه لطلول لبثه فيهم كأنه رسل ، وتأنيت قوم باعتبار معناه ،

تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال إنها فى الآية مهمة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام . قال ابن مالك * وخفت إن قتل العمل * الخ (قوله إذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبیین الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد « لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » (قوله ولاصديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان : أى خاصته أو الخاص ويؤيده قول المفسر : أى يهيمه أمرنا . وقوله يهيمه بضم أوله وكسر ثانيه وفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) أى عظة لمن أراد أن يستصبر بها ويعتبر قاتها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الأنبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لهم جمع المرسلين مع أنهم إنما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فأجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للبالى فالجمع على حقيقته ، وقوله أولآه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيت قوم)

أى تأييد الفصل للسند إليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الأمة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله :
 إذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لذكر أولئك كذلك (قوله نسباً) أى لافى الدين (قوله نوح) تقدم
 أن اسمه عبد الصغار أو يشكرون نوح لقبه (قوله ألا تتقون) ألا للعرض (قوله إني لكم رسول أمين) إنا أخبر بذلك ليبيع
 وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أوامرهم واجتنبوا نواهيهم (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجره
 وجعلاً (قوله كرره تأكيدياً) أى وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة والثانى على عدم سؤاله أجرهم منهم (قوله قالوا
 أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من إيمانهم وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم
 ليس خالصاً لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شئ من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره أنها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية
 والمعتمد جواز القراءة بها (قوله واتباعك) مبتدأ وخبره الأزدلون ، وأما القراءة الأولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال
 (قوله الأزدلون) جمع أزدل كالأكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم
 كالرياسة والنفي فإن ذلك موجب (١٦٦) للأنفة عن الاتباع (قوله قال وما علمى) يحتمل أن تكون ماستفهامية

وإليه يشير المفسر بقوله
 أى علم لى ويحتمل أن
 تكون نافية (قوله بما
 كانوا يعملون) أى لم
 أكف العلم بعتادهم
 الباطنية وإنما كلفت أن
 أذعوم إلى الإيمان (قوله
 إن حسابهم) أى حساب
 بواطنهم (قوله ما علمتكم
 قدره إشارة إلى أن لو
 شرطية حذف جوابها
 (قوله وما أنا بطارد
 المؤمنين) جواب لمفاهيمه
 من طلبهم طرد الضعفاء
 وهذا كما سألت قریش
 النهي صلى الله عليه وسلم

وتذكيره باعتبار لفظه (إذ قال لهم أخوهم) نسباً (نوح ألا تتقون) الله ، (إني لكم
 رسول أمين) على تبليغ ما أرسلت به (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من توحيد الله
 وطاعته (وما أسألكم عليه) على تبليغه (من أجر إن) ما (أجرى) أى ثوابى (إلا على
 رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون) كرره تأكيدياً (قالوا أنؤمن) نصدق (لك) لتوكل
 (وأتبعك) وفى قراءة واتباعك جمع تابع مبتدأ (الأزدلون) السفلة كالحاكة والأسا كفة
 (قال وما علمى) أى علم لى (بما كانوا يعملون . إن) ما (حسابهم) إلا على ربى) فيجاز بهم
 (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما علمتكم (وما أنا بطارد المؤمنين . إن) ما (أنا إلا نذير
 مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المرجومين)
 بالحجارة أو بالشم (قال) نوح (رب إن قومي كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحاً) أى احكم
 (وتجني ومن معي من المؤمنين) قال تعالى تأنجيناها ومن معه فى الفلك المشحون (الملوء من
 الناس والحيوان والطير ثم أغرقنا بعد) أى بعد إنجائهم (الباقيين) من قومه (إن فى ذلك لآية
 وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم . كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم

أن يطرد الموالي والفقراء كاتقدم فى سبب نزول قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغيب والعشى أخوهم
 (قوله إن أنا إلا نذير مبين) أى للمكافئين أعزاء وغيرهم فكيف يلبق فى طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أى تترك ما أنت عليه
 من معارضتنا (قوله قال رب إن قومي كذبون) إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك
 فأنا أذعوم عليهم بجل ذلك ، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبى وأصروا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسيأتى تفصيل ذلك
 فى سورة نوح فى قوله : قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهاراً الخ (قوله فافتح بيني وبينهم فتحاً) من الفتاحة بالضم والكسر
 وهى الحكومة أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معي من المؤمنين) آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون فى الاتباع وكان
 من مده من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أى بالطوفان حيث
 التقى ماء السماء على ماء الأرض (قوله الباقيين من قومه) أى صغاراً وكباراً فالهلاك النبوى عم الكبار والصغار والبهائم . وأما فى
 الآخرة فالخود فى النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها فيدخلون
 الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم أبى قبيلة هود الأظهى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة النسوية
 العاد وقوله المرسلين المراد هود وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى الجبىء بالتوحيد .

(قوله أخوم) أي من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد ، وكان هود ناجرا جميل الصورة يشبه آدم ، وعاش من العمر أربعمائة وأربعمائة سنة (قوله ألا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تأليفاً لقلوب المجرمين لهمم بهتدون (قوله إني لكم رسول أمين) تليل لمرضه التقوى عليهم . والمعنى إني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفرغ على قوله إني لكم رسول أمين : أي حيث كنت رسولا أميناً فالواجب عليكم تقوى الله وطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل ألا تتقون وتطيعوني (قوله من أجر) أي جعل وأجرة هي رسالي (قوله إلا على رب العالمين) أي لأنه المرسل لي المعنى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها منافق للتقوى البناء لعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ربيع) بكسر الراء ويقال ففتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) أي كالعلم في الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا أحد أوجه في تفسير متعلق العبث ، وقيل تعبثون بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به في الأسفار مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم ، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعشوا بها ، وقيل المعنى تبنون بياناً تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم (١٦٧) (قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو وضما

وهو الحوض أو البركة تجعل تحت الأرض كالصهاريج (قوله كأنكم) فسر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجي ويكون المعنى راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لأن مجيء لعل بمعنى كأن لم يرد (قوله وإذا بطشتم) أي فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسيطر والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله

أخوهم هوداً ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن) ما (أجرى إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ربيع) مكان مرتفع (آية) بناء علماً للمارة (تعبثون) بمن يمر بكم وتسخرون منهم ، والجملة حال من ضمير تبنون (وتتخذون مصانع) للماء تحت الأرض (لعلمكم) كأنكم (تتخلدون) فيها لا تموتون (وإذا بطشتم) بضرب أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة (فاتقوا الله) في ذلك (وأطيعون) فيما أمرتكم به (واتقوا الذي أمدكم) أنعم عليكم (بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات) بساتين (وعيون) أنهار (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا وفي الآخرة إن عصيتموني (فألوا سوا علينا) مستو عندنا (أو عظمت أم لم تكن من الواعظين) أصلاً : أي لا زعوى لوعظك (إن) ما (هذا) الذي خوفنا به (إلا خلق الأولين) أي اختلاقتهم وكذبهم ، وفي قراءة بضم الخاء واللام : أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا يمت إلا خلق الأولين : أي طبيعتهم وعادتهم (وما نحن بممذيين فكذبوه) بالعذاب (فأهلكناهم) في الدنيا بالريح (إن في ذلك لآية ،

في ذلك) أي فيما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله الذي أمدكم) أي أعطاكم اللدد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) أي ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله إني أخاف عليكم) أي إن دمتم على مخالفتي ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثي (قوله في الدنيا) أي بالريح العقيم وقوله وفي الآخرة أي بالخلود في النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لأن المعنى سواء علينا أرعظت بأن كنت من أهل الرعظ أم لم تكن أصلاً من أهله بأن كنت أميناً مثاناً ولست نبياً (قوله أي لا زعوى لوعظك) أي لا تردع ولا تتكف له (قوله إلا خلق الأولين) أي من تقدموا قبلك كشيث ونوح فانهم كانوا مختلفون أمورا فاقتديت بهم فاسم الإشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً وعاياها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أي طبيعتهم وعادتهم) أي عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا يبعث ولا حساب (قوله وما نحن بممذيين) أي على ما فعلناه من الأعمال (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أي الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لأماء فيها وسلطت عليهم سبع ليل وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء ثمان بقين من شوال ، وكانت في أواخر الشتاء وسيأتي بسطها في سورة الحاقة .

(قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل ألكم كانوا مع هود فى حظيرة نسم عليهم ربح لينه حتى مضت تلك المدة ، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الرحيم) أى اللين على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت نمود) اسم أبى قبيلة صالح الأعلى مميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذريته من آمن من قوم هود (قوله للواصلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أى فى النسب لاجتماعهم معه فى الأدب الأعلى وعاش صالح من العمر مائتين وعشرين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله ألا تقفون) تقدم أن الأداة عرض كما فى قول الشاعر :

يا ابن الكرام الأعدو تبصر ما قد حدثوك لما رآه كمن سمعا

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم لتوحيد الكلام اللين لقصر عقولهم وجهلهم (قوله أتركون) الاستفهام إنكارى توبيخى وما اسم موصول بينها الفسر بقوله من الحيريات وهنا اسم إشارة للسكان القريب والمراد دار الدنيا ، والمعنى أنظنون أنكم تتركون فى الدنيا متمتعين بأنواع النعم والتسهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون بأوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقي (قوله فى جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمى واحده نخلة يذكرو ويؤث ، وأما النخيل بالياء فهوثة اتفاقا (قوله طلعها) هو عمرها فى أول ما يطلع الكنصل السيف فى جوفه شحاريج (١٦٨) القنو وبعده الاغريض ويسمى خلافاً الباح ثم الزهر ثم البسرة ثم

لرطب ثم القمر يجمعهما قولك «طاب زبرت» فأطوار النخيل سبعة كأطوار الانسان ولداورد فى الحديث «أكرموا عماتكم النخل» وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتمتحنون من الجبال بيوتا) أى لطول أعماركم فان السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم لأن الواحد منهم

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ . أَنتُمْ كُونَ فِي مَا هَهُنَا) من الحيريات (آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) لطيف لين (وَتَمْتَحِنُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرهين) بطرين ، وفى قراءة فارهين حاذقين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) فيها أمرتكم به (وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالماصى (وَلَا يُصْلِحُونَ) بطاعة الله (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْتَحْرِينَ) الذين سحرورا كثيرا حتى غلب على عقلمهم (مَا أَنْتَ) أيضا (إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ (وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمْسُوهَا سَوْهَةً فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) بعظم العذاب (فَمَعَرُوهَا) أى عقرها بعضهم برضام (فَأَصْبَحُوا

تادمين

كان يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف (قوله بطراين) أى لنم

ربكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله حاذقين) أى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا أمر السرفين) الاسناد مجازى فى النسبة ، والأصل ولا تطيعوا السرفين فى أمرهم (قوله الذين يفسدون فى الأرض) صفة للسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك ما يتوهم أنه يقع منهم الإصلاح فى بعض الأوقات (قوله ما أنت إلا بشر مثلنا) أى فكيف تدعى أنك رسول إلينا (قوله قال هذه ناقة) الإشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبى موسى الأشعري قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بأمرين الأول قوله لها شرب . الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) أى فهى تشرب منه يوما وأتم تشربون منه يوما لاتراحمكم ولاتراحمونها وفى يومها تشربون من بينها (قوله فمعرؤها) أى يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهوانهم فى اليوم لأول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله أى عقرها بعضهم) أى وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقها بالسيف . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيحقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فقالوا ما كنا لنفضل فقال لهم صالح إنه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد فى هذا الشهر ذكر إلا كئله فوله تسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان

ابن العاصم أزرقي أخر فثبت نباتا سريعا فكان إذا مر بالثسعة فراهه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب القسمة على صالح لأنه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتمصبوا وتقاصموا بالله لتدينته وأهله فقالوا نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتينا فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا النار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم النار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطاع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله أما رضى صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عتر الناقة (قوله نادمين على عقرها) إن قلت لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم . أجييب بأن ندمهم لحوف نزول العذاب فقط لآتوبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الايتين الاشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لا ينادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من مظهر الايتين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لافي النسب لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله القدران) جمع ذكر أي أديارهم (قوله أي من الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات غير (١٦٩) العاقلة فهذه الحصلة القبيحة لم تكن

في أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الأمة الحمودية فانالله وإنا إليه راجعون (قوله ما خلق لكم أي أهل وأباح (قوله أي أقبالهن) أي لأنه عمل نبات البذر قال تعالى: نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) أي متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر إن أي لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق

نَادِمِينَ) عَلَى عَقْرهَا (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الْمَوْعُودُ بِهِ فَهَلَكُوا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ (مَا) أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذَّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) أَي مِنَ النَّاسِ (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أَي أَقْبَالِهِنَّ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) مُتَجَاوِرُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ (قَالُوا لَنْ لَمْ نَفْتَهُ يَا لُوطُ) عَنْ إِنْكَارِكْ عَلَيْنَا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) مِنْ بَلَدِنَا (قَالَ) لُوطُ (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) الْمُبْغِضِينَ (رَبِّ نَجْفِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) أَي مِنْ عَذَابِهِ (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا نَجَّوْنَا) امْرَأَتَهُ (فِي الْغَارَيْنِ) الْبَاقِينَ أَهْلَكْنَاهَا (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ) أَهْلَكْنَاهُمْ (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) حِجَارَةً مِنْ جِلَّةِ الْإِهْلَاكِ (نِسَاءَ الْمُذْذَرِينَ) مَطْرَمٌ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وَفِي قِرَاءَةِ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ ،

بالحجر المحذوف ولا يصح أن يجعل قوله من القالين خبر إن فيكون عاملا في عملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو ال مع أنه لا يجوز (قوله أي من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على عذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) أي بنفيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أي في العذاب قيل تبع لوط ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت تخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله أمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الأيكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن في الحجروق وهما صقال أوليان بأل مع الجر لا غير والأخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله بحذف الهمزة) أي ثنائية وقوله على اللام أي لام التعريف ، وأما الهمزة الأولى فقد حذف للاستغناء عنها بتحريك اللام لأنها همزة وصل أتى بها للتوصل للنطق بالساكن ، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضى أن اللام الموجودة لام التعريف . وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الماء لأن المقرون بأل يجز بالكسرة وقع فيه نقل أم لا . قال ابن مالك :

فالناسب أن يقول وفي قراءة بوزن ليلة ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ جرت بالفتحة ظاهر لعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيا وللعلمية والجمعة إن كان أجميا (قوله وفتح الماء) في بعض النسخ وفتح التاء وهي أوضح (قوله هي غيضة شجر) بفتح النين وبالضاد المعجمة: أي مكان فيه شجر ملتف بضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هي قرية شعيب، سميت باسم بانها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفي جمعه ماعلت، وقد أرسل شعيب أيضا لأهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهلكوا بذاب يوم الظلة (قوله لأنه لم يكن منهم) أي بل كان من مدين. قال تعالى - وإلى مدين أخاهم شعيبا - (قوله الناقصين) أي لحقوق الناس (قوله ولا تبغسوا الناس أشياءهم) أي فكأنوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يحسرون ومن جملة بخصمهم أنهم ينقصون الدرامم والدنانير (قوله وغيره) أي كقطع الطريق (قوله لمنى عاملها) أي ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام: أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة (١٧٠) وقرى شدوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وفتح الجيم أو كسرهما مع سكن

البناء (قوله وما أنت إلا بشر مثلى) أتى بالواو هنادون قصة صالح مبالغة في تكذيبه لأنه عند دخول الواو يكون كل من الأمرين التسخير البشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد إلا التسخير والثاني دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب أن يقول مهمة ليعمل لها لأن المسكورة إذا خفت قل عملها والأولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أي استمروا على

وإلقاء حركتها على اللام وفتح الماء: هي غيضة شجر قرب مدين (المرسلين). إذ قال لهم شعيب: لم يقل أخوم لأنه لم يكن منهم (ألا تتقون). إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن ما (أجرى إلا على رب العالمين). أو فوا الكيل (أتموه) ولا تكونوا من المخسرين (الناقصين) (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ولا تبغسوا الناس أشياءهم) لانتقصوهم من حقهم شيئا (ولا تعصوا في الأرض مفسدين) بالقتل وغيره من عنى بكسر المثناة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لعمى عاملها (واتقوا الذي خلقكم والجبلة) الخليفة (الأولين). قالوا إيمان أنت من المسخرين وما أنت إلا بشر مثلى وإن (مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه) نظذك لمن الكاذبين. فأسقط علينا كسفاً بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء إن كنت من الصادقين) في رسالتك (قال ربني أعلم بما تهملون) فيجازيكم به (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلمت بعد حر شديد أصابهم فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا (إنه كان عذاب يوم عظيم). إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز الرحيم. وإنه) أي القرآن (لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين) جبريل (على قلبك،

تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم

وأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم يفهمهم ظل ولا ماء فأفضجهم الحر فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلمت فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم لبعضاً فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد اللقي فصاروا رمادا، وهذا العذاب الذي حل بهم هو الذي طلبوه تهكماً بشعيب بقولهم - فأسقط علينا كسفاً من السماء - (قوله أصابهم) أي سبعة أيام ثم لجثوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام (قوله وإنه لتنزيل رب العالمين) شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) البناء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال نزل في حال ملاسته له على حد خرج زيد بقبابه (قوله على قلبك) خصه بالذكور لأنه سلطان الأعضاء فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء، ففي الحديث «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» حيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولما ورد أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن

يقولوا جبريل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستنجال بالقراءة قال تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) أي ومن البشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به باعادة الجرار، ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين . والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة (قوله أي ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت في سائر الكتب مع أنه ليس كذلك ، والمراد بذكره فتنه والاختبار منه بأنه ينزل على محمد وأنه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله وأصحابه) أي وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالحقصة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم (قوله ويكون بالتحسانية ونصب آية) أي على أنه خبر يمكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورفع آية) أي على أنه فاعل بتسكن وقوله أن يعلمه بدل من آية (قوله جمع أجمع) أصله أجمعى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع ما يقال إن أفضل فعلاء لا يجمع جمع للذكر السلام (قوله أمة من اتباعه) أي تكبرا (قوله كذلك) معمول للسلكناه والضمير في سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لا يؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الماء (١٧١) في سلكناه وقوله حتى يروا العذاب

الأيام مقدم من تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغته وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرين أي مؤخرون عن الاهلاك ولوطرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا: أي لا تأخير ولا إهمال (قوله أفتبذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيقولون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (عَيْنٌ) ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَشْدِيدِ نَزْلِ وَنَسْبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ اللَّهُ (وَإِنَّهُ) أَيْ ذَكَرَ الْقُرْآنَ النَّزْلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (لَنِي زُبُرٌ) كَتَبَ (الْأَوَّلِينَ) كَالْتَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ) لِكْفَارِ مَكَّةَ (آيَةٌ) عَلَى ذَلِكَ (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاؤُنِي إِسْرَائِيلَ) كَمَا قَالَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ مَنْ آمَنُوا فَانْهَمُ بِخَيْرٍ بِذَلِكَ ، وَيَكُونُ بِالتَّحْتَانِيَةِ وَنَسْبِ آيَةٍ وَبِالْفَوْقَانِيَةِ وَرَفْعِ آيَةٍ (وَلَوْ تَرَدُّنَا عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جَمْعُ أَعْجَمٍ (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) أَيْ كَفَارِ مَكَّةَ (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أُمَّةٌ مِنْ اتِّبَاعِهِ (كَذَلِكَ) أَيْ مِثْلَ إِدْخَالِنَا التَّكْذِيبَ بِهِ بِقِرَاءَةِ الْأَعْجَمِيِّ (سَلَكْنَاهُ) أَدْخَلْنَا التَّكْذِيبَ بِهِ (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أَيْ كَفَارِ مَكَّةَ بِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) . فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) نَتُؤَمِّنُ فِيْقَالُ لَهُمْ لَا قَالُوا مَتَى هَذَا الْعَذَابُ قَالَ تَعَالَى (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) . أَفَرَأَيْتَ) أَخْبِرْنِي (إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) مِنَ الْعَذَابِ (مَا اسْتِغْنَاهُمْ بِمَعْنَى أَيْ شَيْءٍ) (أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ) فِي دَفْعِ الْعَذَابِ أَوْ تَخْفِيفِهِ : أَيْ لَمْ يَفِضْ (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَمَّا مُنذِرُونَا) رَسَلْنَا نَذْرًا لَهَا (ذِكْرِي) عِظَةُ لَهُمْ (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) فِي إِهْلَاكِهِمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ .

وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فأعملنا الأول وأضمرنا في الثاني ضميرا يعود عليه أي ثم جاءهم هو أي الذي كانوا يوعدون ، وجملة ما أغنى عنهم الخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) أي به وما اسم موصول (قوله استفهامية) أي استفهام إنكار كما أشار له بقوله أي لم يرض فهذا مساو في المعنى ، لقول بعضهم إنها نافية وهي على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى ، وقوله ما كانوا يمتعون فاعل بأغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) أي أنه جرت عادته سبحانه وتعالى أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول إليهم وعصيانهم وذلك فضل منه سبحانه وتعالى وإلا فلا أهلكهم من أول الأمر لا بعد ظالما لأنه متصرف في ملكه يحكم لامعقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله الالهنا منذرون) الجملة صفة لقرية . فان قلت لم تركت الواو هنا ، وذكرت في قوله تعالى : وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . أوجب بأن الأصل ترك الواو ، وإذا زيدت كانت لتأكيده وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لأجله أي لأجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أي لانفعول فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الإنذار بل لانهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل

(قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما يفتى لهم) أى لا يمكنهم (قوله إنهم من السمع الخ) علة لقوله وما يفتى لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للأنبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون إليه أصلا ، وإن كان المراد به الميقات التى ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما ثبت سلطت عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله إلها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبدوا آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى إنذاره « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يابى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صافية عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سليمانى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا » وفى رواية « أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى يابى عدى ليطون من قريش قد اجتمعوا الجهل الذى لا يستطيع أن يخرج يرسل (١٧٢) رسولا لينظروا ما هو جاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن

ونزل ردا لقول المشركين (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لكلام الملائكة (لَمَعَزُولُونَ) بالشهب (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُكذِبِينَ) إن فعلت ذلك الذى دعوك إليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرم جهارا رواه البخارى ومسلم (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ) أن جانبك (لِيَنْ أَتْبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الموحدين (فَإِنْ عَصَوْكَ) أى عشيرتك (قُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَكْفُرُونَ) من عبادة غير الله (وَتَوَكَّلْ) بالواو والفاء (عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) الله : أى فوض إليه جميع أمورك (الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة (وَتَقْلُبُكَ) فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكما وساجدا (فِي السَّاجِدِينَ) أى المصلين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ) أى كفار مكة (عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) مجذوف إحدى التاءين من الأصل (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَيْمٍ) فاجر مثل مسيلة

خيلا بالوادى تريد أن تفسر عليكم أكنتم مصدق قالوا ماجر بنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك أهدنا جمعنا فنزلت بتب يدا أبى لهب وتب إلى آخر السورة (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ من بقى على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل

عليه (قوله بالواو والفاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وغيره وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل إنى برىء (قوله على العزيز) أى الطالب على أمره القاهر فشكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أى بالؤمن الممثل لأمره (قوله حين تقوم) أى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين أى مع الجماعة (قوله إلى الصلاة) لامفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وإنما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ولأن قرءة عينه فيها لما فى الحديث « جعلت قرءة عينى فى الصلاة » والمراد بزويته إياه زيادة تجلى الرحمة عليه والإفروءة الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع ، وقيل إن فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون . والمعنى براك متقلبا فى أصلاب وأرحام المؤمنين من آدم إلى عبد الله فأصوله جميعا مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فانه كان كافرا . وأجيب بجوابين : الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارخ . الثانى أنه كان أباه حقيقة وقولهم إن أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور المهدى فى الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله ، وحينئذ فأزر ما كفر لإبجد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده (قوله قل هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم إنه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث

إن جعل أنبئكم متعديا لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعديا لاثنتين (قوله وغيره) أي كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن ، وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلية ، والعراف هو الذي يخبر عن الأمور الماضية (قوله يلقون السمع) . يحتفل أن الضمير عائد على الشياطين ، والمعنى يلقون ما سمعوه إلى الكهنة ، ويحتفل أنه عائد على كل أفك أئيم ، والمعنى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصفون إلى الشياطين بكلامهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثروهم كاذبون) الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أي أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صدق وليس المراد أن الأقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله : إنهم عن السمع لعزلون . وحاصل ذلك أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلة ولا خبره شيء من الشياطين (قوله والشعراء) أي الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقتضى قصدا ، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهيرة بن أبي وهب الخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأميرة بن أبي الصلت التثقي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم فحواة قومهم يسمعون أشعارهم (قوله من أدوية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام فهم (١٧٣) مشبهون بالهائم في الأودية

الذي لا يدري أين يتوجه (قوله يصفون) أي يخوضون (قوله أي يكذبون) أي لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحنون عليهما ولا يفعلون ما ذكر ويذمون ضدها ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

وغيره من الكهنة (يُلقُونَ) أي الشياطين (السمع) أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يصفون إلى المسموع كذبا كثيرا ، وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) في شعرهم فيقولون به ويروونه فهم مذمومون (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من أدوية الكلام وفنونه (يَهيمُونَ) يمحضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فلنا (مَالًا يَنْعَلُونَ) أي يكذبون (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الشعراء (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وَأَنْتَصَرُوا) بهجوم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) بهجوم الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين ،

سبب تزولها « أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل في الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن للؤمن يجاهد سيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده لكان ماتر مومهم به نضح النبل » وقوله قد أنزل في الشعر أي أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أي ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم . واعلم أن الشعر ، منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الأولى وقوله عليه الصلاة والسلام « لأن يمتلي جوف أحدكم قيحا ودما خيره من أن يمتلي شعرا » ومنه مدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة ، وروى عن ابن عباس أنه كان يشد الشعر في المسجد ويستنشد فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة الخزومي فاستنشه قصيدة فأنشده إياها وهي قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى « أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا في المسجد يقوم عليه فأما يا خسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينا فح و يقول رسول الله : إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافع أو فاجر عن رسول الله » وروى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اهجو أقريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجم فهاجم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك

بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لانعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسائها وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسي فأناه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسنك منهم كما نسل الشجرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخفت عن رسوله» قالت : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجام حسان فشتي واشتني» فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذلك الجزاء	هجوت محمدا برّا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء	فان أبي ووالدتي وعرضي	لعرض محمد منكم وقاه
نكحت بنيقي إن لم تروها	تثير النقع موعدها كداء	ينازعن الأعنة مصعدات
على أكنافها الأسل الظماء	تظل جيادنا متمطرات	تلطمهن بالحر النساء
فان أعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء	وإلا فاصبروا والضراب يوم
بسر الله فيه من يشاء	وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا	هم الأنصار عرضتها اللقاء	تلاقى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء	فمن يهجو رسول الله منكم	ويدعه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا (١٧٤) وروح القدس ليس له خفاء (قوله قال الله تعالى لا يجب الله

قال الله تعالى : لا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وَسَيَقْلُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيُّ مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت ،

(سورة النمل)

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طس-) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أي هذه الآيات (آياتُ القرءان) آيات منه (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة هو (هدى) أي هاد من الضلالة (وَبُشْرَى ،

الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) استدلال على جواز هجوم للكفار في مقابلة هجوم الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة في المقابلة فلا يجوز للظالم أن يزيد في الظلم على ما ظلم به من الهجوم (قوله أي منقلب) معمول لينقلبون الذي

بعده لا لما قبله لأن الاستفهام له الصدر وهو

مفعول مطلق : أي ينقلبون أي انقلاب والجملة سادة مسد مفعولي يعلم ، والعض يرجعون مرجعا سينا لأن مصيرهم إلى النار وهو أقيح مرجع وأشره .

[سورة النمل مكية] أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النملة الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقي منها حكم ومواظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أي أنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لأنه فرع معرفة المعنى والموضوع أنه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أي فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى فأجاب بأنه صوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن (قوله هدى) خبر لمخذوف قدره للمفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما فائده الاثبات به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى وجرى للمؤمنين (قوله أي هاد من الضلالة) هذا أحدا احتمالات في تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذوهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ما قبله فزيد عدل

للمؤمنين

(قوله المؤمنين) حذف من الأول دلالة الثاني عليه فالقرآن هدى للمؤمنين وجرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى : والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم سمى ، وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعنى بهم للمشركون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجوهها) أى بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل (قوله ويؤتون الزكوة) أى الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ ويؤتون خبره وبالآخرة متعلق بيؤتون (قوله يطمونها بالاستدلال) أى من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك في ذلك فقد كفر (قوله لما فضل بينه وبين الخبر) أى بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) قابل قوله هدى وجرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أهلهم) أى حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهى فى الواقع ليست حسنة ، وإنما ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا قال الشاعر :
يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا مالىس بالحسن

(قوله يتحبرون فيها) أى لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحبرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ، ومن العلوم أن السائر (١٧٥) فى الظلمات متحبر بخلاف السائر

فى النور ، فأهل الايمان مصدقون مصممون على اعتقادهم ، وأهل الكفر متشككون متحبرون (قوله هم الأخسرون) أى أن خسرتهم فى الآخرة أشد من خسرتهم فى الدنيا لدوام العذاب عليهم فى الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أى من عند من يضع الشيء فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العالم

لِلْمُؤْمِنِينَ) المصدّتين به بالجنة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يأتون بها على وجهها (وَيُؤْتُونَ) يطون (الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يطمونها بالاستدلال ، وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فَهُمْ يَفْتَهُونَ) يتحبرون فيها لقبحها عندنا (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أشده فى الدنيا القتل والأسر (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَإِنَّكَ) خطاب لنبى صلى الله عليه وسلم (لَتَلَدِّقِي الْقُرْآنَ) أى يلقي عليك بشدة (مِنْ لَدُنِّ) من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) فى ذلك . اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إِنِّي آنستُ) أبصرت من بعيد (نَارًا سَاءَ تِيكُمُ مِنْهَا بِخَبِيرٍ) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مَّسِينٍ) بالاضافة للبيان وتركها : أى شعلة نار فى رأس قميصه أو حود (لَتَلَكُمُ تَصْفُلُونَ) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وضعها تستدفون من اللهد (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ) أى بأن (بُورِكَ) أى بارك الله (مَنْ فِي النَّارِ) أى موسى (وَمَنْ حَوَّهَا) أى الملائكة أو العكس ، وبارك يعطى بنفسه وبالخرف

بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله إذ قال ظرف لمخدوف . والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وموقع له (قوله زوجته) أى بنت شبيب أى وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أى ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أى تاه عنها (قوله أو آتاكم) أو مائة خلوة تجوز الجمع (قوله أى شعلة نار) أى شعلة مقتبسة من النار فالاضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالسكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأنها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أى من باب تعب وقوله وقتحها أى من باب رعى (قوله نودى) أى ناداه الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن أن مسدريه وما بعدها فى تأويل مصدر وحرف الجزر مقدر قبلها أى نودى بركة من فى النار الخ أى بتقديره وتطهيره عما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة : أى ناداه الله بأننا قد سنالك وطهرناك واخترتناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذا محبة لموسى وتكرمه له (قوله أو العكس) أى تفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى ، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يعطى بنفسه) أى فيقال باركك الله (قوله وبالخرف) أى اللام وفى وعلى .

(قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقال أن بورك من في مكان النار ، وإنما احتج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها (قوله من جملة ما نودي) أي أتى به وإنما أتى بالتزيه هنا لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أوجهة (قوله وأنت عصاك) لم يقل هنا وأن كما في القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل حسن عطف أنت عليه وما يأتي لم يذكر فقصد عطف وأن أنت على قوله أن ياموسى إلى أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافى عظم جنتها (قوله يرجع) أي لم يرجع على عقبه (قوله لا تخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لا يخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظم مبتدأ وقوله فاني غفور خيره (قوله أتاه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بادخلها في كنه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لما شعاع) أي لمعان وإشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في عمل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من (١٧٦) ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك

ويقدر بعد في مكان (وَسُبُّعَانَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودي ، ومعناه تزيه الله من السوء (يَا مُوسَى إِنَّهُ) أي الشأن (أَنَا اللَّهُ التَّزْيِيرُ الْحَكِيمُ . وَأَنْتَ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) حية خفيفة (وَلَى مُذْ بَرَأَ وَلَمْ يَمْتَعِبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) منها (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّْ) عندى (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها (إِلَّا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا) أتاه (بِمَدِّ سُوهِ) أي تاب (فَلَمَّا غَفُورٌ رَحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق القميص (تَخْرُجُ) خلاف لونها من الأدمة (بِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوهِ) برص لها شعاع يضئ البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلاتها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) أي مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (وَ) قد (اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالًا) شكرًا لله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، فالض هنا حال صكونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تحليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإثارتها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية

ورث

في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي ما نشاهده من الخوارق التي

أتى بها موسى (قوله واستيقنتها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ، ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة للفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخاضع (قوله من إهلاكهم) أي بالاعراق على الوجه المهائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى أعطينا وهو شروع في ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولها أجلهم سليمان ، وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة ، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم السرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقال الحمد لله) أي شكر كل منهما به على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والإنس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤثروا مثلنا

وهذه مزبنة وهي لاحتضنى الأفضلية ، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك الزايا فألو العزم أفضل منهما لأن التفضيل من الله لا بالزايا (قوله وورث سليمان داود) أى قام مقامه في ذلك دون سائر غيره التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شئ* (قوله وقال يأبها الناس) أى قال سليمان لبني إسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أى فهمنا الله أصوات الطير ، ولا مفهوم للطير ، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه ، ورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك السلط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراسي ثم أمرت بك الثانية . إنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك أيها الملك السلط إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب حتى أفراسي حتى يبروا ثم أتيتك فأقبل بي . اثنت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ، ومرة سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يابني الله قال إنه يقول آكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا الغناء ، ومرة يهدد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاف فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يابني الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حباله الصبي وهو في يده فقال له ما هذا قال ما رأيته حتى وقعت بها يابني الله قال ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أما ترى الفخ فقال يابني الله إذ أنزل القضاء عمى البصر ، وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول : لهذا اللوت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له ، وصاح عنده طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان ، وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول إن من لا يرحم (١٧٧) لا يرحم ، وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه

وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ (النبوّة والعلم دون باقي أولاده) وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ (أى فهم أصواته) وَأَوْتَيْنَا (من كل شئ) تَوَاتِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُلُوكَ (إن هذا) الْمُؤْتَى (لِمَا أَفْضَلُ الْمُدْبِينِ) الْبَيْنَ الظَّاهِرِ (وَحُسْرَى) جَمْع (لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ) فِي مَسِيرِهِ (فَهَمَّ يَرْزَعُونَ) :

يقول استغفروا الله
يا مذنبون فمن ثم نهى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قتله ، وقيل إن
الصرد هو الذي دل آدم

على مكان البيت ، ولذلك يقال له الصرد الصرام ، وصاحت عنده طيطرجى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول قدموا خيرا تجوده فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها . وقيل إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فأناسه الله بالحطاف وأرزمها البيوت فهي لا تفرق بين آدم أنسألم ، قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم . وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربي الأعلى عدد ما في السموات والأرض ، وصاح قرى عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربي العظيم الهيمن ، قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن المشرك ، والحدأة يقول كل شئ* هالك إلا وجهه ، والقطة تقول من سكت سلم ، والبغاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والصفدع تقول سبحان ربي القدوس ، والبازي يقول سبحان ربي وبحمده ، والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الديك إذا صاح قال اذكروا الله يا غافلون» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «النسر إذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فأخرك الموت» وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس راحة ، وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبغض آل محمد ، وإذا صاح الحطاف قال الحمد لله رب العالمين إلى آخرها فيقول والاضالين فيمدها صوتة كما يد القارى* (قوله وأوتينا من كل شئ*) قال ذلك تحدينا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس) أى من الأماكن البعيدة وكان له نقيب ترد أول العسكر على آخره ثلاثا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانص وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير مائة فرسخ في مائة فرسخ وخمسة وعشرون منها للانص وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وكان يوضع كرسية

في وسطه فتعد وحوله كرامى من ذهب فضة فيقعد الأنبياء على كرامى الذهب والفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والحش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قولير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة ينى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء ففسره به ، وروى عن كعب الأحبار أنه قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه ، وقد اتخذ مطابخ ومخابر فيها تنانير الحديد والقصور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل قسطيح الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض ، واتخذ ميسادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى فسار من إصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليها قال سليمان : هذه دلة هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد لجأوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه ما يبكيك قال يارب أباكأن أن هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يبالوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لاتبك فأنى سوف أمثلوك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلى وأجمل فيك عمارا من خلقي يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحضون إليك حين الناقاة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مر بوادي النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) أى ينعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى إذا أتوا) غاية لهدوف أى فساروا مشاة على الأرض وركبانا حتى إذا أتوا الخ (قوله نمل صغار) أى وهو المعروف وقوله أو كبار أى كالبلخاني أو الدناب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاحية ، وقيل جرمى حكى الزمخشرى عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول سلونى فأمر أبو حنيفة شخصا سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا أو أنثى فلم يجب فقيل لأبى حنيفة فى ذلك فقيل كانت أنثى واستدل بلحاق (١٧٨) العلامة ، قال بعضهم : وفيه نظر لأن لحاق التاء فى قالت لا يدل على أنها

مؤنثة لأن تاءه للوحدة
لالتأنيث وحينئذ فيصح
أن يقال قال نملة وقالت
نملة، وما استدلل به أبو حنيفة

يجمعون ثم يساقون (حتى إذا أتوا على واد النمل) هو بالطائف أو بالشام نملة صغار أو كبار
(قالت نملة) ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يا أيها النمل اذخلوا مساكنكم ،

لا

يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقد رأت جند سليمان) أى من ثلاثة أميال بدليل قوله
الآتى وقد صحه من ثلاثة أميال (قوله يا أيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعا من البلاغة ، أولها النداء بيا
ثانيها لفظ أى . ثالثها التنبيه . رابعها التسمية بقولها النمل . خامسها الأمر بقولها ادخلوها . سادسها التنصيص بقولها
مساكنكم . سابعها التحذير بقولها لا يحطمنكم . ثامنها التنصيص بقولها سليمان . تاسعها التعميم بقولها وبنوده . عاشرها
الإشارة بقولها وم . حادى عشرها المنع بقولها لا يشعرون، وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين ، وهى من جملة الحيوانات
الضرة التى تدخل الجنة، وهى براق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل إبراهيم وكبش ولده وبقرة
بنى إسرائيل وكاب أهل الكهف وحمير العزيز وناقاة صالح وحوث يونس زوى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من
ظلمى أما علمت أتى نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وبنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع أتى لم أرد
حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يمتنن مثل ما أعطيت ويفتنن بالدنيا ويستغلن بالنظر إلى ملكك عن
التسبيح والذكر ، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها فقالت هل عندكم من شئ نهديه إلى نبي الله قالوا وما قدر
مانهدي له والله ما عندنا إلا نبقة واحدة فقالت حسنة اتمونى بها فأتوها بها فحماها فيها وانطلقت تجرها وأمر الريح فحماها
وأقبلت تشق الجن والناس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وأنشأت تقول :

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجيل بقدرة لأقصر عنه البحر يوما وساحله
ولمكنا نهدي إلى من تحبه فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذلك إلا من كريم فاهه وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقتال لها : بارك الله فيكم ، فهم تلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله . والنمل حيوان معروف شهيد

الاحساس والشم حتى أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته ، ومن شدة إدراكه أنه يفتاق الحبة فلتقتين خوفا من الانبساط
ويفتاق حبة الكزبرة أربع فلتق لأنها إذا فلتقت فلتقتين نبتت ، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويسبق باقية عدة (قوله
لا يحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهى والثاني أنه جواب الأمر (قوله وهم لا يشمرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا)
مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها للذكور فتبسم ، وكان سبب ضحكك شيئين أحدهما ما دل على ظهور رحمة ورحمة جنوده
وشفتهم من قولها وهم لا يشمرون الثاني سروره بما آناه الله ما لم يؤت أحدا من إدراك سمه ما قاله الخلة (قوله ابتداء الخ)
أى فالتبسم افتتاح الفم من غير صوت والضحك افتتاحه مع صوت خفيف والقهقهة افتتاحه مع صوت قوى وهي لا تكون من
الأنبياء (قوله في هذا السير) أى في خصوص سيره على وادى النمل وكان هو وجنبه في غير هذا المكان راكبين على
البساط وتسيرهم الريح (قوله وعلى والدي) إنما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ليزداد في الشكر عليها (قوله في عبادك
الصالحين) على حذف مضاف أى في جملة عبادك ، أو في معنى مع والمراد الكاملون في الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك
لما من مقام إلا وفوقه أعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع في القصة الثالثة والمعنى نظر في الطير فلم
ير الهدهد ، وكان سبب سؤاله عن الهدهد أنه كان دليل سليمان على الماء وكان (١٧٩) يعرف موضع الماء ويرى

الماء تحت الأرض كما يرى
في الزجاجة ويعرف قربه
وبعد فنفقر في الأرض
ثم تجيء الشياطين
فيحفرون ويستخرجون
الماء في ساعة يسيرة ، قيل
لما ذكر ذلك ابن عباس
قيل له إن الصبي يضع له
غشا ويحنو عليه التراب
فيجاء الهدهد وهو
لا يبصر الفسخ حتى يقع
في عنقه فقال ابن عباس
إذا نزل القضاء والقدر
ذهب البص وعسى البصر
قيل ولم يكن له في مسيره

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لَا يَكْسِرَنَّكُمْ (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نَزَلَ النَّمْلُ مَنْزِلَةً
الْعَقْلَاءَ فِي الْخَطَابِ بِخَطَابِهِمْ (فَتَبَسَّمَ) سُلَيْمَانُ ابْتِدَاءً (ضَاحِكًا) انْتِهَاءً (مِنْ قَوْلِهَا) وَقَدْ
سَمِعَهُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ الرِّيحُ فَخَبَسَ جَنْدَهُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى وَاوِيهِمْ حَتَّى دَخَلُوا بَيْوتَهُمْ
وَكَانَ جَنْدَهُ رُكْبَانًا وَمِشَاةً فِي هَذَا السَّيْرِ (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) أَلْهَمْنِي (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ) بِهَا (عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخِئْ لِي رِجْزِيكَ
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) أَيِ الرَّهْدِ الَّذِي يَرَى الْمَاءَ تَحْتَ
الْأَرْضِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ فِيهَا فَتَسْتَخْرِجُهُ الشَّيَاطِينُ لِاحْتِيَاجِ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ لِلصَّلَاةِ فَلَمْ يَرَهُ (فَقَالَ
مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ) أَيِ أَعْرَضَ لِي مَا مَعْنَى مِنْ رُؤْيِيهِ؟ (أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِلِينَ) فَلَمْ أَرَهُ
لِنَيْبَتِهِ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَهَا قَالَ (لَا أَعْدَبْنَهُ عَدَابًا) تَعْذِيبًا (شَدِيدًا) بِنَفْسِ رِيَشِهِ وَذَنْبِهِ وَرَمِيهِ
فِي الشَّمْسِ فَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَوَامِّ (أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ) بِقَطْعِ حَلْقُومِهِ (أَوْ لِيَأْتِيَنِي) بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ
مَكْسُورَةٍ أَوْ مُفْتَرِحَةٍ يَلِيهَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يَبْرَهُانَ بَيْنَ ظَاهِرٍ عَلَى عَذْرِهِ ،

إلا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أى بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة (قوله مالى لأرى الهدهد)
استفهام استخبار (قوله أم كان من العائلين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره
فقال مالى لأرى الهدهد ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك وهو إضراب انتقالى (قوله لأعدبته عذابا شديدا)
الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فأو بين السكمتين الأوليين للتخيير وفي الثالث للتريد بينه وبينها فهى فى الأخير
بمعنى إلا (قوله بنتف ريشه) هذا أحد أقوال فى معنى التعذيب ، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه ، وقيل هو أن يطلى
بالقطران ويوضع فى الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسطان ميين) أى حجة ظاهرة على
غيبته ، والسبب فى عيبة الهدهد أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم
فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فماتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم أى من
غير صلاة بالكعبة كراهة فى الأصنام ولم يكن مأمورا بتكسيهها فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم ، وكان ينحرف فى كل يوم
طولا يقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف نور وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا المكان
يخرج منه نبي عربى صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاذه وتبلغ هيئته مسافة شهر القريب والبعيد عنده

في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين ياني الله قال يدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه ياني الله ؟ قال مقدرا ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وصار نحو اليمن فولى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ترهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتخدى ، فلما نزل قال المهدد قد اشتغل سليمان بالنزول فأرتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا بلقيس نزل إليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسمه هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليغفور من أين أقبلت ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان ؟ قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال عفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أر بعمانة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أر بعمانا ألف مقاتل ولها ثلثائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق مني حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال الهدهد العجاني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها . وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته إلى مكان ، فضب سليمان وقال لأعدبته عذابا شديدا الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له على بالهدهد السامة فأرتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد (١٨٠) مقبلا من نحو اليمن فاتقضى العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب

يقصده بسوء ، فقال بحق الذي قواك وأندرك على إلا ما رحمتي ولم تمتعض لي بسوء فتكره العقاب وقال ويلك نكثت أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك

(فَكَتَّ) بضم الكاف وفتحها (عَيْرَ بَعِيدٍ) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه ففأنه وسأله عما لقي في غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) أى اطلمت على ما لم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه ، قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بِنَبَأٍ) خبر (يَقِينٍ . لَأَنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس ،

(وأوتيت

فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام ، فلما انتهيا إلى العسكر

تلقيه النسر والطير وقال له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبراه بما قال سليمان ، فقال الهدهد أو ما استثنى نبي الله فقالوا بلى إنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت إذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بفقد العصر فانطاب به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به ياني الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام ، فلما دنا منه أخذ برأسه فدهه إليه وقال له أين كنت لأعدبتك عذابا شديدا فقال ياني الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، فلما سمع سليمان عاينه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به إلى آخره (قوله فكث) أى الهدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قوب والثانى من باب نصر (قوله أى يسيرا من الزمان) أى وهو من الزوال إلى العصر (قوله ففأنه) أى من أول الأمر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقي في غيبته) قدره اشارة إلى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك ، وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا إلى أنه اسم رجل وتركه نظرا إلى أنه اسم القبيلة العلمية والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسرة فتشراجيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها يقول للملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوئالى وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريمحانة بنت السعكن ، قيل فى سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم إنه

كان كثير الصيد فرمى اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيحلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك وانخذه صديقا غطب ابنته فزوجه إياها (قوله وأوتيت من كل شيء) عطف على قوله تملكهم لأنه بمعنى ملكهم . قال ابن عباس كان يخدمها سبعة امرأة (قوله يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أن قوله من كل شيء عام أزيد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) أى تجلس عليه أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا ، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما لحصل الفرق (قوله طولها ثمانون ذراعا الخ) وقيل طولها ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه في الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه أبيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) أى فهم محجوس (قوله فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يهتدون للشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع العلوم (قوله أى أن يسجدوا له) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون أن ناصبة ولا زائدة و يسجدوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ، وعليها فلا يجوز الوقف على (١٨١) يهتدون لأنه من تمته كأنه

قال فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ وقرأ الكسائي بتخفيف الأ ، وتوجيهها أن يقال إن الأ للافتتاح ويحرف تنبيه واسجدوا فعل أمر لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ ووصلت الياء بسين اسجدوا فتحدثت القراءة لفظا وخطا ، وهناك وجه آخر في هذه القراءة وهو أن يحرف نداء والمنادى محذوف والتقدير ألا ياهؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير ما يدل

(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) صرير (عَظِيمٌ) طولها ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر والزمرد وقوامه من الياقوت الأحمر والزرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما في قوله تعالى : لئلا يعلم أهل الكتاب ، والجملة في محل مفعول يهتدون باسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ) مصدر بمعنى الخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) في قلوبهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) بالسنتهم (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أى من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دهم على الماء فاستخرج وارتقوا وتوضوا ووصلوا ثم كتب سليمان كتابا بصورته « من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ،

على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمرتب هو الخبوء في السموات والنبات هو الخبوء في الأرض (قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء إلى هنا إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان وليس داخل تحت قوله أحطت بما لم تحط به ، وإنما ذكر الهدهد ذلك ليغري سليمان على قتالهم وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم بل إنما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) أى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره فإذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أى لأنه يفيد أنه إن كان كاذبا في هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم ، والكذب له عادة ، وليست فلتة يعنى عنه فيها ، لأن الكذب على الأنبياء أمر عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وقدم اسمه على البسمة لأنها كانت في ذلك الوقت كافتة غف أن تنتخب باسم لله جعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أى أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال .

(قوله فلا تلوا علي) أي لا تكبروا (قوله مسفين) أي متقدين لدين الله ، وفي هذا الخطاب إشطر بأنه رسول من عند الله يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان وإلا لقال واثنوني طامعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فألقه إليهم) إما بسكون الماء أو كسرهما من غير إشباع أو بإشباع ثلاث قرات سبعيات (قوله ماذا يرجعون) إن جعل انظر بمعنى انظر فماذا يعني الذي ويرجعون صلته والمائد محذوف ويكون مأمفعول يرجعون ، والمعنى انظر الذي يرجعونه وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وذا معنى الذي ويرجعون صلته والمائد محذوف والتقدير أي شيء الذي يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أي شيء يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأناها وحولها جندها الخ) وقيل أنها فوجدها نائمة وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فألقى الكتاب على نحرها ، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطاع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد (١٨٢) فسدت الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس

قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها (قوله فلما رآته ارتعدت) أي حين وجلت الكتاب غثوما ارتعدت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى تعدت على صرير ملكها وجمعت أشرف قومها (قوله قلبها واوا مكسورة) للناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أو قلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله إنني ألقى إلى الخ) لم

فلا تلوا علي واثنوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال لهدهد (أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) أي بليس وقومها (ثم قول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فأنظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فأخذه وأناها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رآته ارتعدت وخضت خوفا ثم وقفت على ما فيه ثم (قالت) لأشرف قومها (يا أيها الملأ إنني) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (ألقى إلى كتاب كريم) مختم (إنه من سليمان وإنه) أي مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم) (أ) ن (لا تلوا علي واثنوني مسلمين) قالت يا أيها الملأ اثنوني بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا: أي أشعروا علي (في أمرى ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أي أصحاب شدة في الحرب (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) لنا نطمك (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتخريب (وجعلوا أئمة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) أي مرسلو الكتاب (وإنني مرسله إليهم يهديه فناظرة بيم يرجع المرسلون) من قبول الهدية أو ردّها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسةائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجزاهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب ، فأمرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر .

فأمر

فذكر صورة الكتاب بل اقتصر على ما فيه القائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها

(قوله كريم) أي مكروم معظم (قوله مختم) أي لأن الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه لما ورد من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به « (قوله إنه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يا أيها الملأ) أي الأشرف ، مما بذلك لأنهم يملئون العين بمباهتهم وكانوا ثلثمائة واثني عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أي إن عادتى معكم لأنفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوة الخ) استفيد من ذلك أنهم أشاروا عايبا بالقتال أولاهم ردوا الأمر إليها (قوله نطمك) مجزوم في جواب الأمر (قوله قالت إن الملوك الخ) أي فلم رض بالحرب الذي أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبيئت سببه (قوله إذا دخلوا قرية) أي عنوة (قوله بيم يرجع المرسلون) أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلى (قوله إن كان ملكا قبلها) أي وقائلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أي واتبعناه ، لأنها كانت لبينة عاقلة تعرف سياسة الأمور (قوله ألفا بالسوية) أي خمسةائة ذكر وخمسةائة أنثى .

(قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أي كما يضرب الطين (قوله وأن تبسط من موضعه) أي توضع في الأرض كالبلاط (قوله إلى تسعة فراسخ) أي وهو مسير قيرم وثمان يوم (قوله وأن يبنوا) أي الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أي وقصد بذلك إظهار البأس والشدة . وحاصل تفصيل تلك القصة أن بلقيس همدت إلى حسنة غلام وحسنة جارية فألبست الجوارى لباس النملان الأقيية والناطق وألبست النملان لباس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقرطة وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وحمت الجوارى على حسنة فرس والنملان على حسنة بردون على كل فرس صرّج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج ، وبنت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكلا بالبر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود ، وهمدت إلى حقة حملت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جرز معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قريش يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلا من قومها أصحاب عقل ورأى سديد وكتبت مع المنذر كتابا تذكريه الهدية وقالت إن كنت نبيا فليز الوصفاء والإصاف وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها واتقبت الفرة تقبا مستويا وأدخل في الحرز خيطا من غير علاج إنس ولا جن ، وأمرت بلقيس النملان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتحنّث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظرا فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أهزّ منه وإن رأيت الرجل هاشا باشا لطيفا فاعلم أنه نبي فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل المهدد مسرعا إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة وأن يخاوأ قدر (١٨٣) تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا

حول الميدان حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان عليه السلام أي دواب البر والبحر والبحر أحسن ؟ فقالوا يا نبي الله رأينا في بحر

فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً وأن يبنوا حوله حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة وأن يوتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سليمان) ،

كذا دواب محتافة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال علي بها فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن علي بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريرته ووضع أربعة آلاف كرمي على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والأنس والشياطين والوحوش والسباع والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ووضعوا مامعهم من الهدايا ، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر مامعهم من اللبنات ، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن في ذلك الموضع ، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم مارأوا وفرغوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لأبس عليكم وكانوا يجرّون على كرديس الأنس والجن والوحش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ماتي حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب اللسكة فنظر فيه وقال أين الحقة فأتى بها وحركها فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فاتقبت الدرّة وأدخل الحيط في الجزعة فقال سليمان من لي بشقيها وسأل الأنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا أرسل إلى الأرض فلما جاءت الأرض أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت تصير رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الجزعة ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت لدودة خيطا في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ، ثم ميز بين النملان والجوارى أمرهم أن يضلوا وجوههم وأيديهم ، فحملت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتسل وجهها والصلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والصلام يصبه على ظاهره فميز بين النملان والجوارى

ثم رث سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله - فلما جاء سليمان - الخ (قوله قال أمدون الخ) استخفهم إنكار وتوبيخ : أي لا ينبغي لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للاولى (قوله أى إن لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك أن عين سليمان معلق على عدم إيمانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه آيات وتقدم أنه داخل سبعة آيات فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف : أى ملك ، سمى بذلك لأنه ينفذ ما يتول (قوله إلى أن قربت منه) أى من سليمان (قوله شعر بها) أى علم وذلك أنه خرج يوما جلس على سرير فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملك) الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرها (قوله ما تقدم) أى من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أياكم يأتي بعرضها) أى وكان سليمان إذ ذاك في بيت (١٨٤) القدس وعرشها في سبأ وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فى

قَالَ أَمْدُونُ بِمَالٍ فَمَا آتَيْتَنِي اللَّهُ) مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ (خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتَكُمْ) مِنَ الدُّنْيَا (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ) فَتَفَرَّجُ بِزَخَرِ الدُّنْيَا (أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ) بِمَا آتَيْتَ بِهِ مِنَ الْهَدْيَةِ (فَلَمَّا آتَيْتَهُمْ بِمُنُودٍ لَا قَبِيلَ) لِاطِاقَةِ (لَهُمْ بِهَا وَلَفَخَرِ جَنَّتِهِمْ مِنْهَا) مِنْ بِلَدِهِمْ سَبَأَ ، سَمِيَتْ بِاسْمِ أَبِي قَبِيلَتِهِمْ (أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أَيْ إِنْ لَمْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ بِالْهَدْيَةِ جَلَسَتْ سَرِيرُهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا وَأَغْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا حَرَسًا وَتَجَهَّزَتْ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى سُلَيْمَانَ لِنَظَرِ مَا يَأْمُرُهَا بِهِ فَارْتَجَلَتْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ إِلَى أَنْ قَرِبَتْ مِنْهُ عَلَى فَرَسِهِ شَعْرُهَا (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ) فِي الْمَمَزَتِينَ مَا تَقْدِمُ (يَأْتِينِي بِعَرِّشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) مُنْقَادِينَ طَائِعِينَ فَلِأَخْذِهِ قَبْلَ ذَلِكَ لِابْنِهِ (قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ) هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) الَّذِي تَجْلِسُ فِيهِ لِلقَضَاءِ وَهُوَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ (وَإِنِّي عَلَيْهِ قَوِيٌّ) أَيْ عَلَى حِمْلِهِ (أَمِينٌ) أَيْ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، قَالَ سُلَيْمَانُ أُرِيدُ أَسْرِعَ مِنْ ذَلِكَ (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) لِلنَّزْلِ وَهُوَ آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا ، كَانَ صَدِيقًا يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دَعَا بِهِ أُجِيبَ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) إِذَا نَظَرَتْ بِهِ إِلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ انظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَانظُرْ إِلَيْهَا ثُمَّ رَدَّ بِطَرْفِهِ فَوَجَدَهُ مَوْضُوعًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ دَعَا آصَفُ بِالْاسْمِ الْأَعْظَمِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ فَحَصَلَ أَنْ جَرَى تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى نَبَعَ تَحْتَ كَرْمِي سُلَيْمَانَ (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرِرًا) أَيْ سَاكِنًا (عِنْدَهُ قَالَ هَذَا) أَيْ الْإِيمَانُ لِي بِهِ

أخذه قبل ذلك) أى قبل إيمانهم مسلمين لأنهم حرييون حينئذ (قوله لا بعده) أى لأن إسلامهم بعصم الملم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الأمر فقصده أن يبهز عقلاها بالأمور المستغربة لتزيد إيماناً (قوله عفريت) بكسر العين وقرى شذوذا بفتحها (قوله وهو القوي) أى وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله أنا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفا ، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أى مجلسك (قوله أسرع من

ذلك) أى لأن المقصود الايمان به قبل أن تقدمى والحال أن بين قدمها مسيرة

(من) ساعة ونصف ومحاسه من الغداة إلى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أى وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالاء والقصر ، وكان وزير سليمان ، وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى ، وقيل الذى عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل الخضر ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه وعلى هذا الخطاب فى قوله : أنا آتيك للعفريت ، وما شئ عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أى مبالغا فى الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أى آصف ، وقوله له : أى لسليمان (قوله دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذى دعا به إذاذا الجلال والاكرام ، وقيل يحيى يا قيوم ، وقيل يا لهنا وإله كل شئ وإله واحدا لإله إلا أنت اتقى بعرضها (قوله بأن جرى تحت الأرض) أى بحمل اللائكة له لأمر الله لهم بذلك (قوله أى ساكنا) أى غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع ، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول إلا كان واجب

الحذف لأن الظرف يكون مستقرا وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لتو علمه خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربى) أى إحسانه إلى (قوله وإدخال ألف الخ) أى فالقراآت أربع سبعيات وبقية خامسة وهى إدخال ألف بين المحققين (قوله لأن ثواب شكره له) أى لأن انشكر سبب في زيادة النعم ، قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - (قوله بالافضال على من يكفرها) أى فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف في المعنى على قوله - قال هذا من فضل ربى - وكلاهما مرتب على قوله - فلما رآه مستقرا عنده - (قوله إلى حلة تنكره إذا رآته) أى فالتنكير إبهام انتهى بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الأمر (قوله قصد بذلك الخ) أشار بذلك إلى حكمة التفسير (قوله لما قيل له إن فيه شيئا) أى نقصا والقائل له ما ذكر الجن وقالوا له أيضا إن رجلها كرجلى حمار وقاله أيضا إن في ساقها شعرا لأنهم ظنوا أنه يتزوجها فكبرها ذلك ثلاثشئى له أسرار الجن ولثلاث يأتي له منها أولاد فيخطفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) للقائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والماء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر (١٨٥) مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر

وفصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه أن يقال أ كهذا عرشك (قوله أى أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل وفولهم لا يتصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بشئ من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة وإن كانت في المعنى اصما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) أى فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والنشاكله الاتيان بمثل الكلام السابق وإن

(مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي) لِيَجْتَبِرَنِي (أَشْكُرُ) بِتَحْقِيقِ الْمُرْتَبِينَ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا وَتَسْمِيئِهَا وَإِدْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَ الْمَسْهُلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِهِ (أَمْ أَكْفَرُ) النَّعْمَةَ (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أَيْ لِأَجْلِهَا لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ لَهُ (وَمَنْ كَفَرَ) النَّعْمَةَ (فَإِنَّ رَبِّيَ غَفِيرٌ) عَنِ شُكْرِهِ (كَرِيمٌ) بِالْأَفْضَالِ عَلَى مَنْ يَكْفُرُهَا (قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أَيْ غَيْرُهُ إِلَى حَالِ تَنْكُرِهِ إِذَا رَأَتْهُ (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي) إِلَى مَعْرِفَتِهِ (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُبَيِّرُ عَلَيْهِمْ ، قَصْدُ ذَلِكَ اخْتِبَارَ عَقْلِهَا لِمَا قِيلَ لَهُ إِنَّ فِيهِ شَيْئًا فَغَيْرُهُ بِزِيَادَةِ أَوْ نَقْصِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لَهَا (أَهْكَذَا عَرْشُكَ) أَيْ أَمْثَلُ هَذَا عَرْشِكَ (قَالَتْ إِنَّهُ هُوَ) أَيْ مَعْرِفَتِهِ وَشَبَّهَتْ عَلَيْهِمْ كَمَا شَبَّهُوا عَلَيْهَا إِذْ لَمْ يَقُلْ أَهَذَا عَرْشُكَ وَلَوْ قِيلَ هَذَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ سُلَيْمَانُ لِمَا رَأَى لَهَا مَعْرِفَةَ وَعِلْمًا (وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا) عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا) أَيْضًا (أَدْخِلِي الصَّرْحَ) هُوَ سَطْحٌ مِنْ زَجَاجٍ أَيْبُضٌ شَفَافٌ تَحْتَهُ مَاءٌ عَذْبٌ جَارِيٌّ فِيهِ سَمٌّ كَاصْطِنَعِ سُلَيْمَانَ لِمَا قِيلَ لَهُ إِنَّ سَاقِيهَا وَقَدَمَيْهَا كَقَدَمِي الْحَارِ (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً مِنَ الْمَاءِ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لِتَخْوِضِهِ وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَى صَرِيرِهِ فِي صَدْرِ الصَّرْحِ

لم يتحد الكلامان كقوله تعالى - ومكروا ومكر الله - (قوله قال سليمان) أى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى العلم بالله وصفاته من قبل أن توثق هي العلم بما ذكر ، وكنا مسلمين من قبل أن نسلم فنحن أسبق منها لعلمنا وإسلامنا (قوله وصددها) أى منعه ، وقوله ما كانت فاعل صد ، والمعنى منعها عن عبادة الله التى كانت تعبد من دون الله وهو الشمس (قوله إنما كانت من قوم كافرين) بكسر إن في قراءة العامة استئناف وقرى شدوذا بفتحها على إسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو - سطح) وقيل الصرح القصر أو من الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) أى أمر الشياطين به حفروا حفيرة كالصهرح وأجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وصدفا وغيرهما من حيوانات البحر وجملاوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رآته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقها) أى على عادة من أراد خوض الماء قيل لمارأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الفرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر سلمت وكشفت عن ساقها (قوله اتخوضه)

أى لأجل أن تصل إلى سليمان (قوله فرأى ساقيا الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله مجرد) صفة أولى لصرح ، وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله ملمس) ومنه الأمرد للإسوة وجهه : أى نعمته ائدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التناء فى أصلت كما أشار لذلك بقوله كائنة ، والمعنى أصلمت حالة كونى ، صاحبة له فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقاً بأصلت لأنه يومئ أنها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله عملت له الشياطين النورة) أن بعد أن سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى ، فقالت لم يمس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيا فسأل الجن فقالوا لاندري ، فسأل الشياطين فقالوا نحتمل لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولما وصمته داود ومات فى حياة أبيه و بقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قورنين ، وقيل إنها لما أصلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك إياه ، فقالت ومثلى يابنى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قورى الملك والسلطان ؟ قال نعم إنه لا يكون فى الاسلام إلا ذلك ولا يبنى لك أن تحرمى ما أحل الله . قالت إن كان ولا بد فتزوجنى ذاتبع ملك همدان فتزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته ، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن (١٨٦) وقال بأعلى صوته يا مشر الجن إن سليمان قد مات فارفوا أيديكم فرففوا أيديهم .

فرأى ساقيا وقدمها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرَحُ مُمَرَّدٍ) ملمس (من قوارير) أى زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِيَبْرَأَ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأزاد تزوجها فكره شعر ساقيا فعلمت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها باقتضاء ملك سليمان . روى أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسبحان من لا اقتضاء لدوام ملكه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنْ) أى بأن (أَعْبُدُوا اللَّهَ) وحده (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) فى الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون (قَالَ) للكاذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالذباب قبل الرحمة حيث قلم إن كان ما أتينا به حقا فأتينا بالذباب (لَوْلَا) ،

وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام (قوله روى أنه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا اقتضاء لدوام ملكه) أى فما سواه يفنى وهو الباقي بلا زوال .

قال

ما أهم فى الكون وما إبليس ما ملك سلمان وما بلقيس

قال العارف : الكحل إشارة وأنت المعنى يامن هو للقلوب مغناطيس فالأ كوان جميعها إشارات دالة على القصص بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد أرسلنا إلى تمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة ، وتمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للمعية والتأنيث وتسمى عاد الثانية ، وأما عاد الأولى فهم قوم هود (قوله أخاهم صالحا) أى فى النسب لأنه من أولاد تمود الذى هو أبو القبيلة ، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله أى بأن اهدوا الله) أشار بذلك إلى أن مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحده) أى اعتقدوا أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى شىء منها (قوله فأذاهم إذا فجأه ، والمعنى ففاجأ إرساله نفرتهم واختصامهم فأمن فريق وكفر فريق ، وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الأعراف فى قوله تعالى - قال اللأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمناه (قوله من حين إرساله) أى وبعد ظهور العجزات (قوله لم تستعجلون بالسبيته) أى لآى شىء تستعجلون العذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة ، ويصح أن يراد بالسبيته والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة ، والمعنى لم تؤخرن الإيمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب .

(قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله من الشرك) أي بأن تفركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلمكم زحون) الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده (قوله أدغمت التاء في الطاء) أي بد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أي للتوصل للنطق بالساكن (قوله أي تشاء منا) أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث فخطوا المطر) أي حبس عنهم (قوله قال طائرهم عند الله) أي جزاء عملكم . من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لاوصى وصى طائراً لأنه يأتي الظالم بقنّة وسرعة كنزول الطائر (قوله نفتنون) آتى بالحطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الامم الظاهر فيؤتى بالغبية فيقال مثلاً نحن قوم نقرأ ويقرءون (قوله تختبرون بالخير والشر) أي لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فما كسبت أيديكم (قوله مدينة نمود) أي وهي الحجر وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون الشرة من الرجال ، والنفر مادون السبعة إلى الثلاثة (قوله أي رجال) دفع بذلك ما يقال إن تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفرداً ؟ فأجاب بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى ، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً يولد في شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه ، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه ، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً (١٨٧) فكان إذا مرّ بالتسعة حزّوناً

على قتل أولادهم فسؤل لهم الشيطان أن يجتمعوا في غار فإذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه وتقدم أنهم اجتمعوا في الغار فأرادوا أن يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف . وقيل إنهم جاءوا ليلاقتله شاهر بن سيوفهم فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده للفسر (قوله أي احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله تقاصموا فعل أمر

هلا (تَسْتَفْرِوْنَ اللّٰهَ) من الشرك (لَمَلَّكُمْ تُرُحْمُونَ) فلا تمذبون (قَالُوا أَطَيْرَنَا) أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاء منا (بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أي المؤمنين حيث فخطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِرُكُمْ) شؤمكم (عِنْدَ اللّٰهِ) أنا كم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة نمود (تِسْعَةٌ رَهْطٍ) أي رجال (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصي ، منها قرضهم الدنانير والدرهم (وَلَا يُصَلِحُونَ) بالطاعة (قَالُوا) أي قال بعضهم ليمض (تَقَاتَمُوا) أي احلفوا (بِاللّٰهِ لَنُمِيتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وَأَهْلُهُ) أي من آمن به أي قتلهم ليلاً (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لِوَالِيهِ) أي وليّ دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مُذَلِّكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أي إهلاكم أو هلاككم فلا ندرى من قتلهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) ومكروا) في ذلك (مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا) أي جازيناهم بتمجيل عقوبتهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فانظر كيف كان عاقبة مكروهم إنا دمّرناهم) أهلكناهم (وقومهم أجمعين) بصيغة جبريل ،

أي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أي مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أي مع فتح اللام وقوله والتاء أي فقراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أي وليّ دمه) أي دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك أهله) أي أهل وليّ الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) أي مع فتح اللام وقوله وفتحها أي مع فتح اللام وكسرهما فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله أي إهلاكم) راجع للضم لأنه من الرباعي (قوله وهلاككم) راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي (قوله وإنا لصادقون) أي ونحلف إنا لصادقون أو المعنى والحال إنا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) أي أرادوا إخفاء ما يتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكروا مكرا) أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبعه قلت اطبخوا لي جبة وقبصا

وإلا حقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والصجز على الله محال (قوله فانظر) أي تأمل وتفكر (قوله إنا دمّرناهم) بكسر إن على الاستئناف وفتحها على أنه خبر لحدوف أي وهي تدمرنا بإيهم والقراءتان سبعيتان

(قوله أو برى الملائكة) أو للتنويع أى أن عذابهم نوعان موزعان عليهم رمى الحجارة على التسمة بسبب تبينهم على قتل صالح وأهله ، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ، ولو قال المفسر أهلكناهم برى الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر أى ديارهم (قوله بظلمهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية (قوله إن في ذلك) أى المذكور من إهلاكهم (قوله وأنجيننا الذين آمنوا) أى من الهلاك ، فخرج صالح بهم إلى حضرموت ، فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلدة بذلك ، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حضرواء (قوله وكانوا يتقون) أى يدرمون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتغال ، والمراد ذكر القول لاذكر وقته (قوله لقومه) أى من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو فى الأصل من أرض بابل ، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أن المراد الابصار بالعين . وقيل المراد إحصاء القلب ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالتقراءات أربع سبعيات (قوله لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) (١٨٨) أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله شهوة

منقول لأجله (قوله عاقبة فلنكم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم ، وقوله إلا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة (قوله من قريبكم) الإضافة للجنس لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سدوم (قوله يتظهرون) أى يتزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فاتنجيناه وأهله) أى فخرج لوط

أو برى الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ) أى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم أى كفرهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) لعمرة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرتنا فيتعظون (وَأُنَجِّمْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وَوَكَانُوا يُتَقَوْنَ) الشرك (وَأُوطُوا) منصوبا باذكر مقدورا قبله ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى اللواط (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أى يبصر بعضكم بعضا إنما كفى المصيبة (أَنْتُمْ) بتحقيق المهزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْتَلُونَ) عاقبة فلنكم (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أهله (مِنْ قَرَبَيْكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أديار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا هُنَا) جعلناها بتقديرنا (مِنَ الْفَاجِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو الحجارة السجيل أهلكتهم (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْفَرِينَ) بالعذاب مطرم (قُلْ يَا مُحَمَّدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هلاك كفار الأمم الخالية (وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) هم (اللَّهُ) بتحقيق المهزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ،

(خير)

بأهله من أرضهم ، طوى الله له الأرض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم

(قوله الباقين فى العذاب) أى الذى حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مداتهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أى حل من كان فى ذلك الوقت خارجا عن الدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) أى الطين المحروق (قوله مطرم) هو المخصوص بالنم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرته أهل الحق والایمان وقطع دابر أهل الكفر والظلمة وتهديدا لما يذكر من أدلة التوحيد التى أقامها ردا على المشركين ، والسر فى ذلك إضات العاقل وإصفاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) أى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الأنبياء والرسل ، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل مؤمنو هذه الأمة ، وقيل كل مؤمن من مبدئ الدنيا إلى منتهاها ، ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونعيمه فى الآخرة ، فالأصل اصطفاه الله لا عبدا فلولا اصفاؤه له ما وفق العبد لخدمته ربه ، ومن هذا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق المهزتين) ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم ، والصواب أن هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مصورة وإبدالها ألفا معدودة مدا لازما وتقدم أن هذين الوجهين يجران فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الأنعام

آله كربين في اللوذين ، وثلاثة في يونس آله أذن لكم ، الآن في وضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو ما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والسلام على حذف مضاف والتقدير أوحيد الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها فهوتهم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله والاختيار للشيء لا يكون إلا خيراً ومنفعة ولا خيراً في عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآية فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الإنكارى (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسير للواو في يشركون (قوله أى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خالق السموات والأرض) القراءة السبعة بادغام إحدى لليمين فى الأخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم ما يشركون وقرئ شذوذاً بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه الالتفات) أى وحكته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة (١٨٩) إلى أن الله تعالى هو المئبب

للاشجار والزرع لاغيره وخلقها مختلفه الأنوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) أى المحبول عليه حائظ لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفراد لكونه جمع كثيرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) أى لا ينبى لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وان كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهراً (قوله أن تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركة فالقراءات أربع

(خَيْرٌ) لمن عبده (أَمْ مَا تَشْرِكُونَ) بالتاء والياء ، أى أهل مكة به ، أى الآلهة خير لعابديها (أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فيه التفات من الغيبة إلى التكلم (بِهِ حَدَائِقٍ) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذَاتَ بَهْجَةٍ) حسن (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) لمدم قدرتم عليه (أَلِلَّهِ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى مواضع السبعة (مَعَ اللَّهِ) أعانه على ذلك ، أى ليس معه إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يشركون بالله غيره (أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) لاتميد بأهلها (وَجَعَلَ خِلَالَهَا) فيما بينها (أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) جبالا أثبت بها الأرض (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أَلِلَّهِ) مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (توحيد) (أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) المكروب الذى مسه الضر (إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) عنه وعن غيره (وَيَجْعَلُ لَكُمْ خِلْفَاءَ الْأَرْضِ) الإضافة بمعنى فى ، أى يوظف كل قرن القرن الذى قبله (أَلِلَّهِ) مع الله قليلاً ما تذكرون (تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء فى الذال ، وما زائدة لتقليل القليل (أَمْنَ يَهْدِيكُمْ) يرشدكم إلى مقاصدكم (فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) وبالنجوم ليلاً ، وبعلامات الأرض نهاراً (وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ،

سبعيات (قوله فى مواضع السبعة) أى موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ إله خمس مرات وأتذ وأنا (قوله أى ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) إضراب انتقالي من تنبئهم إلى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الأرض قراراً) أى مستقراً للإنسان والدواب لاتتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) أشار بذلك إلى أن قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح أن تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان (قوله حاجزاً) أى معنوياً غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى وكفرهم تقليد والأقل يعلم الأدلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قابت طاء لوقوعها إثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله إذا دعاه) أشار بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه ، فلا ينبى لمن كان مضطراً ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى لأن الله أرأف على العبد من نفسه ، فالعاقل إذا دعا الله يسلم فى الاجابة لمراد الله (قوله الإضافة بمعنى فى) أى فالعنى يحصاكم خفاء فى الأرض (قوله وفيه إدغام التاء فى الذال) أى بما قبلها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله وبعلامات الأرض) أى كالجبال

(قوله أي قدام المطر) أي أمامه (قوله وإن لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك إلى سؤال وترد حاصله كيف يقال لهم: أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، مع أنهم منكرون للاعادة؟ وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها. وإيضاحه أن يقال إنهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عنبر في إنكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم ببقيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره (قوله أن معي إلها) الأوضح أن يقول إن مع الله إلها لأن النبي مأمور بهذا القول وهو لا يقول لهم إن كنتم صادقين أن معي إلها (قوله وسألوهم) أي المشركون (قوله من في السموات والأرض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره للفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذي ثبت في السموات كالملائكة والأرض كالانس الغيب لكن الله هو الذي يعلمه (١٩٥) (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن في السموات والأرض على سبيل

الف والنشر المرتب
(قوله لكن الله الخ)
أشار بذلك إلى أن
الاستثناء منقطع ولا يصح
جملة متصلا لا يهاهما أن
الله من جملة من في
السموات والأرض وهو
محال (قوله وقت يعنون)
تفسير لآيان، والمناسب
تفسيرها بما في لأن آيان
ظرف متضمن معنى
همزة الاستفهام ومتى
كذلك بخلاف لفظ
هت (قوله بمعنى هل)
التي للاستفهام
الانكاري (قوله أي بلغ
ولحق) راجع للقراءة
الأولى وقوله أوتتابع
راجع للثانية، والمعنى
هل بلغ علمهم بالآخرة

أى قدام المطر (أَلِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (أَمِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) في الأرحام من نطفة (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد الموت وإن لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَلِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ) أى لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قُلْ) يا محمد (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أن معي إلها فعل شيئا مما ذكر. وسألوهم عن وقت قيام الساعة فنزل (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الملائكة والناس (الغَيْبَ) أى ما غاب عنهم (إِلَّا) لكن (اللَّهُ) يعلمه (وَمَا يُشْعُرُونَ) أى كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ) بل بمعنى هل (أَدْرِكُ) بوزن أكرم في قراءة وفي أخرى إدراك بتشديد الدال وأصله تدراك أبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أوتتابع وتلاحق (عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى بها حتى سألوهم عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استنقلت الضمة عن الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا في إنكار البعث (أَنَذَا كُنَّا تَرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَنثَاءٌ لَمُخْرَجُونَ) من القبور (لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) بانكسارهم وهى هلاكهم بالمداب،

(ولا

أو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوهم عن وقت مجيء الساعة ليس عندهم علم بذلك

بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله في شك منها) أى الآخرة (قوله بل هم منها عميون) أى عندهم جزم بعلمها لعدم إدراكهم دلالتها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة (قوله أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أنذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص وناصبها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أول وهذا مفعول ثان ونحن تأ كيد لنا وآباؤنا معطوف على المفعول الأول وسوغه الفصل بالمفعول الثاني والضمير للفصل، والمعنى لقد وعدنا محمد بأبعث كما وعد من قبله آباؤنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا في الأرض) أمر تهديد لهم بإشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا نزل بهم ما نزل من قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعبروا بهم فتتجزروا عن قبائحكم (قوله بانكسارهم) أى المحمدين (قوله بالمداب) أى الدنيوى لأنه هو المشاهد آثاره.

(قوله ولأخزنا عليهم) أي لانتم على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم في المستقبل ، فالخزنا غم لما مضى والخوف
 هم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بنبوت النون هنا وهو الأصل وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعا
 سمة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنتان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم (قوله في ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان
 أي حرج (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق
 (قوله القتل بيدر) أي وغيره وهذا هو العذاب المهجل (قوله وباقي العذاب الخ) (١٩١) أي وهو العذاب المؤجل (قوله

منه) أي النضل (قوله
 ليعلم ما تكن صدورهم)
 أي فالتأخير ليس لحفاء
 حاطم عليه (قوله الماء
 للباقة) أي كراوية
 وعلامة ومماها هاء
 باعتبار الوقف ولو قال
 التاء لكان أسهل ،
 وقيل إنها كالتاء الداخلة
 على المصادر نحو العاقبة
 والعافية ونظيرها الذبيحة
 والنطيحة في أنها أسماء
 غير صفات (قوله ومكنون
 علمه) الواو بمعنى أو لأنه
 تفسير ثان فقسميته كتابا
 على سبيل الاستعارة
 التصريحية حيث شبه
 بالكتاب كالسجل الذي
 يضبط الحوادث ويحصرها
 ولا يشد عنه شيء منها
 (قوله أ أكثر الذي هم فيه
 يختلفون) أي فقد نص
 بالتصريح على الأكثر
 فلا ينافي قوله : ما فرطنا

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي
 لانهم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ) فيه (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ) قرب (لَكُمْ بِمَنْزِلِ الَّذِي نَزَّلْنَا فِي هَذَا
 لِمَنْ قَتَلَ بَيْدَرًا وَبِاقِي الْعَذَابِ يَأْتِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير
 العذاب عن الكفار (وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب
 لإنكارهم وقوعه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم
 (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الماء للمبالغة : أي شيء في غاية الخفاء على الناس (إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَتْلُو بِحَقِّهِ إِبْرَاهِيمَ) الموجودين في زمان نبينا (أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)
 أي ببيان ما ذكر على وجه الرفع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وَإِنَّهُ لَهْدَى) من
 الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كغيرهم يوم القيامة
 (بِحُكْمِهِ) أي عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته
 كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)
 أي الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعشى
 فقال (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل
 الثانية بينها وبين الياء (وَلَوْ أَمْرًا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الضَّالِّينَ) (إِنْ) ما
 (تَسْمِعُ) سماع إضمار وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون
 بتوحيد الله ،

في الكتاب من شيء من جملة اختلافهم في شأن المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباعد حتى لمن بعضهم بعضا
 (قوله أي عدله) دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقتضى بقضاء أو يحكم بحكمه . فأجاب بأن المراد
 بالحكم العدل (قوله فلا يمكن أحدا مخالفته الخ) تفرغ على العزيز فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله فتوكل على الله الخ)
 تفرغ على كونه عزيزا عليا أي فاذا ثبت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفرغ الأمور إليه تعالى والثقة به
 (قوله إنك على الحق المبين) حلة للتوكل وكذا قوله إنك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة
 والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) أي معرضين (قوله هادي الضالين) ضمه معنى الصرف فعدها بمن (قوله إلا من
 يؤمن بآياتنا) أي من سبق في علم الله أنه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة .

(قوله وإذ وقع القول) أي قرب وقوعه وإتمامه بالماضي لحصوله في علم الله لأن الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لاحظته بها، والمراد بالقول، واعيد القرآن بالنضاح والحزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع، والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض) أي وهي الجساسة، ورد في الحديث «أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يهونها هارب». وروى «أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان» وعن ابن جريج في وصفها: رأس نور وعين خنزير وأذن فيسل وقرن إبل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بين وما بين الفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، وعن أبي هريرة رضي الله عنه «فيها كل لون ما بين قرنها فرسخ للراكب» وعن علي رضي الله عنه «أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها» وعن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه سئل من أين تخرج الدابة؟ فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى» يعني المسجد الحرام، وروى «أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرًا طويلًا، فيبدا الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بن مخزوم عن بين الحارج من المسجد» وقيل تخرج من الصفا لما روى «بيننا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه السملون إذ تضطرب الأرض تحتم أي تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسمى فتخرج الدابة من الصفا ومعها صفا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب للمؤمن (١٩٢) في مسجده بالمصفا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء بها وجهه

وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالحاتم في أنفه فتدشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار» وروى «أن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حتى العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أي تكلم الموجودين حين خروجها بالمرية تقول لهم من جملة كلامها عنا (إِنَّ النَّاسَ) أي كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والقباب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (وَ) اذكروا (يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (رِمْنٌ يُكْذِبُ بِآيَاتِنَا) وهم رؤسائهم المتبعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي يجعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون (حَقَّى إِذَا جَاءَهُ) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم :

(أَكْذَبْتُمْ)

وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها

واختلف أيضا في تعيين هذه الدابة فقيل هي فصيلة ناقة صالح وهو أوضح الأقوال فإنه لما هقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف أي حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول قال الله إن الناس الخ (قوله أي كفار مكة) المناسب حمل الناس على الموجودين وقسم خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) أي للتعدية أولسببية، وأما على قراءة الكسر فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الأمر بالمعروف الخ) أي لعدم إفادة ذلك لأنه في ذلك الوقت يظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره، حينئذ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر، ووجد في بعض النسخ ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر: أي لا يوجد في هذا الوقت من ينوب إلى الله أي يرجع إليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر (قوله ويوم نخشروا) أي الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انقضاء الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعية وقوله ممن يكذب بيانية للنوح (قوله فوجا) الفوج في الأصل الجماعة المارة السرعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤسائهم) أي كآبي جهل وأبي بن خلف وفرهون وقارون والفردوخ وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نخشروا على حدة (قوله يرد آخرهم إلى أولهم) المناسب أن يقول يرد أولهم على آخرهم أي يحبس أولهم ويوقف حتى يأتي آخرهم ويحتمون ثم يساقون .

(قوله أ كذبتم بآياتي) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى أنكروتموها وحدثتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ ، والمعنى أنكروتموها من غير فهمها وتأملها فهم مؤخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم في ما فقوله فيه إدغام الاستفهامية أي الإدغام فيها (قوله حق العذاب) أي نزل بهم وهو كبرهم في النار (قوله فهم لا ينطقون) أي بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أي يعلموا (قوله أنا جعلنا الليل) أي مظالمه بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه في الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أي فالاسناد مجازي من الاسناد إلى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) أي بالسعي في مصالحهم (قوله إن في ذلك) أي الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) أي من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ في الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا (قوله النفخة الأولى) أي وتسمى نفخة الصعق وندخة الفزع فبعد عنها هنا بالفزع وفي سورة الزمر بالصعق قال تعالى - ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض - الخ فعند حصولها يموت كل من ماعدا ما استثنى ، أما النفخة الثانية فعندها يحيا من كان ميتا فالنفخة (١٩٣) اثنان وبينهما أربعون سنة ،

وقيل إنها ثلاث : نفخة الزلزلة ، وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الإحياء ، والقول الأول هو المشهور ، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل فهو واضع على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض ويسمى بالبوق في لغة اليمن (قوله من إسرافيل) أي وهو أحد الرؤساء الأربعة

(أ كذبتهم) أنبيائي (بآياتي ولم تحيطوا) من جهة تكذيبكم (بها علما أما) فيه إدغام ما الاستفهامية (ذا) موصول : أي ما الذي (كنتم تعلمون) بما أمرتم به (ووقع القتل) حق العذاب (عليهم بما ظلموا) أي أشركوا (فهم لا ينطقون) إذ لا حجة لهم (ألم يروا أننا جعلنا) خلقنا (الليل ليدسكنوا فيه) كغيرهم (والنهار مبصرا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (إن في ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (إقوم يوم مؤمنون) خصوصا بالذكر لاتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين (ويوم ينفخ في الصور) القرن النفخة الأولى من إسرافيل (فزرع من في السموات ومن في الأرض) أي خافوا الخوف المفضى إلى الموت كما في آية أخرى : فصعق ، والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه (إلا من شاء الله) أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وعن ابن عباس : هم الشهداء ، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وكل) تنوينه عوض عن المضاف إليه : أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة (أنوة) بصيغة القمل واسم الفاعل (دأخرين) صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه (وترى الجبال) تبصرها ،

جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (قوله من في السموات ومن في الأرض) أي من كل من كان حيا في ذلك الوقت (قوله أي خافوا الخوف المفضى إلى الموت) أي استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضي الخ) جواب عما يقال إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضي : فاجلب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع ، لأن الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لدهته تعالى واحد لتعاقب العلم به (قوله أي جبريل الخ) أي فهو لاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقي الملائكة وإيمانهم بتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار ، وقيل موسى ، وقيل جميع الأنبياء (قوله إذ هم أحياء) أي حياة برزخية لاتزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله أي كلهم) أي المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) أي بالماضي فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أي فيقرأ بعد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذف اللام للتخفيف والنون للإضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أي أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائغ والمعاصي وليس المراد ذل المعاصي ، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي بها يكون إحياء الخلق يأتي كل إنسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ .

(قوله وقت النفخة) أى الثانية لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى - ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا - الآية وقوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض - الآية (قوله لعظمها) أى وذلك لأن الأجرام النكبارة إذا تحركت مرة واحدة لاتكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف ، والأصل مرّ السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) أى الجبال على الأرض (قوله مبسوسة) أى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى لأن ما تقسم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لا غير (قوله الذى أتقن كل شيء) أى وضعه في عمله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى لإله إلا الله) إنما عمله على هذا التفسير ذكره المقابل لأن الكعب في النار ليس بمطلق سيئة بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان وحينئذ قال في الحسنة لامهد أى الحسنة (١٩٤) المهودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة

وصدقة وغير ذلك من وجوه البرّ (قوله فله خير منها) أى وهو الخلود في الجنة (قوله أى بسببها) أشار بذلك إلى أن من السببية وتصح أن تكون لتعليل أى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) أى ليس خير أفضل تفضيل لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله ويؤيد ما قاله المفسر ماروى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه لا شيء خير

وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى تمرّ مرّ السحاب) المطر إذا ضربته الريح أى تسيير سيوره حتى تقع على الأرض فتستوى بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا (الذى أتقن) أحكم (كل شيء) صنعه (إنه خير مما يفتنون) بالياء والتاء أى أعداؤه من العصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أى لا إله إلا الله يوم القيامة (فله خير) ثواب (منها) أى بسببها وليس للتفضيل إذ لا فضل خير منها وفى آية أخرى عشر أمثالها (وهم) أى الجاهلون بها (من فزع يومئذ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفتح منونا وفتح الميم (آمنون . ومن جاء بالسيدة) أى الشرك (فكبت وجوههم في النار) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتا (هل) أى ما (تجزون إلا) جزاء (ما كنتم تعلمون) من الشرك والمعاصى قل لهم (إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة) أى مكة (الذى حرّمها) أى جعلها حراما آمنا لا يسفك فيها دم إنسان ، ولا يظلم فيها أحد ، ولا يصطاد صيدها ، ولا يختل خلاها ، وذلك من النعم على قريش أهلها فى رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائمة فى جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شيء) فهو ربه وخالقه ومالكه ،

من لا إله إلا الله (قوله بالإضافة) أى إضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) (وأمرت)

أى للأعراب وقوله وفتحها أى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الإضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالإضافة فتكون اقراءات ثلاثا سبعيات فكان الأوضح أن يعبر بأوبدل الواو فى الأخير (قوله آمنون) أى لا يصيبهم منه شيء والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين إثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) أى ألقوا عليها فى النار (قوله ويقال لهم) أى وقت كبرهم على وجوههم فى النار ، والقائل لهم خزنتها (قوله أى ما تجزون الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قل لهم إنما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل فى العباد إشارة إلى أن عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيستب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرّمها) صفة للرب ، ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة » لأن إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه وإسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره (قوله ولا يختل خلاها) أى لا يقطع حبشيتها الرطب

(قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي أتيت على ما كنت عليه (قوله وأن أتوا القرآن) أي أوأظب عليه لكشف لي حقائقه ورفاقه لأن علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة أزداد علوماً ومعارف ، وفي هذه الآية إشاراً بأن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدراً عند الله (قوله فمن اهتدى له) أي للإيمان (قوله فقل إنما أنا من المنذرين) هو جواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) أي على ما أعطاني من النعم العظيمة لله أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم (قوله سير يكم آياته) أي في الدنيا (قوله وضرب اللائكة وجوههم وأدبارهم) أي وجوه الذين قتلوا أدبارهم (قوله بالياء والباء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى : ووعيد محض وعلى الثانية فيه وعد اللطاعين ووعيد للعاصين . [سورة القصص] سميت بذلك لاشتغالها على الحكايات والأخبار الروية عن الله لأن القصص مصدر بمعنى الأخبار وتسمى أيضاً سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أي حين خرج رسول الله (١٩٥) صلى الله عليه وسلم من النار

ليلاً مهاجراً في خيبر الطريق عفاة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فنزلت تلك الآية تسلياً وتبشيراً له بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافرين وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لأنها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله إلى قوله لا نبتغي الجاهلين) أي وهو أربع آيات (قوله أي هذه الآيات) أي آيات هذه

(وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) اللَّهُ بِتَوْحِيدِهِ (وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ) عَلَيْكُمْ تِلَاوَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ (فَمَنْ اهْتَدَى) لَهُ (فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) أَي لِأَجْلِهَا فَإِنَّ ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ لَهُ (بِمَنْ ضَلَّ) عَنِ الْإِيمَانِ وَأَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى (فَقُلْ) لَهُ (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) الْخَوَّفِينَ فَلَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا التَّبْلِيغُ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) فَأَرَاهُمْ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ الْقِتْلَ وَالسَّبِيَّ وَضَرْبَ اللَّائِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَعَجَّلَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بِالْيَأْسِ وَالنَّوْءِ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُهُمْ لِقَتْمِهِ .

(سورة القصص)

مكية إلا - إن الذي فرض - الآية ، نزلت بالجحفة وإلا «الذين آتيناهم الكتاب - إلى قوله - لا نبتغي الجاهلين» وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طُسَمَ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ (تِلْكَ) أَي هَذِهِ الْآيَاتُ (آيَاتُ الْكِتَابِ) الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى مِنَ (الْمُجِيبِينَ) الْمَظْهَرُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ (تَتْلُوا) نَقْصُ (عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ) خَبَرٍ (مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) الصِّدْقُ (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) لِأَجْلِهِمْ لِأَنَّهُمْ الْمُتَنَفِعُونَ بِهِ (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا) تَعَظَّمَ (فِي الْأَرْضِ) أَرْضَ مِصْرَ (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا) فِرْقًا فِي خِدْمَتِهِ (يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) هُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) الْوَالِدِينَ (وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) يَسْتَبْقِيهِنَ أَحْيَاءَ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَةِ لَهُ إِنْ مَوْلُودَا يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ .

السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله تلاوا عليك) مفعوله محذوف أي شيئاً وقوله من نبأ صفة لذلك المحذوف ويصح أن تكون من اسم بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الأخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال إيمان فاعل تلاوا أو من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبساً بالصدق (قوله لأجابه) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل أي أن المقصود بالذكر المؤمنون لأنهم هم المتنفعون بذلك قال تعالى - ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين - (قوله إن فرعون) كلام مستأنف بيان للنبا (قوله تعظم) أي تكبر وافتخر (قوله وجعل أهلها شيعاً) أي أصنافاً جعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح أبناءهم) بدل اشتغال من قوله يستضعف الخ وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استظالوا على الناس وعموا المعاصي فسقط الله عليهم القبط فاستضعفهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون . قيل إنه ذبح سبعين ألفاً إلى أن أتاهم الله على يد موسى عليه السلام

(قوله إنه كان من المفسدين) أي الراسخين في الفساد (قوله بالقتل وغيره) أي كدعوى الألوهية (قوله وتريد أن تمنى) أي تتصل عليهم بانجائهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أي بمد أن كانوا أذلاء مسخرين (قوله وتمكن لهم في الأرض) أي تملكهم مصر والشام يتصرفون فيهما كيف يشاءون (قوله وتري فرعون) أي نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفي قراءة) أي وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله : ما كانوا يحذرون ، وعلى هذه فتجب إمالة الراء إمالة محضة (قوله ورفع الأسماء الثلاثة) أي على الفاهلية (قوله منهم) أي للمستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) أي وقد حصل ماخوفه حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الفرق (قوله وحى إلهام أو منام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها وافترض بأنها ليست بنبية . وأجيب بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالسرائع وأما بقية ها فإثر كنزول الملك على البارء بأمه التي تقدمت قصته في البقرة (قوله إلى أم موسى) أي واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالدال المعجمة ، وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهين وهما لا تخافي ولا تحزني وخبرين وبشارتين وهما إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمننا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أرمصدرية (قوله فاذا خفت عليه) أي ن الذبح (قوله ولا تخافي غرقه) دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه (١٩٦) فالثابت هو خوف الذبح والتنفى هو خوف الفرق (قوله إنا رآدوه إليك) أي

لتأمنى عليه وهو علة للنهي عن الخوف والحزن (قوله فوضعت في تابوت) أي وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجهات المفتاح في التابوت (قوله مطلى بالقار) أي الزفت (قوله ممد) أي مفروش له فيه ففرشت فيه قطننا محلجا (قوله وأغلقتة) أي وقبرت رأسه . وحاصله أن أم موسى لما تقاربت

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ (وَتُرِيدُ أَنْ تَمَنَّيَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْمَلَهُمْ أُمَّةً) بِتَحْقِيقِ الْمُهْرَتَيْنِ وَإِدْبَالِ الثَّانِيَةِ يَا : يَقْتَدِي بِهِمْ فِي الْخَيْرِ (وَتَجْمَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) مَلِكِ فِرْعَوْنَ (وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ (وَتُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) فِي قِرَاءَةِ وَيَرَى بِفَتْحِ التَّحْتَانِيَةِ وَالرَّاءِ وَرَفْعِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) يَخَافُونَ مِنَ الْمَوْلُودِ الَّذِي يَذْهَبُ مَلِكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ (وَأَوْحَيْنَا) وَحَى إلهَام أَوْ مَنَامَ (إِلَى أُمِّ مُوسَى) وَهُوَ الْمَوْلُودُ الْمَذْكُورُ وَلَمْ يَشْرُ بَوْلَادَتِهِ غَيْرَ أُخْتِهِ (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْبَحْرِ أَيْ النِّيلِ) (وَلَا تَخَافِي) غِرْقَهُ (وَلَا تَحْزَنِي) لِتَقَارُغِهِ (إِنَّا رَأَدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فَأَرْضَعْتَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لِابْنِكِي وَخَافْتَ عَلَيْهِ فَوَضَعْتَهُ فِي تَابُوتٍ مَطْلَى بِالْقَارِ مِنْ دَاخِلِ مَهْدٍ لَهُ فِيهِ وَأَغْلَقْتَهُ وَأَلْقَيْتَهُ فِي بَحْرِ النِّيلِ لَيْلًا ،

(فالقطة)

ولادتها وكانت قابلة من القوايل التي وكاهن فرعون بجبالي بن إسرائيل مصافية

لأم موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق أرسلت إليها ، فقالت قد نزل بي منزل فليسعني حبك إياي اليوم فمالجتها ، فلما أن وقع موسى بالأرض هالما نور بين عيني موسى فارتضى كل مفصل فيها ودخل حبة موسى قلبها ، ثم قالت القابلة لها يا هذه ماجئت إليك حين دعوتني إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حيا ما وجدت حبة شي مثل حبه فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض الصيوان فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقه وألقتة في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما صنع . قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن ، فقالوا ما أدخل عليك القابلة ؟ فقالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبي ؟ فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فأحتملته . ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها وقذفه في نفسها أن تتخذ تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل ، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا ، فقال النجار ما صنعتين بهذا التابوت ؟ فقالت لي ابن أخيتي في التابوت وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون ، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى السباحين ليخبرهم بأمر أم موسى ، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدرك الأمانة ما يقول فأهياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار إلى موضعه

ردّ الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمان فأناهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فصر بوه وأنترجوه ، نبي حبران فجعل الله عليه إن ردّ لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره غفرّ الله ساجدا وقال ياربّ دني على هذا العبد الصالح فدلّه الله عليه فأمن به وصدقه . وقيل لما حملت أم موسى به كتبت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبليها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل ، فلما كانت السنة التي ولد فيها بث فرعون القوابل إليهنّ ففتشن النساء فتبتشا لم يفتشن قبل ذلك منهنّ وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب لها ولا قاطلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم ، وأوحى الله إليها أن أرضعها فإذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر ليلا ، وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كلّ يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بهارص شديد وكان فرعون قد جمع له الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا : أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فياطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجاس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهنّ وتنضح الماء على وجوههنّ إذ أقبل النيل التابوت تضرب به الأمواج ، فقال فرعون إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بشجرة اتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فذنت آسية فأرأت في جوف التابوت (١٩٧) نور المبره غيرها فجالجته ففتحت

الباب فاذا هي بصي صغير في التابوت وإذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمض منها لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي

(فَالْتَقَطَهُ) بالتابوت صبيحة الليل (آل) أعوان (فرعون) فوضعه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمض من إبهامه لبناً (ليكون لهم) في عاقبة الأمر (عدواً) يقتل رجالهم (وحزناً) يستعبد نساءهم ، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لفتان في الصدر ، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنيه (إن فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما كانوا خاطئين) من الخطيئة : أي عاصين فموقبوا على يديه (وقالت امرأة فرعون) وقد همّ مع أعوانه بقتله :

من التابوت عمدت إلى ما يسيل من ريقه بلطخت به برصها فبرئت في الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها ، فقال الفؤاة من قوم فرعون أيها الملك إن انطق أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفاً منك فهم فرعون بقتله ، فقالت آسية - قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا - أي فنصيب منه خيراً أو تتخذها ولداً وكانت آسية لا تله فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلاحاجة لي فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قال فرعون يومئذ قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها » فقيل لآسية ممية فقالت سميت موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر لأن مو هو الماء وشاهو الشجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره للفسر بقوله فأرضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أي وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أي فتحت آسية بعد أن عالجه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والضرورة للاملة لأن علة التقاطهم أن يكون حبيبا وابنا ، فني الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطاق الترتب الأعم من الطرفين فالترتب الثاني متعلق بمعنى اللام فقدر استعارة الترتب السكلي الشبه به بالترتب السكلي الشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتب الجزئي فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي والعداوة والحزن قرينة فإداه الماوى (قوله وفي قراءة الخ) أي وهي سبعة أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فموقبوا على يديه) أي مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ في إذلالهم (قوله وقالت امرأة فرعون) أي وهي آسية بنت مزاحم وكانت من حيار النساء ، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام ، وقيل من بنات لأبناء من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام ، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعداة إلى جنبه هذا الولد أكبر من ابن

سنة وأنت تذبح ولهمان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له إنه أتى من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار المفسر إلى أنه خبر لم حذف (قوله عسى أن ينفعنا الخ) أي لما رأته فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فأطاعوها) أي على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقبلن (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فرؤاد أم موسى) يصبح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً (قوله فارغاً مما سواه) أي من التفكير في غيره لما ورد: أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فأغرقته في البحر فخرت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها (قوله لتبدي به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح أن يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة: أي تظهره (قوله لولا أن ربطنا على قلبها) جواباً لم حذف: أي لأبدت به كما أشاره المفسر (قوله بوعدها) أي للدلول عليه بقوله - إن أرادته إليك - الخ (قوله لأخته) أي شقيقته (١٩٨) (قوله مريم) هو أحد أقوال، وقيل اسمها كاتمة، وقيل كاتوم (قوله عن

جنب) حال إيمان الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أي أبصرته مستخفية كأنه عن جنب أو أبصرته أي اختفاه (قوله اختلاسا) أي اختفاه (قوله وأنها تزقه) أي تنظره (قوله وحرمتنا عليه) أي على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أي معناه) أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لأن الصبي ليس من أهل التكليف (قوله من الراضع المحضرة) أي التي أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أي

هو (قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَوَلَاكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) فَأَطَاعُوهَا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ مَعَهُ (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ) لَمَّا عَلِمَتْ بِالتَّقَاتِ (فَارِغًا) مِمَّا سِوَاهُ (إِنَّ) مَخْفِيَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمَهَا مَحْدُوفٌ. أَي إِنِّهَا (كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ) أَي بِأَنَّهُ ابْنُهَا (لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا طَلَىٰ قَلْبِنَا) بِالصَّبْرِ أَي سَكَنَاهُ (لِئَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الْمَصْدِقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَجَوَابِ لَوْلَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبَلَهَا (وَقَالَتْ لِأَخْتِي) مَرْيَمَ (قَصِيصًا) أَي اتَّبَعِي أَثْرَهُ حَتَّى تَمْلِي خَبْرَهُ (فَبَصَّرْتِ بِهِ) أَبْصَرْتَهُ (عَنْ جُنْبٍ) مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ اخْتِلَاسًا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أَنَّهَا أُخْتُهُ وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ (وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أَي قَبْلَ رَدِّهِ إِلَىٰ أُمِّهِ أَي مَنَعْنَاهُ مِنْ قَبُولِ ثَدْيِ مَرْضَعَةٍ غَيْرِ أُمِّهِ فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَرَاضِعِ الْمُحْضَرَةِ لَهُ (قَالَتْ) أُخْتُهُ (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي) لَمَّا رَأَتْ حَنُومَ عَلَيْهِ (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بِالْأَرْضِاعِ وَغَيْرِهِ (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وَفَسَّرَتْ ضَمِيرَهُ بِالْمَلِكِ جَوَابًا لِمَا فَاجَبَتْ لِحَاجَتِ بَإُمِّهِ فَمَقْبَلِ ثَدْيِهَا وَأَجَابَتِهِمْ عَنْ قَبُولِهِ بِأَنَّهَا طَيِّبَةُ الرَّيْحِ طَيِّبَةُ اللَّبَنِ فَأَذِنَ لَهَا فِي إِرْضَاعِهِ فِي بَيْتِهَا فَرَجَعَتْ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بِبَلْقَائِهِ (وَلَا تَحْزَنَ) حِينَئِذٍ وَتَعَلَّمِ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ (بَرَدَهُ إِلَيْهَا) حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ (أَي النَّاسَ) لَا يَعْلَمُونَ) بِهَذَا الْوَعْدِ وَلَا بِأَنَّ هَذِهِ أُخْتُهُ وَهَذَا مَهْ فَكُتِّعَتْ عِنْدَهَا إِلَىٰ أَنْ فَطَمَتْهُ وَأَجْرَىٰ عَلَيْهَا أَجْرَتَهَا لِكُلِّ يَوْمٍ دِينَارًا

وأخذتها

مخلصون في العمل من شوائب الفساد (قوله حنوم عليه)

أي عطفهم وميلهم إليه (قوله وغيره) أي كالتربية وإصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، قيل إن هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال إنها تعرفه وأهل غنوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت إنما أردت وهم له: أي للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأنت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالباً للرضاع فمويلاه شفقة عليه فلما وجد ريحها استأنس وألتقم ثديها، فقال لها من أنت منه فقد أبي كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوقى بصبي إلا قباني فدفعه إليها وقال لها أقيمي عندنا لإرضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتي فإن رضيت أرضعته في بيتي وإلا فلا حاجة لي فيه وأظهرت الزهد فيه فنياً للتهمة عنها فرفضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وآحفها بالذهب والجواهر (قوله كي تقر عينها) أي تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بأن مضمره بعد كي (قوله فكثت عندها إلى أن فطمتها) أي وهو حستان .

(قوله وأخذتها لأنها مال حربى) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها (قوله أ ثلاث) أو لتوزيع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كل عقله واتهى شبابه لأن موسى أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقمة تمل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) أى مثل ذلك الذى فعلناه بموسى وأمه نجزى المحسنين على إحسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف لاهلية والتأنيث أو العجمة ، وهى من أعمال مصر ، وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر ، وقيل هى مدينة عين الشمس ، وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء . وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه و يلبس لباسه فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً فلما قدم قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه القليل في أرض منف فدخلها وليس في طرقها أحد (١٩٩) (قوله وهذا من عدوه) أى

وكان طبائخا لفرعون
واسمه فليثون أراد أن
يسخر الاسرائيلى لجل
الخطب (قوله فاستغاثه)
أى طلب غوثه ونصره
(قوله أن أحمله) أى
الخطب (قوله فوكزه
موسى) أى دفعه بجمع
كفه ، وأما المكز فهو
الضرب بأطراف الأصابع
(قوله بجمع كفه) أى
بكفه مجموعة فهو من
إضافة الصفة للموصوف
(قوله ففضى عليه) أى
أوقع عليه القضاء وهو
الموت (قوله ولم يكن قتله)
جواب عما يقال كيف
تجرأ على قتل القبطى
وحاصل إيضاح الجواب
أن قتله كان خطأ ، وقد يقال
قتله من باب دفع المسائل

وأخذتها لأنها مال حربى فأتت به فرعون فترجى عنده كما قال تعالى حكاية منه في سورة
الشعراء - ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من همك سنين - (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون
سنة أو ثلاث (وَأَسْتَوَى) أى بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وَعَلِمًا) فقهاً
في الدين قيل أن يبعث نبياً (وَكَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ) لأقسامهم (وَدَخَلَ
مُوسَى الْمَدِينَةَ) مدينة فرعون ، وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (عَلَى حِينِ غَمَلَةٍ مِنْ
أَهْلِهَا) وقت القيلولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) أى إسرائيلى (وَهَذَا
مِنْ عَدُوِّهِ) أى قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون (فَاسْتَفَاهَهُ الَّذِي مِنْ
شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خل سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن
أحمله عليك (فَوَكَرَهُ مُوسَى) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَفَضَى
عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل (قَالَ هَذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)
المبيح غضبي (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُضِلٌّ) له (مُبِينٌ) بين الإضلال (قَالَ) نادياً (رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فَأَغْفِرْ لِي فَعَفَرَ لَهُ) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (أى العصف بهما
أزلاً وأبداً) (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمْتَ) بحق إنعامك (عَلَيَّ) بالمغفرة اعصمى (فَلَنْ أَكُونَ
ظَاهِرًا) عوناً (لِلْجَائِرِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتى (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتل (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ)
يستغيث به على قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوَى مُبِينٌ) بين الغواية ،

وهو واجب ، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبتة للشيطان من حيث إنه
لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرجه الفتن (قوله إنى ظلمت نفسى)
الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيئات المقرين (قوله بحق إنعامك على) أشار بهذا إلى أن مامصديقية والكلام على
حذف مضاف وأشار بقوله أعصمى إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط قدره بقوله أن عصمتى
وأراد بمظاهرة المجرمين هبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكبير سواده (قوله فإذا الذى) إذا فجائية والذى مبتدأ نف
مهدوف أى فإذا الاسرائيلى الذى واستنصره صلته ويستصرخه خبر المبتدأ (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يستخدمه
والاستصراخ الاستغاثه وصحبت بذلك لأن المستغيث بصوت ويصرخ في طلب النوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس إن
القبط قالوا لفرعون إن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلاً فغذلنا بحمقنا فقالوا اطلبوا قاتله ومن شهيد عليه فبئناهم يطوفون لا يجدون ليلة

إذ هم موسى من القند فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر فاستنانه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان مفع
 بالأمس من قتل القبطي فقال للاسرائيل إنك لغوى مبین (قوله لما فعلته أمس واليوم) أى حيث قاتلت بالأمس رجلا فقتلته
 بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغثى عليه (قوله فلما أن أراد أن يبطلش الخ) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلي
 فد يده ليبطلش بالقبطي فظن الاسرائيلي أنه يريد أن يبطلش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله إنك لغوى مبین فقال
 يا موسى أتريد الخ (قوله جبارا في الأرض) الجبار هو الذى يقتل ويضرب ويتعاطم ولا ينظر في العواقب (قوله من المصلحين)
 أى بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن هم فرعون واسمه خزقيل وقيل شمون وقيل سحمان وهو الذى ذكر
 في قوله تعالى - وقال رجل مؤمن من آل فرعون - (قوله يسي) صفة لرجل أوحال منه لوجود المحمص قبله (قوله يتشاورون
 فيك) أى يأمر بعضهم بعضا (٢٥٥) بقتلك (قوله أو غوث الله إياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجني

لما فعلته أمس واليوم (فلما أن) زائدة (أراد أن يبطلش بالذى هو عدو لهما) لموسى
 والمستغث به (قال) المستغث فلما أنه يبطلش به لما قال له (يا موسى أتريد أن تقتلني
 كما قتلت نفسا بالأمس إن) ما (زيد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد
 أن تكون من المصلحين) فسمع القبطي ذلك فلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون
 فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه (وجاء رجلا) هو
 مؤمن آل فرعون (من أقصى المدينة) آخرها (يسعى) يسرع في مشيه من طريق أقرب
 من طريقهم (قال يا موسى إن الملاء) من قوم فرعون (يا تمرؤن بك) يتشاورون فيك
 (ليقتلوك فأخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) في الأمر بالخروج (فخرج منها
 حائفا بقراب) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قال رب نجني من القوم الظالمين) قوم
 فرعون (ولما توجه) قصد بوجهه (تلقاء مدين) جهتها وهي قرية شميب مسيرة ثمانية
 أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قال عسى ربني أن يهديني
 سواء السبيل) أى قصد الطريق أى الطريق الوسط إليها، فأرسل الله له ملكا بيده عنزة
 فانطلق به إليها (ولما ورد ماء مدين) بئر فيها أى وصل إليها (وجد عليه أمة) جماعة
 (من الناس يسقون) مواشيمهم (وجد من دونهم) أى سوامهم (أمراةين توددان)
 تمنان أعضاهما عن الماء (قال) موسى لهما (ما خطبكمما) أى ما شأنكما لا تسقيان (قالتا
 لا نسقي حتى يصدروا الرعاة) ،

الخ) أى خلصني منهم
 واحفظني من لحوقهم
 (قوله ولما توجه تلقاء
 مدين) أى بالهام من الله
 لعله بأن أرض مدين
 لا تسلط لفرعون عليها
 وأن بينه وبين أهل مدين
 قرابة لكونهم من ذرية
 إبراهيم وهو كذلك (قوله
 ابن إبراهيم) أى الخليل
 عليه السلام وله ولد آخر
 اسمه مدين فأولاده أربعة
 إسماعيل وإسحق ومدين
 ومدان، وإنما صرح
 في القرآن بمدين ومدان
 لأنهما لم يكونا نبيين
 (قوله ولم يكن يعرف
 طريقها) وخرج بلا زاد
 ولا رفيق ولم يكن له طعام
 إلا ورق الشجر ونبات
 الأرض حتى رقت خضرته

جمع

في باطنه من خارج وما وصل إلى مدين حتى وقع

خف قدميه وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للموصوف أى السبيل السوى (قوله أى الطريق
 الوسط) أى وكان لها ثلاث طرق فأخذ موسى يمشى في الوسطى وجاء الطلاب في أثره فساروا في الأبريين ولم يعرفوا عمله (قوله
 ملكا) أى وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هي فوق العصا ودون الرمح في طرفها حربة كحربة الرمح
 (قوله برفيها) أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المثل فأتى الماء وأريد البئر (قوله أى وصل إليها) أشار بذلك إلى أن المراد
 بالورود هنا الوصول لأن الورود يطلق على الدخول في الشيء وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه ورضه قوله تعالى - وإن منكم
 إلا واردها - على مشهور التفسير - (قوله جماعة) أى كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لأنها بمعنى لقي فتصب مفعولا
 واحدا (قوله مواشيمهم) هو معمول يسقون وقد حذف في هذه الآية معمول يسقون وتوددان ولا نسقي لأن المقصود الفعل لا المفعول

(قوله جمع رابع) أى طى غير قياس وثياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله لوى فراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) أى فهذا وجه مباشرتنا لسنى بأنفسنا قال الأجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل : [تمة] عاش شعيب نبى الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق ، وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب ، وفى رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وستائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل طى فضائل رمضان للأجهورى (قوله لايقدر أن يسقى) أى فیرسلنا لظننا ارا (قوله فسقى لهما) أى سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعون ، وقيل مائة (قوله لسرة) بضم اليم ، وهى شجرة عظيمة من (٢٠١) شجر الطلح وهى التى أمر صلى

الله عليه وسلم ليلة الامراء بالنزول والصلاة عندها (قوله إني لما أنزلت إلى) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى نزل والمعنى إني فقير ومحتاج لما نزله إلى من أى شئ كان قليلا أو كثيرا (قوله ادعيه لى) أى اطلبه ليحضر عندي (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعنا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله طى استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد ، وهو حالة تعترى الشخص تحمله طى تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أى قميصها (قوله منسكرا فى نفسه) أخذ الأجرة) أى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ

جمع رابع ، أى يرجون عن سقيم خوف الزحام فسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى أى يصرفون مواشيهم عن الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يسقى (فَسَقَى لَهَا) من بئر أخرى بقرها رفع حجراً عنها لايرفها إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظَّلِّ) لسرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقَبِيرٌ) محتاج ، فرجنا إلى أيهما فى زمن أقل مما كاتتا رجوان فيه فسألها عن ذلك فأخبرناه بمن سقى لهما فقال لإحدهما ادعيه لى ، قال تعالى (فَبَدَأَتْهُ إِخْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أى واضحة كم درعها على وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أُنَى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكراً فى نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدنا فبست بين يديه فجلت الريح تضرب ثوبها فكشف صاقبها فقال لها امشى خلفى ودلبنى على الطريق فطلعت إلى أن جاء أباه وهو شميم عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون هوضا مما سفت لها وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً ، قال : لا ، عادتى وعادة أبائى قرى الضيف ونظم الطعام فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) مصدر بمعنى القصص من قتله القبطى وقصدم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لَأَنْخَفَ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لاسلطان لفرعون على مدين (قَالَتْ إِخْدَاهُمَا) وهى الرسالة الكبرى أو الصغرى (يَأْتِيَتْ أَشْتَأْجِرُهُ) اتخذها أجيراً يعرى غنمنا أى بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ) أى استأجره لقوته وأمانته ، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم : من رفه حجر البئر ، ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة أنها لمساها وعلم بها صوب رأسه فلم يرفه فرغب فى إنكاحه (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْكِحَكَ إِخْدَى أَبْنَتِي هَاتَيْنِ) وهى الكبرى أو الصغرى ،

الأجرة بل للتبرك بأبيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح ، وقيل هو يثرون ابن أنخى شعيب وكان شعيب قد مات ، وقيل هو رجل. ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن متبعون بن عنتاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام (قوله وهى الرسالة) أى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله إن خبر من استأجرت) تعطيل للأمر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) أى بأن قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أى على ما ذكرته من القوة والأمانة ، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) أى خفضه (قوله فرغب فى إنكاحه) أى رغب شعيب فى إنكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه أنه

(قوله على أن تأجرني) حال من الضاعل أو الفصول ومنعول تأجرني محذوف . والمعنى تأجرني نفسك ، وقوله ثماني حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره إشارة إلى أن قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير التمام من عندك تفضلا لا إزاما (قوله للتبرك) أي بالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليل لأن صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ و بيني وبينك خبره ، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح أن يكون ذلك مفعولا لمحذوف أي قبلت ذلك ، وقوله بيني وبينك الخ حال من اسم الإشارة . والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كاتنا بيني وبينك لم يكن حلينا شهيد إلا الله (قوله أيما الأجلين) أي شرطية وجوابها فلاعدوان على ومازائدة كما قال المنسر (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسيرا لأي (قوله فتم العقد) أي عقد النكاح والاجارة . إن قلت إن الذي وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرة عائدة عليها . أوجب بجوابين : الأول أن هذا كان في شرعه جزاء . الثاني أن يمكن تنزيله على شرعنا بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة ، وقد وقع من موسى لقبول بقوله ذلك ، وبأنه يمكن (٢٠٣) أنه بين المنكوحة بإشارة مثلا وبأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكا لها

شهرة الرمي عائدة عليها (قوله فوقع في يدها عصا كرم) قيل إنه أودعها ملكه في صورة رجل عند شعيب فأمر ابنته أن تأتبه بصافته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها ودعة عنده فتمعه فاختصم فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فاتهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فجالها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آسن الجنة)

(عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) تَكُونُ أَجِيرًا لِي فِي رَهْيِ غَنَمِي (تَمَانِي حِجَجٍ) أَي سِنِينَ (فَإِنْ أَنْتَمَتِ عَشْرًا) أَي رَهْيِ عَشْرِ سِنِينَ (فَمِنْ عِنْدِكَ) التَّمَامُ (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) بِاشْتِرَاطِ الْعَشْرِ (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ) لِلتَّبَرُّكِ (مِنَ الصَّالِحِينَ) الْوَافِينَ بِالْعَهْدِ (قَالَ) مُوسَى (ذَلِكَ) الَّذِي قَلْتَهُ (بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ) الثَّمَانِ أَوِ الْعَشْرِ وَمَا زَائِدَةٌ أَي رَعِيهِ (قَضَيْتُ) بِهِ أَي فَرَعْتُ مِنْهُ (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) بِطَلْبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ (وَأَلَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ) أَنَا وَأَنْتَ (وَكَيْلٌ) حَفِيظٌ أَوْ شَهِيدٌ قَمَّ الْعَقْدَ بِذَلِكَ ، وَأَمْرَ شَعِيبَ ابْنَتَهُ أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصَا يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ ، وَكَانَتْ عَصَى الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَهُ فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ مِنْ آسَنِ الْجَنَّةِ فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعَلْمِ شَعِيبَ (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) أَي رَعِيهِ وَهُوَ ثَمَانٌ أَوْ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) زَوْجَتَهُ بِإِذْنِ أَبِيهَا نَحْوَ مِصْرَ (آسَنَ) أَبْصَرَ مِنْ بَعِيدٍ (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسْمُ جَبَلٍ (نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) هُنَا (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عَنِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ قَدْ أَخْطَأَهَا (أَوْ جَذْوَةً) بِتَثْلِيثِ الْجِيمِ : قِطْعَةٌ وَشَعْلَةٌ (مِنَ النَّارِ لَمَّا كُنْتُمْ تَصْطَلُونَ) تَسْتَدْفِنُونَ وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِمَالِ مِنْ صَلَّى بِالنَّارِ بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا ،

(فدنا)

أى وتوارثها الأنبياء بعد آدم فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم

حق وصلت لشعيب وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته (قوله وهو المظنون به) أى وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالهول عليه أنه وفى العشر (قوله بأهله) أى زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أى لصلة رحمة وزيارة أمه وأخيه . ورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبيها من كل أبلق و بلبقاء فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق و بلبقاء فعمل شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام (قوله من جانب الطور) أى الأيمن بدليل ما أتى (قوله عن الطريق) أى لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أى وكلاهما سببية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أى عود غليظ كان في رأسه نار أولاء وقيل هو مائى رأسه نار فقوله من النار وصف شخص على الأول وكاشف على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أى فاصلة تصحون وقت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلت طاء (قوله بكسر اللام) أى من باب رضى وقوله وفتحها أى من باب رضى

(قوله نودى من شاطىء الواد الخ) قيل إن موسى لما رأى النار مشتبهة في الشجرة الحضراء علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله فلما نودى علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الأيمن) صفة للشاطىء أولوادي ، من اليمن وهو الحركة أو العين مقابل اليسار ، والمعنى الشاطىء الذى يلي يمين موسى (قوله في البقعة) متعلق بنودى (قوله للباركة لموسى) أى لأنه في ذلك المثل حصلت له البركة النامة تلك الدلية أسمع ليليه كالملة الامراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير في نودى والتقدير نودى موسى والحال أنه كائن في جهة الشجرة ، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه بلا حروف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته جل شأنه بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) أى بدل اشتغال (قوله أو عوسج) أى يشرك (قوله مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا تخف) أى لعدم إفادتها المعنى المقصود (قوله إني أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا ، وفي سورة طه : إني أنا ربك ، وقال في النمل : نودى أن بورك من في النار ومن حولها (٣٠٣) ولا تنافي بل الكل قاله الله له (قوله

وأن ألق) عطف على قوله أن ياموسى (قوله من سرعة حركتها) أى فهو وجه شبهها بالجان وقوله في الآية الأخرى : فإذا هي ثمان ميين ، أى في عظم الجنة فتحصل أنها باعتبار الجنة كالشعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولي مدبرا) أى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه الصفة . ورد أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعها حتى إن موسى عليه السلام سمع صرير أسنانها ووقعه الشجر والصخر في جوفها

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ) (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لِمُوسَى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) لِمُوسَى نَسَمِعُهُ كَلَامَ اللَّهِ فِيهَا (مِنْ الشَّجَرَةِ) بَدَلٌ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِ لِإِعَادَةِ الْجَارِ لِنَبَاتِهَا فِيهِ ، وَهِيَ شَجَرَةُ عَنَابٍ أَوْ عَلِيقٍ أَوْ هَوْسَجٍ (أَنْ) مَفْسُورَةٌ لِاخْتِغَافِ (يَا مُوسَى) إِيَّيَّيْنَا أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأَتْ) تَتَحَرَّكُ (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وَهِيَ الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ سُرْعَةِ حَرَكَتِهَا (وَلَى مُدْبِرًا) هَارِبًا مِنْهَا (وَلَمْ يَعْزُبْ) أَيْ رَجَعَ فَنُودِيَ (يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . أَسَلْتُكَ) أَدْخَلَ (يَدَكَ) الْيَمْنَى بِمَعْنَى الْكَفِّ (فِي جَيْبِكَ) هُوَ طَوْقُ الْقَمِيصِ وَأَخْرَجَهَا (تَخْرُجُ) خِلَافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْمَةِ (بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أَيْ رِصٍ ، فَأَدْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا تَضَيُّءَ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ تَنْشِئُ الْبَصَرَ (وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بَفَتْحِ الْحَرْفَيْنِ وَسُكُونِ الثَّانِيِّ مَعَ فَتْحِ الْأَوَّلِ وَضَمِّهِ : أَيْ الْخَوْفِ الْحَاصِلِ مِنْ إِضَاءَةِ الْيَدِ بَأَنِ تَدْخُلَهَا فِي جَيْبِكَ فَتَعُودُ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِيِّ ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْجَنَاحِ لِأَنَّهَا لِلنَّاسِ كَالْجَنَاحِ لِلطَّائِرِ (فَذَانِكَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ أَيْ الْعَصَا وَالْيَدِ وَهَامُوثَانِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمَشَارِبَ إِلَيْهِمَا الْمُبْتَدَأُ لِتَذْكَرِ خَبْرَهُ (بُرْهَانَانِ) مَرْسَلَانِ (مِنْ رَبِّكَ) إِلَيَّ فِرْعَوْنُ وَمَلَائِكَةُ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . قَالَ رَبُّنِي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هُوَ الْقَبْطِيُّ السَّابِقُ (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) بِهِ (وَأَخِي هُرُونٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أَيْ (فَأَرْسَلَهُ مِنِّي رِدَاءً) مَعِينًا وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ الدَّالِ بِالْهَمْزَةِ

فحينئذ ولي مدبرا (قوله من الأدمة) أى الحرة (قوله تنشى البصر) أى تغطيه (قوله واضمم إليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموماً وفي آية طه مضموماً إليه حيث قال : واضمم يدك إلى جناحك ، لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح لمضموم إليه اليد اليسرى وكل من اليمين جناح (قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى بالقراءة ثلاث سبعيات (قوله بأن تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك فتعود لحالتها الأولى فيزول عنك الخوف والذرع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشدة ثنية ذلك بلام البعد والخفف ثنية ذلك فالتشديد عوض عن اللام في المفرد (قوله وإنما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال إن العصا واليد مؤنثتان فكان اللاتق الاشارة إليهما بتان . فأجاب بأنه روى الخبر (قوله مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله : من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائته) أى جماعته (قوله لسانا) أى كلاما (قوله رداً) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهي سبعة أيضاً .

(قوله بصَدَقْتَنِي) أى يتقونى فى الصدق عند الحصر بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فأرسله .مى لأن طلب الأذى من الأهلئ دعاء (قوله أن يكذبون) أى بسبب العقدة التى كانت فى فيه بسبب الجفرة التى وضعا وهو مضرب فى فيه (قوله تقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة السبب لأن شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق بصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذها بدليل الآية الأخرى : اذها إلى فرعون ، وجمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا مجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لأن الله أرسل جبريل إلى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت ، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله محتاق) أى محترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا ععض عناد وكذب إذ هم يعرفون أن قبله الرسل كإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تاما لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفا فى جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه لامفاضلة فى أوصاف الله تعالى لأن (٢٠٤) التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته

مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مساط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان فه خبرتكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين ، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للدصل ولأنه مجازى التائىث (قوله أى العاقبة المحمودة الخ) أشار

(يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجلته صفة رداء (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) تقويك (بِأَخِيكَ وَنَجْمُلُ لَكَ مَا سَطَانًا) غلبة (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ) بسوء ، اذها (بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَوَّابُونَ) لهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى) محتلق (وَمَا نَسْمَعُ بِهَذَا) كأننا (فى) أيام (آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ) بواو وبدونها (مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) عطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ، أى وهو أنا فى الشقين فأنما محق فى فيما جئت به (إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ) فاطبخ لى الأجر (فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا) قصرًا عاليًا ،

(الهل)

بذلك إلى أن المراد بالدار الآخرة وأن الإضافة على معنى فى و صح أن المراد

بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة إذ العاقبة قسبان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو أنا فى الشقين) تفسير للوصول كأنه قال إن لم تشهدوا لى بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لى فأنه علم بأنى جئت بالهدى وبأن اله قبة المحمودة لى (قوله إنه لا يفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد إيمان السحرة وما وقع منهم (قوله ما علمت لكم من إله غيرى) أى ليس لى علم بوجود إله غيرى وليس مراده بالهية نفسه كونه خالق السموات والأرض وما فيها إذ لا يشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شئ وكان اعتقاده أن العالم العلوى أثر فى العالم السفلى فلاحاجة للصانع (قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ، قيل إنه أول من اتخذ الأجر وبنى به وهو الذى علم صنفته لهامان ولما أمر وزيره هاتان ببناء الصرح جمع هامان العمال والقهلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء فطبخ الأجر والجبس ونشر الخشب وسبك السامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق ، فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضر بها نحو السماء فردت إليه هى ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقمت على عسكر فرعون فظلمت منهم ألف قطع وقمت فى البحر وقطعة وقمت فى المغرب ولم يبق أحد همل فى الصرح عملا إلا هلك .

(قوله لبي اطلع) كأنه من قبحة نوم أن في موسى في السبأ يمكن الرقى إليه (قوله وأنه رسوله) أي أن موسى رسول الإله (قوله واستكبر) أي تكبر (قوله في الأرض) أي أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فخذناه) أي عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به الشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله وإبدال الثانية ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة لامن طريق الشاطبية (قوله بدعائهم إلى الشرك) أي المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي الطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) إخبار من الله لتريش بامتثانه على بني إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وساوروا في زمن فترة بانزال التوراة ليتصدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية ، والمعنى كما أنزل على موسى (٢٠٥) التوراة وقومه في فترة وجهل

أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد ونمود) عطف على قوم نوح ولم ينوته لأنه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله وغيرهم) أي كفرعون (قوله سال من الكتاب) أي إمام على حذف مضاف أي دابعاثر أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل وكذا يقال في قوله هدى ورحمة (قوله أي أنوارا للقلوب) أي تبصر به القلوب كما أن إنسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) أي فالعاقل إذا علم أن

(لَمَلَىٰ أَطْلَعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ) أنظر إليه وأقف عليه (وَإِنِّي لِأَعْتَنُهُ مِنَ الْكَافِرِينَ) في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله (وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِمَبْنِيِّ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَجَبَدْنَا هُمْ) طرحناهم (فِي النَّيْمِ) البحر الملح ففرقوا (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك (وَجَمَلْنَا هُمْ) في الدنيا (أُمَّةً) بتحقيق الممزيين وإبدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم (وَأَنْبَغْنَا هُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزيا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبُوحِينَ) المبعدين (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قوم نوح وعاد ونمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوارا للقلوب (وَهَدَى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتفطنون بما فيه من المواعظ (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادي أو المكان (الْقَرْيَةِ) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) أمما بعد موسى (فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أي طالت أعمارهم فقتلوا اليهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا) :

كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي بلخ) للمقصود من ذلك إقامة الحججة على من كذبه صلى الله عليه وسلم يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) إن قلت إن هذا معلوم نفه من قوله وما كنت بجانب الغربي فإثمة ذكره عقبه . أوجب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ، ولتلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ماشهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتبعون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذو الكفل كانوا بعد موسى (قوله واندرست العلوم) أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحى (قوله وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي ليكون معجزة لك وتذكرا لقومك (قوله وما كنت تأويا) إن قلت إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال ، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها . أوجب بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب إشارة إلى أن أي واحدة تكفي

في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقياً) أى إقامة طوية نشر بعرفتكم قصتهم (قوله في أهل مدين) متعلق بطولياً (قوله ولكننا كنا مرسلين) أى وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تلوها عليهم ولولا ذلك ما هلمتها ولم نخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أى كالم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون ، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ، وبين الإرسال وإتياء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحججة على الخصم ، وأما بالنظر للعالم الروحاني فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أى لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستائة سنة (قوله ولولا أن تصيهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وأن وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا (٢٠٦) تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيهم والفاء للسببية

(قوله وجواب لولا) أى الأولى وأما الثانية فهي تخصيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أى فالعنى الأول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الإرسال بثبوت ضده وهو الإرسال لوجود السبب والمسبب معا ، والمعنى الثانى لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك إليهم رسولا) أى فالحامل على إرسالك تعلمهم بهذا القول فالعنى امتنع عدم إرسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم بنا لولا أرسلت الخ . إن قات إن الآية تقتضى وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول

مقياً (في أهل مدين تملوا عليهم آياتنا) خبر ثان ضمير قصتهم فتحبر بها (ولكننا كنا مرسلين) لك وإليك بأخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (إذ) حين (نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أرسلناك (رحمة من ربك لتتذرع قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) وهم أهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتمظنون (ولولا أن تصيهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ ، والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم ، أو لولا قولهم المسبب عنها أى لاجلناهم بالمقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا لولا) هلا (أوتى مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرها أو الكتاب جملة واحدة ، قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفى محمد (ساحران) وفى قراءة ساحران أى القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاوننا (وقالوا إنا بكل من النبيين والكتابين) كافرين . قل لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) من الكتابين (أتبم إن كنتم صادقين) فى قولكم (فإن لم يستجيبوا لك) دعاءك بالإتيان بكتاب (فأعلم أنما يتبعون أهواءهم) فى كفرهم (ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله) ،

أى

نلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا . أوجب بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير ،

فالعنى لولا إصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك إليهم فهو بمعنى قوله تعالى - ولو أنا أهلكتناهم بعداب من قبله لقاتلوا رنا لولا أرسلت إلينا رسولا- الآية (قوله قالوا) أى تعنتا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر فى تفسير المثل (قوله من قبل) أى قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف أى ها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تعاوننا) أى بتصديق كل منهما الآخر وذلك أن كفار مكة بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع رهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ماذا كز (قوله والكتابين) لواء بمعنى أو (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أى إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح فى هداية الحق فإن أتيتم به أتبعته ، وهذا نزل للخصم زيادة فى إقامة الحججة عليهم (قوله أتبعه) مجزوم فى جواب بشرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه (قوله فإن لم يستجيبوا لك) أى لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يتبعون أهواءهم) أى ليس لهم

مسند لا اتباع هوامم الفاسد (قوله أي لأضل منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النبي (قوله ولقد وصلنا) الصلة على تشديد الصاد وهو مأخوذ إما من وصل الشيء بالشيء بمعنى جعله تابعا له لأن القرآن تابع بضمه بعضا قال تعالى - ولا يأتونك بمنزل إلا جناتك بالحق وأحسن تفسيراً ، أو من وصل الحبل جملته أو صلا أي أنواعاً لأن القرآن أنواع كالوعد والوعد والقصص والعبير والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق يؤمنون ويؤمنون خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله أيضا) أي كما آمنوا بكتابتهم (قوله نزلت في جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أو بعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام ، وقيل إنها نزلت في أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله : إن لنا أموالا فإن أذنت لنا انصرفنا فجتنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم ، فانصرفوا فاتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين ، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والنحر بهم على المشركين (قوله إنا كنا من قبله مسلمين) أي فإسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عهدنا لأن في كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابتهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا في صفاته وأحواله ، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الإسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية وقوله على العمل بهما (٣٠٧) أي أو على أذى المشركين ومن

عاداهم من أهل دينهم (قوله ويدبرون بالحسنة السبيئة) أي يدفعون الكلام القبيح كالسب والشم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة : أي الكلمة الطيبة الجميلة ، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالنوبة (قوله وذا صموا اللغو الخ) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب

أى لأضل منه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (ولقد وصلنا) بيننا (لهم القول) القرآن (لعلهم يتدكرون) يتعظون فيؤمنون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي القرآن (هم به يؤمنون) أيضا نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (وإذا يتلى عليهم) القرآن (قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) موحدين (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بإيمانهم بالكتابين (بما صبروا) بصبرهم على العمل بهما (ويدبرون) يدفعون (بالحسنة السبيئة) منهم (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وإذا سمعوا اللغو) الشتم والأذى من الكفار (أعرضوا عنه) وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) سلام متاركة أي سلمت منا من الشتم وغيره (لأنتنفي الجاهلين) لانصحبهم. ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبي طالب (إنك لا يهدي من أحببت) هدايته (ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم) أي عالم (بالمؤمنين).

ويقولون تبأ لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أي إعراض وفراق لإسلام تحية (قوله لانصحبهم) الأوضح أن يقول لا نطلب محبتهم (قوله ونزل في حرصه الخ) وذلك أنه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولأقررت بها حينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، ثم أنشد :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدنني سمحا بذلك مينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطالب وهاشم وبني عبد مناف ، ثم مات فأتى على ابنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له همك الضال قد مات ، فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح ، وقيل إنه أحمى وأسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله إنك لا تهدي من أحببت) أي لا تقدر على هدايته . إن قلت إن بين هذه الآية وآية وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم تنافيا أجيب بأن النبي هنا خلق الاهتمام والانتباه هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن الله يهدي من يشاء) أي فسلم أمرك لله فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا يبالي بأحد .

(قوله أي قومه) أي وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له إنا نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أي وهو دين الإسلام (قوله أولم تمكن لهم حرما آمنا) أي نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهي أولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا (قوله يأمنون فيه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازا عقليا (قوله تعجبى) أي تحمّل ونساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شيء) مجاز عن الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسمى إليه فهو من خيار الخلق لقوله في الآية يجبي إليه ثمرات كل شيء (قوله من كل أوب) أي ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) إما بمعنى مزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمعنى يجبي أي نرزقهم رزقا (قوله أن مانقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول يملعون محذوف (قوله وكم أهلكتنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان وأنهم ماداموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) أي كفرت نعمة ربها في زمن معيشتها أي حياتها (قوله فتلك مساكنهم) أي خربة بسبب ظلمهم والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فإن السفار تمر على تلك المساكن وتنزل (٢٠٨) بها في بعض الأوقات (قوله للمارة يوما أو بضه) أي لأن الدار في الطريق إذا

نزل للاستراحة إما يستمر في الخاب يوما أو بضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الألفية التي سبقت بها مشيئة تعالى والمعنى ما ثبت في حكمه أن يهلك قرية قبل الإنذار (قوله أي أعظمها) أي وهي المدن بالنسبة لما حوالبها فحرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل الدائن لأنهم

وَقَالُوا أَي قَوْمِهِ (إِنْ تَتَّبِعِ الْمُدَى مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا) أَي ننتزع منها بسرعة، قال تعالى (أولم تمكن لهم حرما آمنا) يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض (تعجبى) بالفوقانية والتحتانية (إليه ثمرات كل شيء) من كل أوب (رزقا) لهم (من لدنا) أي عندنا (ولكن أكثرهم لا يعقلون) أن ما نقوله حق (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) أي عيشتها وأريد بالقرية أهلها (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) للمارة يوما أو بضه (وكتنا نحن الوارثين) منهم (وما كان ربك مهلك القرى) بظلم منها (حتى يبعث في أمها) أي أعظمها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) بكذب الرسل (وما أوتيتهم من شيء فتعاض الحيوه الدنيا وزينتها) أي تتمنون وتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى (وما عند الله) أي نوابه (خير وأبقى أفلا تعقلون)

بالتاء

أعقل وأظن ويقبهم غيرهم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق

كانت بده أفضل البلاد على الإطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أي لقطع الحجج والمعاذير (قوله إلا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين (قوله وما أوتيتهم من شيء الخ) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتهم صلته ومن شيء بيان لما وقوله فتعاض الحيوه الدنيا خبره وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم وصح أن تكون ماشرطية وقوله فتعاض الحيوه الدنيا خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) أي يذهب بفنائكم فجميع ملك الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى إلا جزاؤه فلال الدنيا حساب وحرمانها عقاب (قوله وهو نوابه) أي نواب الأهمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) أي دائم بدوام الله (قوله أفلا تعقلون) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر في أحوالكم فلا تعقلون لمن آثر الفاني على الباقي فلا عقل عنده لما في الحديث «الدينادار من لادار له ومال من لامل له ولها يجمع من لا عقل له» وقه در الامام الشامي حيث قال:

إن لله عبادا فطنوا
 تطلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
 نظروا فيها فلما علموا
 أنها ليست لحي وطنا
 جعلوها لجة واتخذوها
 صالح الأهمال فيها صفنا
 وليس المراد من ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرء بل المراد
 لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما في الحديث «نم المال الصالح في يد الرجل الصالح» فالخسر شغل القلب والنية السوء.

(قوله بالياء والياء) أى فهما قرأتان سبع تان (قوله أن الباقي خير من الغاني) قدره إشارة إلى أن مفعول يعقلون محذوفه واستفيد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقي على الغاني ، ومن هنا قال الامام الشافعي رضي الله عنه: من أوصى بثلك ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفن وعدناه الخ) من مبتدأ وجملة وعدناه صلتها وقوله كفن وعدناه الخ خبر المبتدأ ، والمعنى أيستوى من وعدناه وعدنا حسنا فهو لاقيه بمن ائتمك في طلب الغاني حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى - أم حسب الدين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - (قوله مصيبه) أى مدركه لاحالة لأن وعده لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أى المشوب بالأكدار (قوله الأول) أى وهو من عهدناه والثاني وهو من متعناه (قوله أى الانساوى بينهما) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ويوم يناديهم) أى الشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب أو النداء من الله لهم ، والنفي فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائى) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائى) أشار بذلك (٢٠٩) إلى أن مفعولى تزعمون محذوفان (قوله قال الذين

حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا ، وجواب هنا السؤال أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع ، فقال الأتباع إنهم أضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى - وبرزوا لله جميعا - الخ ، وبمعنى وإذ يتحاجون فى التنازع الخ (قوله حق عليهم القول) أى ثبت وتحقق وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة

بالتاء والياء أن الباقي خير من الغاني (أَفَنَ وَعَدَنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة (كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) النار ، الأول المؤمن ، والثاني الكافر ، أى لانسوى بينهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ) الله (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركائى (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بدخول النار ، وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفة (أَغْوَيْنَاهُمْ) خبره فنوا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرهم على النفى (تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) مانافية وقدم المفعول للفاصلة (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أى الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (وَرَأَوْا) هم (الْعَذَابَ) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَ أُجِبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) إليكم (فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) الأخبار المنجية فى الجواب (يَوْمَئِذٍ) أى لم يجدوا خيرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) عنه فيسكتون (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من الشرك (وَأَمَّنْ) صدق بتوحيد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) أدى الفرائض

والناس أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أى الذين أطاعوهم فى كل ما امرؤهم به ونهوههم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين أغويانا الخ) اسم الإشارة مبتدأ والوصول نعته وأغويانا صلتها والعائد محذوف قدره المفسر ، وأغويانهم خبر وضح الاخبار به لتقييده بقوله كما غويانا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم فى النفى فقبلوا منا ولم يقبوعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والأوامر والنواهي فلم يخبرهم عن أنفسنا بل اخترناهم ما اخترناه لأنفسنا فأنبونا بهواهم (قوله تبرأنا إليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أى وهو قوله إيانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أى استفتوا بالهتكم التى عبدتموها لتصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للهتكم والتبكيك لهم (قوله ورأوا العذاب) أى نازلا بهم (قوله مارأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يسئلون عن إشرائهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الأنباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم ، أو الكلام على القلب والأصل فعمو' عن الأنبياء : أى ضلوا وتخبروا فى ذلك فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) أى عن الخبر المنجى لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أى رجع عن كفره فى حال الحياة .

قل يا أيها الكافرون والإخلاص فلن لم يكن يحفظ هذا الدعاء ثلثاً من كبري وأخترى كجروي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما . واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح ، وأما الاستخارة بالتمام أو للصحف أو السبعة فليس وارداً عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما كرهه العلماء وقالوا إنه نوع من الطيرة (قوله قل أرايتم إن جعل الله الخ) أرايتم وجعل تنازعا في الليل أحمل الثاني وأضمر في الأول وحذف وهو مفعول الأول ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده وإن حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا يفعلون وتقدم الكلام على نظيره في الأنعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دعاءه أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض) قوله إلى يوم القيامة (متعلق بجعل) قوله من إله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال إن المقام لعل لأنهم يطلب التصديق لامن التي لطلب العيين لأنه يوم وجود آله غيره حالي ، فأجاب بأنه مجازة للمشركين في زعمهم وجود آله معه (قوله سماه فهم) أي تدبر واعتبر لأن مجرد الإبصار لا يفيد (قوله إن جعل الله عليكم النهار سرمدا) أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء (قوله ومن رحمته) أي فضله وإحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أي لأن المرء في الدنيا لا بد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه فجعل الله له عمل تكسب وهو النهار ومحل راحة وسكون ليستريح (٢١١) من ذلك التعب وهو الليل

(قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد « الكاسب حبيب الله » (قوله ذكرنا نبيا ليبنى عليه وزعنا الخ) أي وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم لاشئ أجاب منه لضب الله كما أن التوحيد عظيم لاشئ أجاب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوا) أي وأمة محمد يشهدون للأنبيا بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب (قوله

(قُلْ) لِمَ (أَرَأَيْتُمْ) إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ حَرَّمُوا عَلَيْكُمْ كَمَا تَتَّبِعُونَ) من التعب (أَفَلَا تَبْصُرُونَ) ما أتم عليه من الخطأ في الأشراك فترجعون عنه (وَمِنْ رَحْمَتِي) تعالى (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) في الليل (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) في النهار بالكسب (وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ) النعمة فيهما (و) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ذكرنا نبيا ليبنى عليه (وَزَعَنَّا) أخرجنا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو نبينهم يشهد عليهم بما قالوا (فَقُلْنَا) لِمَ (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ما قلتم من الأشراك (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ) لا يشاركه فيه أحد (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ) ما كانوا يفعلون (فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْ مَعَهُ شَرِيكًا ،) تعالى عن ذلك (إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فَهَوَىٰ عَلَيْهِمْ) بالكبر والمو وكثرة المال (وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ) تنقل (بِالْهَضْبَةِ) الجماعة (أُولَى) أصحاب (الْقُوَّةِ) أي ثقلمهم فالباء للتعدية ، وعدتهم قيل سبعون ، وقيل أربعون

أن الحق لله) أي التوحيد لله خاصة لا غيره . (قوله من أن معه شريكا) بيان لما (قوله إن قارون كان من قوم موسى) هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للمعية والمعجزة (قوله ابن عمه) أي واسم ذلك الم يصهر بيا تحتية مفتوحة وصاد مهملة ما كنة وهاء مضمومة ابن قاهت بقاف وهاء مفتوحة وناه مثلية ، ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولها قاهت ابن لادى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل إن قارون عم موسى (قوله وآمن به) أي وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للنجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على إمامته (قوله بالكبر) أي احتقار مساواه ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شبرا ، ومن جملة بنيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسهى للنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل إنه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما إن مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وإن حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز التي مفاتحه تنقل العصبية أولى القوة ، وكانت مفاتحه أولا من جديد فلما كثرت جعلها من خشب فتقلت فجعلها من جاود البقر ؛ وقيل من جلود الأبل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بنلا (قوله لتنوء بالعصبية) الباء للتعدية ، والمعنى لتثقل المفاتيح العصبية .

(قوله فرح بطر) أى لأنه هو للذموم ، وأما الفرح بالهدى من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به (قوله بأن تنفقه في طاعة الله) أى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولأنفس نصيبك من الدنيا) أى بأن تصرف همرك في مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما في الحديث « اغتم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك » وقيل للراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز . قال الشاعر :
نصيبك مما تجمع الدهر كله رداً آن تدرج فيهما وحنوم

(قوله وأحسن للناس بالصدقة) للناس على الصوم ويكون تفسير القول - ولأنفس نصيبك من الدنيا - وقوله - كما أحسن الله إليك - الكاف للتشبيه وبمصدرية ، والضم وأحسن إحسانا كاحسان الله إليك أو لتعميل (قوله قال إنما أوتيته على علم عندي) جواب لما قاله من أجل الخمس كأنه ينكر محض الفضل ، والضم إنما أوتيته حال كونى متصفاً بالعلم الذى عندى فأعطاني الله تلك الأموال لسكونى مستحقاً (٢١٢) لها فضل على وعلى (قوله وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى

فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه ويوشع ثلثه وكاب ثلثه فغدهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهباً فكثير بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندي المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بطلى الذى عندى لامن فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أيدهى ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى - فوريك لسألتهم أجمعين مما كانوا يعملون - أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استناب وسؤال توبيخ وتقريع فالنق سؤالا الاستناب الذى يعقبه الضم والغفران كسؤال السلم العاصى والتبث سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه إلا النار (قوله طرغ على قومه) عطف على قوله إنما أوتيته على علم وما بعده اعتراض ، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفاً عليهم المصفرات ، وهو أول يوم رى فيه المصفرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الخلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بقلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى كانوا مؤمنين غير أنهم محبونون (قوله كلمة زجر) أى المنصوبة بمقتضى : أى الزمكم الله ويلكم والأصل فى الويل الهداء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع .

مما
للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى - فوريك لسألتهم أجمعين مما كانوا يعملون - أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استناب وسؤال توبيخ وتقريع فالنق سؤالا الاستناب الذى يعقبه الضم والغفران كسؤال السلم العاصى والتبث سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه إلا النار (قوله طرغ على قومه) عطف على قوله إنما أوتيته على علم وما بعده اعتراض ، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفاً عليهم المصفرات ، وهو أول يوم رى فيه المصفرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الخلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بقلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى كانوا مؤمنين غير أنهم محبونون (قوله كلمة زجر) أى المنصوبة بمقتضى : أى الزمكم الله ويلكم والأصل فى الويل الهداء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع .

(قوله مما أوتي قارون في الدنيا) أي لأن الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أي يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المصيبة) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله فحسبنا به) (قوله وبداره الأرض) قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقربهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت نبي وطني واعتزل أتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤديه في كل وقت ولا يزيد الاعتقوا وتجبرا ومعادة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملا من بني إسرائيل يندرون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه . قال ابن عباس : فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على دينار واحد عن كل ألف دينار وعلى درهم عن كل ألف درهم وعلى شاة عن كل ألف شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمع نفسه بذلك ، فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعمموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم ، قالت بنو إسرائيل أنت كبيرنا فرنا بما شئت ، قال أمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جملا على أن تقذف موسى بنفسها فادفعت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوه فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم ، وقيل جعل لها طشتا من ذهب ، وقيل قال لها قارون أمولك وأخطك بنسائي على أن تقذف موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل ، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى إلى موسى فقال له إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قططنا يده ومن افتري جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجناه حتى يموت . قال قارون ر إن كنت أنت ؟ قال و إن كنت أنا . قال قارون فان بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية . قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أما فعلت بك ما يقول هؤلاء (٢١٣) وعظم عليها وسألها بالذي فاتق

مما أوتي قارون في الدنيا (وَلَا يَلْقَاهَا) أي الجنة الثابت بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المصيبة (فَحَسْبُنَا بِهِ) قارون (وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) قارون (وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) منه (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أي من قريب (يَقُولُونَ وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ بِسُوءِ الرَّزْقِ لِمَزِيَّ شَأْنِهِ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء ووي اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا والكاف بمعنى اللام

جعلا على ان تقذفك بنفسى ، فغرت موسى ساجدا يبكي وقال اللهم إن كنت رسولا فاغضب لى فأوحى الله إليه إنى أمرت الأرض أن تطيعك فرها بما شئت ، فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليدبث مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلا ، ثم قال موسى يا أرض خذتهم الأرض بأقدامهم ، ثم قال يا أرض خذتهم فأخذتهم إلى الزك ، ثم قال يا أرض خذتهم فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم ، ثم قال يا أرض خذتهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله وللرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه . ثم قال يا أرض خذتهم فانطبقت عليهم ، قل فتلدة : حسفت به فهو يتجلبج في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة ، وفي الخبر : إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفتح إسرائيل في الصور ، وأصبح بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم أن موسى إن عاد على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض . قال بعضهم . مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسمه فيمكن أن يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من زائدة وفئة اسم كان إن كانت ناقصة والجاز والجرور خبرها أو فاعل بها إن كانت تامة (قوله من المنتصرين) أي المنتصرين بأنفسهم (قوله أي من قريب) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت للماضي القريب لا اليوم الذى قبل يومك (قوله ويكأن الله الخ) ويكأن فيها خمسة مذاهب : الأول أن وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها : أى أعجب لأن الله ييسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائر . الثانى أن كان للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كالتى قبله . الثالث أن وى كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معلولة لمخدوف : أى أعلم أن الله ييسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على وى وهو قراءة أى عمرو . الرابع

البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت ؟ فتداركها الله بالتوفيق ، فقلت في نفسها ، أحدث توبة أفضل من أن أؤذى رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لى قارون

أَنَّ أَسْلَهَا وَيَلِكُ حَذَفَتِ اللَّامَ وَحِينَئِذٍ نَالَتْ عَلَى السَّكَافِ أَيْضًا . الْخَامِسُ أَنَّ وَيَكُنْ كَلِمَةً بَسِيطَةً وَمَعْنَاهَا أَلَمْ حَرَّ أَنْ اللَّهُ يَسِطُ الرِّزْقَ الْحَاحَ وَحِينَئِذٍ نَالَتْ عَلَى النَّوْنِ (قَوْلُهُ لَوْلَا أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا) أَيْ بِالْإِيمَانِ وَالرَّحْمَةِ (قَوْلُهُ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ) أَيْ فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ (قَوْلُهُ وَيَكُنْهُ) تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ وَيَجْرِي فِيهَا مَا يَجْرِي فِي الَّتِي قَبْلَهَا (قَوْلُهُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا) مُنَاسِبَةٌ هَذِهِ آيَةٌ لِمَا قَبْلَهَا ظَاهِرَةٌ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ تَكَبَّرَا وَتَجَبَّرَا وَاخْتَارَا الْعُلُوَّ فَآلَ أَمْرُهُمَا لِلْخُسْرَانِ وَالْوَيْلُ وَالْبُدْمَارُ وَمُوسَى وَهَارُونَ اخْتَارَا التَّوَّاضِعَ فَآلَ أَمْرُهُمَا لِلصِّرَافِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحْوَلُ (قَوْلُهُ أَيْ الْجَنَّةِ) أَيْ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ وَرُؤْيَا وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَبِمَاغِ كَلَامِهِ الْقَدِيمِ (قَوْلُهُ لَا يُرِيدُونَ هَلْوًا) التَّصْيِيرُ بِالْإِرَادَةِ أَيْ لِقَائِهِ فِي النَّارِ لِأَنَّهُ نَفَى لِفِعْلِهِ وَزِيَادَةٌ (قَوْلُهُ نَجْمُهَا) أَيْ نَصِيرُهَا (قَوْلُهُ بِالْبِنَاءِ) أَيْ الظُّلْمَ وَالْكِبْرَ كَمَا وَقَعَ لِفِرْعَوْنَ وَقَارُونَ وَجُنُودِهِمَا (قَوْلُهُ بِعَمَلِ الْمَاصِي) أَيْ كَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِ وَالسَّرْقَةِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَخَالَفُ أَوْامِرَهُ تَعَالَى (قَوْلُهُ لِلتَّقِيَيْنِ) أَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْأَضْحَارِ إِظْهَارًا لِشَأْنِهِمْ وَمَدْحًا لَهُمْ بِسَبْتِهِمْ لِلتَّقْوَى وَتَسْجِيلًا عَلَى ضِدْمِ (قَوْلُهُ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) تَقَدَّمَ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِالْحَسَنَةِ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ الْجَنَّةُ وَمَنْ لِلتَّعْلِيلِ وَبِئْسَ فِي الصِّيغَةِ تَفْصِيلٌ ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا مَطْلُوعٌ فَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ مِنْهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا كَمَا جَاءَ مَفْسُورًا بِهِ فِي آيَةِ الْآخِرَى : مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، فَقَوْلُ الْمَفْسُورِ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا الْحَاحَ إِشَارَةٌ لِمَعْنَى الثَّانِي (قَوْلُهُ وَهُوَ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) هَذَا أَقْلُ الْمَضَاعِفِ (٢١٤) وَتَضَاعَفَ لِسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَهُوَ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَهَذَا فِي الْحَسَنَةِ

التي فعلها بنفسه أو ضلت من أجله كالقراءة والدكر إذا فعل وأهدى ثوابه لليت مثلا ، وأما الحسنه التي تؤخذ في نظير الظلامه فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنه للظلم ، وأما المضاعفة فتكتب للظالم لأنها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فضل والمضاعفة مخصوصة هذه الأمة ، وأما غيرهم

(لَوْلَا أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (وَيَكُنْهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لِنِعْمَةِ اللَّهِ كَقَارُونَ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أَيْ الْجَنَّةُ (نَجْمُهَا) لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ (بِالْبِنَاءِ) (وَلَا فُسَادًا) بِعَمَلِ الْمَاصِي (وَالْمَاقِبَةِ) الْمَحْمُودَةِ (لِلتَّقِيَيْنِ) عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا وَهُوَ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا) جَزَاءُ (مَا كَانُوا يَمْتَحِنُونَ) أَيْ مِثْلُهُ (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أَنْزَلَهُ (لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ) إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ قَدْ اشْتَقَّهَا (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) نَزَلَ جَوَابًا لِقَوْلِ كِفَارِ مَكَّةَ لَهُ إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ أَيْ هُوَ الْجَائِئِ بِالْهُدَى وَهُوَ فِي الضَّلَالِ وَأَعْلَمُ بِمَعْنَى عَالِمٌ (وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقِيَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ) (الْقُرْآنَ) (إِلَّا) ،

لنصن

ولا مضاعفة له (قوله فلا يجزي الذين عملوا السيئات الح) اظهر في مقام الاضمار تسجيلا

وتقييحا على فاعل السيئات ليترجم عن فعلها (قوله أي مثله) أشار بذلك أن الكلام على حذف مضاف (قوله أنزله) أي أوفرضه بمعنى أوجب عليك ثبليغه للعباد والتمسك به (قوله إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدم أن سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما أذن له في الهجرة إلى المدينة وخرج من الفار مع أبي بكر ليلا سار في غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له اشتاق إلى بلدك وولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل إن الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن رادك إلى معاد يعني إلى مكة ظاهرا عليهم سميت البلد معادا لأن شأن الانسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها وتقدم أن هذه الآية يفني قراءتها للمسافر تفاقولا بعوده لوطنه ، ولا يقال ر الآية قيات للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لأنه يقال إن القرآن نزل للتعبد والاعتداء به فكأنه قال كما صدقت بعد ذلك فأصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة الح) أي كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم قوله : ارتال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله وأعلم بمعنى عالم) إنما احتجج إلى تحويله تعديته للمفعول نفسه وإلا لكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترخوا) أي لرجي . أرسله إليك (قوله أن يلقى إليك الكتاب) أي أنزله عليك ليس عن معاد ولا تطلب منك ، ومن هنا قال العلماء إن النبوة ليست مكتسبة لأحد قال في الجوهره : ولم تكن نبوة مكتسبه ولو رقي في الخير أعلى عقبه الح

(قوله لكن ألقى إليك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء شطط (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد بغيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذف نون الرفع للجازم) أي وهو لا الناهية (قوله لالتقاءها مع النون الساكنة) أي وجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما شئ عليه المفسر في تصريف الفعل إنما يأتي على ندور وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب فالأولى أن يقول وأصله يصدونك دخل الجازم حذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذف الواو لالتقاءهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد إذ أنزلت إليك) أي بعد وقت إنزالها عليك (قوله أي لا ترجع إليهم) أي لا تتركن إلى أقوالهم (قوله ولا تكونن من للمشركين) الخطاب له والمراد بغيره (قوله ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي لفظا وإن كان مؤثرا مفعلا (قوله لبنائه) أي بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتأثر بالجازم وإن كان مؤكدا بالنون لهدم مباشرتها للفعل فإنه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك : وأعر بوا مزارعا إن عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالعبادة وحيدته فليس في الآية دليل على مازعه الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فإنه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضرر على يده قد يكون (٢١٥) واجبا لأنه من التمسك بالأسباب

ولا ينكر الأسباب إلا جحد أو جهول (قوله كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجاز عليه لأن وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين :

الله قل وذر الوجود وما حوى

إن كنت مرئادا بلوغ كمال

فالكامل دون الله إن حققته

عدم على التفصيل والاجمال من لا وجود لذاته من ذاته

فوجوده لولاه عين محال

والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى التكبر المتعالي ورأسوا على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله :

ثمانية حكم البقاء يصمها من الخلق والباقيون في حيز القدم

هي العرش والكرسي وفار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة : وكل شيء هالك قد خصصوا عمومها فاطلب لما قد خصصوا

ولا مفهوم لمأهده السيوطي بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحوار والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى فإن ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أي في جميع أحوالكم .

[سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيف وقوله مكية أي كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فإنها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من التشابه الذي يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستعانة. يصح أن يكون للتعريف

لكن ألقى إليك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَلِيمًا) معنيها (للكافرين) على دينهم الذي دعوك إليه (وَلَا يَصُدُّنَكَ) أصله يصدونك حذف نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقاءها مع النون الساكنة ر عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَدَأَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ) أي لا ترجع إليهم في ذلك (وَأَدْعُ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بإعتابهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه (وَلَا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللَّهِ الْهَآخِرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) إلا إياه (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ (وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور من قهوركم .

(سورة العنكبوت)

مكية، وهي تسع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. السّم) الله أعلم بمراده به (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُفْعَلُوا أَنْ يُقُولُوا) أي يقولهم (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يخعبون ،

والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى التكبر المتعالي ورأسوا على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله :

ثمانية حكم البقاء يصمها من الخلق والباقيون في حيز القدم

هي العرش والكرسي وفار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة : وكل شيء هالك قد خصصوا عمومها فاطلب لما قد خصصوا

ولا مفهوم لمأهده السيوطي بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحوار والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى فإن ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أي في جميع أحوالكم .

[سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيف وقوله مكية أي كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فإنها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من التشابه الذي يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستعانة. يصح أن يكون للتعريف

وحينئذ فيكون للذي يجب على الناس أن يعرفوا بأنهم لا يتركون سدي ، بل يمتحنون و يتلون لأن الدنيا دار بلاء وامتحان أو التوبيخ ، وعليه فالمنى لا يليق منهم هذا الحسبان أى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وأن يقولوا علة الحسبان ، وقوله وم لا يفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس ويكون للذي أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين أو من أجل نطقهم بالشهادتين بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين لتمييز الراشخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أى من الشاق كالهجرة والجهاد وأبواع الصائب فى الأنفس والأموال (قوله نزل فى جماعة) أى كعمار بن ياسر وعياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وصلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسليية هؤلاء وتعليم من أتى بعدم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) إما حال من الناس وحينئذ فالمنى أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تعبد لسنة الله تبديلا أو من فاعل يفتنون . والذى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة روى البخارى عن خباب بن الأرت قال « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعونا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى (٢١٦) وفى جانب الكذب باسم الفاعل إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر

بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل فى جماعة آمنوا فأذام المشركون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم علم مشاهدة (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ) فيه (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمُنُّونَ السَّمَاتِ) انشرك والمعاصى (أَنْ يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننقم منهم (سَاءَ) بس (مَا) الذى (يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يخاف (لِقَاءَ اللَّهِ) فإن أجل (اللَّهِ) به (لَاتِ) فليستمد له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأتوال العباد (الْمَلِكِ) بأفعالهم (وَمَنْ جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَأِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله ،

لم يظهر منهم إلا ما كان محباً، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال إن علم الله لا يتجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس

بيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ (إن)

فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان من غير مشقة ولا تعب . والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه مع دواءهم على الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول فاعل ساء ويحكمون صلته والمائد محذوف والمخصوص بالنم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا ويصح أن تكون ما ميمزاً والفاعل ضمير مفسر بما ، قال ابن مالك : وما ميمز وقيل فاعل فى نحو نم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد ويجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا التفسير أتم بما قاله المفسر لأن المؤمن الصدق بلقاء الله لا بد له من الرجاء والخوف معا يؤيد ما قلناه جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستمد له أى يتهاوى ويستحضر الرحمة والنجاة من العذاب (قوله فان أجل الله لات) ليس هذا هو جواب الشرط وإلازم أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ما قدره المفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الأصغر وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الأكبر وذلك لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخته ولا تتيب عن الانسان أبداً وهى خفية تظهر الهبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضاً إذا قتله الكافر مات شهيداً ، وأما إذا قتله نفسه فاما عاص أو كافر فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان» (قوله فأنما يجاهد لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فانفضل له فى توفيقكم لمبادته فالخصم إضافي فلا ينافى أنه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد فالمقصود نبي النفع عن الله

لأشعائه عليه (قوله بن الله) فحق من العالمين) أى فلا يصل له منهم فضع ولا ضرت لما فى الحديث القدسي « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم
وإنكم ورجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنسكم كانوا
على أجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكي شيئا » (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية
وهذا وعد حسن للتصفيين بالإيمان (قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم) أى لا نؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين ، وأما
المعصومون فلا سيئات لهم فمافى تكفيرها ؟ أجب بأن الكلام على الفرض والتقدير يعنى أنه لو وجدت منهم سيئات تنكفر
أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) أى
فاسم التفضيل ليس على بابه لأنه يوم أنهم يجازون على الأحسن لاجئ الحسن ، وقد يقال المراد بالأحسن الثواب الواقع فى مقابلة
الأعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ تضعف لهم الثواب فى نظير أعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)
سبب نزولها هى وآية لقمان والأحطاف أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الاسلام
لما أسد آت أمه حمزة بنت أبى سفيان أن لانا كل ولا نشرب ولا نستظل حتى يموت أو يكفر سعد بمحمد فأبى سعد أن
يطيها صبرت ثلاثة أيام لانا كل ولا نشرب ولا نستظل حتى غشى عليها فأتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس غرقت نفسا
نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت ففرزت الآية بالوصية
عليها وإنما أمر الله الأولاد بوالديهم دون العكس لأن الأولاد جيلوا (٢١٧) على التسوية وعدم طاعة الوالدين

فكافهم الله بما يخالف
طبعهم ، والآباء محبوبون
على الرحمة والشفقة بالأولاد
فوكلمهم الله لما جيلوا عليه
(قوله أى إيصاء ذاحسن)
أشار بذلك إلى أن
حسنا صفة لمصدر محذوف
على حذف مضاف ويصح
أن يبقى على مصدره
مبأنفة على حد زيد
عدل (قوله بأن يبرها)

(إِنْ اللَّهُ لَنَحْيِيَنَّ عَنْ الْعَالَمِينَ) الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةَ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَنِ
وَنَصْبِهِ بِنَزْعِ الْخَافِضِ الْبَاءِ (الَّذِي كَانُوا يَمْعَلُونَ) وَهُوَ الصَّالِحَاتِ (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
حُسْنًا) أَيْ إِصْءَا ذَا حَسَنٍ بِأَنْ يَبْرَهَا (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بِإِشْرَا كِه
(عِلْمٌ) مُوَافَقَةٌ لِلرَّوَاقِعِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ (فَلَا تُطِعْهُمَا) فِي الْإِشْرَا كِ (إِلَىٰ مَرَجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فَأَجَا زِي كُمْ بِهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)
الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، بِأَنْ نَحْشُرَهُمْ مَعَهُمْ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أَيْ أَذَاهُ لَهُ (كَعَذَابِ اللَّهِ) فِي الْخَوْفِ مِنْهُ ،

أى يحسن إليهما وأوجه البر كثيرة جدا : منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير
ذلك (قوله وإن جاهدك لتشرك بى) آتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال - وإن جاهدك على أن تشرك بى - لأن
ما هنا موافق لما قبله فى قوله : ومن جاهد فاعما يجاهد لنفسه وما فى لقمان ضمن جاهدك معنى حملك (قوله ما ليس لك به علم)
ما مفعول تشرك أى إلها لا علم لك به (قوله موافقة للواقع) علة المحذوف تقديره ذكر هذا التامد موافقة للواقع أى إن الواقع أن الإله
واحد فليس إله لك به علم وإله لا علم لك به ، وأما الأصنام فاشرا كها مع الله فى العبادة هزؤ وسخافة عقل إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل
معلم إلها غير الله ولا ظنه ولا توهمه (قوله إلى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بر بوالديه وأتبع الهدى ووعيد لمن عقر والديه وأتبع
سبيل الردى (قوله بما كنتم تعملون) أى بالصالح والنسى فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم وصول
مبتدأ وآمنوا صلة وقوله لندخلنهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل ويجمعون بهم فى البرزخ فإذا مات المؤمن
الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة حينئذ يكون مرافق لهم فى الدرجات العالية قال تعالى :
إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنوا بالله الخ) لما بين حال
المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الاسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ
مؤخر وقوله آمنوا بالله الخ مقول القول (قوله فإذا أودى فى الله) أى آذاه الكفار على إظهار الإيمان (قوله جعل فتنة الناس كذاب
الله) أى لم يصبر على لأذى بل تركه لئلا ينال الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم
[٢٨ - صاوى - ثالث] مانعا لهم من الإيمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الأكره وتكون قلوبهم متباحنة بالإيمان

(قوله فيطيعهم) أي ظاهرا وباطنا ، وأما المكره فقد أطاع ظاهرا لا باطنا والواخضة مرجعها القلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أي ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله إنا كنا محكم في الإيمان) أي وإن الذي وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه (قوله أي بعالم) أشار بذلك إلى أن التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أي ليظهر متعلق عمله للناس فيفضح المنافق ويظهر شرف المؤمن الخالص (قوله إن كانت) أي على فرض حصولها وإلاهم ليسوا مسلمين أن في اتباعهم خطايا (قوله والأمر بمعنى الخبر) أي فالغنى ليكون منكم الاتباع وإنما حمل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أي لأن العدل على الشرك كفاعله من غير أن ينقص من وزير الأتباع شيء (قوله عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الأباطيل التي من جهتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى (٣١٨) تكاليف هذه الأمة وبين أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار

بين هنا أن هذه التكاليف ليست بمنفعة بهذه الأمة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقادم أن نوحا اسمه عبد الغفار ، وقيل يشكرو وكان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوم ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى أنه مر بكاب فقال في نفسه ما أقبه فأوحى الله إليه أعبني أم هبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ، ونوح هو ابن ملك بن متوشلخ ابن إدريس بن برد بن أهليل بن قبنان بن نوح ابن شيث بن آدم عليه

فيطيعهم فيناق (وَلَكِنَّ) لام قسم (جاء نصر) للمؤمنين (مِنْ رَبِّكَ) فضعفوا (لِيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) في الإيمان فأشركونا في النعمة قال تعالى (أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أي بعالم (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفاق ؟ بلى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيجازى الفريقين واللام في الفعلين لام قسم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) في اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (وَمَا هُمْ بِمُحْسِنِينَ) من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) في ذلك (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (وَلَيَسْتَفْلِكُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام في الفعلين لام قسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر (فَلْيَبِئسَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أي الماء الكثير طاف بهم وعلام فرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون (فَأَنْجَيْنَاهُ) أي نوحا (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) أي الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم ، وعاش نوح بعد الطوفان سبعين سنة أو أكثر حتى كثرت الناس . (و) اذكر (إِبْرَاهِيمَ) إذ قال لقومه .

السلام (قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم أنه اختلف في الأكثر فقبل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ، وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة نسليته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار في الإسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا المدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصر وماضجر فأتى أولى بالصبر أقله مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك ، والحكمة في المقارنة بين العام والسنة التفتين وخص لفظ العام بالخمسين إشارة إلى أن نوحا لما فرقوا استراح وبقى في زمن حسن والعرب تعبر عن الحصب بالعام وعن الجذب بالسنة (قوله طاف بهم وعلامهم) أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أر بعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة ، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم . وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل على بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وإبراهيم) قرأ العامة بالنصب عطفت على نوحا أو معمول المحذوف كما فرج عليه المفسر حيث قدر إذ ذكر وقري شذوذ بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم .

(قوله اعبدوا الله) أى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله وآتقوه) أى اجنبوا توهبه (قوله ذلكم) أى ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما آتكم عليه الخ) أى فى زعمكم أن فيه خيراً والأحسن أن يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) أى وهو عبادة الله وقوله من غيره أى وهو عبادة غيره (قوله أوئانا) جمع وئ وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً (قوله وتخلقون إفكاً) أى تخلقونه وتختصونه (قوله لا يملكون لكم رزقاً) أى لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطبوه منه) أى ولا تطلبوه من غيره لأنه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - (قوله واعبدوه راشكروا) أى لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - (قوله إليه ترجعون) أى تردون فيثيب الطائع ويهدب العاصي (قوله وإن تكذبوا) العاصي (قوله وإن تكذبوا)

شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرتنى تكذيبكم وإنما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب أم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا إلى قوله فما كان جواب قومه حمل معترضة بين كلام إبراهيم وجواب قومه له إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب ، والمعنى فلم يضرب الرسل تكذيب قومهم ثم (قوله فى هاتين القصتين) أى قصة نوح وإبراهيم (قوله وقد قال تعالى) أى رداً على منكرى البعث (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدى الله

أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ) خَافُوا عِقَابَهُ (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مِمَّا آتَمَّ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الْخَيْرُ مِنْ غَيْرِهِ (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًَا) تَقُولُونَ كَذِبًا إِنْ الْأَوْثَانُ شُرَكَاءُ لِلَّهِ (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ (فَاقْبَتُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ) أَطْلُبُوهُ مِنْهُ (وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وَإِنْ تُكَذِّبُوا) أَيْ تُكَذِّبُونِي يَا أَهْلَ مَكَّةَ (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) مِنْ قَبْلِى (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الْإِبْلَاحُ الْبَيِّنُ فِي هَاتَيْنِ الْقَصَتَيْنِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي قَوْمِهِ (أَوْ لَمْ يَرَوْا) بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ يَنْظُرُوا (كَيْفَ يُبْدِى اللَّهُ الْخَلْقَ) هُوَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَرِئٌ بِفَتْحِهِ مِنْ بَدَأَ وَأَبْدَأَ بِمَعْنَى ، أَيْ يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً (ثُمَّ) هُوَ (يُعِيدُهُ) أَيْ الْخَلْقَ كَمَا بَدَأَهُمْ (إِنَّ ذَلِكَ) الْمَذْكَورُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فَكَيْفَ يَنْكُرُونَ الثَّانِي (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَمَاتَهُمْ (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) مَدًّا وَقَصْرًا مَعَ سُكُونِ الشَّيْنِ (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَمِنْهُ الْبَدْءُ وَالْإِعَادَةُ (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تَعَذِّبُهُ (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) رَحْمَتِهِ (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تَرُدُّونَ (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) رَبِّكُمْ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا ، أَيْ لَا تَقْوَتُونَهُ (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (مِنْ وَلِيٍّ) يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ (وَلَا نَصِيرٍ) يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ) أَيْ الْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ (أُولَئِكَ يَتَّبِعُونَ مِنْ رَحْمَتِي) أَيْ جَنَّتِي (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مُؤَلَّمٌ ، قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ :

الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر ، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتح) أى شذوذاً (قوله من بدأ وأبدأ) لفً ونشر مشووش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر من الله ل محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على إنسانها بدنا يقدر على إعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للتصريف والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) أى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتيهما ويصح أن يراد بهما جهة السفلى والعلو (قوله أى القرآن والبعث) لفً ونشر مرتب فالأول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يتسوا من رحمتى) أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه

(قوله لما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه الخ) أي لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك ، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها ، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والله يتولى ذلك الضار وإنما أجازوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أي هنا بالترديد واقتصر في الأنبياء على أحد الأمرين وهو الذي فعلوه إشارة إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم وما في الأنبياء عن عزهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فأتجأه الله من النار) في الكلام حذف والتقدير فقد ذفوه في النار فأتجأه الله الخ وإلى هذا أشار المفسر بقوله التي قد ذفوه فيها (قوله هي) أي الآيات (قوله وإخادها) أي سكنون لها مع بقاء حجرها وأما الإهماد فهو طفاء النار بالمرّة (قوله في زمن يسير) أي مقدار طرفة عين (قوله لأنهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ (قوله وقال إبراهيم) عطف على قوله فأتجأه الله من النار (قوله إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) إن حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن (٢٢٠) وأوثانا مفعول أول والمفعول الثاني محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها

ومودة خبر إن ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله على قراءة النصب مفعول له وما كافة أي سواء قرئ بنون مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاتنين والثاني هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلتها والعائد محذوف والتقدير إن الذي اتخذوه من دون الله أوثانا تعبدونها لأجل اللودة بينكم ونقل عن عاصم أنه رفع مودة

(قَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجْبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) التي قد ذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي إنجائه منها (لآيَاتٍ) هي عدم تأثيرها فيه مع عظمتها وإخادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها (وَقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) تعبدونها وما مصدرية (مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة ، المعنى توادتم على عبادتها (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يعلن الأتباع القادة (وَمَأْوَاكُمْ) مصيركم جميعاً (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ما نعين منها (قَالَمَنْ لَهُ) صدق بإبراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وَقَالَ) إبراهيم (إِنِّي مُهَاجِرٌ) من قومي (إِلَى رَبِّي) أي إلى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه (وَوَهَبْنَا لَهُ) بعد إسماعيل (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) بعد إسحق (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (وَالْكِتَابَ) بمعنى الكتب أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلاء .

(و)

غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة لظرف وبني لاضافته

لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذ جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراءات أر بع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سببي (قوله المعنى) أي الحاصل من تلك القراءات (قوله يتبرأ القادة) أي ينكروهم ويقولون لهم لانفرسكم (قوله صدق بإبراهيم) أي بنبوته وإن كان مؤمنا قبل ذلك ، ويجب الوقف على لوط لأن قوله وقال إنني مهاجر من كلام إبراهيم فالواصل لآدم أنه من كلام لوط (قوله أي إلى حيث أمرني ربي) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظة إثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أي فزل بحران هو زوجته سارة ولوط ابن أخيه ، ثم اتقل منها فزل بفلسطين ونزل لوط بسدوم وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أي بعد هجرته (قوله بعد إسماعيل) أي بأربع عشرة سنة (قوله في ذريته) أي إبراهيم (قوله فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أي لانحصار الأنبياء في إسماعيل وإسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان) أي لجمع أها. الأديان بحبونه وبفكرونه بخبر ويتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أي الكاملين في الصلاح .

(قوله ولو لوط) معموله محذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أى أهل سدوم ونوابها (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وعندهم فاقراءات أربع سببيات (قوله الانس والجن) أى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يريكم) قيل لانهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فاذا ساء بهم عاب سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولى به فيأخذ مامعه وينكحه وينزله ثلاثه دراهم ولم يقاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) أى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا اتقنا الخ) أى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) أى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أى فأمر الملائكة باهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين ، فبشروا إبراهيم بالتبوية الطيبة وأنشروا قوم لوط بالعداب (قوله باسحق ويعقوب) أى وبجهلاك (٢٢١) قوم لوط (قوله قال إن فيها لوطا) هذا بعد الجدلة

التي تقدمت في قوله : يجادلنا في قوم لوط حيث قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أفأنتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقي في العذاب) أى الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشر كفاعله وهي قد دلت القوم على أضياف لوط نصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءن) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار لذلك إلى أن الباء في بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محمول

(و) اذكر (لوطاً إذ قال لقومه أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أذبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) طريق اللذة بفعلكم الفاحشة بمن يريكم فترك الناس المرء بكم (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) أى متحدثكم (الْمُنْكَرِ) فعل الفاحشة بضمك ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أئننا بعباد الله إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفعله (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي) بتحقيق قولى في إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسِدِينَ) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) باسحق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا) قَالُوا (أى الرسل) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ (بالتخفيف والتشديد) وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (الباقين في العذاب) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرًا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف تخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وَقَالُوا لَا تَحْفَظْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ) بالتشديد والتخفيف (وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجُزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا) بالفعل الذى (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم (وَلَقَدْ رَكَنَّا فِيهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هى آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَأرسلنا إلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) اخشوه هو يوم القيامة

عن الفاعل أى ضاق ذرعه وقوله صدرنا تفسير لحاصل المعنى وإلا فالذرع معناه الطافة والتوة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) أى وهو نصب على أنها مفعول منجوا (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف ، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هى آثار خرابها) وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله عز وجل حتى أمركتها أوائل هذه الأمة ، وقيل هى ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعقلون) متماق بتركنا أو بينه وخصم لأنهم المنتفعون بالانعاط بها (قوله وإلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا فى قصة بوح (قوله أخاهم شعيبا) أى لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذى هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أى وجلوه (قوله وارجوا اليوم) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله فى اليوم الآخر وصرح أن يكون بمعنى خافوا ؛ والمعنى خافوا عقاب الله فى اليوم الآخر واليه يشير للمفسر بقوله اخشوه .

(قوله من عني بكسر اللثثة) أي من ياب نص ويصح أن يكون من باب قل (قوله فكذبوه) إن قلت متضمن الظاهر أن يقال فلم يمتثلوا أوامرهم لأن التكذيب إما يكون في الأخبار . أوجب بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للنخب كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فأجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم في هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فإن سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب في هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه الملبة التي هي إحدى علتي منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أي القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الإهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لمعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أي بواسطة الرسل فلم يكن لهم (٢٢٢) عذر في ذلك لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى

بصائر) أي عقلاء متمسكين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أي تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالما لأنه الخالق المتصرف في ملكه على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو

(وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عني بكسر اللثثة : أفسد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَانِحِينَ) باركين على الركب مبتدئين (وَ) أهلكنا (عَادًا وَثَمُودًا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) إهلاكهم (مِنْ مَسَاكِينِهِمْ) بالحجر واليمن (وَوَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْعَامَهُمْ) من الكفر والمعاصي (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصائر (وَ) أهلكنا (قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ) من قبل (مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا (فَكَلَّا) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسْفُتْهُمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) ققارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناما يرجون نفعها (كَمَثَلِ الْمُتَكَبِّرِينَ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه (وَإِنْ أَوْهَنَ) أضعف (الْبَيْتُ لَبَيْتُ الْمُتَكَبِّرِينَ) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الأصنام لا تنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما عبدوها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ،

(ما)

وجه الشبه أى مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناما

يعبدونها في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتا لا يفسى عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الأولياء على الأصنام محرج للأولياء بمعنى التولين في خدمة ربهم فان اتخذهم بمعنى التبرك بهم والاتجاه لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لاجبهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال إنه أفنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التفضير عنكيب (قوله وإن أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أى فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل النار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونها أضعف الأشياء (قوله ما عبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف .

(قوله بمعنى الذي) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول وجمله يدعون صلتها وللوصول وصلته معمول ليعلم (قوله أي يفهمها) أي يفهم صحتها وفائدتها (قوله إلا العالمون) خصهم لأنهم للنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك إلى أن الباء في بالحق للالاسة. والجار والمجرور حال (قوله خصوصا بالذکر) جواب عما يقال إن في خلق السموات والأرض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى إليك) أي ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأنتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أي دم على إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها فانها همد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والحطاب للنبي والمراد هو وأتمه بدليل مدحهم في آية إن الدين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأذقوا مما رزقناهم سرا وعلاوية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي الواظبة عليها تكون سببا في تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا استوفيت شروطها وآدابها لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والعنوى وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدي الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه وأنه مطلع عليه يراه فينشئ يظهر على جوارحه هيئتها وقوله مادام المرء فيها هذا أحد قولين والتول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات لما روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فوصف للنبي (٢٢٣) صلى الله عليه وسلم حاله فقال

إن صلاته ستهناه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ، وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال لى واقف بين يدي الله تعالى وحق لى هذا مع ماورك الدنيا فكيف مع ملك الملوك . وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بأن كانت لاخشوع فيها ولا تذكر

ما بمعنى الذي (يذعون) يبعدون بالياء والتاء (من ذونيه) غيره (من شيء) وهو التزير في ملكه (الحكيم) في صنعه (وذلك الأمثال) في القرآن (نصرها) نجماها (للناس وما يعقلها) أي يفهمها (إلا المتأمنون) المتدبرون (حاق الله السموات والأرض بالحق) أي محقا (إن في ذلك آية) دلالة على قدرته تعالى (للمؤمنين) خصوصا بالذکر لأنهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين (اتل ما أوحى إليك من الكتاب) القرآن (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) شرعا: أي من شأنها ذلك مادام المرء فيها (ولذكو الله أكبر) من غيره من الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) فيجازيكم به (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي) أي المجادلة التي (هي أحسن) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حجبته (إلا الذين ظلموا منهم) بأن حاربوا وأبوا أن يقرروا بالجزية فجادلواهم بالسيف حتى يسلموا

فانها لا تكون سببا في نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ما هو عليه من البعد لما ورد من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزد من الله إلا بعدا (قوله ولذكو الله) أي بسائر أنواعه أصعب أي أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن أبي البرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال إذا كان الله كثيرا أفضل منه درجة» فالدكر أفضل الأعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكروا يأمرهم بالاكثر منه فتثور قلوبهم (قوله واقه يعلم ما تصنعون) أي من خير وشرف فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) أي لاتدعومهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون ، وقوله إلا الذين ظلموا أي فادعومهم إلى دين الله بالاغلاظ والشدة ولانلومهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى فأنلوا الدين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بأن حاربوا الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع عما يلزمهم شرعا فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار .

(قوله ومنه حالى وحالكم) أى من جملة ما فى السموات والأرض (قوله والذين آمنوا بالباطل) أى خسروا وهبوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان (قوله ولولا أجل مسمى له) أى للعذاب (قوله وليأتينهم بنتة) أى كرقعة بدر فانها أتتهم على حين غفلة (قوله وهم لا يشعرون) أى لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلاً (قوله ويستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فظنتهم ومن تعنتهم ، والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لامفر لهم منها (قوله يوم ينشأ العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال : أى استحيط بهم فى ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للاحاطة وهو معنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - (قوله أى نأمر بالقول) إنما أوله جمعا بين ما هنا وبين قوله فى الأخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يا عبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام فى مكة كما قال المفسر والإضافة لتشريف المضاف (قوله فايأى فاعبدون) (٢٢٥) إيأى منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله كانوا

فى ضيق الخ) أى فوسع الله لهم الأمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فى بلد فعليه أن يهاجر منها لئلا يتيسر له فيها لقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - فالهم العبادة فى أى مكان يتيسر ولا يعول على مكان فى الدنيا لأنهادار عمر لامقر والسار فى طريق لا يعول على مسكن ولا قرار فى طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) أى لا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فى تخويفهم

بصدق (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنه حالى وحالكم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وَكَفَرُوا بِاللَّهِ) (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَهُ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) عاجلاً (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بِنَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) فى الدنيا (وَأَن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يَوْمَ نَفَسِهِمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ) (يَا بَالِدِينَ) أى نأمر بالقول ، وبأياى أى يقول الموكل بالعذاب (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَزْمُونَ) أى جزاءه فلا تقوتوننا (يَا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِن أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَايَأى فاعبدون) فى أى أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها . نزل فى ضفء مسلى مكة كانوا فى ضيق من إظهار الإسلام بها (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بالثناء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) تنزلهم وفى قراءة بالثلثة بدالنون من الثواء : الإقامة وتصديته إلى غرباً بمحذف فى (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ بَقَاؤُكُمْ) فيرزقهم من حيث لا يحسبون (وَكَأَيِّنْ) كم (مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضفءها ،

من الموت لون مفارقة الاوطان تهون عليهم فان من أيقن بالموت هان عليه كل شىء فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه ذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفى قراءة بالثلثة) أى الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفاً على هذه القراءة إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين مئوى معنى نزل فينتدى لاثين (قوله تجرى من تحتها) أى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين فيها حال مقدره ، أى أنهم حين الدخول يقترون الخلود لأنه أتم فى النعيم لسماعهم النداء من قبل الله : يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت للعاملين أو خير المحذوف كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بهادار ولا مال فمن يظمنهاها ويسقينا ، وقوله لا تحمل رزقها : [٢٩ - صاوى - ثالث] أى لا تدخره لئلا يهايم والطير . قال سفيان بن عيينة : ليس شىء من الخلق

يخبأ إلا الإنسان والفأرة والحية (قوله الله يرزقها وإياكم) أى فلا فرق بين الخريص والشوكل والضعيف والقوى فى أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى . قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا هى رزقنا الله رزقنا ويعلم مستورها ومستودعها كل فى كتاب مبين - فينبى للانسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولا ينافى هذا أخذه فى الأسباب لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها فالأسباب لا تنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أى كفار مكة (قوله من خلق السموات والأرض الخ) أى فى جانب السموات والأرض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير إشارة إلى أن الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان هما قولم العالم بخلاف السموات والأرض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فأتى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أى فلا تركز لغيره فليس مالكاً لضرو ولا تقع (قوله فأحيا به) أى بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أى جدبها وقحط أهلها (قوله فكيف يشركون به) أى بعد إقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أى والأقل (٢٣٦) يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وما هذه الحياة الدنيا) أشار

(اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا حقة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بضائر كم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) أى الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيدى بعد إقرارهم بذلك (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع (لِيَنْ يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيق (لَهُ) بعد البسط أى لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ اللهُ يَكُلُّ شَيْءَ عَالِمٌ) ومنه محل البسط والتضييق (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللهُ) فكيف يشركون به (قُلْ) لهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ثبوت الحجة عليهم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) تناقضهم فى ذلك (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَثَلِ اللَّيْلِ) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وَإِنَّ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثموا الدنيا عليها (فَأِذَا رَكَبُوا فِي السَّمَاءِ دَعَا اللهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدماء أى لا يدعون معه غيره لأنهم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا تَجَمَّعُوا إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (وَلِيَتَمَتَّعُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفى قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (أُولَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّا جَعَلْنَا) بلادهم مكة (حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا) قتلاً وسلباً دونهم ،

بذلك إلى أن الله نياحقة لا تزن جناح بعوضة فينبى للعالم التجافى عنها ويأخذ منها بقدري ما يوصله للآخرة . قال بعض العارفين : تأمل فى الوجود بسين فكر تر الدنيا الدنية كالحياض ومن فيها جميعا سوف يضى ويبقى وجه ربك ذو الجلال (قوله إلهو ولعب) اللهو الاشتغال بما فيه تنوع عاجل واللعب الاشتغال بلا نفع فيه أصلا (قوله وأما القرب) أى كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله

بمعنى الحياة) أى الهامة الخالدة التى لازوال فيها (قوله ما آثموا الدنيا) (أقبالباطل)

عليها) جواب لو : أى ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فإذا ركبوا فى السماء) أى وذلك أن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله إذا هم يشركون) جواب لما ، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وقدمهم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصبورة ، وقوله وليتمتعوا عطفاً عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) أى فهما قراءتان - بعيتان (قوله أمر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد الرب عليهم بقوله : فسوف يعطون ! فالجاء فى أنه إذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للامر فى الفعلين وإن لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصبورة (قوله أولم يروا) المهزلة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله ويتخطف الناس) الجملة حاوية على تقدير لم يتد : أى وهم يتخطف الخ .

(قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله والذين جاهدوا فيما تهديتهم سبلنا) قال القسرون إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية ، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس . قال الحسن : الجهاد مخالفة الهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم تهديتهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا في طاعتنا تهديتهم سبل ثوابنا ، وقيل والذين جاهدوا فيما علموا تهديتهم إلى ما لم يعملوا لما في الحديث « من عمل بما علم الله علم الله علم ما لم يعلم » (قوله لتهديتهم سبلنا) أي طرق الوصول إلى مرضاتنا بالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية وعمارتها الحقيقية وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى - وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا - (قوله لمح الحسين) فيه إقامة الظاهر مقام الضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان ، والمعنى وإن الله لهم بالعون والنصر والمجبة فهي مجبة خاصة ، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « فإذا أحييته كنت سمعه الذي يسمع به » الحديث

[سورة الروم] مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان ، وظاهر الفسر أن كلها مكي وقيل لإقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون - الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تنبؤ أن هذا أصح التفسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم حذها وهو روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم ومعى عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن فصد خروجهما تراهما وأراد كل أن يخرج قبل الآخر ، فقال عيصو ليعقوب إن لم أخرج قبلك وإلا خرجت من جنبها (٢٢٧) فتأخر يعقوب شفقة منه ،

فلهدنا كان أبا الأنبياء

وعيصو أبا الجبارين

وسبب نزول هذه الآية

أنه كان بين فارس والروم

قتال وكان المشركون

يودون أن تغلب فارس

الروم لأن فارس كانوا

مجوسا أميين وللسلمون

يودون غلبة الروم

على فارس لكونهم

أهل كتاب فبث كسرى

جيشا إلى الروم واستعمل

(أَقْبَالَ بَاطِلِ) الضم (يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) بإشراكهم (وَمَنْ) أى لأحد (أظلم ممن أفترى على الله كذبا) بأن أشرك به (أو كذب بالحق) النبي أو الكتاب (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) أى فيها ذلك وهو منهم (والذين جاهدوا فينا) في حقتنا (لتهديتهم سبلنا) أى طرق السور إلينا (وإن الله لمح المحسنين) المؤمنين بالنصر والعون .

(سورة الروم)

مكية ، وهي ستون أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ) الله أعلم بمراده بذلك (خُطِبَتِ الرُّومُ) ،

عليهم رجلا يقال له شهر يزان و بئث قيصر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بجنس ، فالتقيا بأذرعان وبصرى وهى أدنى الشام إلى أرض العرب والجمجم فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر لإخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم إن قاتلتمونا لتظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال : فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أبى بن خلف الجحفي وقال كذبت ، فقال له الصديق أنت أ كذب يا عدو الله ، فقال اجل أجلا أنا حبيك : أى أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر ، فقال أبى إن ظهرت الروم على فارس فرمت ذلك وإن ظهرت فارس على الروم فرمت لي ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين ، فجاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزياده في الخطر ومادده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبا ، فقال لعلك ندمت ؟ فقال لا . قال فقال أزيدك في الخطر وأمادك في الأجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين ، وقيل إلى سبع سنين ، فقال قد فعلت ، فلما خشى أبى بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا ، فكفله ابنه عبد الله بن أبى بكر ، فلما أراد أبى بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبى بكر فلزمه وقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا

فأهبطه صهيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحه التي جرحة النبي صلى الله عليه وسلم إياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم ، وقيل كان يوم بدر ووربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وصموها رومية فأخذ أبو بكر مال الحظر من ورثته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله هم أهل كتاب) أي نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل كتاب أي بل هم مجوس فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يصدون الأوثان) أي التي من جعلتها النار (قوله وقالوا للسليخ الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أي فأدنى أفضل تفضل وأل عوض عن المضاف إليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وحمله سيفلون خبره (قوله في بضع سنين) متعلق بيفلون وهو على (٢٢٨) حذف مضاف أي في انتهاء بضع سنين ، وأبهم البضع لإدخال الرعب

والخوف عليهم في كل وقت (قوله فالتسقى الجيشان في السنة السابعة من الانتقاء الأول) أي يوم بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الأمر) أي لانتيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة بيناء قبل وبعده على الضم

وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يصدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للسليخ نحن تغلبكم كما غلبت فارس الروم (في أدنى الأرض) أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التي فيها الجيشان والبادي بالفرس (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدر إلى المفعول أي غلبة فارس إياهم (سيفلون) فارس (في بضع سنين) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الانتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل غلب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي إرادته (ويؤتى) أي يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلوا به يوم وقوعه يوم بدر بنزل جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصرون من يشاء وهو العزيز) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين (وعاد الله) مصدر بدل من اللفظ بعمله والأصل وعدم الله النصر (لا يخاف الله وعدة) به (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) أي ما يشاهدونها من التجارة والزراعة والبناء والنراس وغير ذلك (وهم من الآخرة هم غافلون) إعادة تأكيدهم ،

(أولم)

لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أي من قبل غلب الروم) أي من قبل كونهم غالبيين

وقوله ومن بعده أي من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم . وحاصل الجواب أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوبا أن يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أي يوم تغلب الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أي فاستبشروا المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلوا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا أحد قولين وهو مبنى على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل يوم الحديبية بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) أي مؤكدا لضمون الجملة التي تقدمت وعملة محذوف أي وعدهم الله وعدا (قوله به) أي النصر (قوله لا يعلمون) أي لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أي الأكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) أي وأما باطنا منها وهو كونها مجازا إلى الآخرة يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله إعادة) أي لفظهم .

(قوله أولم يتفكروا) الهمة داخلة على محذوف والولو عاطفة عليه والتقدير اعلموا ولم يتفكروا (قوله إلا بالحق) أي بالحكمة
 لأعينا (قوله تفتي عند انتهائه) أي تنعدم السموات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل (قوله بقاء ربهم) متعلق
 بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر إن (قوله أولم يسبوا في الأرض) الهمة داخلة على محذوف
 والواو عاطفة عليه والتقدير أقعدوا ولم يسبوا والاستهتام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على
 مسبب لأن السبب سبب للتفكير (قوله وأثاروا الأرض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثاروا بألف بعد الهمة (قوله
 أكثر مما عمروها) نعت لصدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يذعنوا لها
 بل كذبوا بها (قوله فما كان الله ليظلمهم) أي يعاملهم معاملة ملك (٢٢٩) ظالم جبار بل معاملة ملك عدل

رحيم ، وعلى فرض
 أخذهم من غير جرم
 لا يكون ظالما إذ لا مشارك
 له في خلقه ولكن من
 فضله تعالى ألزم نفسه
 ما لا يلزمه (قوله ثم كان
 عاقبة الذين أساءوا
 السوأي) بيان لعاقبة
 أمرهم إثر بيان حالهم في
 الدنيا (قوله خبر كان
 على رفع عاقبة) أي
 وعاقبة اسمها وهي مضافة
 لموصول وأساءوا صلته
 والسوأي صفة لموصوف
 محذوف أي المجازاة
 السوأي وهي جهنم خبر
 كان وقوله واسم كان
 على نصب عاقبة أي
 فالسوأي اسم كان مؤخر
 وعاقبة خبر كان مقدم
 وعلى كل ففوله أن
 كذبوا خبر لمحذوف

(أولم يتفكروا في أنفسهم) ليرجعوا عن غفلتهم (ما خلق الله السموات والأرض
 وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) لذلك تفتي عند انتهائه وبعدة البعث (وإن كثير من
 الناس) أي كفار مكة (بإلقاء ربهم لكافرون) أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (أولم
 يسبوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم وهي إهلاكهم
 بتكذيبهم رسلهم (كانوا أشد منهم قوة) كعاد ونمود (وأثاروا الأرض) حرونها وقلبوها
 للزرع والفرس (وعمروها أكثر مما عمروها) أي كفار مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات)
 بالحجج الظاهرات (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم
 يظلمون) بتكذيبهم رسلهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأي) تأنيث الأسوا الأقيح
 خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم (أن) أي بأن
 (كذبوا بآيات الله) القرآن (وكانوا بها يستهزئون) الله يبدؤوا الخلق) أي ينشئ خلق
 الناس (ثم يبيده) أي خلقهم بعد موتهم (ثم إليه ترجعون) بالثناء والياء (ويوم تقوم
 الساعة يئس المجرمون) يسكت المشركون لاقطاع حجتهم (ولم يكن) أي لا يكون
 (لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفوا لهم (شفعوا وكانوا) أي
 يكونون (بشركائهم كافرين) أي متبرئين منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ) تأكيد
 (يتفرقون) أي المؤمنون والكافرون (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في
 روضة) جنة ،

تقديره وإساءتهم إن كذبوا فهي جملة مستأنة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوأي ، وهذا ما اختاره المفسر من
 أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والمراد بها) أي السوأي (قوله أي بأن
 كذبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهي السببية (قوله لله يبدؤوا الخلق) عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء
 متجدد شيئا فشيئا مادامت الدنيا (قوله أي ينشئ خلق الناس) أي يظهرهم من العدم (قوله بالثناء والياء) أي فهما قراءتان
 سبعتان (قوله ويوم تقوم الساعة) أي وهو يوم الإعادة (قوله يسكت المشركون) أي عن جواب يدفع عنهم العذاب
 (قوله أي لا يكون) أشار بذلك إلى أن الماضي يعني المضارع لأن النقي بل ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين
 (قوله : كيد) أي لنظي (قوله أي المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولا - الله يبدؤوا الخلق ثم يبيده -
 (قوله فهم في روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق وفضرة .

(قوله يجبرون) أي يكرمون وينعمون بما تشبهه الأفس وتلق الأعين . روى « أن في الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما تواتوا طربا » (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله : فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أي كالجنة والنار (قوله محضرون) أي حاضررون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أولا أنه يبدو الخلق ويعيده وأن الخلق يكونون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ذكر هنا أنه منزه عن النقائص إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) إما فسر التسبيح بالصلاة لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أي تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن تمسون وتصبحون فعلان تامن (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس ، وحسبها باله كرون سائر العبادات لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أي بين المظوف والمظوف عليه ، والحكمة في ذلك الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة يهبها أن يحمدها عليها (٢٣٠) (قوله وكذلك تخرجون) أي فالقدر على إخراج الحي من الميت

وعكسه وإحياء الأرض
فأدر هل إحياء الخلق
بعد موتهم ففي ذلك رد
على منكري البعث
(قوله للفاعل والمفعول)
أي فهما قراءتان سبعيتان
(قوله ومن آياته أن
خلقكم من تراب) شروع
في ذكر جملة من الآيات
الدالة على وحدانيته
سبحانه وتعالى وذكر
لفظ : ومن آياته ست
مرات تنهى عند قوله :
إذا تم تخرجون وإبتدأه
بذكر خلق الانسان ثم
بخلق العالم علويا وسفليا

(يُجْرَبُونَ) يسرون (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلَقَدْ آتَيْنَا الْآخِرَةَ) البعث وغيره (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أي سبحوا الله بمعنى صلوا (وَحِينَ تُمْسُونَ) أي تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والمشاء (وَحِينَ تُمْسُونَ) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلها (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطارئ من البيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ) بالنبات (بِمَدِّ مَوْتِهَا) أي يبسها (وَكَذَلِكَ) الإخراج (تُخْرِجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) أي أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنْتَشِرُونَ) في الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) خلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتأفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ) جميعاً (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله تعالى.

إشارة إلى أن الانسان هو المنتفع بها ، والحكمة في ذكر تلك الآيات ليتهدى بها من أراد الله هدايته (ومن) وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله أي أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لأن النطفة ناشئة من الغذاء وهوناشي من التراب- (قوله ثم إذا أتم بشر) هبر ثم إشارة إلى تراخي أطواره لكونه أولا نطفة ثم هلقة ثم مضنة إلى آخر أطواره وأتى بعدها باذا الفجائية إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل وإن كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أي زوجات (قوله من ضلع آدم) أي الأيسر القصير وهوناشي فلما استيقظ ورآها مال إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى بهرها فقال وما بهرها فقيل له أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أي باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد ، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فأذاتخلف هذا الأمر بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء اللودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) أي ذأماون في تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان بها إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة ثم جعله بشرا - سوا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنسية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة ، فإذا أولاد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فإذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سوا وغير ذلك من أنواع التفكرات

كَمَا تَأْمَلُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي زِيَادَةِ مَعْرِفَةِ وَأَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ وَهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَفِيِّينَ لِقَوْلِهِ الْجَمَاعُ رَبِّمَا كَانَتْ مِنْ أَبْوَابِ
الرَّصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْهُ مَارُودِي «حَبِبٌ إِلَى مَنْ دُنِيََاكُمْ ثَلَاثُ نِسَاءٍ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (قَوْلُهُ وَمِنْ آيَاتِهِ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) أَيْ إِشْأَوْهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ (قَوْلُهُ أَيْ لِفَاتِكُمْ) أَيْ بَأَنَّ خَلَقَ فَيْكُمْ عَلَمَا ضَرُورًا يَتَفَهَمُونَ بِهِ
لِفَاتِكُمْ وَلِنَاتٍ بِمَعْضُكُمْ عَلَى اخْتِلَافِهَا (قَوْلُهُ وَالْوَانِكُمْ) أَيْ جِغَامِكُمْ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً مِنْكُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَالتَّوَسُّطُ وَغَايِرُ بَيْنِ
أَشْكَالِكُمْ حَتَّى إِنْ التَّوَامِينَ مَعَ تَوَافُقِ مَوَادِمَا وَأَسْبَابِهَا يَخْتَلِفَانِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَا فِي غَايَةِ التَّشَابُهِ وَإِنَّمَا قَرْنُ هَذَا
يَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنْ كَانَ مِنْ جَمَلَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ آيَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الصَّانِعِ (قَوْلُهُ بِفَتْحِ
الْلامِ وَكسْرِهَا) أَيْ فِهْمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ (قَوْلُهُ أَيْ ذُو الْعُقُولِ وَأَوَّلَى الْعِلْمِ) أَيْ وَهْمُ أَهْلِ الْعِرْفَانِ الَّذِينَ لِاتَّحَبُّهُمْ المصنوعات
هِنَّ صَانِعَهَا بَلْ يَشْهَدُونَ الصَّانِعَ فِي المصنوعات . قَالَ الْعَرَفِيُّ :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ (قَوْلُهُ مِنْكُمْ بِاللَّسْلِ (٢٣١) وَالنَّهَارِ) قِيلَ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمُ

وَأَخِيرُ وَالتَّقْدِيرُ وَمِنْ
آيَاتِهِ مِنْكُمْ بِاللَّيْلِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ
حَذْفُ حَرْفِ الْجِرَالِ تَصَالِهِ
بِاللَّيْلِ وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَبْقَى
عَلَى حَالِهِ وَالتَّوَمُّ بِالنَّهَارِ مِنْ
جَمَلَةِ النَّمِّ لِأَسْبَابِ فِي أَوْقَاتِ
الْقَيْلُولَةِ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ
(قَوْلُهُ بِإِرَادَتِهِ) أَيْ فَلَا
قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى اخْتِلَافِهِ
(قَوْلُهُ رَاحَةٌ لَكُمْ) أَيْ
مِنْ آثَارِ التَّعَبِ الْحَاصِلِ
لَكُمْ (قَوْلُهُ لِقَوْمِ
بِسْمَعُونَ) غَايِرِينَ رَهْوسٍ
لَا يَتَفَنَّنُونَ فَانْ أَهْلَ الْعَقْلِ
هُمْ أَهْلُ الْفِكْرِ وَالسَّمْعِ
(قَوْلُهُ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْبِكُمْ
الْبَرْقِ) الْجَارُ وَالْمُجْرُورُ خَبِرٌ
مُقَدَّمٌ وَيَرْبِكُمْ مَوْوَلٌ

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتِلَافُ السِّفَتِكُمْ) أَيْ لِفَاتِكُمْ مِنْ عَرَبِيَّةٍ
وَعَجَبِيَّةٍ وَغَيْرِهَا (وَالْوَانِكُمْ) مِنْ بِيَاضٍ وَسَوَادٍ وَغَيْرِهَا وَأَتَمُّ أَوْلَادِ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى (لِلْعَالَمِينَ) بِفَتْحِ اللّامِ وَكسْرِهَا: أَيْ ذُو
الْعُقُولِ وَأَوَّلَى الْعِلْمِ (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالتَّوَمُّ بِالنَّهَارِ) بِإِرَادَتِهِ رَاحَةٌ لَكُمْ (وَأَبْتِغَاؤُكُمْ)
بِالنَّهَارِ (مِنْ فَضْلِهِ) أَيْ تَصَرُّفِكُمْ فِي طَلْبِ الْعَيْشَةِ بِإِرَادَتِهِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمِ
سَمِعُونَ) سَمَاعٌ تَدْبِرُ وَعَاتِبَارٌ (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْيِكُمْ) أَيْ إِرَاءَتِكُمْ (أَبْرَقَ حَوْفًا) لِلْمَسَافِرِ
مِنَ الصَّوَاغِقِ (وَطَمَمًا) لِلْمَقِيمِ فِي الْمَطَرِ (وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا) أَيْ يَبْسُهَا بِأَنَّ تَنْبَتَ (إِنَّ فِي ذَلِكَ) الْمَذْكُورِ (لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ) يَتَدَبَّرُونَ
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بِإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) بِأَنَّ يَنْفِخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ لِلْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ)
مِنْهَا أَحْيَاءٌ فَخَرُجْكُمْ مِنْهَا بَدْعَةٌ مِنْ آيَاتِهِ تَعَالَى (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَلَكًا
وَخَلْقًا وَعَبِيدًا (كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ) مُطِيعُونَ (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ) لِلنَّاسِ (ثُمَّ يُعِيدُهُ)
بَعْدَ هَلَاكِهِمْ (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ) مِنَ الْبَدَأِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ أَسْهَلُ
مِنْ ابْتِدَائِهِ وَإِلَّا فَهَذَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءٌ فِي السَّهُولَةِ (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

بِمَصْدَرٍ مُبْتَدَأٍ مُؤَخَّرٍ وَحَدَفَتْ أَنْ مِنَ الْعَمَلِ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَهَكَذَا يُقَالُ فِيمَا تَقَدَّمَ وَمَا بَاقِي (دُونَهُ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)
أَيْ تَنْبَتَ وَتَسْتَقِرُّ (قَوْلُهُ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ) بِفَتْحِ نِاسِمِ جَمْعِ لِعَمُودٍ وَقِيلَ جَمْعُهُ أَوْضُمَتَيْنِ جَمْعُ عَمُودٍ كَرَسَلٍ وَرَسُولٍ (قَوْلُهُ مِنَ الْأَرْضِ)
مَتَعَلَّقٌ بِدَعَاكُمْ (قَوْلُهُ فِي الصُّورِ) أَيْ نَفْخَةُ الْبَعثِ فَتَخْرُجُ مِنْهُ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا لِأَنَّ فِيهَا طَاقَاتٍ بَعْدَ الْأَرْوَاحِ فَتَجْتَمِعُ فِيهِ
ثُمَّ تَخْرُجُ بِالنَّفْخَةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَلَا تَخْطِي رُوحُ جَسَدِهَا (قَوْلُهُ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) عِبْرَةٌ فِي ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بِثَمَّ حَيْثُ قَالَ ثَمَّ إِذَا
أَتَمَّ بَشَرٌ تَنْفُسُونَ وَتَرْكُهَا هُنَا لِأَنَّ مِنْ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ تَحْصُلُ الْمَهْلَةُ وَالتَّرَاخِيُّ لِكُونِهِ عَلَى أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ يَخْتَلِفُ الْإِعَادَةُ فَلَا تَلْرِيحُ
فِيهَا بَلْ تَحْصُلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً (قَوْلُهُ مُطِيعُونَ) أَيْ لِأَفْعَالِهِ طَاعَةٌ انْقِيَادٌ لِطَاعَةِ عِبَادَةِ وَقِيلَ الْمَعْنَى قَائِمُونَ لِلْحِسَابِ وَقِيلَ مَقْرُونٌ بِالْعِبُودِيَّةِ
إِمَّا بِاللَّسَانِ أَوْ الْحَالِ (قَوْلُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْإِعَادَةِ لِلْفَهْمَةِ مِنْ قَوْلِهِ يُعِيدُهُ وَذَكَرَ الضَّمِيرُ مَرَاةً لِلخَبَرِ (قَوْلُهُ
بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ) أَيْ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ عَقُولُهُمْ لِأَنَّ مِنْ أَعَادَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَسْهَلَ مِنْ إِشْأَائِهِ
وَهُوَ جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ إِنْ أَفْعَالَ اللَّهِ كُلِّهَا مُتَسَاوِيَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَأَجِيبُ أَيْضًا بِأَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ فَأَهْوَنُ بِمَعْنَى هَيْنٍ .

(قوله أي الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أي للرفعة التنزهة عن كل نقص (قوله وهي لله لا إله إلا الله) أي فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولولزمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) أي صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كأننا من أنفسكم) أشار بذلك إلى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة وبما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعية فتحصل أن من الأولى ابتدائية والثانية تبعية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أي ملكناكم وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا المثل أن يقال إذا لم يصح أن تكون ممالئكم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالأولى جعل بعض ممالك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيه سواء) أي مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم تخيفتكم أنفسكم) من جملة النقي فهو مرتب عليه فالمراد نقي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم تخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم ممالك لكم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض ممالك الله (قوله بمعنى النقي) أي فهو استفهام إنكارى (قوله لقوم يعاقبون) أي فهذا المثل (٢٣٢) إنما ينفع العاقل الذي يتدبر الأمور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضرب

أى الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه (ضرب) جعل (لكم) أيها المشركون (مثلا) كأننا (من أنفسكم) وهو (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أي من ممالككم (من شركاء) لكم (فبما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأنتم) وهم (فيه سواء تخافونهم تخيفتكم أنفسكم) أي أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النقي، المعنى ليس بممالككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض ممالك الله شركاء له (كذلك فصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعاقبون) يتدبرون (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله) أي لاهادى له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأنتم) يا محمد (وجحك للدين حنيفا) ماثلا إليه أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التي فطر الناس عليها) وهي دينه أي الزمواها (لا تبدل خلق الله) أي لا تبدلوه بأن تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة ،

هما ذكر أولا إشارة إلى أنهم لاجبة لهم في الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لاهادى له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النقي (قوله فأنتم وجحك) شروع في نسيته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا في الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمة (قوله

(لا يعلمون)

فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزمواها وهي رسم بالتاء المجرورة وليس

في القرآن غيرها وقوله وهي دينه أي دين الاسلام ، وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم ألتبر بكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» وهذا غير ماسبق في علم الله وأما هو فعلم أن قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق في علم الله إيمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق في علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وإن كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم أنت ومن تبعك الفطرة التي فطرك ربك عليها وهي التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة في معنى الفطرة وقيل المراد بها الحلقة الأصلية التي ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة وإلى ما يصبرون إليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الحلقة والطبيعة التي في نفس الطفل يكون بها مهيا لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق أسمعهم وأبصارهم قابلة للسموعات والمبصرات فدامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه الإساسوس للشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من آدم قبل بلوغه في الجنة وإن كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الأول (قوله أي لا تبدلوه) أشار بذلك إلى أن قوله لا تبدل خلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك .

(قوله لا يعلمون توحيد الله) أي بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أي وما بينهما اعتراض (قوله وما أريد به) أي بالحطاب فانه أريد به عهد ومن تبعه (قوله أي أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أي فأهل السعادة فرحون بسعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان نظرهم أنهم على حق (قوله وفي قراءة فارقوا) أي وهي سعية أيضا (قوله وإذا مس الناس) إذا شرطية وجوابها قوله : دهوا ربهم. وقوله أي كفار مكة خص ذلك بهم لأنه سب الغزول وإلا فالعبرة بهموم اللفظ (قوله إذا فريق) إذا جائية قائمة مقام الفاء فهي رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أي فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع على حد : أعمالوا مثلثم (قوله عاقبة تتمكم) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) (٢٣٣) أي إلى الحطاب لأجل المبالغة

في زجرهم (قوله بمعنى همزة الإنكار) أي فهي منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وبل (قوله فهو يتكلم) داخل في حيز النفي (قوله أي يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والأحسن أن يجعلها موصولة أي بالأمر الذي كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أي عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبها تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصر فرفها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكتسرها سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أي من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أي لأنه يشهد أنه لا كاشف

(لَا يَعْلَمُونَ) توحيد الله (مُنْبِئِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا (وَأَتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بدل بعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيئًا) فرقا في ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أي كفار مكة (ضُرًّا) عدة (دَهَوَا رَبَّهُمْ مُنْبِئِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) بالطر (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ (أريد به التهديد) (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَسْتَلُونَ) عاقبة تتمكم ، فيه التفات عن الغيبة (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة وكتابا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أي يأمرهم بالاشراك ؟ لا (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرِحُوا) بها (فَرِحَ بَطْر) (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) يياسون من الرحمة ، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يملوا (أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) بضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها (فَأَتَى ذَا الْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَاللِّسْكَينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة ، وأمة النبي تبع له في ذلك (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أي ثوابه بما يعملون (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ رَبًّا) بأن يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه ،

لها غيره ولا ربح سواه (قوله امتحانا) أي اختبارا لينظر أشكر أم بطى (قوله ابتلاء) أي فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فأتى ذا القربى حقه) هذه الآية في صدقة التطوع لافي الزكاة الواجبة لأن السورة مكية والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبوحنيفة من الآية أن النفقة على الأرحام مھوما واجبة على القادر وعند مالك والشافعي النفقة على الأصول والفروع واجبة وما عدا ذلك مندوب (قوله وأمة النبي الخ) أشار بذلك إلى أن الأمر وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد هو وأمته (قوله وأرثك هم المفلحون) أي الظافرون بمقصودهم (قوله وما آتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بأن تعطى شيئا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب وهي أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهي مكروهة في حقنا ، وأما في حقه صلى الله عليه وسلم لمحرمة أقوله تعالى : ولا تمنن تستكثر ، والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وان لم يشترط عليه فلا يلزمه إلا الدفع قيمتها إن كان مطلقا [٣٠ - صاوى - ناك]

فمن يطلب الثواب من اللهب له لامن نحو غنى لتغير (قوله فسمى) أي العطي وهو الهدية (قوله باسم الطوبى) أي الهدى يأخذ من الهدى إليه في مقابلة ما أعطاه (قوله في أموال الناس) أي في تحصيلها (قوله المعطين) أي الآخذين للهبة والهدية (قوله أي لأنواب فيه للمعطين) أي الدافعين لما ذكر فالأول اسم مفعول والثاني اسم فاعل (قوله صدقة) أي صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق (قوله هم الضعفون) أي الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفتت عن الخطاب) أي نظمتها لهم أو قصدا للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم الضعفون (قوله الله الذي خلقكم) جملة من مبتدأ وخبر وهي تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل مبتدأ مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بحذوف حال من شيء لكونه نعت : ككرة تقدم عليها ومن شيء مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذي يفعل شيئا من ذلكم من شركائكم واسم الإشارة يورد هل ما ذكر من الأمور الأربعة وهي الخلق والرزق والإماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ما قبله أي فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له في شيء منها فالواجب تسبيحه وتزيينه عن كل نقص (قوله أي القفار) بكسر القاف جمع (٢٣٤) قفر وهي الأرض التي لاماء بها ولا نبات ، وأما القفار بفتح القاف فهو

الجزء الذي لا آدم معه (قوله بقطح المطر) أي منعه من النزول (قوله أي البلاد التي على الأنهار) وقيل إن قلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الأصداف وتسمى دوابه فإذا أمطرت السماء تفتتح الأصداف في البحر فتوقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كسبهم (قوله من المعاصي)

فسمى باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة (لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) للمعطين أي يزيد (فَلَا يَرْبُوا) يزكو (عِنْدَ اللَّهِ) أي لأنواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجَهَّ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه ، فيه التفتت عن الخطاب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) ممن أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ)؟ لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) أي القفار بقطح المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أي البلاد التي على الأنهار بقلة ماؤها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصي (لِيَذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بِمَضَّ الَّذِي حَمَلُوا) أي عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَ تَشِيعَدُّعُونَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد

يتفرقون

أي ومبدؤها قتل قابيل هاويل لأن الأرض كانت قبل ذلك نصرة مشمرة

لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الأسد لا يصول على الفئمة ونحوها فلما قتله اقتسرت الأرض ونبت الشوك في الأشجار وصار ماء البحر مالحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا) اللام للعاقبة والاصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجب وكثر والإفلاصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكبير سينئات (قوله أي عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي وهي الدمار والهلاك إن لم يتوبوا وكذلك يحمل بكفار مكة إن لم يتوبوا ، قال تعالى : كذلك نجزي الظالمين (قوله فأقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمنه ، والمعنى ابذل همته في دين الاسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) أي وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل إنسان يلقي جزاء ما عمله قبل ذلك ، قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها خبرة ترهقها قفرة (قوله من الله) متعلق بياتي (قوله يومئذ يصدعون) الثنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يأتي هذا اليوم (قوله فيه إدغام التاء الأصل في الصاد) أي فأصله يتصدعون أبدلت التاء صاد وأدخمت في الصاد .

(قوله يتفرقون بعد الحساب) أى عند صماع قوله تعالى - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - (قوله وبال كفره) أجاز بفلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تهبأ النازل في الجنة (قوله متعلق بيصعدون) أى والتقدير يتفرقون ليجزى الدين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) أى الشمال والسماء والجنوب فانها رياح الرحمة ، وأما الدبور فهي ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعضية : أى بعض رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبارة بموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلا) هذه الآية معترضة بين الآيات المنفصلة والمفصلة لأن قوله - الله الذى يرسل الرياح - تفصيل لقوله (٢٣٥) ومن آياته أن يرسل الرياح

وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فاتقنا من الذين أجمعوا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان فعل ماض ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا أو محذوف صفة وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما أجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزججه) أى تهيجه وتحركه (قوله فيسطة في السماء) أى ينشره في جهتها متصلا

يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار (مَنْ كَفَرَ فَمَكِئِهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يوطئون منازلهم في الجنة (لِيَجْزِيَ) متعلق بيصعدون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى يعاقبهم (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيَذِيقَكُمْ) بها (مِنْ رَحْمَتِهِ) المطر والحصب (وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ) السفن بها (بِأَنْوَارِهِ) بإرادته (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة في البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحده (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَصْبَحُوا) أهلكتنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُمْثِرُ مَحَابِلًا) تزججه (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْمَعُهُ كِسْفًا) بفتح السين وسكونها : قطعا متفرقة (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بَدَنًا) بالودق (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بالمطر (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ) تأكيد (لِلْمُبْلِغِينَ) آيسين من إنزاله (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ) وفي قراءة آثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ) المحي الأرض (لَخِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (وَلَمَّا) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) لظلوا (صاروا جواب القسم) (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة بالمطر

بعضه بعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمتوح جمع كسفة والسكن مخفف الفتح فقوله قطعا تفسير اللوجين (قوله إذا هم يستبشرون) إذا غابته ، والمعنى فاجأهم الفرج (قوله وإن كانوا) فسر إن بقدر تبعنا لغيره فالواو للحال وقد للتحقيق و بعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام في لمبسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد) أى إشارة إلى أنه أمام الفرج بعد تمادى بأسهم (قوله فانظر إلى أثر رحمة الله) أى ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وآثارها وبهجتها ونضارتها (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله مضرة) أى وهي ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) أى بعد خضرته (قوله جواب القسم) أى وقد ستمسدت جواب الشرط للقاعدة العلامة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب للتأخر منها (قوله يجحدون النعمة) أى فسأتهم بفرحون عند الحصب فاذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جعلوا سابقى نعمة الله عليهم

(قوله أي لا تركه) أي لا ترك الصبر بسبب تكذيبهم وإفهامهم [سورة لقمان مكة] مبتدأ وخبر سميت بذلك
 لذكر قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما في الأرض الخ) هذا أحد أقول ثلاثة، وقيل مكة كلها، وقيل إلا ثلاث آيات من
 قوله - ولو أن ما في الأرض إلى خير - وهذا القول الثالث للبيضاوي (قوله أي هذه الآيات) أي آيات السورة وأشهر إليها
 بإشارة البعيد لعل ترتبها ورفعة قدرها عند الله وإن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذى الحكمة) أي المشتغل على الحكمة
 وهو العلم النافع ويصح أن يراد بالحكيم الحكم: أي التقن الذي لإبانيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصح أن يراد
 الحكيم قائله حذف المضاف وأقيم للمضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فياقلابه مرفوعا استكن في الصفة الشبهة (قوله بالرفع)
 أي لمحة على أنه خبر لمحدرف قدره بقوله هو (قوله وفي قراءة العامة) أي (٢٣٧) وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله

حالا من الآيات) أي حال
 كون كل منهما حالا (قوله
 من معنى الاشارة) أي
 كأنه قال أشير إلى تلك
 الآيات حال كونها هدى
 ورحمة (قوله الذين يقيمون
 الصلاة) أي يؤدونها
 بأركانها وآدابها (قوله
 ويؤتون الزكاة) أي
 يعطونها لمستحقها (قوله
 وهم بالآخرة هم يوقنون)
 أي يؤمنون ببقاء الله
 والبعث (قوله الفاعلون)
 أي بما أعد لهم من النعيم
 القيم (قوله ومن الناس
 من يشتري الخ) شروع في
 ذكر مقابل الفريق الأول
 على حكم عاده تعالى في
 كتابه والجار والمجرور خبر
 مقدم والاسم الموصول
 مبتدأ مؤخر. واعلم أن من
 لفظها مفرد ومعناها جمع
 فروعى لفظها في جميع الضمائر

بترك الصبر: أي لا تركه،

(سورة لقمان)

مكة إلا «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتان هديتان

وهي أربع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - أَلَمْ) الله أعلم بمراده به (تلك) أي هذه الآيات (آيات
 الكتاب) القرآن (الحكيم) ذى الحكمة والإضافة بمعنى من، هو (هدى ورحمة) بالرفع
 (المحسنين) وفي قراءة العامة بالنصب حالا من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى
 الإشارة (الذين يقيمون الصلاة) بيان المحسنين (ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
 يوقنون) هم الثاني تأكيد (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفاعلون
 (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) أي ما يلهي منه عما يعنى (ليضل) بفتح الياء
 وضما (عن سبيل الله) طريق الإسلام (بغير علم ويتخذها) بالنصب عطفًا على يضل
 وبالرفع عطفًا على يشتري (هزوا) مهزوا بها (أولئك لهم عذاب مهين) ذو إهانة (وإذا
 نزلت عليه آياتنا) أي القرآن (ولم يستكبر) متكبرا (كأن لم يسمعها كأن في
 أذنيه وقرأ) صمًا، وجعلنا التشبيه حالان من ضمير ولّى أو الثانية بيان للأولى (فبشره)
 أعلنه (بمذاب أليم) مؤلم، وذكر البشارة تهكم به، وهو النضر بن الحرث كان يأتي الحيرة
 يتجرى يشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمدًا يحدثكم أحاديث عاد
 ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن،

لأنية وروعى معناها في قوله ولتلك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) إيمان إضافة الصفة للوصف: أي الحديث الهوى: أي المشتغل
 عما يعنى أو الإضافة على معنى من وإليه يشير المفسر بقوله: أي ما يلهي منه (قوله بفتح الياء) أي ليستمر على الضلال، وقوله وضما:
 أي ليوقع غيره في الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الإسلام) أي الأمور الموصلة للإسلام فاللهو كل ما يشغل
 عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والحرفات والمغاني والزماير وغيرها من الأمور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل
 يشتري: أي حاله كونه جاهل للتلب وإن كان عالم اللسان (قوله ويتخذها) أي الآيات (قوله بالنصب الخ) أي والقراءتان
 سبعيتان (قوله مهزوا بها) أي لها كأنه لها بالحرفات (قوله أعلمه) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر وإن
 لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال إن الاخبار بالمذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة، وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر
 فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النضر بن الحرث) أي ابنه، كعدة كان صديقًا لقريش (قوله فيستمعون حديثه) أي يعدونه

ملعباً فيصنون له (قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لاخصرص السماء بهذا الاسم (قوله أي مقدرًا خلودهم) أي فهم عند دخولهم يقترون الخلود لسماهم النداء من قبل الله : يا أهل الجنة خلود بلاموت (قوله وعد الله حقاً) مصدران مؤكداً لمضمون الجملة الأولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقاً (قوله الذي لا يلبثه شيء) أي لا يقهره أحد ، (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده (قوله أي العمدة) أشار بذلك إلى ان جملة تزويها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أي كأهب جمع إهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهي السارية (قوله وهو صادق الخ) أي لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني وهو أن يكون لها عمد لا ترى وهي قدرة الله تعالى (قوله رواصي) أي ثواب (قوله جبلاً مرتفعة) قال ابن عباس : هي سبعة عشر جبلاً منها قآ وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين (قوله أن تميد بكم) قتر المفسر لام التعليل والنافية إشارة إلى أن حكمة تهيئة الأرض بالجبال عدم تحركها بأهلها (قوله وبث فيها) أي نشر ، وقوله : من كل دابة (٢٣٨) من زائدة (قوله فيه التفات) أي من العيبة إلى التكلم زيادة في التسيكيت

وإزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أي ما ذكر من السموات والأرض وما فيها (قوله استفهام إنكار) وتو بيخ وتقرير (قوله معلق عن العمل) أي في اللفظ وأما في المثل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التي سنت مسد الثاني والثالث وهذا غير ما ذكره من أن أرى إن كان بمعنى أخبر فانها تتعدى لمفعولين الأول

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ نَّعِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أي مقدرًا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَهَذَا اللَّهُ حَقًّا) أي وعدم الله ذلك وحته حقاً (وَهُوَ التَّزْوِيرُ) الذي لا يلبثه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الْحَكِيمُ) الذي لا يضيع شيئاً إلا في محله (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي العمدة جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبلاً مرتفعة لـ (لَأَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بَكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا) فيه التفات عن النبية (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أي مخلوقه (فَأَرُونِي) أخبروني يا أهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره وأروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بَلِ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين بإشراكهم وأتم منهم (وَلَوْلَا آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) ،

منها

مفرد صريح والثاني جملة الاستفهام ، فلناسب للمفسر أن يقول سدت

مسد الثاني (قوله للانتقال) أي من تسيكيتهم إلى الاخبار بتقبيح الظالمين عموماً (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف في لقمان فقيل اسم أعجمي ممنوع من البصر للعلمية والعجمية ، وقيل عربي ومنع من البصر للعلمية وزيادة الألف والنون ، واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر ، فعلى هذا هو ابن ابن أخي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقيل كان ابن أخت أيوب ، وقيل كان ابن خالته ، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة والشعي فقالا بنبوته ، وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وروى أنه كان نائماً في وسط النهار فوذي بالقمان هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبيلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم أن الله تعالى إن فعل بي ذلك أعاني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لإبراهيم : لم يأتك إن ؟ قال إن الحاكم بأشد للنازل وأكدرها فينشأ للظلم من كل مكان إن عدل نجوا إن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فاتقته وهو يتكلم بها ثم نودي به داود بعده فقبلها وكان لقمان يوارز داود لحكته ، وقيل

كان خياطا وقيل كان راهب غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال ألسنت فلانا الزاهي ؟ قال بلى ، قال فبم بلغت ما بلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني (قوله منها العلم والهداية) أي فالحكمة هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيمًا حتى يجمعهما ، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة ، وقيل هي نور في القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان بابن عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم (قوله وقال في ذلك) أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقتلناه أن اشكر الخ) أشار بذلك إلى أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والأنسب أن تكون تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أي فهي نعمة يجب الشكر عليها بصرفها في مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تمليل للأمر بالشكر (قوله محمود في صنعه) أي فهو حقيق بأن يحمد من دون الخلوقات (قوله وإذا قال لقمان لابنه) أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أمم . قيل كان ابنه وامرأته كافرين لما زال يظهرهما حتى أسلما . قيل وضع لقمان جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعط ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل ، فقال يا بني وهظتك موهظة لو وهظتها جبلا لتفطر ، فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يا بني) بكسر الياء وتحتها قراءة ثمان سبعينتان (قوله إشفاق) أي هبة (قوله فرجع إليه) أي إلى دين أبيه وهو الاسلام ، وقال له أيضا : يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة ، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشبهك الدنيا ، يا بني لا تكن أمجزم من هذا الذي يصوت بالأسفار وأنت (٢٣٩) نأتم على فراشك ، يا بني لا تؤخر

التوبة فان الموت يأتي بئنة
يا بني لا ترغب في ود الجاهل
فيرى أنك رضى عمله ،
يا بني اتق الله ولا تر الناس
أنك تخشى ليكرموك بذلك
وقلبك فاجر يا بني ما ندمت
على السميت قط فان
الكلام إذا كان من فضة
كان السكوت من ذهب
يا بني اعتزل الشر كما

منها العلم والهداية والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال في ذلك ألا أكتفي إذا كفتي، وقيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا (أن) أي وقتلناه أن (أشكرُ الله) على ما أعطاك من الحكمة (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) من خلقه (حميد) محمود في صنعه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ) (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع إليه وأسلم،

يعتزلك من الشر للشر خلق ، يا بني عليك بهجالت العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثرت غممه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إقحام من لا يفهم ، يا بني لا ترسل رسولا جاهلا ، فان لم يجد حكيمًا فكن رسول نفسك ، يا بني لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا ، يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم ، يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجالس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غيبيا يملوك وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك معهم ، يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكرك فيه الله عز وجل فانك إن تكن عالما لا ينفعك علمك وإن تك غيبيا يزيدوك ضباوة وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم ، يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء ، يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير ، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها بالإيمان بها وشرعها التوكل على الله لعلك أن تنجو ، يا بني إني حملت الجنادل والحديد فلم أحمل شيئا أثقل من جراب السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر ، يا بني إن الحكمة أجاست الساكنين مجالس الملوك ، يا بني لا تعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم ، يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأخضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه وإلا فاحسره ، يا بني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدربتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها نسير أقرب من دار أنت عنها ترحل ، يا بني عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لي فان قد ساعات لأرد ، يا بني ليالك والدين فانه ذل النهار وهم الليل ، يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على مصيبته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته إلى غير ذلك من اللواظ والآثورة منه عليه السلام .

(قوله ووصينا الانسان اخ) هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم فهما مضرستان بين كلابي لقمان والعبدة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فال في الانسان الجنس (قوله أن يبرها) أي يحسن إليهما (قوله فوهنت) قدر النزل إشارة إلى أن وهنا مفعول مطاق والأحسن جعله حلالا من أمه أي ذات وهن (قوله على وهن) صفة لو هنا أي ضعفا كانتا على ضعف ، والمراد التوالى لخصوص وهنين بدليل قول المفسر أي ضعفت للحمل الخ (قوله أي فطامه) أي ترك رضاعه (قوله في عامين) أي في انقضائهما (قوله أن أشكر لي) أن يحتمل أنها مفسرة بجملة وصينا أو مصدرية (قوله أي المرجع) أي فأجازي المحسن على إحسانه والسمي على إساءته (قوله موافقة للواقع) أي فلا يفهم له وهو جواب عما يقال إن الشريك مسحيل على الله تعالى فر بما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبها في الدنيا) أي أمورها التي لا تتعلق بالدين (قوله أي بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بزعم الخافض (قوله واتبع سبيل من أناب إلى) قيل إن الخطاب للكافرين عموما ويراد بمن أناب النبي وأصحابه ومن طي قدمهم ، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص ، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاء بهم إلى النبي صلى الله (٢٤٠) عليه وسلم حتى أسلموا فهو لاء سابقون للإسلام بارشاد أبي بكر رضي الله

عنه (قوله فأجازيكم عليه) أي على العمل الحسن والسيء (قوله وجملة الوصية) أي وهي قوله: ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها أي وهو قوله وإن جاهدك الخ وقوله اعتراض أي بين كلابي لقمان (قوله يابني إنما إن تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده ، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده : يآبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف

(وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أمرنا أن يبرها (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) فوهنت (وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ) أي ضمنت للحمل وضمنت للطلق وضمنت للولادة (وَفِصَالُهُ) أي فطامه (فِي عَامَيْنِ) وقلنا له (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ) أي المرجع (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) موافقة للواقع (فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي بالمعروف البر والصلة (وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ) طريق (مَنْ أَنْابَ) رجع (إِلَى) بالطاعة (ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم عليه ، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (يَأْتِيهِمْ) أي الخصلة السيئة (إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أي في أخفى مكان من ذلك (يَأْتِيهَا اللَّهُ) فيحاسب عليها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) باستخراجها (خَبِيرٌ) بمكانها (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ لِمَا أَصَابَكَ) ،

بسبب

يعلمها الله ؟ فقال له تلك المقالة ، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه

إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والشاهدة ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب السكبر وهو أصفر حب ، والمراد أصفر شيء بدليل ضرب المثل بالبرة في الآية (قوله في صخرة) قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الأرض على حوت والحوت في الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك ، وقيل على ظهر نور وهو على الصخرة وهي التي ذكرها لقمان فليست في السماء ولا في الأرض (قوله أي في أخفى مكان من ذلك) أي من الصخرة والسموات والأرض فأخفى الصخرة باطنيا وأخفى السموات أعلاها وأخفى الأرض أسفلها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله إن الله لطيف) أي عالم بخصيات الأمور (قوله خبير) أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها ، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فأنشقت ممرارة ابنه من هيبتها وعظمتها ، فمات مسلما شهيدا رضي الله عنه (قوله يابني أقم الصلاة) أي جبروتها وأركانها وآدابها لكونها حماد للدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أي بكل ما عرف شرعا لأن المال على الخير كفاصله (قوله واته عن المنكر) أي باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فإن لم يجد فالجهر أولى بالمعروف .

(قوله بسبب الأمر والنهي) المناسب حمله على العموم ، فالصبر على الصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم لأن الكل في الحقيقة من الله ، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه قال تعالى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - (قوله التي يعزم عليها لوجوبها) أي تحتها على المكلفين فلا ترخيص في تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس) الصعر بفتح السين في الأصل : داء يصيب البعير يلوى عنقه ، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين لأجل الفخر على الناس ، والمراد لا تتكبر فتحقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلوك (قوله وفي قراءة تصاعر) أي وما سبعيتان ومعناها واحد (قوله أي خيلاء) أي عجباً وتكبراً قال تعالى - إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - (قوله فخور على الناس) أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها فتكبر بها على الناس (قوله وافصد في مشيك) لما أمره أولاً بحسن الباطن أمره ثانياً بحسن الظاهر ليجمع له في وصته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بينه الديب) أي وهو ضعف الشيء جداً ، قال الشاعر :

زهمتني شيباً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب ديباً

(قوله والاسراع) أي وهي قوة الشيء وهي مذمومة لما ورد «سرعة الشيء تذهب بهاء المؤمن» . إن قلت ورد في الحديث «كنا نجهد أنفسنا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقتضى أنه كان يسرع في (٣٤١) مشيه . أجب بأنه صلى الله عليه

وسلم في نفسه مشيه متوسط وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم لما في الحديث المتقدم «وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له» (قوله من صوتك) يحتمل أن من تبعضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف أي شيئاً من صوتك (قوله لصوت الحمير) أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فإن كل حيوان يصبح من ثقل أو تعب أو

بسبب الأمر والنهي (إِنَّ ذَلِكَ) للذكور (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها (وَلَا تَصَعَّرْ) وفي قراءة تصاعر (حَدِّكَ لِلنَّاسِ) لاتمل وجهك عنهم تكبراً (وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر في مشيه (فَخُورٍ) على الناس (وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الديب والاسراع وعليك السكينة والوقار (وَأَغْضُضْ) اخفض (مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ) أقبحها (لَهَوَاتِ الْحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق (أَلَمْ تَرَوْا) تعلموا يا مخاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتتنفعا بها (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وَأَسْبِغْ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً) هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وَبَاطِنَةً) هي المعرفة وغيرها (وَمِنَ النَّاسِ) أي أهل مكة (مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) من رسول (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى

غير ذلك والجمار يصح لهير سبب ، وصياح كل شيء سبيح لله تعالى إلا الجمار . إن قلت إن دقة النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير . أجب بأن الصوت الشديد لحاجة يتحملة العقلاء بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة وهو صوت الجمار (قوله أوله زفير) أي صوت قوى ، وقوله وآخره شهيق : أي صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا مخاطبين) القياس بالواو لأنه منادى مفرد وهو مبنى على ما يرفع به إلا أن يقال إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو الأفراد بناء التانيث نكرة فهما نعمتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هي حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبي . وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار كالمال والجاه والجمال في الناس ، والباطنة ما يتجده الانسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل شيء صحيح (قوله وتسوية الأعضاء) أي تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن خلف ومن حدا حذوم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أي بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) أي من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أي نير واضح الدلالة (قوله ولا قيل لهم)

(قوله أيتبعونه) أشار بذلك إلى أن هذا الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب وحيثذا فلا جواب لو (قوله يدعوهم إلى عذاب السعير) أي يدعوهم آباءهم لأن مدار إنكار الأتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) أي لا يلبق منهم ذلك (قوله أي يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أن الراد بالوجه العبادات ، والنهي من يبذل ذاته في طاعة ربه والحال أنه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالاقبال على الله ظاهرا وباطنا موجب للأمن من عذاب الله ، ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى - الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون - (قوله موحد) إما فسر به ذلك ليشمل الاسلام في حق الطاعة وهو التوحيد وإلا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه (قوله بالطرف الأوثق) أي الوصول إلى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاطئ جبل متمسك بأوثق جبل فهو تشبيه تمثيل بذكر طرفي التشبيه (قوله مرجعها) أي فيجازي عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الأول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاي وضم الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان أي ففسل ولا تقم على ذلك (قوله فنبتهم بما عملوا) أي نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا (قوله ثم اضطرم) أي

بم إشارة إلى أن العذاب الفعلي إنما يكون لهم في الآخرة لافي الدنيا كما أن المؤمن إذا تم في الدنيا بأنواع النعم فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة (قوله لا يجدون عنها محيصا) أي ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره

(أ) أيتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أي موجباته؟ لا (ومن يسلم وجهه إلى الله) أي يقبل على طاعته (وهو محسن) موحد (فقد استمسك بالبروة الأوثق) بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور) مرجعها (ومن كفر فلا يحزنك) يا محمد (كفره) لانتم بكفره (إلينا مرجعهم فنبتهم بما عملوا) إن الله عليهم بذات الصدور) أي بما فيها كغيره فجازر عليه (نمتهم) في الدنيا قليلا أيام حياتهم (ثم تضطروهم) في الآخرة (إلى عذاب عظيم) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا (ولئن) لام قسم (سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يفقهون) وجوبه عليهم (لله ما في السموات والأرض) ملكا وخلقاً وعبيداً فلا يستحق العبادة فيها غيره (إن الله هو العاقب) عن خلقه (الحميد) الممود في صنعه (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عطف على اسم أن يمده من بعده سبعة أبحر) مداد ،

(ما)

الخالق لمن (قوله واو الضمير) أي لالتقاءها ساكنة

مع نون التوكيد وقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوبه عليهم) أي بل يعتقدون أن الاشرار يقرب إلى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله ما في السموات والأرض) هذا نتيجة ما قبله : أي حيث ثبت أنه الخالق لما تحقق أنه المالك لها (قوله الممود في صنعه) أي المتصف بالكالات أزلا وأبدا لا يستحق الحمد غيره (قوله ولو أن ما في الأرض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول في محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) أي المحيط لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم أن) أشار بذلك إلى توجيه قراءة النص وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال إما عطف على جملة أن واسمها وخبرها لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض الخ أو مبتدأ خبره يده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبحر فأجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى :

قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الخ .

(قوله كلمات الله) أى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله العبر بها فإن مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم ، وأما الكلام للنزل للقراءة والتعبد به كالكب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) سبب نزولها أن أنى بن خلف وجماعة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم تقول إنا نبث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فنزلت . وللعنى أن الله لا يصب عليه شيء بل خلق العالم وبعثه برمته كخلق نفس واحدة وبعثها (قوله خلقا وبعثا) لف ونشر مرتب (قوله يا مخاطبا) نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أى بالجزء الذى نقص من الآخر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثني عشر فتارة يزيد بها الليل وتارة يزيد بها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر فى الأول بالمضارع لأن الأيلاج متجدد بخلاف التسخير (٢٤٣) (قوله إلى أجل مسمى)

عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لأن اللام وإلى للاتهاء (قوله ذلك المذكور) أى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) أى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أى إحسانه (قوله أى هلا الكفار) أى أحاط بهم ، فعلا فعل ماضى لا حرف جر (قوله أى لا يدعون معه غيره) أى كالأصنام لأنهم فى ذلك الوقت فى غاية الشدة والهول فلا يجدون

(ما نَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) العبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأفلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إِنَّ اللَّهَ هَزِيزٌ) لا يعجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَسْمُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) خلقا وبعثا لأنه بكلمة كن فيكون (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع كل مسموع (بَصِيرٌ) يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا مخاطبا (أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ) يدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) منهما (يَجْرِي) فى فلكه (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) هو يوم القيامة (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ذلك (لِلذِّكْرِ) المذكور (أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء : يبدون (مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (أَلَمْ تَرَ) أن الْفُلُكُ) للسفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ) يا مخاطبين بذلك (مِنْ آيَاتِهِ) إنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ) عبراً (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن معاصى الله (شَكُورٍ) لنعمته (وَإِذَا غَشِيَهُمْ) أى هلا الكفار (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) كالجبال التى تظل من تحتها (دَعَوْا اللَّهَ مُخَاصِبِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدعاء بأن ينجيهم أى لا يدعون معه غيره (فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنِهِمْ مَقْتَصِدٌ) متوسط بين الكفر والإيمان ، ومنهم باق على كفره (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) ومنها الإنجاء من الموج (إِلَّا كَلٌّ خِتَارٌ) غدار (كَفُورٍ) لنعم الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمَآ لَا يَجْزِي) يفضى (وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) فيه شيئا ،

ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاؤهم ربيع عاصف فقال عكرمة لئن أجبنا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضع يدي فى يده فسكن الريح فرجع عكرمة إلى مكة ناسم وحسن إسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أى وهو المشار إليه بقوله وما يجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أى لأنه تقص العهد ورجع إلى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزى والد عن ولده الخ) كل من الجلتين نعت لبوما ، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان نفسى نفسى لأملك غيرها ولا يهتم بقريب إلا بهيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار ، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى - والذين آمنوا واندعتهم ذرياتهم بإيمان أحققنا بهم ذرياتهم - وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته «أنا لا أغنى عنك من الله شيئا» فهو

تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب (قوله ولا مولود) مبتداً وهو مبتداً ثانٍ وجاز خبر الثاني وهو خبره خبر الأول أو معطوف على والده (قوله في حلمه وإمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سببية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يفرنكم بسبب حلم الله وإمهاله الفرور (قوله إن الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو لئن صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فثقي السماء عطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأى شيء أعمله غدا ولقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت (قوله متى تقوم) أى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أى وفي أى مكان ينزله (قوله وما تسرى نفس ماذا تكسب غدا) أى من حيث ذاتها وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء قال تعالى - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - وقال تعالى - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول - قال العلماء وكذا وليّ فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه الغيبات فتكون معجزة للنبي وكرامة للولي ولذلك قال العلماء : الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعه على تلك الخس ولكن أمر (٢٤٤) بكتما والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول ونفى

العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها أن الثلاثة الأول أمرها عظيم لا يتوهم في الخلق صلها بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فاذا اتفق عنهم علمهما كان اتقاء علمهم بغيرها أولى (قوله بأى أرض تموت) لم يقل بأى وقت تموت فيه لأن انتقال الانسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره فتوهمه علم

(وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ) فِيهِ (شَيْئًا إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) بِالْبَيْتِ (فَلَا تَفْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) مِنَ الْإِسْلَامِ (وَلَا يَفْرَنُكُمْ بِاللَّهِ) فِي حَلْمِهِ وَإِمَهَالِهِ (الْفَرُورُ) الشَّيْطَانُ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) مَتَى تَقُومُ (وَيُنزِلُ) بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (الْمَيْتُ) بَوَقْتِ يَلْمُهُ (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أَذْكَرُ أَمْ أَنْثَى وَلَا يَلْمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَيَلْمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ) وَيَلْمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بِكُلِّ شَيْءٍ (خَيْرٌ) بِيَاطِنُهُ كظَاهِرِهِ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ مَعْرُودٍ حَدِيثٌ «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ» .

(سورة السجدة)

مكية، وهي ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِلِسَانِهِ الْقُرْآنَ مَبْتَدَأً (لَا رَيْبَ) شَكِّ (فِيهِ) خَيْرٌ أَوْلَى ،

مكان موته أقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على اتقاء علم الأقرب ليفهم منه علم الأبعد بالأولى (قوله إن الله علم خير) أشار بذلك إلى أن علمه تعالى ليس مختصاً بهذه الأشياء المتقدمة بل هو علم بيواطن الأشياء كلواهرها .

[سورة السجدة] أى التي ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره أن جميعها مكية وقال غيره - إلا ثلاث آيات وقيل إلا خمس آيات أولها قوله : تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذي كنتم به تكذبون ، وورد في فضلها أحاديث : منها ما في الصحيح عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة النجوى يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر » وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه ولم يأخذه مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها « أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك » وتسمى أيضاً للنجية لأنها أحد المنجيات السبع وهي هذه السورة ويس والهدخان والواقعة وهل أتى الملك والبروج ، ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال : اقروا المنجيات وهي الم تنزيل فإنه بلغنى أن رجلاً كان يقرأها ما يقرأ شيئاً غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي فشفها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله وحيثه

(من)

(قوله من رب العالمين) أي لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعراب في هذا اللوح ويصح أن يكون حالا موضحا الخبر (قوله أم يقولون افتراء) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله : لا ، فانه إشارة إلى أن الاستفهام إنكارى مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ البيضة (قوله بل هو الحق) لضراب انتقالى من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته ويصح أن يكون إبطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما في القرآن من الاضراب انتقالى يحمل على غير هذا ، والمعنى أن القرآن محصور في الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين (قوله لتندر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما ، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل للمفسر الجملة منفية صفة لقوما ، واختلف في القوم فقيل المراد بهم العرب لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى : لتندر قوما ما أنذر آباؤهم ، وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لتندر قوما رجيا لا هتدأهم لا آيسامنه (قوله الله الذى خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع في ذكر أدلة توحيدة سبحانه وتعالى (قوله أولها لأحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع غفاق الأرض أولا في الأحد والاثنين وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفي ذلك إشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التى بها تعرف الأيام . وأجيب بأن المراد في مقدار ستة أيام كائنه في علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن ، وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أى ومنه : قال نكروا (٢٤٥) لهاعرشها ، والمراد به هنا الجسم

النوراني المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه للمفسر ، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء

(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خبر ثان (أَمْ) بل (يَقُولُونَ أفتَرَاهُ) محمد ؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ) به (قَوْمًا ، مَا) نافية (أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللقمة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ) يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيِّ) اسم ما بزيادة من ، أى ناصر (وَلَا شَفِيعَ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

والقهر إذ هو أحد معنى الاستواء . ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

وتقدم الكلام في هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله أى حيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبارة بمصوم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك إلى أن ما حجازية وولى اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه أن شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا إلا أن يقال إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها والأحسن جعلها تيمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لأن القرآن لا يبنى جملة على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والقاء عاطفة عليه والتقدير أضفتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمر) أى الشأن والحال ، والمعنى يتصرف فى الخلق على طبق علمه ، وإرادته وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهورى :

إرادة الله مع التعلق فى أزل قضاؤه حقيقى والقدر الإيجاد للأشياء ووجه معين إرادته علا وبضمهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق فى الأزل والقدر الإيجاد للأمر على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن فاتصرف الذى يظهر فى الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء فكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء إلى الأرض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر ، وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى « أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملاك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين ، فأما جبريل فوكل بالأرض وإياح والجنود ، وأمما ميكائيل فوكل بالقطر والماء ، وأمما ملك الموت فوكل بقبض الأرواح

وأما إصرا فيل فهو يزل بالأمر عليهم ، وقد قيل إن العرش موضع التدبير كما أن مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات ، ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أي وهي كأورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألف السادس ومدة أمته تزيد على الألف سنة ولا تبليغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطي في [الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف] وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير إليه) أي ينتقل التصريف الظاهري من أيدي العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - (قوله لشدة أهوال الخ) هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين : أي فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه ، وجمع أيضا بأن موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف ، فهذه الآية بينت أحد المواضع وآية سأل بيئت المواضع كلها ، وهذا هو الأقرب ، وجمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينقل إلى (٢٤٦) جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة

مدة الدنيا (ثُمَّ يَرْجُحُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ يَمَّا تَعُدُّونَ) في الدنيا ، وفي سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا كما جاء في الحديث (ذَلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي ما غاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع في ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتغال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ) ثم جَعَلَ نَسْلَهُ (مِنْ سُلَالَةٍ) علقه (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة (ثُمَّ صَوَّاهُ) أي خلق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جادا (وَجَعَلَ لَكُمْ) أي لدريته (السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ) مازائدة مؤكدة للقلة (وَقَالُوا) أي منكرو البعث (أَنَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَنِنَا لَنِي خَلَقِ جَدِيدٍ) استنهام إنكارى بتحقيق الممرتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين قال تعالى (بَلْ هُمْ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ) قل لهم (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ) أي يقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء ،

الصحيح فهو في حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزير خبر ثان والرحيم خبر ثالث والقي أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أنهما بدلان من الماء في إليه وقرئ أيضا بجزء عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير في إليه (قوله الذي أحسن) أي أحكم وأتقن (قوله صفة) أي لكل أولئهم (قوله وبسكونها) أي وهما

فيجاز بكم

قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتغال) أي من كل شيء (قوله ذريته) سميت نسلا لأنها

تنتسل أي تنفصل (قوله أي خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير في سواء عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى أعضائه في الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجراد حيث كان نطفة ثم علقه ثم مضغه (قوله من روحه) الإضافة للتشريف (قوله أي الذرية) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والنسبة أن الخطاب إنما يكون مع الحي فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أننا ضلنا) حكاية لبعض قبائلهم وأبائهم وقرأ العامة ضلنا بضاد مضجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام وضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وإدخال ألف بينهما) أي وتركه فتكون القراءات أربعة سبعيات (قوله في الموضعين) أي وهما أننا ضلنا أننا (قوله بل هم بلى لهم كافرين) انتقال من جحدم البعث إلى جحدم لقاء الله بالمرءة (قوله قل لهم) أي للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى في هذه الآية لملك الموت وفي آية الأنعام للرسول وفي الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها لما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم

وما في الأنعام محمول على معالجة أهوان عزرائيل لمن امر بقبض روحه فأن المباشرة لأخراجها من الظنفر إلى الخلقوم أعوانه وما في الزمر محمول على الحقيقة فان التوفى حقيقة هو الله تعالى روى «إن الدنيا جلت لملك الموت مثل راحة اليد فأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة» فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها ، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى «أن خطوته ما بين الشرق والغرب» وروى «أنه جلت له الأرض مثل اللطشت يتناول منه حيث يشاء» وقيل إنه على مصراع بين السماء والأرض ، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين الشرق والغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة ، وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد عن صلح له (قوله ناكسوا رؤسهم) أى خاضوها (قوله وممنا منك تصديق الرسل) أى فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله إنا موقنون الآن) أى آمننا في الحال ، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا للشرك كقولهم : والله وبنا ما كنا مشركين (قوله لرايت أمرأ فظيما) أى شفيها هيبا (قوله هذاها) أى إيمانها . والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) أى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم (٢٤٧) لأن دخول الجن النار أكثر من

الانس (قوله أى بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) ككرره لبيان مفعول ذوقوا الأول (قوله بما كنتم تعملون) أى بسبب عملكم (قوله إنا نؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر حتى كفره كأن الله يقول لنبيه لا تخزن فان أهل الإيمان محبسون على الانعاط بالقرآن وأهل

فيجازيكم بأعمالكم (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَا كَسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) مطأطئوها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْغَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَوَعْمَنَا) منك تصديق المرسل فيما كذبناهم فيه (فَأَرْجَمْنَا) إلى الدنيا (نَمَلًا صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون ، وجواب لو رايت أمرأ فظيما ، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) فتهدى بالإيمان والطاعة باختيار منها (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أى بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم في العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) اللطم (بِمَا كُفَّمْتُمْ وَمَمْلُوكُونَ) من الكفر والتكذيب (إِنَّمَا يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا) للقرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) ملتبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى طلوا سبحانه الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها ،

الكفر محبسون على عدم الانعاط به فالخلق فريقان في علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضى مدح كل من مع القرآن واتعظ به ويسجد لله وإن لم يكن له موضع سجود . وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن فمدح للمعظمين بالقرآن في كل آية للساجدين في مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أى على وجوههم تعظيما لآياته وامتنالا لأمره وخص السجود بالله كراهة غاية الدل والحضوع وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أى جمعوا في سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحانه الله ، والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء ، وموارد فيما يقال في سجودات القرآن : اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) أى لا يتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لأن الواعظ الذى يسكون سببا في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالإنسان إذا كان مشغولا بربه سلط عاينه واعظ في قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والمهجوع . قال تعالى - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - فإذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة

وبالجملة فتكون جميع أعماله دائرة بين الواجب والندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما في الحديث « مازال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى هلمت أن خيارمقى لا ينامون » (قوله فلا تعلم نفس) أى لاملك مقرب ولانبيء مرسل فضلا عن غيرهم ، والمعنى لانعلم ذلك تفصيلا وإلا فتحن نعلمه إجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والجور والولدان وغير ذلك لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول في الحديث « لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » (قوله من قرءة أعين) أى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستتر تقديره أنا في الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر » (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لأجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة بن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملا منك حشوا في الكتبية فقال على اسكت فانك فاسق ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : أفجعل المسلمين كالمجرمين ، أم حسب الدين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان (٢٤٨) فاسقا) أى كافرا (قوله لا يستونون) أى في المال ، وقد راهى

للصبي فجمع لأن الراد الفرير في كل ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتمد الوقف على قوله فاسقا ويتسدى بقوله لا يستونون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجل أولا (قوله نزلا) أى مهيأة ومعدة لا كرامهم كاتهايا التفضيل للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل

لصلاتهم بالليل تهجداً (يَعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وطمعاً) في رحمته (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبي (لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءُ) بما كانوا يعملون . أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستونون (أى المؤمنون والفاستونون) (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً) هو ما يمد للضيف (بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا) بالكفر والتكذيب (فأولئهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون . ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجذب سنين والأمراض (دون) قبل (العذاب الأكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) أى من بقى منهم (يرجعون) إلى الإيمان (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه القرآن ثم أعرض عنها) أى لا أحد أظلم منه (إننا من المجرمين) أى المشركين (مفتنون . ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكفن في مريية) شك (من لقائه) وقد التقيا ليلة الإسراء (وجعلناه) أى موسى أو الكتاب (هدى) هادياً (لبنى إسرائيل) ؛

وجعلنا

وهملوا السيئات إشارة إلى ان مجرد الكفر كاف في الخلود في النار فلا تنفث إلى الاعمال معه

وأما العمل الصالح فله مع الإيمان تأثيراً فلهذا قرنه به (قوله فأوام النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم . روى « أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لها فيهبون إلى قمرها وهكذا يفعل بهم أبدا » (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الحزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفي سبأ بالتأنيث نظرا للمضاف إليه وهو النار (قوله والجذب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الحيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط وبعد يوم بدر والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان إجمالى لحال المكذب إثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الإيمان بها (قوله أى لا أحد الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة في ذكر موسى قربه من النبي ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الإسراء) أى في الأرض عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلى في قبره وفي السماء السادسة كورود بذلك الحديث ، وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في لقائه محدد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الإسراء وهو أقوى الاحتمالات في هذا للوضع .

(قوله وجعلنا منهم أئمة) أي وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل أو أتباع الأنبياء (قوله وإبدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية لكن من طرق الطيبة لأن طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أي تحملوا الشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل :
 الصبر كالصبر مرة في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل والضعف جعانا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وخرجت على جعل اللام للتطليل وما مصدرية أي جعلناهم أئمة لأجل صبرهم (قوله بينهم) أي المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأئمتهم (قوله أولم يهد لهم) الهمة داخلة على عذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أخفوا ولم يبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله إن في ذلك) أي المذكور من كثرة إهلاك الأمم الحالية (قوله اليابسة التي لانبات فيها) أي التي (٢٤٩) قطع وأزيل بالمرّة فالجزر معناه

القطع ، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها ، وقيل المراد بالجزر وضع باليمن (قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يجر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون إن الله سيفتح لنا على الشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوا يقولون بطريق الاستعجال تكذبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين كفروا) أي كفروا

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً (بمحقق المهرتين وإبدال الثانية ياء : قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدايتنا (يُوقِنُونَ) وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) أي يبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاجِدِهِمْ) في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيصتبروا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التي لانبات فيها (فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيطمون أنا قادر على إعادتهم (وَيَقُولُونَ) المؤمنون (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) بيننا وبينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) بإتزال العذاب بهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يهلون لتوبة أو معذرة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ) إزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مُنْتظِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتالهم ،

(سورة الأحزاب)

مدنية ، ثلاث وسبعون آية

إيمانهم) أي لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها (قوله ولا هم ينظرون) أي يؤخرون وقوله أو معذرة أي اعتذارا (قوله فأعرض عنهم) أي أتركهم ولا تعرض لهم (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية الجهاد ، ويحتمل أن الآية محكمة ، ومعنى فأعرض عنهم أي أقبل عذر من أسلم منهم وأترك ما هو عليه ، وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشى حين أسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح .

[سورة الأحزاب] أي التي ذكر فيها قصة الأحزاب ، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والشييع على المنافقين وذمهم ، وكانت هذه السورة قد رُسورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما آتية نكالا من الله والله عزيز حكيم فأبى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة خلافا للروايت حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت

(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال ياموسى يا عيسى يادود لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخاق على الاطلاق غطابه بما يشعر بالتعظيم والاحلال حيث قال يا أيها النبي يا أيها الرسول وإن ذكر اسمه صريحا أوردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال : محمد رسول الله ، وما محمد إلا رسول إلى غير ذلك (قوله أى دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال إن في الآية تحصيل الحاصل ، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعظم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فسق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله إنذن لنا فى قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجهم من المدينة (قوله إن الله كان عليا حكيمًا) تعليل للأمر والنهي (قوله إن الله كان بما يعملون خبيرًا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة الاحتانية وضمير النبي وأمه على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أى اعتمد عليه (٢٥٠) وفوض أمورك إليه (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة فى فاعل

كفى ووكيلا حال (قوله) تبع له فى ذلك) أى فى ما ذكر من قوله : اتق الله إلى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لأنه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا ليبيا حافظا

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) دم على تقواه (وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون قبل كونه (حَكِيمًا) فيما يخلفه (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا بَدَّ مَلُونًا خَيْرًا) وفى قراءة بالفوقانية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فى أمرك (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكَيْلًا) حافظا لك ، وأمه تبع له فى ذلك كله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ردا على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء (تَطَهَّرُونَ) بلا ألف قبل المياء وبها ، والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء (مِنْهُنَّ) بقول الواحد مثلا لزوجته : أنت على كظهر أمى (أُمَّهَاتِكُمْ) أى كالأمهات فى تحريمها بذلك لمد ذلك فى الجاهلية طلاقا ، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) ،

لما يسمع فقات قریش محافظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين ، وكان هو يقول : جمع لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقبه أبو سميان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس ؟ قال انهزموا فقال ما بال إحدى نعليك فى يدك والأخرى فى رجلك ؟ فقال أبو معمر ما شررت إلا أنهما فى رجلى ، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التى ، قال ابن مالك * اللات واللاء التى قد جمعها * (قوله بلا ألف قبل المياء) أى فأصله تتظهورون بتاء من سكنت التانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء) أى فهاتان قراءتان سبعيتان ، بقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والماء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاء من حذف إحداها وضم التاء وكسر المياء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر ، وهذه القراءات واردة فى قد سمع أيضا غير فتح التاء والماء مع تخفيف الظاء لأن للضارع هاء مبدوءة بالياء فلاتأتى فيه وفى الباضى ثلاث لغات تظهر كشكلم وتظاهر كقتال وظاهر كقتال (قوله بقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أى رضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهور مؤبدة التحريم (قوله أمهاتكم) مفعول ثان للصل (قوله شرهه) أى وهو العزم على العود فان لم يزم على العود فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسه وإلا تحتمت عليه ولو طلقتها بعد ذلك (قوله وما جعل أدعياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة ، وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتره حكيم بن حزام بن خويلد

فوهبه لعمته حديجة بنت حويله فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه رحمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: خيرا فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : يامعشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه ، وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فمكثت معه مدة ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فمكث المناقضون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يخرمها فنزلت هذه الآية ردا عليهم ، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة (قوله جمع دعى) أى دعى مدعوا وأصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أى اليهود) تفسير للكاف في أفواهمكم (قوله ادعوههم لآبائهم) روى أن عمر بن الخطاب قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت - ادعوههم لآبائهم - (قوله هو أقتط) أى دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق (قوله فأخوانكم في الدين) أى فادعوههم بمادة الأخوة بأن تقولوا له يا أخى مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالى فإنه يطلق على معان من جملتها ابن العم ، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمى مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أى إثم (قوله ولكن ما عمدت) أى ولكن الجناح (٢٥١) فيما نعمدته قلوبكم (قوله النبي

أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أنه صلى الله عليه وسلم أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولا فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس في كل شئ من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة الله . قال تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وإذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى حقه صلى الله عليه

جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له (أبناءكم) حقيقة (ذلکم قوالکم بأفواہکم) أى اليهود والمناقضين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) في ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق ، لكن (ادعوهم لآبائهم هو أقتط) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) بنو عمكم (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) في ذلك (وَلَكِنْ) في (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه وهو بعد النهي (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهي (رَحِيمًا) بكم في ذلك (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعاهم أنفسهم إلى خلافه (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) في حرمة نكاحهم عليهم (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) في الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أى من الارث بالايمان والمهجرة الذي كان أول الاسلام فنسخ (إِلَّا) لكن (أَنْ تَقْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا)

وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده ، وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم إليه) أى من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فادأطلب النبي شيئا من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق في الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي النصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتدأين من اليهود ويشترى الشئ بالثمن ، وإيما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا عن هوى نفسه بل عن وحى جميع أفعاله وأقواله عن ربه (فواجه أمهاتهم) أى من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا مات عنهن أو طلقتهن وسراريه الاتي تمتع بهن كذلك (قوله في حرمة نكاحهم عليهم) أى والتعظيم والاحترام والبر لا في غير ذلك من النظر والحلوة فانهن في ذلك كالأجانب (قوله وأولو الأرحام) مبتدأ و بعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله في الارث) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف . والتقدير الأقارب أولى بآرث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب (قوله أى من الارث بالايمان والمهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى ، يعنى أن الأقارب أولى بآرث بعضهم من الارث بسبب الايمان والمهجرة الذي كان في صدر الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخى بين الرجلين فإذامات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله إلا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله إلى أوليائكم) أى من

الألوانه من الأجانب (قوله بوضعية) أي فلما نسخ الأثر بالإيمان والمجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوصية وهي خارجة من تلك الكمال (قوله مسطوراً) أي مكتوباً (قوله وإذ أخذنا) ظرف لمخروف قدره بقوله إذ كر (قوله وهي أصغر النمل) أي فيكل أر بعين منها أصغر من جناح بعوضة (قوله بأن يصدوا الله) أي يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا إلى عبادته) أي يبلغوا شراعه للخلق فيعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أي والنسكة كونهم أولى العزم ومشاهير الرضل وقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أي وهو عبادة الله والدعاء إليها (قوله وهو اليمين) أي الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته فالميثاق الثاني غير الأول لأن الأول إيصاء على التوحيد والدعوة إليه من غير يمين والثاني مطلق باليمين والشئ مع غيره غير في نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفي الكلام التفات من التكلم للقبية كما أشاره للفسر بقوله ثم أخذ الميثاق والراد بالصادقين الرسل (قوله تبيكتنا للكافرين) أي تقيبنا عليهم: أي فالحكمة في سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون التقييح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) ويصح أن يكون في الكلام احتباك وهو الحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول ، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نصيباً مقبياً ويسأل الكافرين عما أجازوا به رسولهم وأعد لهم عذاباً أليماً (قوله يا أيها الذين آمنوا إذ كروا نعمة الله عليكم) هذا شروع في ذكر قصة غزوة الأحزاب (٢٥٢) وكانت في شوال سنة أربع وقيل خمس . وسببها أنه لما وقع إجلاء بني النضير

من أما كنهم سار منهم جمع من أكا برهم منهم حي بن أخطب وكنانة ابن الربيع وأبو همار الوائلي في نفر من بني النضير إلى أن قدموا مكة على قريش فغرتهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان مرحباً وأهلاً وأحب الناس

بوصية فجاز (كان ذلك) أي نسخ الأثر بالإيمان والمجرة بارث ذوى الأرحام (في الكتاب مسطوراً) وأريد بالكتاب في الموضمين اللوح المحفوظ (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته ، وذكر الحنسة من عطف الخاص على العام (وأخذنا منهم ميثاقاً عظيماً) شديداً بالوفاء بما حلوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق (ليسئل) الله (الصادقين عن صدقهم) في تبليغ الرسالة تبيكتنا للكافرين بهم (وأعدت) تعالى (للكافرين) بهم (عذاباً أليماً) مؤلماً هو عطف على أخذنا (بأيها الذين آمنوا إذ كروا نعمة الله عليكم) ،

ضربها

إلينا من أعاننا على عداوة محمد ، ثم قالت قريش لأولئك اليهود يامعشر اليهود إنكم

أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أتم على الحق فأزل الله - أتمتر إلى الدين أوتوا نصيباً من الكتاب - إلى قوله - وكفى بجهنم سعيراً - فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد . ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن - بن ولما تهيأ الكل للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه فشرع في حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي ، فقال له يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبي والسلمون حتى أحكموه وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً ومكتوا في حفره ستة أيام ، وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعة وعشرين ، وقيل شهراً . قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن الزبي وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا ، فلقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فحفرنا فيها بأمرك فأنا لا نحب أن نجاوز خنطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق وأخذ اللؤلؤ من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضياء ما بين لابتيها : يعني المدينة حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم

ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل الأول وأخذ بيد سلمان ورقي فقال باني أنتواي يا رسول الله لقد رأيت شيئا مارأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال رأيتم مايقول سلمان؟ قالوا نعم . قال ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأجروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون ألا تعجبون بمنينكم ويعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لاستطيعون أن تبرزوا فنزل قوله تعالى - وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا - وقوله تعالى - قل اللهم مالك الملك - الآية ، فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين ، فلما رآته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم وخرج عدو الله حيي بن أخطب رئيس بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة ، فلما جمع كعب حيايا أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال له ويمك يا حيي إنك امرؤ ميثوم إنى عاهدت عمدا فلست بتناقض فاني لم أر منه إلا وفاء وصدقا فلما زال حيي به ويقول له جئتك بعز الدهر حتى فتح له وتفض عهد رسول الله ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث لهم سعد ابن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم تقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا وبينكم ورجعوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوما ، وقيل أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف . ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي (٢٥٣) من غطفان جاء إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال له إنى أسلمت وإن قومي

.....

لم يبعثوا بأسلحتي فترني بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديعاهم في الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمد وقد ظاهروهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدرتون على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبنائهم ونسأؤهم بغيره وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخنايبينكم وبين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرفهم يكرهون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتأخروا ، قالوا لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودي إياكم وقراني محمدا فقد بانني أمر رأيت حقا حتى أن أبلغكم نصحكم فاكتموا على قالوا انفعل ، قل تاملون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلا من أشرفهم فنهطيتكم فاضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أتم أهل وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهتموني قالوا صدقت ، قال فاكتموا على . قالوا انفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم ، لما كانت ليلة السبت من شوال من خمس ، وكان ماصنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورسول غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم لا السنادبار مقام قد هلك الحصر والحافر فاغدوا للقتال حتى تنجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم السبت وهو يوم لانهمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم ما لم يخف عليكم وأسنا من الذين نقاتل معكم (١) حتى تمطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى تنجز معكم محمدا فانا نخشى إن ضرمتمكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسبوا إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد لما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود

(١) قوله : ولنا من الذين نقاتل معكم ، هكذا في النسخ ، والذي في الزرقاني على الواهب : ولنا من ذلك بمقاتلين معكم .

لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم وخواها يتكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى نعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقلعت بيوتهم وقطعت أطناهم وكفأت قدورهم وصارت تاتي الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فنزلتهم ولم تقاتل بل نفتت في قلوبهم الرعب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويما من الليل ثم اتفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وماقام منا أحد ، ثم صلى هويما من الليل ثم اتفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وماقام أحد منا من شدة الخوف والجوع والبرد ، ثم قال يا حذيفة فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيت ، فأخذ يدي رمسح رأسي ووجهي ثم قال : ات هؤلاء القوم حتى تأتيهم ولا تتحدثن شيئا حتى ترجع إلي ، ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خافه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فأخذت سهمي ثم انطقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبوسفين قاعد يطل ، فأخذت سهمي فوضعت في كبد قومي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥٤) عليه وسلم لا تتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي ، فلما رأى

أبوسفين ما تفعل الرجح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقال : يا معشر قريش يأخذ كل منكم بيد جلسه فلينظر من هو فأخذت بيد جلسي فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أمانع في أنا فلان بن فلان رجل من هوازن

إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ) من الكفار متحزون أيام حفر الخندق (فَأَرْسَأْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) من الملائكة (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء من حفر الخندق ، وبالياء من تحزيب المشركين (بَصِيرًا .) إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب (وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جمع حنجرة وهي منتهى الخقوم من شدة الخوف (وَتَطُنَّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) المختلفة بالنصر واليأس (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) اختبروا ليقين الخالص من غيره (وَزُلْزِلُوا) حركوا (زَلْزَلًا شَدِيدًا) من شدة الفزع ،

فقال أبو سفين يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والحف واخلفتنا بنو قريظة (و) وبأضنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الرجح مارتون فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معتول جلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عتاله إلا وهو قائم ، سمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم . قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيتته وهو قائم صلى ، فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل ، فلما أخبرته وفورغت قررت وذهب عني الدفء ، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم فأتاني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه وألصق صدري ببطن قدميه ، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان (قوله إذ جاء تكم) بدل من نعمة والعامل إذكروا (قوله متحزون) أي مجتمعون ، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفا وكان المسلمون إذ ذلك ثلاثة آلاف والمنافقون من جلاتهم (قوله ريحا) أي وهي الصبا التي تهب من المشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أي وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم (قوله وبالياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله إذ جاءكم) بدل من إذ جاء تكم (قوله من أعلى الوادي) أي وهم أسد وغطفان (قوله وأسأله) أي وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أي المحيط من كل جانب (قوله وهي منتهى الخقوم) أي من أسفله (قوله الظنون) بألف بعد النون وصلا ووقفًا وبدونها في الخالين وبأثباتها وقفًا وحذفها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وتجري في قوله أيضا السبيل والرسولا في آخر السورة (قوله بالنصر) أي من المؤمنين وفوله واليأس أي من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاي في قراءة العامة وقرئ شذوذًا بفتح الزاي وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعال كصلصال

وقلتال (قوله وإذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير ، وقال أيضا بعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن
يبرز فرقا وخوفا ما هذا إلا وعد غرور (قوله وإذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيطى بكسر الظاء المجمة من
رؤساء المنافقين (قوله هي أرض المدينة) أي تسميت باسم رجل من العمالقة كان نزها قديما ، وقد نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أي فهمى على وزن يضرب (قوله
بضم الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة (قوله جبل خارج المدينة) أي
فيها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع
استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أي من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أي تكذبا لهم (قوله
ولودخلت عليهم) أي دخلها الأحزاب (قوله الشرك) أي ومقاتلة للمسلمين (٢٥٥) (قوله بالمد والقصر) أي فهما

قراءتان سبعيتان (قوله
أي أعطوها وفعلوها)
لف ونشر هرب (قوله
وما تلبثوا بها إلا
يسيرا) أي ما أقاموا
بالمدينة بسد نقض العهد
وإظهار الكفر وقتال
المسلمين إلا زما قليلا
ويهلكون فالعزة لله
ورسوله والمسلمين، فالغنى
لودخل الكفار المدينة
وارتد هؤلاء المنافقون
وقاتلوكم مع الكفار لأخذ
الله بأيديكم صريحا بقطع
دابرهم فلا تخشوا منهم
داخل المدينة أو خارجها
(قوله من قبل) أي قبل
غزوة الخندق (قوله
لا يوتون الأدبار) أي بل
يقبضون على القتال حتى

(وَ) اذكو (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَا وَعَدْنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) أي المنافقين (يَا أَهْلَ
يَثْرِبَ) هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لَا مَقَامَ لَكُمْ) بضم الميم وفتحها
أي لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم إلى سلع: جبل خارج المدينة للقتال (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ) في الرجوع
(يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها ، قال تعالى (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ) ما
(يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ) أي المدينة (عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها
(ثُمَّ سَأَلُوا) أي سأله الداخلون (الْفِتْنَةَ) الشرك (لَا تَوْهًا) بالمد والقصر أي أعطوها
وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوْثِقُونَ الْأَدْبَارَ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) عن الوفاء به (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ
أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا) إن فررتم (لَا تَمْتَعُونَ) في الدنيا بعد فراركم (إِلَّا قَلِيلًا) بقية آجالكم (قُلْ
مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يبيحكم (مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هلاكا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم
بسوء إن (أَرَادَ) الله (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (وَلِيًّا)
ينفهم (وَلَا نَصِيرًا) يدفع الضر عنهم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) الثبطين (مِنْكُمْ) وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ
هَلْمٌ) تعالوا (إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ آبَاءَنَا) القتال (إِلَّا تَلِيًّا) رياء وسمعة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالماونة

يموتوا شهداء (قوله مسئولاً عن الوفاء به) أي مسئولاً صاحبه هل وفي به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أي لأنه
مصيبكم لاهالة (قوله وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي وإن نفكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك تمتع إلا زما قليلا (قوله
أو أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على
حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله الثبطين) أي الكسابين غيرهم عن القتال في سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين)
عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أي في الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والراد بالقائلين اليهود من
بنى قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة الواحد والثني والجمع والمذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعندتم
هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله
متصدا بمفعول فربوا ومفعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يرضه
إلا قليلا لترض خبيث (قوله أشحة عليكم) أي مانعين للخير عنكم .

(قوله جمع تسيح) هذا هو السموع فيه وقبائسه أفعلاء تكليل وأخلاء والشحّ البخل (قوله أنبئهم نظرون إليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لأن شأن الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظروكم كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله كالذي يعنى عليه نعت لمدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذي ينشئ عليه من الموت) أى لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله ساقوكم) الساق بسط العضو ومدة للقهر كان يدا أولسنا ، فى الآية استعاره الكتابة حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فأنبأته تخييل والحداد ترشيح (قوله أشحة على الجبر) أى مانعين له فلا نفع فى أنفسهم ولا فى الملم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أى بقلوبهم وإن أسفوا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم) أى أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أى المناقون لشدة جنينهم (قوله الأحزاب) أى قريشا وغطفان واليهود (قوله لو أنهم بادون فى الأهراب) أى ما كانوا فى البادية خارج المدينة ليكونوا فى بمد عن الأحزاب (قوله يستلون عن أنبيائكم) صح أن يكون حالا من اتوا فى بادون أو جملة مستأنفة ، والمعنى يستلون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما (٢٥٦) بينهم إن غلب المسلمون قاصنهم فى النسيمة وإن غلب الكفار فنحن معهم

جمع صحيح وهو حال من ضمير يأتون (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي) كنظر أو كدوران الذى (يشئ عليه من الموت) أى سكراته (فإذا ذهب الخوف) وحيزت الفنائم (سلكوكم) آذوكم أو ضربوكم (بالسنة حداد أشحة على الخير) أى النسيمة يطلبونها (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة (فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك) الإحباط (على الله يسيرا) بإرادته (يحسبون الأحزاب) من الكفار (لم يذهبوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وإن أت الأحزاب) كرة أخرى (يؤذوا) يتمنوا (لو أنهم بادون فى الأهراب) أى كانوا فى البادية (يستلون عن أنبيائكم) أخباركم مع الكفار (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وخوفا من التعبير (لقد كان لكم فى رسول الله إبرة) بكسر الهمزة وضمها (حسنة) اقتداء به فى القتال والثبات فى موطنه (لئن) بدل من لكم (كان يرجوا الله) يخافه (واليوم الآخر) وذكر الله كثيرا) بخلاف من ليس كذلك (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) من الكفار (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) من الابتلاء والنصر (وصدق الله ورسوله) فى الوعد

(قوله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها إلى قوله - وأنزل الدين ظاهرهم من أهل الكتاب - من تمام قصة الأحزاب وفيها عتاب للمخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمناقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهم اقراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الاقتداء يقال اتسنى فلان

بطلان أى اقتدى به (قوله فى القتال) لافهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (وما واجب فى الأقوال والأفعال والأحوال ، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، ولذا قال العارف :

وخك بالهدى فى كل أمر فلتست نشاء إلا ما يشاء

وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى فالتصف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة فى رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الأوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أى بلسانه أو جنته أو ما هو أهم (قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أى أبصروهم محققين حول المدينة (قوله قالوا هذا ما وعدنا الله) أى بقوله : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب - وقوله ورسوله أى بقوله إن الأحزاب ساروا إليكم بعد نزع ليل أو عشر والعاقبة لكم طيب (قوله وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله ، وأظهر فى عمل الأنصار زيادة فى تعظيم اسم الله ولأنه لو أضر جمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب على من قال من طبع الله ورسوله فقد رشد ومن يصعب ما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله

(قوله وما زادهم ذلك) أي الوعد أو الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا) أي عاهدوا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا من قضي نحبهم) أي وفي نذرته بموته في القتال يقال نحب ينحب من باب قتل : نذر ، ومن باب ضرب : بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) أي قضاء النجيب بالموت في سبيل الله (قوله بخلاف حل المناقطين) أي فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم إذا أراد القتال إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله لا طمعا في رضا الله (قوله ليجزي الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمناقطين وفرق بين نياتهم ليجزي الله الخ (قوله بأن يمتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف ودفع بذلك ما يقال إن عذابهم متعمم فكيف علق على المشيئة فال تعليق بحسب علمنا ، وأما في علم الله فالأمر محتم إما بالسعادة أو السقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بفيظهم) الجلة حالية أي ملتبسين بالنيظ (قوله لم ينالوا خيراً) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) أي لم يحصل بينهم اختلاط في الحرب بل إنما كان بينهم ضرب بالسهم والخنق بينهم (قوله بالريح) أي فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) أي بالقاء الرعب في قلوبهم وتقدم بسط ذلك في القصة (قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الخ) شروع في ذكر قصة بني قريظة وذكر عقب الأحزاب لكون بني قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه . قال العلماء بالسير : لما أصبح رسول الله صلى الله (٢٥٧) عليه وسلم من الليلة التي انصرف

فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق راكبا على بضلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه الأيمن

(وَمَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلَّا إِعَانًا) تصديقاً بوعد الله (وَتَسْلِيمًا) لأمره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ) مات أو قتل في سبيل الله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك (وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) في العهد وهم بخلاف حال المناقطين (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) بأن يمتهم على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا) لمن تاب (رَحِيمًا) به (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي الأحزاب (بِفَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) على إيجاد ما يريد (عَزِيزًا) غالباً على أمره (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أي قريظة (مِنْ صِيَاصِيهِمْ) حصونهم جمع صيصية : وهو ما يتحصن به (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف

فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانرض إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وألقيت الرعب في قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي إن من كان مطيعاً فلا يصليان العصر إلا في بني قريظة فاصرم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلون على حكي فأبوا فقال أنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرفضوا به فحكاهم فيهم فقال سعد إنني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسي الذراري والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم حرج إلى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخنق فيه خندقاً ثم بعث إليهم فأتى بهم إليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رئيس بني قريظة وكانوا ستائة أو سبعمائة فأمر حلياً والزيير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق ، فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد للذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحما بينهم (قوله وهو ما يتحصن به) أي سواء كان من الحصون أولاً حتى الشوكة والقرن وباب الداء ونحو ذلك تسمى صيصية

(قوله فريقتان) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أي وكانوا سبعمائة ، وقيل سبعمائة (قوله أي النراري) أي كانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أي الآن وعبير بالماضي لتحقق الحصول (قوله وهي خير) أي وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أي بستين أو ثلاث على الخلاف المتقدم في قريظة هل هي في الرابعة أو الخامسة وخير كانت في السابعة في أول الحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار وفي تلك الليلة لم يصح لهم ذلك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربع مائة نخلة وسقى أهلها وأصاب من سببها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بن النضير وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخي موسى فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صدقتها (قوله يأبى النبي قل لأزواجك) اختلف للمفسرون في هذا التخيير هل كان تفويضا في الطلاق إليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضا في الطلاق وإبنا خبرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى : فتعالين أمتعن وأسرحن ، وذهب قوم إلى أنه كان تفويضا وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أي وهن اللاتي مات هنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله : توفي رسول الله عن تسع نسوة (٢٥٨) إليهن تعزى الكرمات وتنسب ، فعائشة ميمونة وصفية *

وحفصة تلاوهن هند وزينب جويرية مع رمة ثم سودة ثلاث وست نظمن مهذب فائشة هي بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وميمونة بنت الحرث الملايكية وصفية بنت حيي بن أخطب من

(فَرِيقًا يَمُوتُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَأُخْرَى فَرِيقًا) منهم أي النراري (وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ يَطَّوُّهَا) بعد وهي خير أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّكُنَّ) أي متمعة الطلاق (وَأَمْرٌ خَيْرٌ مِّمَّا كُنْتُمْ تُرِيدْنَ) أطلقكن من غير ضرر (وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ) أي الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أََعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مِمَّا كُنْتُمْ تُرِيدْنَ) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أي الجنة :

فاخترن

بني النضير وهندي أم سلمة بنت أبي أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث

الجزاعية المطلقية ورملة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وسودة هي بنت زمعة (قوله إن كنتن تردن الحياة الدنيا) أي التمتع فيها (قوله وزينتها) أي زخارفها ، روى أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فممت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ما ليس عنده ثم اعترضن شهرًا ثم نزلت هذه الآية : يا أيها النبي قل لأزواجك حتى باع الحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة : إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تنجلى فيه حتى تسئري أبويك ؟ قالت وما هو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكرهن ذلك فأنزل الله : لا يحل لك النساء من بعد ، ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وبقوله تزجي من تشاء ممنهن وتؤوي إليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر مبني على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض ويصح أن يكون مجزوما في جواب الأمر والجواب هو قوله فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرر) أي من غير تعب ولا مشقة .

(قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكنن زاهدات في الدنيا حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد ، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئاً تظفر به وكانت صائمة فلم تجد معها شيئاً (قوله يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي إظهاراً للفضلين وهظم قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن ضجيعاته في الجنة فيقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافاً لمن شذوزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحقت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للأمة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا ، ولذا قال ابن عباس ما بنت امرأة نبي قط ، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة ، وقيل المراد به الفسوز وسوء الخلق ، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط وإن وردت منكورة فهي سائر المعاصي وإن وردت ممنوعة كما هنا فهي عقوف الزوج وسوء عشرته ، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد : لئن أشركت أحبطن عملك وإلانسأ النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرهما) أى فيما قرأتان سبعيتان (قوله أى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفي قراءة يضعف) أى والثلاث سبعيات (٣٥٩) (قوله العذاب) أى عذاب الدنيا

وعذاب الآخرة (قوله أى مثليه) أى فضف الشيء مثله وضفناه مثله وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيراً) أى سهلاً فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخلق يترك تعذيب الأعرزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوأتهم بل المكرم عند الله هو التقى (قوله

فاخترن الآخرة على الدنيا (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بفتح الياء وكسرهما : أى بينت أو هى بينة (يضأءف) وفي قراءة يضعف بالتشديد ، وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لما العذاب ضعفتين) ضعفتين عذاب غيرهن أى مثليه (وكان ذلك على الله يسيراً . ومن يقننت) يطع (منكن لله ورَسُولُهُ وَتَعْمَلُ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثل ثواب غيرهن من النساء ، وفي قراءة بالتحية في تعمل وتوتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) في الجنة زيادة (يا نساء النبي لستن كأحد) كجماعة (من النساء إن اتقين) الله فإنكن أعظم (فلا تخضعن بالقول) للرجال (فيطمع الذي في قلبه مرض) فثاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع (وَقِرْنَ) بكسر القاف وفتحها (في بيوتكن) من القرار ، وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرهما ،

وتعمل صالحاً) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على الطاعة والتخوى ومرة أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التي لا تيسر من غيرهن (قوله يانسأ النبي لستن كأحد من النساء) تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلا يلقى منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لست من الدنيا وليست الدنيا مني» والقربون منه كذلك ، والمعنى ليست الواحدة منكن كالأحدة من أحد النساء فالفاضل في الأفراد (قوله إن اتقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كما يشير له المفسر بقوله فانكن أعظم ، والمعنى إن اتقين الله فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل لقلب الرجال إليكن إذ لا يلقى منكن ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذي في قلبه مرض) في ذلك احتراس مما يقال إنهن أمهات المؤمنين والانسان لا يطمع في أمه ، فأجاب بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو المناق لأن شهوته حاصلة معه وهو منزوع الحشية والخوف من الله ولكن نهين عموماً سدا للذريعة (قوله قولاً معروفاً) أى حسناً فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لاربية فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله من القرار) أى الثبات ببيان المعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم ففاضى الأول مفتوح والأمر مكسور والثاني بالعكس .

(قوله نقلت حركة الراء) أى الأولى وحركتها إما كسرة على الأول أو فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) أى للاستغناء عنها بتحرك اللام ، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الأولى) اختلف في زمنها فقيل هي ما قبل بعثة إبراهيم وقيل ما بين آدم ونوح وقيل ما بين نوح وإدريس وقيل ما بين نوح وإبراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى وقيل ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هي ما قبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر الفسر وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كثر عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى (قوله من اظهار محاسنهن للرجال) أى فكانت المرأة تلبس القميص من الفرس غير محض الجانيين وكانت النساء يظهرن ما يبيح اظهاره حتى كانت للمرأة تجلس مع زوجها وخطها فينفرد عنها بما فوق الازرار وينفرد زوجها بما دون الازرار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البديل (قوله والاطهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال إن اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى فأجاب بأنه تقدم النهى عنه في قوله ولا يبدین زینتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) أى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أى لمستحقها (قوله وأطعن الله ورسوله) أى في جميع الأوامر والنواهي فلا (٣٦٥) تليق منكن مخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) أى الذنب المدنس

لعرضكن (قوله أهل البيت) منصوب على أنه منادى وحرف التداء محذوف قصره للفسر (قوله أى نساء النبي) قصره عليهن لراعاة السياق وإلا فقد قيل الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركن تطهيرا) أكده إشارة إلى الزيادة في التطهير بسبب التكليف بالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهي الخالص من دنس المعاصي فمن ادعى الطهارة

نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (وَلَا تَبْرَجْنَ) بترك إحدى التاءين من أصله (تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) أى ما قبل الإسلام من اظهار النساء محاسنهن للرجال والاطهار بعد الاسلام مذكور في آية « وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) الإثم (يَا أَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُم) منه (تَطْهِيراً) وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله (وَالْحِكْمَةَ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَيْرًا) بجميع خلقه (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِنِينَ وَالْقَائِنَاتِ) المطيعات (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) في الإيمان (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الطاعات (وَالْحَاشِمِينَ) المتواضعين (وَالْحَاشِمَاتِ وَالْمُتَّصِفِينَ وَالْمُتَّصِفَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَعْمَرَةً) للمعاصي (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات ،

(وما)

مع ارتكابه المعاصي فهو ضال كذاب (قوله واذا كرن مايتلى في بيوتكن)

أى لتذكرن به أنفسكن أو غيركن وفيه تذكير لمن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحي وكل ذلك سوجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أى عالما بخفيات الأمور (قوله خيرا) أى مطلعا على كل شئ (قوله إن المسلمين والمسلمات الخ) سبب تزولها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير لها فيناخير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبر الخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) إنما عطف وصفهما بالإيمان على وصفهما بالاسلام وإن كانا متحدين شرعا نظرا إلى أنهما مختلفان مفهوما إذ الاسلام التام بالثبوت بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان الاذعان القلبي بشرط النطق باللسان ويكتفى في العطف أدنى تعبير (قوله والحافظات) حذف المفعول له دلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أى بأى ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص فالكثرة في حق العامة أقلها

ثالثة ، وفي حق الريدين اثنا عشر ألفا ، وفي حق المارفين عشم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردني

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا يبنى ولا يصلح ولا يلبق وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والنهي كما هنا وتارة في الامتناع عقلا كما في قوله تعالى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة في الامتناع شرعا - كقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - (قوله إذا قضى الله ورسوله أمرا) ذكر اسم الله للتعظيم وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى وإذا صح أن تكون طرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمرا كون الحيرة لهم ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله أن تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالثناء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان قائتاء ظاهرة والياء نظرا إلى أن الحيرة مجازي التأنيت أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الحيرة) بفتح الياء وقرئ شدوذا باسكانها ومعناها واحد وهو الاختيار (قوله أي الاختيار) أشار بذلك إلى أن الحيرة مصدر (قوله من أمرهم) حال من الحيرة (قوله وأخته زينب) أي بنت جحش وأما أميمة بنت عبدالمطلب عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعن) (٣٦١) زيد أي بعد أن كان زوجه

أولام أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وقيل أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة أشهر وقيل سنة وولدت لزيد أسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرها ذلك) أي كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بنت عمك فلا

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ) بالياء والياء (لَهُمُ الْحِيْرَةُ) أي الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لظنهما قبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (وَمِنْ يَعْصِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ قَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا) بيتنا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها ، وفي قس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (وَإِذْ) منصوب باذكر (تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّبِ اللَّهَ) في أمر طلاقها (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) مظهره ،

أرضاه لنفسه وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضيا للآية) أي حين نزلت الآية توييحا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل في شأنهما فكان المناسب للفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أي أخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبي زيد) أي وأعطاه رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمرا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى - وتخفي في نفسك ما الله مبديه هو حبها الذي درج عليه المفسرة بما لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف وأيضا يبعد أن النبي يخفي عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أي لا تفارقها (قوله منصوب باذكر) أي فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل الذي في السير أن خديجة اشتريته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صوري وإلنا هو كان حرا لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعا سكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلاء عرفوا الرق بأنه عجز حكى سببه الكفر ، روى أن عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه إلى صدره وقال له لن أنت قال لمحمد بن عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابنا فردة علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم غنوه فبث إلى زيد وخبيره فقال يا رسول الله ما اختار عليك أحدا فغذبه عمه وقال يازيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم قتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله من محبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: إن الذي أخضاه في نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزوج الله إياها فلما شكاز يد النبي خاق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذي أخطى في نفسه وخشى رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبينه فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر والحكمة في تزوج رسول الله بزينب بإبطال حكم التبن والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبن من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجه وولد التبن لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر وفي نسخة ويزوجها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أي بأن لم يبق له فيها أرب وطاقها وانقضت عدتها، وفي ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له وعض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى في الدنيا والآخرة على السنة البشر والملائكة وزاد في الآية أن قال وإذ تقول للذي (٢٦٢) أنعم الله عليه أي بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة فعل ذلك قبل موته

فهذه فضيلة أخرى (قوله) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن) أي ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التي لم يشارك فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تقنخر على أزواج النبي وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع

من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجها (وَتَخَشَى النَّاسَ) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (وَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا) حاجة (زَوْجِنَا كَمَا) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولًا) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ (أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدْرًا مَقْدُورًا) مقضياً (الَّذِينَ) نعمت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فليس أباً زيداًى والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب (وَلَكِنْ) كان (رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ،

سموات وكانت تقول للنبي جدي وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيري وقد أنكحنيك الله فلا

والسفير في ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً) أي فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصاً به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولاً) أي موجوداً لا محالة (قوله من حرج) أي إثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم في النكاح) أي فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبع مائة امرأة وثلاثمائة سريه (قوله قدراً مقدوراً) هو من التأكيد كظلم ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أي أبوة حقيقية فلا ينافي أنه أبوم من حيث إنه شقيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على أنه خير لكان المندوفة وقرى شديداً بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير ورائه إذ لم يش له ولد ذكر وقرى أيضاً بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أي هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الأبوة عنه أن حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه أكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة .

(قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) التي في الحقيقة متوجه للوصف أي كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده وإلا فقد كان له من الأكور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب ولكمهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلنوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له ، وأورد عليه بمنع الملازمة إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالقون وليسوا بأنبياء . وأجيب بأن الملازمة ليست عقلية بل هي مقتضى الحكمة الإلهية وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالحليل ونبينا أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه الزايات المتفرقة في غيره فتدبر (قوله وإذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى - وخاتم النبيين - وعيسى ينزل بعده وهونبي ؟ ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الإسلام ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا هند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله إذ كروا الله في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكوره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الأنوار وحياتهم ، وللقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكركم قال تعالى - فاذكروني أذكركم - وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضرر قال تعالى - إن تكفروا فإن الله غفي عنكم - ، فذكروا لأنفسنا لأنه لاغنى لنا عن ربنا طرفة عين ، وإذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا . واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الله فلم يجعل له حدا ولم يعذر أحدا في تركه إلا من (٣٦٣) كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم

به في جميع الأحوال قال تعالى : فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه إشارة إلى أن النصر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة وأصيلا) خصّ التسبيح بالله ذكر وإن كان داخل فيه لكونه أعلى مراتبه ، وحكمة تخصيص التسبيح

فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم : أي به ختموا (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) منه بأن لا نبي بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أول النهار وآخره (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أي يرحمكم (وَمَلَائِكَتُهُ) أي يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُمْ) ليديم إخراجهم إياكم (مِنَ الظُّلُمَاتِ) أي الكفر (إِلَى النُّورِ) أي الإيمان (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . تَحِيَّتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا) بلسان الملائكة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) هو الجنة (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أُرْسِلْنَاكَ شَاهِدًا) على من أرسلت إليهم (وَمُبَشِّرًا) من صدقك بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرًا من كذبك بالنار. (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) إلى طاعته (يَاذَنِهِ)

يهذين الوفتين لكونهما أشرف الأوقات بسبب نزول الملائكة فيهما (قوله هو الذي يصلي عليكم) استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكور والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر في يصلى والفاصل موجود (قوله أي يستغفرون لكم) أي يطلبون لكم من الله المغفرة ، قال تعالى : ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم إخراجهم إياكم) جواب عما يقال إن إخراجهم إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان . وإيضاح الجواب أن المراد دوام هذا الإخراج لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعباد بالله تعالى (قوله من الظلمات إلى النور) جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وأورد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الإيمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أي يقبل القليل من أعمالهم ويعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا في إيمانهم (قوله تحييتهم منه تعالى) أي التحية الصادرة منه تعالى زيادة في الاعتناء بهم وتعظيما لقدرم (قوله يوم يلقونهم) اختلف في وقت اللقي فقبل عند الموت ، وقبل عند الخروج من القبور ، وقبل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أي لما ورد « إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول امر بك يقرئك السلام » وفي الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى - سلام قولا من رب رحيم - وقال تعالى - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم - وقال تعالى : لا يسمعون فيها لنوا ولا نائبا إلا قبيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أي وما فيها من النعيم اللقيم (قوله على من أرسلت إليهم) أي تتدرب أحوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الأعمال

الحسنة والقبحة فالأهمال تُعرض عليه حينا وميثا ، ويصح أن يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدروري لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد فيشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بإبالتصديق أو التكنيب (قوله بأمره) دفع بذلك ما يقال إن الإذن حاصل بقوله أرسلناك ، فلجلب بأن الزاد بالاذن الأمر ، والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر فإذا حصل الإذن سهل وتيسر ، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الاجازة للريدين فمن أجازه أشياخه بشي من العلم والارشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصغر بنفسه فقله عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل أن المراد به الصباح وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم لأنه لأن السراج يسول اقتباس الأنوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقبص منه الأنوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أي حيث كنت متصفا بالصفات الحمسة بفشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أي لاتدار الكفار ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين بل اثبت على ما أوحى إليك وبلغه ولا تكتم منه شيئا (قوله ودع أذام) إما من إضافة المصدر لفاعله أي أذيتهم إياك فلا تقاثلهم جزاء على ماصدر منهم أولفعله أي أترك أذيتك لهم في نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أي تق به في أمورك واعتمد (٢٦٤) عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة

في الفاعل أي أن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم فاذا عجز الانسان عن أمر فضله بالتوكل على الله والتفويض إليه فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله إذا نصبحكم للؤمنات) المراد بالنكاح المسقد

بأمره (وسراجا منيرا) أي مثله في الاهتداء به (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) هو الجنة (ولا تطع الكافرين وألما فقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) أترك (أذيتهم) لا تجازم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا إليه (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفي قراءة تمسوهن أي تجامعوهن (فألكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالأقراء وغيرها (فتمسوهن) أعطوهن ما يستمتن به ، أي إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وسرهن من سراجا جميلا) خلوا سبيلهن من غير إضرار (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك) ،

ما

بدليل قوله : ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وذ كر المؤمنات خرج مخرج الغالب

إذ الكتابيات كذلك وإنما نكح المؤمنات ، وأما نكاح الكتابيات فمكروه أو خلاف الأولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي ولوطال زمن العقد (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان (قوله أي تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) إما من العدد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عدت الدرهم فاعتدها أي استوفيت عددها (قوله وعليه الشافعي) أي ومالك فالملقة قبل الدخول زين سمى لها صداق فلامتعة لها ولاعدة عذبا وإن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضا فلاعدة عليها ولها المنة إما وجوبا كما هو عند الشافعي أو نديا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أي أتركوهن (قوله من غير إضرار) أي بأن تمسوهن فعنتا حتى يفتردين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن (قوله يا أيها النبي إنا أحلنا لك الخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل ناعى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير للدلول عليه بقوله - لايجل لك النساء من بعد - ، فهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول عن الآية للنسوخة بها كآية الوفاة في البقرة ، وقيل للمراد أحلنا لك أزواجك الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا ، ويؤيده قول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أي النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى سراً نساؤه بذلك ، والقول الأول أصح (قوله اللاتي آتيت أجورهن) بيان لما كان جله من مكارم الأخلاق

وإلا فله أحل له أن يتزوج بلا مهر (قوله ما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الثاب بل الملك باصراء كذلك (قوله كصفيه) هي بنت حبي بن أخطب من نسل هرون أخي موسى وتقدم أنها كانت من سبي خبير أذن النبي صلى الله عليه وسلم له حية الكلبى في أخذ جارية فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهي لا تصلح إلا لك غشى عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفي رواية « أنه صلى الله عليه وسلم قال لما هل لك في ؟ قالت نعم يا رسول الله إني كنت آتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت إنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قراوقع في حجرها فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال تمنين ملك يثرب » ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع (قوله وجويرية) أوى وهي بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى فكانها فجأت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك إلى ما هو خير من ذلك أودى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم في قوصها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنت هجرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله وبنات عمك وبنات عماتك) أى نساء قريش المنسوبات لأبيك وقوله وبنات خالك وبنات خالك أى نساء بنى زهرة المنسوبات لأمك ، (٣٦٥) وحكمة أفراد العلم والحال دون العمه والحالة

أن العم والحال يعمان إذا أضيفا لكونهما مفردين خالين من تاء الوحدة والعمه والحالة لا يعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم يهاجرن) أى فلا يحلان له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطاً في الاسلام فلما نسخ حكم الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة)

بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّبِي كصفيه وجويرية (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) بخلاف من لم يهاجرن (وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَفِخَ بِهَا) يطلب نكاحها بغير صداق (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ) أى المؤمنون (فِي أَزْوَاجِهِمْ) مِنَ الْأَحْكَامِ بِالْأَلَا يَزِيدُوا عَلَى أَرْبَعِ نِسَاءٍ وَلَا يَتَزَوَّجُوا إِلَّا بُولَىٰ وَشُهُودٍ وَمَهْرٍ (وَ) فِي (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) مِنَ الْإِمَاءِ بِشَرَاءٍ وَغَيْرِهِ بِأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ مِمَّنْ تَحِلُّ لِمَالِكِهَا كَالْكِتَابِيَّةِ بِخِلَافِ الْجُوسِيَّةِ وَالْوَثْنِيَّةِ وَأَنْ تَسْتَبْرَأَ قَبْلَ الْوَطْءِ (لِكِتَابِلًا) متعلق بما قبل ذلك (يَكُونَنَّ عَائِلَتُكَ حَرَجٌ) ضيق في النكاح (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما يصير التحرز عنه (رَحِيمًا) بالتوسعة في ذلك ،

مطلوف على مفعول أحلنا أى وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظهر الآية أن النكاح ينهقد في حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من منصوصياته ، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمه أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث « سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان منى الجنة فأعطاني » ولقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم ، ولا يلبق أن تكون الشركية أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الأمة ولو مسلمة لأن نكاحها مشروط بأمرين خوف الفتنة وعدم وجود مهر الحرة وكلا الأمرين مفقود . منه صلى الله عليه وسلم وأما تسريته بالأمة الكتابية ففيه خلاف (قوله إن وهبت نفسها للنبي) أظهر في محل الاضمار تشريفا لهذا الوصو وأظهارا لعظمة قدره عنده (قوله إن أراد النبي أن يستنكحها) هذا الشرط قيد في الشرط الأول فان هبتا نفسها لا توجب حلها إلا إذا أراد نكاحها بأن يحصل منه القبول بعد الهبة أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خاصة) مصدر مفعول المحذوف أى خاصت لك خاصة وجمي الصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله من غير صداق) أى ومن غير ولى وشهود (قوله وغيره) أى كهبة (قوله بخلاف الجهسية الخ) أى فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب لأنهن يجهرن على الاسلام ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه (قوله وأن تستبرأ قبل الوطء) أى كتابية كانت أو مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) أى وهو قوله : إنا أحلنا لك ، والمضى أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك ، والموهوبة لك فلا يكون [٣٤ - صاوى - ثالث] عليك ضيق (قوله لما يصير التحرز عنه) أى لتولهم إذا ضاق الأمر اتسع .

(قوله ترجى من نشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على أن القصد من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاشرته لنسائه واختلفوا في تأويلها ، وأصح ما قيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللأني وهين أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أو تهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى : من نشاء منهن وتوؤى إليك من نشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ، وقيل إن ذلك في الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت ، وقيل إن ذلك في الطلاق ، فالعنى لك طلاق من شئت منهن وإمساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء (قوله والياء بدله) أى بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمه مقدره على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أى التي طلبت ردّها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين ، وقيل كان محيرا من أول الأمر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أذنى أن تقر أعينهن) هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه ، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم خزنهن وأقرب إلى رضاهن بما حصل (٢٦٦) لمن لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئا من القسم وحصل منه

القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تأكيد للفاعل) أى فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ مشدودا بالنصب توكيذا للفعول (قوله والله يعلم ما فى قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل أن يراد العموم (قوله والميل إلى بعضهن) أى بالطبع فكان يميل إلى بعضهن أكثر وكان يقول «اللهم إن هذا حظي فيما أملاك

(رُجِي) بالهمز والياء بدله: تؤخر (من نشاء منهن) أى أزواجك عن نوبتها (وتوؤى) تضم (إليك من نشاء) منهن فتأيتها (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) من القسمة (فلا جناح عليك) فى طلبها وضماها إليك ، خير فى ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذلك) التخيير (أذنى) أقرب إلى (أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن) ما ذكر الخبير فيه (كلمهن) تأكيد للفاعل فى يرضين (والله يعلم ما فى قلوبكم) من أمر النساء والميل إلى بعضهن ، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك فى كل ما أردت (وكان الله عليما) بخلقه (حليما) عن عقابهم (لا تحل) بالتاء والياء (لأن النساء من بعد التسع اللاتي اخترتك (ولا أن تبدل) بترك إحدى التاءين فى الأصل (بين من أزواج) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (ولو أعجبتك حسيهن إلا ما ملكت يمينك) من الاماء فتحل لك ، وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية ،

وولدت

فلا تؤاخذنى فيما لا أملاك ، واتفق الاماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن فى القسمة

حق مات غير سودة رضى الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) أى يعلم العيب ويستتره فينبغي للانسان أن لا يفرط فى حقوقه لأن انتقام الجليم وغضبه أمر عظيم لما فى الحديث « اتقوا غيظ الجليم » فى الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أى بعد اجتماعهن فى عصمتك فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة ، فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لمن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتي توفى عنهن ، وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث انصطقلية ، وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بين من أزواج) البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك ، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال بأى وجه (قوله من أزواج) من زائدة فى المفعول (قوله ولو أعجبتك حسيهن) حال من فاعل تبدل (قوله إلا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء ، وقيل منقطع لإخراجه من الأزواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أى القبطية أهداها المقوقس ملك القبط ، وهم أهل مصر والاسكندرية ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبى بلتمة يكتب يدهوه فيه إلى الاسلام ، صورته : بسم الله

الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعا : الإسلام
 أسلم تسلم وأسبغ يؤنك الله أجرك مرتين ، فان توليت فإنا عليك إثم القبط - وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
 وبينكم - الآية فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده في الاسكندرية ، فدفعه إليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج
 وختم عليه ودفعه إلى جارية ، ثم كتب جوابه في كتاب صورته : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم
 القبط سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وماندعو إليه وعلمت أن نبيا قد بقي وما كنت أظن إلا
 أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك : أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أبواب ، وبشت لك بجزارتين لهما مكان في
 القبط عظيم أي وما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطي مصر وطيبيا وعودا وندبا ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ومع
 قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصيبا يقال له مأبور والبغلة هي لدل و كانت
 شهباء وفرسا وهو اللزاز ، فإنه سأل حاطبا ما الذي يجب صاحبك من الخيل ؟ فقال له الأشقر ، وقد تركت عنده فرسا يقال لها
 المرتجز فاتتخب له فرسا من خيل مصر للوصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الليمون ، وأهدى إليه عسلا من عسل بنها قرية من
 قرى مصر ، فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال : إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له إبراهيم)
 أي في ذى الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما ، وقيل سنة عشرة أشهر ، وقوله ومات في حياته : أي ولم يصل عليه بنفسه بل
 أمرهم فصالوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين
 نبي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك قال « كنت (٢٦٧) أعلم الناس بشأن الحجاب حين

أنزل وكان أول ما أنزل
 في بناء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم زينب بنت
 جحش حين أصبح النبي
 صلى الله عليه وسلم بها عروسا
 فدعا القوم ، فأصابوا من
 الطعام ثم خرجوا ببق رهط
 عند النبي صلى الله عليه وسلم

وولدت له إبراهيم ومات في حياته (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) حفيظا (يَأْيَاهُمُ الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) في الدخول بالدعاء (إِلَىٰ طَعَامِهِمْ) فتدخلوا
 (غَيْرَ نَازِلِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أتى يأتي (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا
 طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا، وَلَا) تمكثوا (مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنَّ ذَٰلِكُمْ)
 المكث (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ) أن يخرجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ)
 أن يخرجكم : أي لا يترك بيانه وقرى يستحي ،

وطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء
 عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي
 صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا ، فضرب
 النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه وبينه السر وأنزل الحجاب (قوله إلا أن يؤذن لكم) أي إلا بسبب الاذن لكم (قوله إلى طعام)
 متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين إناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضي أن الدخول
 مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من
 غير إذن وينظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الأمرين . والحاصل أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت: منها أن
 قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوة وينظرون نضج الطعام ، ومنها أن قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد
 ما طعموا مستأنسين لحديث ، ومنها مواكرا الأجاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجته فنزلت آية الحجاب
 ونهى عن ذلك كله ، وآيات الحجاب هذه لحضرة أمهات المؤمنين ، وأما لعموم الأمة فقد تقدم في سورة النور تأمل (قوله
 مصدر أتى يأتي) أي من باب رمي وقياس ، صدره أتى ولكنه لم يسمع وإنما المسموع أتى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم)
 أي أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستأنسين)
 أشار بذلك إلى أن مستأنسين حال من محذوف و ذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذي النبي) أي لتضييقه
 عليه (قوله فيستجيب منكم) أي من إخراجكم (قوله والله لا يستجيب من الحق) المراد بالحق إخراجكم من منزله وأطلق الاستحياء
 في حق الله وأريد لازمه وهو ترك البيان .

(قوله بيا واحد) أى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فسئلوهن من وراء حجاب) روى أن عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنات بالحجاب فنزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل وسمه حتى أصابه فأصابته بد رجل منهم بدعائشة وهى تأكل معهم ففكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أى ما ذكر من عدم الدخول غير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر الريبة) أى أتى وأبعد لدفع الريبة والهمة وهو يدل على أنه لا يفتنى لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبته ذلك أحسن لحاله وأحسن لنفسه (قوله وما كان لكم) أى ماصح وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره : إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى إلى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقبه فكفر الله عنه (قوله من بعده) أى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لأن كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد نحرهما على أمته وأما إماؤه فلا يجرم على غيره إلا بسنه لمن (قوله إن ذلكم) أى ما ذكر من إيدأه ونكاح أزواجه من بعده (قوله إن تبدوا شيئا) أى تظهروه على أنفسكم وقوله أو تخفوه : أى فى صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فان الله كان بكل شىء علما تعليل للجواب (٣٦٨) وهو بمعنى قوله تعالى - إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله -

(قوله لا جناح عليهن فى آياتهن الخ) هذا فى المعنى مستثنى من قوله - وإذا سألتوهن متاعا - الآية . روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناءؤهن يا رسول الله : أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله فى آياتهن : أى أصولهن وإن علون وقوله ولا أبناءهن المراد فروعهن

بيا واحد (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (مَتَاعًا فَسَأَلْتُمُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر الريبة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) بشىء (وَلَا أَنْ تَنكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا . إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفَّوهُ) من نكاحهن بدمه (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فيجازيكم عليه (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ) أى المؤمنات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (وَأَتَقِينَ اللَّهَ) فيما أمرت به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يخفى عليه شىء (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ،

وإن سفلوا (قوله ولا نساءهن) الاضافة من حيث المشاركة فى الوصف وهو الاسلام فقول للفسر وسلموا أى للمؤمنات تفسير للزناف ومفهومة أن النساء الكافرات لا يجوز لمن النظر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لأزواج النبي بل جميع النساء للسلمات كذلك فلا يحل للسلمة أن تبدى شيئا منها للكافرة لتلاصقها بزوجه الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرت به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنات وإن تقبلت فى سورة النور عموما دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه فأقاد هنا أمهن كالأمهات فى التعظيم والتوقير لا فى الخلوة والنظر فاتهن كالأجانب بل هن أشد فذكرهن حجابا خصوصا فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم فى النور (قوله لا يخفى عليه شىء) أى من الطاعات والمعاصى الظاهرة والخفية (قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمت وأفضل الخلق على الإطلاق إذ الصلاة من الله على نبيه رحمة للقرون بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة بقوله تعالى - هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور - فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين تلقائين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم إن ، وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره ين الله يصلى وملائكته يصلون وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين ، وللراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء تنبي بما يليق به وهو الرحمة للقرون بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شىء بما لرحمة الله نصار بذلك مهبط الرحمت ومنع التجليات (قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة للملائكة وللمؤمنين على النبي تشریفهم بذلك

حيث اتحدوا بالله في مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكانة نبض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى في كل فئمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه . إن قلت إن صلاتهم طلب من الله أن يصلى عليه وهو مصل عليه مطلقا طلبوا أولا . أجيبت بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر السالك أن يكافئه ، ولا شك أن الصلاة الواسلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد فكما طلبت من الله زادت على نبيه فهي دأمة بدوام الله (قوله وسلموا نسلياً) إن قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله واللائكة . أجيبت بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذى النبي والأذية إغماهى من البشر فناسب التخصيص بهم لأن في السلام سلامة من الآفات ، وأكد السلام دون الصلاة لأنها لما أسندت لله ولا تسكته كانت غنية عن التأكيد . واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة ، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض وعند غيرها تجب في كل مجلس مرة ، وقيل تجب عند ذكره ، وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد ، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم وفضلها جسيم وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين : إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلى على الصلى بخلاف غيرها من الأذكار فلا بد فيها من الشيخ العارف وإلا دخلها (٢٦٩) الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها

(قوله أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم) أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم) أى اجتموا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله إن الذين يؤذون الله ورسوله) أى ائذاء في حق الله معناه تعدى حدوده وفي حق الرسول ظاهر (قوله وم

وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا) أى قولوا : اللهم صل على محمد وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك وبكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أهدم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة وهو النار (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا كَتَبْنَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جُزَاءً فَاكْرَهُوا بِهَا غَيَابَتُهَا) (فَكَيْفَ أَخْتَلَوُا بِهَا) نحلوا كذباً (وَإِنَّمَا مُبِينًا) بينا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) جمع جلباب ، وهي الملاة التي تشتمل بها المرأة أى برخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يُعْرَفْنَ) بأنهن حرائر (فَلَا يُؤْذِينَ) بالتعرض لمن ، بخلاف الإماء فلا يظلمن وجوههن فكان المناقون يتعرضون لمن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهم من ترك الستر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن (لَنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَاقِقُونَ) عن نقابهم ،

الكفار) أى اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله في الدنيا) أى حجبهم عن الطاعة والتوحيد ، وقوله والآخرة : أى بتخليد في العذاب الدائم (قوله أهدم) أى عن رحمته (قوله ذا إهانة) أى هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه ، وقيل نزلت في شأن عائشة رضيت الله عنها ، وقيل نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذ برزن بالليل اقتضاء حوائجهم فان سكتت المرأة اتبعوها وإن زجرتهم اتبعوا عنها ، وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهي بمعنى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء واسكن كانوا لا يعرفون الحرمة من الأمة لأن زنى السكلى واحد تخرج الحرمة والأمة في درع وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدين) أى برخين ويظلمن (قوله التي تشتمل بها) أى تغطي وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والحمار (قوله فلا يظلمن وجوههن) أى فكن لا يظلمن وجوههن ، وهذا فيما مضى وأما الآن فالواجب على الحرمة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهم من ترك الستر) ورد أن عمر بن الخطاب صرح بجارية متقمة فعلاها بالدرة وقال لها أنتسبهين بالحرائر بالكاع ألقى القناع (قوله لن لم ينته المناقون) أى كعبد الله بن أبي وأصحابه .

(قوله والذين في قلوبهم مرض) أي فجور، وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله وللرجفون في المدينة) أي بالكتب، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سراياه صلى الله عليه وسلم يرقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسأطنك عليهم) أي فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم، وقد فصل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا فلان قم فأخرج فانك منافق ويا فلان قم» فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله أي الحكم فيهم هذا) أي الأخذ والقتل (قوله على جهة الأمر به) أي أن الآية خبر بمعنى الأمر (قوله أي سن الله ذلك) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم: أي فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك فانه سنة قديمة كما كان في قوم موسى منهم موسى السامري وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أي تغييراً ونسخاً لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الأحكام التي تتبدل وتنتسخ (قوله يستألك الناس) أي على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها. واعلم أن (٢٧٠) السائل للنبي عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال

اليهود امتحان لأن الله أخفى علمها في اثثورة فان أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه وإن أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلاً ثبت نبوته وصدقته، فقول المفسر أي أهل مكة: أي واليهود (قوله عن الساعة) أي عن أصل ثبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل إنما علمها عند الله) أي لم يطلع عليها أحداً وهذا إنما هو وقت السؤال والإفلام يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعها الله

(وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بِالزَّنَا (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ: قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَايَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا (لَنْفَرِيَنَّكَ بِهِمْ) لِنَسْأَطْنَكَ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ) يَسَا كُنُونِكَ (فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) ثُمَّ يُخْرَجُونَ (مَلْعُونِينَ) مُبْعِدِينَ عَنِ الرَّحْمَةِ (أَيُّنَا تُقْفُوا) وَجَدُوا (أَخِذُوا وَفُتِّلُوا تَفْتِيلًا) أَي الْحُكْمَ فِيهِمْ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ بِهِ (سُنَّةَ اللَّهِ) أَي سُنَّ اللَّهِ ذَلِكَ (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ فِي مَنَاقِبِهِمُ لِلرَّجْفِينَ الْمُؤْمِنِينَ (وَأَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) مِنْهُ (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أَي أَهْلُ مَكَّةَ (عَنِ السَّاعَةِ) مَتَى تَكُونُ (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يَعْلَمُكُ بِهَا: أَي أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) تَوْجِدُ (قَرِيبًا. إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أَبْعَدَهُمْ (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) نَارًا شَدِيدَةً يَدْخُلُونَهَا (خَالِدِينَ) مُقَدَّرًا خُلُودَهُمْ (فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يُخَفِّظُهُمْ عَنْهَا (وَلَا نَصِيرًا) يَدْفَعُهَا عَنْهُمْ (يَوْمَ تُقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: يَا) لِلتَّنْبِيهِ (لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) وَقَالُوا (أَيُّ الْأَتْبَاعِ مِنْهُمْ) رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا (وَفِي قِرَاءَةِ سَادَاتِنَا جَمْعُ الْجَمْعِ وَكُتُبَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا) طَرِيقَ الْهُدَى (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أَي مِثْلَى عَذَابِنَا (وَالْعَنَهُمْ) عَذَبَهُمْ،

(لنا)

على جميع الضيقات ومن جعلتها الساعة لكن أمر بكتن ذلك (قوله)

وما يدريك، ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام إنكاري (قوله لعل الساعة تكون قريباً) لعل حرف ترجح ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريباً حال وتكون تامة ولنا فسرهما بتوجد، والمعنى قل أتزجي وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد «إن الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألف السابع فلم يبق من الدنيا إلا القليل» (قوله أبعدهم) أي عن رحمة (قوله مقدرًا خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أي في السعير وأثمه مراعاة لعناه (قوله أبداً) تأكيد لما استفيد من قوله: خالدين (قوله يوم تقاب) بما ظرف لخالدبن أو ليقولون مقدم عليه، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوم يقولون ياليتنا) كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم ياليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسولاً) بأف بعد اللام ودونها هنا، وفي قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقصد التنبيه على ذلك (قوله ساداتنا) جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله جمع الجمع) أي جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة الذي مفردة إما سيد أو سائد (قوله أي مثلى عذابنا) أي لأنهم ضلوا وأضلوا.

(قوله وفي قراءة بالمرحدة) أي وهما سبعينان (قوله ما يمنعه أن يفتسل معنا الخ) أي لما روى «أن بنى إسرائيل كانوا يفتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءه بعض وكان موسى يفتسل وحده ، فقالوا والله ما يمنعه موسى أن يفتسل معنا إلا أنه آدر فذهب يوما يفتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل سوءه موسى ، فقالوا والله ما يمنعه من بأس ، فقام الحجر حتى نظروا إليه فأخذ ثوبه فاستتره وطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة : والله إن به ندبا : أي آراسته أو سبعة من ضرب موسى» (قوله فبرأه الله) أي أظهر برأته لهم (قوله وهي نفخة في الحصية) أي بسبب انصباب مادة أوريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبي من ذلك) أي وقال كما في رواية «إن لم أعدل من يعدل خسرت وندمت إن لم أعدل» (قوله قولاسديدا) المراد قولاً فيه رضا الله بأن يكون مما يعنى الإنسان فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتم من غيره (قوله يتقبلها) أي يتبكم عليها (قوله ويفرلكم ذنوبكم) أي يمحوها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف في المراد بالأمانة ، فأحسن ما قيل فيها أنها التكليف (٢٧١) الشرعية ، وقيل إنها قواعد

لدين الحس ، وقيل هي الودائع ، وقيل الفرج ، وقيل غير ذلك روى «أن الله تعالى قال للسموات والأرض والجبال أحمعن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قال إن أحستين جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن . قلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا» وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لثلاث يقين بها لامهصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخيرا لا إلزاما ولو أذنهن

(لَمَنَّا كَثِيرًا) عدده وفي قراءة بالمرحدة: أي عظيما (يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا) مع نبيكم (كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) بقولهم مثلا : ما يمنعه أن يفتسل معنا إلا أنه آدر (قَبْرَاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغسل نقر الحجر به حتى وقف بين ملائ من بنى إسرائيل فأذركه موسى فأخذ ثوبه فاستتره فأره لا أدرة به ، وهي نفخة في الحصية (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) ذا جاه . ومما أودى به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسمًا فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال «يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصير» رواه البخاري (يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) صوابا (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (وَيَهَيِّئْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَمَدًا فَأَوْزًا عَظِيمًا) نال غاية مطلوبه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقًا (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه بما حمله (جَهُولًا) به ،

لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما : أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خاق فيها فهما) أي حتى عقلت الخطاب ، وقوله ونطقًا : أي حتى ردت الجواب (قوله فأبين أن يحملنها) أي استصغارا وخوفًا من عدم الوفاء بها فليس إياؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم لأن السجود كان فرضا والأمانة كانت عرضا وإياؤه استكبارا وإياؤهن استصغارا (قوله وأشفقن منها) أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الإنسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان حملها (قوله بعد عرضها عليه) روى أن الله عزوجل قال لآدم «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي . قال الله تعالى أما إذ تحمات فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحل فأرخ عليه حجابا وأجعل لسانك لحين وغلافا فاذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك» قال مجاهد : فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلامقدار ما بين الظهر إلى العصر (قوله إنه كان ظلوما لنفسه) أي حيث حملها مالا تطيقه ، وقوله جهولاً به : أي بما حمله ، وقيل جهولا بقدر ربه لأنه لا يعلم قدره غيره ، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم وعود الضمير عليه وإن أريد بالضمير ما شمله وأولاده فيكون في الكلام استخدام فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك وفي خبرهم الظلم والجهل

من حيث حياته في الأمانة ومجاوزه حد الصرع (قوله ليذب الله المنافقين) اللام للمعاقبة والصبرورة على حد - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - (قوله وكان الله غفورا لئؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيا بهم) أي حيث أتاهم وأكرمهم بأنواع الكرامات ، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا أنهم متحملون أصرا عظيما لم تقدر على حمله الأرض والسماوات والجبال ، وقيل في حق الصوم إنه كان ظلوما جهولا .

[سورة سبأ] بالصرف وتركه كما سيأتي ، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشيء باسم بضمه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله الراد به) بالجر نعت لاسم الإشارة (قوله الثناء بضمونه) أي إنشاء الثناء بضمونه وهو الوصف بالجليل وليس المراد إنشاء الضمون لأن اتصافه بالجليل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمده موافق للحمد الأزلي ، وهذا يؤيد قول بعض العلماء إن آل في الحمد همدية لأن الله سبحانه لما علم هجر خلقه عن كنهه حمده حمد نفسه بنفسه أولا وأمرهم أن يحمده (٢٧٢) يحمده بحمد موافق لحده فتحصل أن الوصف بالجليل ثابت لله أولا

وإنشاء الثناء به حادث
فقول الله تعالى الحمد لله
اللفظ والثنافظ حادثان
هالان على معنى قديم
وهو اتصاف الله بالجليل .
إن قلت الحمد مدح
ومدح النفس مذموم
بين الخلق فما وجه
ذلك ؟ . أجب بأن
أوصاف الرب لا تقاس
على أوصاف العبيد
الآثرى الاتصاف بالعظمة
والكبرياء فانها نقص
في الخلق كمال في الخالق
وبهذا انهدم قول المعتزلة
إن كل ما حسنه العقل
يوصف به الرب وكل
ما قبحه العقل يزه عنه

(لِيُذَبَّ اللَّهُ) اللام متعلقة بمرضا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ) المضمين الأمانة (وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة
(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) للمؤمنين (رَحِيمًا) بهم .

(سورة سبأ)

مكية إلا : ويرى الذين أتوا العلم الآية ، وهي أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بضمونه
من ثبوت الحمد ، وهو الوصف بالجليل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)
ملكا وخلقاً (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كالدنيا بحمده أوليائه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ)
في فقه (الْحَبِيرُ) بخلقته (يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَرْجُ) يصعد (فِيهَا)
من عمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْفُؤْرُ) لهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا :

لا

ونسوا هل ذلك أمورا فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقاً)

أي أن كل ما في السماوات وما في الأرض مملوك وخالق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد في الآخرة) أي في نظير النعم التي تعطى
لأهل الإيمان فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن ، وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدنيا) أشار بذلك إلى أن في الآية
اكتفاء (قوله بحمده أوليائه) المراد بهم المؤمنون (قوله إذا دخلوا الجنة) أي فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ،
الحمد لله الذي صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال (قوله يعلم ما يلبغ في الأرض)
تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أي كالسكنوز والأموات (قوله كنبات وغيره)
أي كالسكنوز والأموات إذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله
وما يخرج فيها) ضمن المروج معنى الاستقرار فعداه بني دون إلى (قوله من حمل وغيره) أي كالملائكة فهو سبحانه وتعالى
مهيبط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه ، وفي ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه
مختصان بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فرحمته وسعت كل شيء

(قوله لا تأتينا الساعة) أراد الكفار بضمير التكم لجميع الخلق لا خصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفي إتيانها نفي وجودها لا عدم حاضرها مع كونها موجودة في نفس الأمر (قوله قل بلى) رد لكللامهم لأن كلامهم نفي ، فأجيب بالنفي ونفي النفي إثبات (قوله ورَبِّي) أتى بالقسم تأكيذا للرد وقوله - عالم الغيب - تقوية للتأكيد ، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشأن المتسم عنيه (قوله بالجر الخ) أي فالتقرآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لا يعزب) بضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرهما في قراءة الكسائي (قوله ولا أصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله إلا في كتاب مبين ، وقرئ بفتح الراء على أن لا تافيهة للجنس وأصغر اسمها وقوله : إلا في كتاب مبين خبرها ، والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو أن كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر الخلق ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها في اللوح لا احتياج، نزه الله عنه . إن قلت أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر إذ هو مفهوم بالأولى . أجيب بأنه لدفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان ، وأما الأكبر فلا يفسى فلا حاجة إلى إثباته فأفاد أن كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا احتياج (قوله ليجزي الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأتينكم كأنه قال لتأتينكم لأجل (٣٧٣) جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصورورة (قوله

لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ) الْقِيَامَةُ (قُلْ) لَمْ يَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِنَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) بِالْجُرْ صِفَةِ وَالرَّفْعِ خَبَرِ مَبْتَدَأٍ ، وَعَلَامِ بِالْجُرِّ (لَا يَعْزُبُ) يَغِيبُ (عَنْهُ مِثْقَالُ) وَزَنْ (ذَرَّةٍ) أَصْغَرُ نَمْلَةٍ (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) بَيْنَ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ (لِيَجْزِيَ) فِيهَا (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْنَتِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إِبْطَالِ (آيَاتِنَا) الْقُرْآنِ (مُعْجِزِينَ) وَفِي قِرَاءَةِ هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي مَعَاجِزِينَ أَي مَقْدَرِينَ عَجْزَنَا أَوْ مَسَابِقِينَ لَنَا فَيَفُوتُونَا لَظَنَّهُمْ أَنْ لَا يَبْثُ وَلَا عِقَابٍ (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) سُمِّيَ الْعَذَابُ (أَلِيمٌ) مَوْظُومٌ بِالْجُرِّ وَالرَّفْعِ صِفَةٌ لِرِجْزٍ أَوْ عَذَابٍ (وَيَرَى) يَعْلَمُ (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مُؤْمِنُوا أَهْلَ الْكِتَابِ كَمَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ (الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ) أَي الْقُرْآنَ (هُوَ) فَصْلُ (الْحَقِّ) وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أَي اللَّهُ ذِي الْعِزَّةِ الْمَحْمُودَةِ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَي قَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى جَهَةِ التَّمْجِيبِ لِبَعْضِ (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) هُوَ مُحَمَّدٌ (يُنَبِّئُكُمْ) يُخْبِرُكُمْ أَنْتُمْ

مقدرين عجزنا الخ) اف وشمر منب ، والمعنى مؤمنين أهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في إبطال القرآن (قوله أو مسابقين لنا) أي مغالبيين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين أن مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن ثبت البعث والعذاب لمن صكهم ميظعون فيه ويريدون إبطاله لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم فيفرون من البعث والعذاب لاعتمادهم بطلانه (قوله لظنهم أن لا يبعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) إما بالرفع بضمه مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على أنه معطوف على يجزي فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والدين فاعل والذي أنزل منقول أول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان ، وقوله ويهدي إما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق وهاديا ، أو مستأنفا أحوال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) أي عديم النظير والشبيه والمثيل أو من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار .

(قوله إذا مزقتم) يتعين أن عامل الظرف محذوف تذييره نبشون ومخسرون إذا مزقتم الخ يدل عليه قوله : إنكم لفي خلق جديد ولا يصح أن يكون عامله ينبسكم لأن الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وصبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال ينجركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمائه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله إنكم لفي خلق جديد) أي تفتشون خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) أي بهمة الاستفهام لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) أي الاخيار بالبعث (قوله جنون) أي خبل في عقله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا إنشاء كلام من الله ردًا عليهم وماتقدم وإن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم (قوله العذاب) أي في الآخرة وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وإن كان الضلال حاصلًا لهم بالفعل لأن التسمية بموصول العذاب لهم أمم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة (٢٧٤) عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله ما بين أيديهم) المراد به ما ينظره

من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات ، فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والأرض) بيان لما ، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزييناها وما لها من فروج الآية (قوله إن نشأ) هذا

(إِذَا مَرُّقْتُمْ) قَطَعْتُمْ (كُلُّ مَرِّقٍ) بِمَعْنَى تَمَزِيقٍ (إِنَّكُمْ لَبِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفَتَرَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (كَلَى اللَّهُ كَذِبًا) فِي ذَلِكَ (أَمْ بِوَجْهَةِ) جَنُونَ تَحْيِيلَ بِهِ ذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) الْمَشْتَمَلَةُ عَلَى الْبَعْثِ وَالْعَذَابِ (فِي الْعَذَابِ) فِيهَا (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا (أَفَلَمْ يَرَوْا) يَنْظُرُوا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) مَا فَوْقَهُمْ وَمَا تَحْتَهُمْ (مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا) بِسُكُونِ السُّيْنِ وَفَتْحِهَا قِطْعَةً (مِنَ السَّمَاءِ) وَفِي قِرَاءَةِ فِي الْأَفْصَالِ الثَّلَاثَةِ بِالْيَاءِ (إِنَّ فِي ذَلِكََ) الْمُرْتَبِي (لَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَمَا يَشَاءُ (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا) نُبُوَّةَ وَكُتَابًا وَقَلْنَا : (يَا جِبَالُ أَوْبِي) رَجَعِي (مَعَهُ) بِالتَّسْبِيحِ (وَالطُّيْرُ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ الْجِبَالِ : أَيِ وَدَعَوْنَاهَا تَسْبِيحَ مَعَهُ (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) ،

دسكان

تخدير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعاقب مشيئتنا به

(قوله نخسف بهم الأرض) أي كاخسفتها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفا) أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة (قوله بسكون السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعاً (قوله في الأفصال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط (قوله إن في ذلك الرئي) أي من السماء والأرض (قوله ولقد آتينا) اللام موثقة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتاباً) أي وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله يا جبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شدوداً أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كما سبح داود إذا سبح أجاته الجبال وعطفك عليه الطير من فوقه ، وقيل كان إذا أمره فتورأعجه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطف على محل الجبال) أي لأن محله نصب لكونه منادى مفرداً أو مفعولاً معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية قال ابن مالك : وإن يكن مصعوب ال مانسقا ففيه وجهان ورفع ينتقى (قوله وألنا له الحديد) سبب ذلك أن الله تعالى أرسل له ملكاً في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود ؟ فقال نعم هو لولا خصلة فيه ، فقال داود ما هي ؟ قال إنه يأكل ويظم هباله من بيت المال ، فسأل داود عليه السلام ربه أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال

فالإن الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ، قيل كان يعمل كل يوم درعا ويبيعها بأربعة آلاف درهم وينفق ويتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم « كان داود لا يأكل إلا من عمل يده » (قوله فكان في يده كالمعجن) أي من غير نار ولا آلة (قوله دروعاً كوامل) أشار بذلك إلى أن سابقاته صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في السرد) اختلف في معنى الآية ، فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهك فيه بل اشتغل بعبادة ربك ، وقيل قدر المسامير في حلق الدروع لاغلاظاً ولادقاً ، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فالأظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم في الغاظ لا تقبل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تناسب حلقة) بفتحين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحين (قوله أي آل داود) تفسير اللوا في أعمالها (قوله صالحاً) أي عملاً صالحاً ولا تسكوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فأجازيكم عليه) أي إن خيراً غيري وإن شراً فشر (قوله لسليمان الريح) الجار والمجورور متعاق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرننا بدليل التصريح به في قوله تعالى - وسخرنا له الريح تجري بأمره - (قوله بتقدير تسخير) أي فالجار والمجورور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والأصل وتسخير الريح كأن لسليمان حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر ، والمعنى سيرها من (٢٧٥) الغداة إلى الزوال مسيرة شهر

للسائر المجتهد وعن الزوال للغروب مسيرة شهر ، عن الحسن كان سليمان يمشي من دمشق فيقيس في إصطخر وينها مسيرة شهر ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل وينها مسيرة شهر للراكب السريع وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لأي جهة توجه إليها فالعاصف تعلق البساط والرخاء تسيره (قوله

فكان في يده كالمعجن ، وقلنا (أَنْ أَعْمَلَنْ) منه (سَابِقَاتٍ) دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) أي نسج الدروع ، قيل لصانها سراد : أي أجعله بحيث تناسب حلقة (وَأَعْمَلُوا) أي آل داود معه (صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم به (و) سخرننا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غُدُوها) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا) سيرها من الزوال إلى الغروب (شَهْرٌ) أي مسيرته (وَأَسَلْنَا) أذنبنا (لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ) أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء ، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ لِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ) يبدل (مِنْهُمْ عَن آخِرِنَا) له بطاعته (نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّيْرِ) النار في الآخرة ، وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منهاضربه تحرقه (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ) أبنية عرقعة يصعد إليها بدرج (وَتَمَائِيلٍ) جمع تمثال ، وهو كل شيء مثله بشيء : أي صور من نحاس وزجاج وورخام

وأسلنا له عين القطر) أي جعلنا النحاس في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض وكانت تلك العين باليمن (قوله فأجريت ثلاثة أيام) قيل مرة واحدة ، وقيل كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان : أي صنع الناس النحاس وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجورور قبله ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أي بطاعة سليمان (قوله بأن يضربه ملك الخ) أي فقد وكل الله ملكاً بالجن السخرين لسليمان وجعل في يده سوطاً من نار ، فمن زاعق منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضرباً أحرقت (قوله أبنية مرتفعة) أي مساجد وغيرها ، وصحبت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها ، وقيل المراد بالمحارب خصوص المساجد والأقرب ما قاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبت بالمحارب لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر ولذا خصوها بالأئمة (قوله وتمائيل) قال بعضهم إنها سور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور في المساجد ليراهم الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور » أي ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة

(قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال إن اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان . وإعلم أن اتخاذ الصور أولا كان لمقصد حسن فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلمة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهي حوض كبير) يسمى جابية لأن الماء يجي فيه أي يجمع . (قوله آل داود) المراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لأجله أي عملوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تناضى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدكم من الدم وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التي لا تحصى (قوله وقليل من عبادي الشكور) أي لكون هذا المقصد عزا لم يوفق له إلا القليل من الناس ، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم لإملاجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا في الجنة . [فائدة] من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس . وذلك أن داود ابتداء بنائه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يدك بل على يد ابن لك اسمه سليمان ، فلما قضى على داود واستخلف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصنائج فلما فرغ منها ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أما كنه فأتى من ذلك بشيء كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار وإصلاح تلك الجواهر وقب تلك اليواقيت والآلاتي فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وجعل عمده من البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر وبسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبيه (٢٧٦) ولا أتور منه فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على هذا

البناء حتى غزاه بمختصر غرب المدينة وهدمه وأخذ مفيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنو إسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى ، وكان ابتداء بناء بيت المقدس

ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريسته (وَجِيفَانٍ) جمع جفنة (كأَلْجَوَابِ) أي جمع جابية ، وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقَدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أما كنها تتخذ من الجبال بالهيم يصد إليها بالسلام ، وقلنا (أَعْمَلُوا) يا (آل دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ) على سليمان (الْمَوْتَ) أي مات ، ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته ،

حتى

في السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع

عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرّب بعد فراغه منه اثني عشر ألف نور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء ، وقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفني على ملتك ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا أمنت له ولا سقيم إلا شفيت له ولا فقير إلا أغنيت له والخامسة ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا أو ظلما يارب العالمين . وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلا ثلاثا حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا يبني لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينزهه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . إذا علمت ذلك فيبت المقدس تم بناؤه وهو حي وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون مافي غد ثم لبس كفته وتمنط ودخل الحراب وقام يصلي واتسكا على عصاه على كرسية فمات فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لتسكروا منه قبل ذلك فالحكمة في إخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لآتميم بناء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل .

(قوله حتى أكلت الأرض عصاه) فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأينناك بهما (قوله مصدر أرضت الخشب) أي أكلت ، فعنى دابة الأرض دابة الأكل وهذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن المراد بالأرض العرقة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أي الساكن أو المفتوح فتكون القراءات ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى طى ، وفي نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله وهلم كونه الخ) إما بالبناء للفعول أو مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرض على العصا فأكلت في يوم وليلة مقدارا غسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبأ) اللام موثقة لقسم عذوف أى والله لقد كان الخ ولسبأ خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفي مسأكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) أى وفي هدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراءات ثلاث (قوله سميت باسم جد لهم) أى وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان ، روى أن رجلا قال يارسول الله «وماسبأ أرض أوامرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكننه رجل ولد عشرًا من العرب فتيامن منهم ستة أى سكنوا الجن وتشاء منهم (٢٧٧) أربعة أى سكنوا الشام فأما

الذين تشاءموا فأنهم
وجذام وغسان وعاملة وأما
الذين تيامنوا فالأزد
والأشعريون وحير وكندة
ومذحج وأمار فقال
رجل يارسول الله وما أمار
قال الذين منهم ختم
وبحيلة . المقصود من
تلك القصة اتعاظ هذه
الأمة الحمديّة ليعتبروا
ويشكروا نعمة الله عليهم
وإلا يحل بهم ما حل بمن
قباهم (قوله في مسأكنهم)
بالجمع كساجد والإفراد
إما بكسر الكاف أو فتحها
ففيه ثلاث قراءات سبعيات

حتى أكلت الأرض عصاه فخر ميتاً (مَادَ لَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) مصدر أرضت
الخشب بالبناء للفعول أكلتها الأرض (تَأْكُلُ مِنْ سَائِهِ) بالهمز وتركه بألف : عصاه ، لأنها ينسأ
ويطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتاً (تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخففة : أى أنهم
(لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الْغَيْبَ) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (مَالِبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)
العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب ، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته
الأرض من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً (لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت
باسم جد لهم من العرب (فِي مَسَاكِينِهِمْ) بالين (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ)
بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهم وشماله ، وقيل لهم (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سبخ
ولا بهوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قل فيموت
لطيب هوأها (وَ) الله (رَبِّ غَفُورٍ . فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة ،

(قوله بالين) أى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أى فاذا تأمل العاقل فيها استدلال على باهر
قدوته وأنه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أى من آية التي هى اسم كان وصح إبدال المثني من المفرد لأنه في قوة المتعدد
وذلك أن الجنين لما كاتتا هما لتين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلها آية واحدة
نظير قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذهاب وشماله
(قوله وقيل لهم) أى على لسان أنبيائهم لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله وذكروهم بنعمه وهذا الأمر للاذن
والإباحة (قوله واشكروا له) أى اصرفوا نعمه في مصارفها (قوله أرض سبأ الخ) أشار بذلك إلى أن قوله بلدة طيبة خبر
لخذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سبخ) جمع سبخة وهى الأرض ذات الملح (قوله ولا بهوضة) البهوض البق وقوله
ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) أى القمل ومثله باقى المصوام (قوله ورب غفور) أى يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن
شكره) أى عن أمره واتباع رسله ، لما روى أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله وذكرهم بنعمه وأنذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا له فليجس عنك هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحار كان له ولد
فات فرقع رأسه إلى السماء فبرق وكفر فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر فان أجابه وإلا قتله .

(قوله وهو ما يسك الماء من بناء وغيره) أى فكان وادبهم أرضا متسعة بين جبال شامخة فبنت بقميس سدا حول ذلك الوادى بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خاف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه ، فالعزم هو هذا السد ، وقيل العزم اسم للفأر الذى نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون فى كهاتهم أنه يخرب سدهم فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة ، فلما جاء ما أرواه الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك المرمر فتاورتها حتى استأخرت عن الحجر ، ثم وثبت فدخلت فى الفرجة التى عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتهما بذلك تهكم بهم لمشاكله الأولى (قوله مفرد على الأصل) أى لأن أصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ما قبلها فلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا فى ثنيتها وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض (٢٧٨) فالأول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مرّ بشع) قيل هو شجر الأراك ،

وقيل كل شجر له شوك (قوله بإضافة أكل) أى بضم الكاف لا غير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان : نوع يؤكل ثمرة ويتفع بورقه ، ونوع له ثمرة غرض لا يؤكل أصلا ولا يتفع بورقه وهو المسمى بالضال ، وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزيئا مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ماصدرية (قوله بالياء

وهو ما يسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أى سيل وادبهم المسوك بما ذكر فأغرق جنتهم وأموالهم) وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِى (ثنية ذوات مفرد على الأصل) (أَكُلِ حَظِّ) مَرٌّ بِإِضَافَةٍ أَكُلَ بِمَعْنَى مَا كَوَّلَ ، وَتَرَكَهَا وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ (وَأَنْثَلِ وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ) التبدیل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور، أى ما يناقش إلا هو (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر، وهى قرى الشام التى يسرون إليها للتجارة (قُرَى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقولون فى واحدة ويبيتون فى أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء : أى وقتنا (سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَهَا وَيَأْتِيَهَا آمِنِينَ) لا تخافون فى ليل ولا فى نهار (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ وَفَى قِرَاءَةِ بَعْدَ (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم فى ذلك (وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) فرقناهم فى البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآياتٍ) عبراً (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصى (شَكُورٍ) على النعم (وَلَقَدْ صَدَقَ) ،

والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب بالتخفيف

على المناقشة والتدقيق فى الحساب والنواخذة بكل الذنوب وإلا فطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسرون غير جاععين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لا يجرى بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يجرى (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى المعاش نظير قول بنى إسرائيل - ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض - الآية، وكتفى أهل مكة العذاب بقولهم - اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء - الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهى الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات وقيل من فاز إذا نجح وسلم سعى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) أى لصيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى

سنة باقية في كل من بطر النعمة وظلم ، فقد أفادنا الله في تلك الآيات أنه اصابهم بنعمتين ، ابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أى وسبب ظنه إما رؤيته انهما كهم في الشهوات أو قول الملائكة آتجمل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الحافض ، والمعنى صار فيما ظنه أولاً من إغوائهم على يتين ، وقوله أو صدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق ، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقاً (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلاً لأن بعض المؤمنين يذنب ويتبع إبليس في بعض المعاصي ويكون قوله لإفريقاً من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلاً والأقرب الأول لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لأغويهم أجمعين إلا عبادك منهم المحاصنين (قوله تسليط منا) أى فالشيطان سبب في الاغواء لخالق الاغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد الله إغواؤه سلط الله عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) أى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة للتعليل ، ومعنى الآية ما كان له عليهم إيجاد إضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه ليميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الإيمان فاتباعه وعدمه علامة على ما يتعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) أى فهو تعالى (٢٧٩) قادر على منع إبليس منهم عالم

بما سيق (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل التخلص وبالضم إتباعاً قراءتان سبعيتان (قوله أى زعمتموه آلهة) أى فالمفعولان محذوران الأول لطلوه بصلته والثاني لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا أى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنى الجوع ويجلبوا لكم سمة

بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أى الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم بإغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف في ظنه ، أو صدق بالتشديد ظنه ، أى وجده صادقاً (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أى وهم المؤمنون لم يتبعوه (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ يَمُنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فنجازى كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَّمْتُمْ) أى زعمتموه آلهة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لينفعوكم بزعمكم ، قال تعالى فيهم (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ) شركة (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من الآلهة (مِنْ ظَهْرٍ) معين (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ هُنَا) تعالى رداً لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ) بفتح الهمزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ)

العيش (قوله ميثقال ذرة) أى لا يملكون أصراً من الأمور في العالم وذكر السموات والأرض للتعميم عرفاً (قوله معين) أى على خلق شيء بل الله تعالى المنفرد بالاجداد والاهدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أى أن الشفاعة لا تكون من هؤلاء العبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار ، وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم - (قوله رداً لقولهم الخ) أى حيث قالوا - ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - وإيضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالأذن والرضا وهم قد ارتكبوا ما يقتضى النضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضى للغضب وعدم الأذن في الشفاعة إن هذا لزعم باطل (قوله إلا لمن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين ، والمعنى إلا لشافع أذن له في الشفاعة ، ويصح وقوعها على المشفوع لهم ، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لشفوع إذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة بأذن والضم مير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) أى والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولاً وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والأذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فزع) غاية في عهذيف تقديره يترصدون ويتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى إذا فزع إلى آخره ، والتضعيف للسلب كالهزمة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع ، والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في الأذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضاً .

(قوله بالبناء للفاعل) أى وفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول : نهي وإلجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعثان (قوله استبشارا) أى لزوال الكرب والحزن عن القلوب . واختلف هل هذا الأمر فى الآخرة أو الدنيا ، فقيل فى الآخرة ويؤيده ما فى سورة النبأ - يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له ففرغ ماورد على القلوب من المهابة حتى إذا ذهب الفرغ عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا ، وقيل فى الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى إذا أراد أن يوحى بأمر وتكلم بالوحي أخذت السموات والأرض منه رجفة أورد عدة شديدة خوفا من الله تعالى فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ماأراد ، ثم ير جبريل بالملائكة كلما مر بسما سألها ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العليّ الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى . وعن ابن عباس قال : كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي وكان إذا نزل الوحي مع له صوت كاهرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على أهل سماه إلا صعقوا فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العليّ الكبير ، ثم يقول يكون فى هذا العام كذا ويكون كذا ، فسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة يخبر الناس فيجدونه (٢٨٥) كذلك ، فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب

فقال العرب حين لم يخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء ، فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أصرعوا فى أموالهم ، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : أيها الناس أمسكوا على أموالكم فإنه لم يميت من فى السماء أما ترون

بالبناء للفاعل والمفعول (عَنْ قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفرغ بالإذن فيها (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشاراً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الْحَقُّ) أى قد أذن فيها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ) المطر (وَالْأَرْضِ) النبات (قُلِ اللَّهُ) إن لم يقوله لاجواب غيره (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أى أحد الفريقين (لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ، فى الإبهام تلتف بهم داع إلى الإيمان إذا وقوله (قُلْ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا أَجْرَمْنَا) أذنبنا (وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأننا بريئون منكم (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل الحقين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بما يحكم به (قُلْ أَرُونِي) أعلموني (الَّذِينَ أُخْلِفْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ) فى العبادة (كَلَّا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له ،

معالكم من النجوم كماهى والشمس والقمر والليل والنهار ، فقال إبليس لقد حدث فى الأرض اليوم حدث فأتوني (بل من كل تربة أرض فأتوه بها ، فلما شئت تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث ، فأنتصوا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث ، فتحصل أن الفرغ على القول بأنه فى الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بأنه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للأمرين والعموم أولى لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فردّ الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العليّ الكبير) هذا من تمام كلام الشفاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبيكيت للبكرين وإشارة إلى أن آلهتهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض ، إلى قوله - فسيقولون الله - (قوله لعلى هدى أوفى ضلال مبين) غاير بين الحرفين إشارة إلى أن المؤمنين مستعملون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار مهبرسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لا يبصر شيئا (قوله فى الإبهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وهما صفة لتلطف (قوله قل لا تسألون عما أجرمتنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للخاطئين (قوله يوم القيامة) أى فى الموقف (قوله أعلموني) أشار بذلك إلى أن أرى علمية فتتهدى إلى ثلاثة مفاعيل أولها ياء للتكلم ولأنهايا الموصل وثالثها شركاء ويصح أن تكون بصرية فتتهدى إلى مفصولين الأول ياء للتكلم والثانى الموصل وشركاء خالى من خالفة الموصل ، والقصد من ذلك تبيكيتهم وإظهار خطيئهم بعد إقامة الحجة عليهم

(قوله بل هو) الضمير إما عائد على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله إلا كافة) الحصر إضافي مجزؤه للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بنزلة تقدم المجرور على الجار وردّ بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتفق به وإذا جاز تقدمها على صاحبها وعاملها فتقدمها على صاحبها وحده أجاز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا أحد أوجه في الآية ويصح جعل كافة حالاً من الكاف في أرسلناك والتاء للبالغة كهي في علامة ورواية ، والغنى إلا جامعاً للناس في التبليغ لا يخرج عن تباينك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أو مصدر كالعاقبة والعافية إما مبالغة أو على حذف مضاف أي ذاك كافة للناس أوصفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرساله كافة أي محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والأوجه الثلاثة على أنه حال ضمن الكاف وهي متقاربة فتحصل أن هذه الآية دلت على أنه مرسل لجميع الناس بشيراً ونذيراً وأما إرساله لغيرهم فما أخذ من آيات أخر منها - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لكن إرساله للناس والجن إرسال تكليف ولللائكة قيل إرسال تكليف وقيل تشریف وللحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشریف (قوله لا يعلمون ذلك) أي ما ذكر من عموم رسالته وكونه بشيراً ونذيراً (قوله ويقولون) أي على سبيل (٢٨١) الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم)

الخطاب للنبي والمؤمنين (قوله لا تستأخرون عنه) أي إن أردتم التأخر وقوله ولا تستقدمون أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم إن قلت إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال لأن السؤال عن طاب تعيين الوقت والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله وأجيب بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا أسألهم لأن سؤالهم وإن كان على صورة

(بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) في تدبيره خلقه فلا يكون له شريك في ملكه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً) حال من الناس قدم للاهتمام (لِلنَّاسِ بَشِيرًا) مبشراً للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) منذراً للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَعْتَمُونَ) عليه وهو يوم القيامة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له ، قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَغْتَفُوا) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرؤساء (لَوْ لَا أَنْتُمْ) صدقتمونا عن الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَغْتَفُوا أَمْحُنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) لا (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) في أنفسكم

الاستفهام عن الوقت إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت . والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم : إن صفة محمد في كتبنا ، فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه (قوله الدالين على البعث) أي وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أي في بيان أحوالهم في الآخرة (قوله ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ، ولو ترى حال الظالمين وقت رقوفهم عند ربهم حال تكونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمراً فظيماً (قوله إذ الظالمون) إذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أي محبوسون في الموقف لحساب (قوله عند ربهم) العندية للكانة والمظنة لالسكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب يرجع (قوله يقول الذين استغفوا) تفسير لقوله يرجع ، فالجملة لا عمل لها من الإعراب (قوله لولا أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر ، بقوله صدقتمونا الخ ، وقوله لكننا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أي جواباً للستغفين (قوله أَمْحُنْ صَدَدْنَاكُمْ) أي مننناكم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري

(قوله وقال الذين استخضعوا) ترك العاطف في سبقي لأنه مر أولاً كلامهم فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر المستخضعين معطوفاً على كلامهم الأول (قوله بل مكر الليل والنهار) رد وإبطال لكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل حذف أى صدنا مكرم بنا في الليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه على الانساع والاسناد مجازي (قوله إذ تأمرونا) ظرف للمكر أى مكرم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأمسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أى أخفاها كل عن ربيته) أى فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يبيره الآخر (قوله وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أى زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسمية له صلى الله عليه وسلم (قوله إلا قال مترفوها) حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي فتم فقد وجد السوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية القرائن (قوله وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) أى فلولم يكن راضياً بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا وإلّا كان كذلك فلا يعذبنا في الآخرة (٢٨٢) (قوله وما نحن بمعذبين) أى لأنه لما أكرمنا في الدنيا فلا يهيننا

في الآخرة على فرض وجودها (قوله قل إن ربي يسط الرزق الخ) أى يسط الرزق وضيقه في الدنيا ليس دليلاً على رضا الله فقد يسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وإعماهو تابع للقسمه الأزلية . قال تعالى : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفضنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أى فيضنون أن بسط الرزق وضيقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُخِضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ، بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْمَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأَسْرُوا) أى الفريقان (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) أى أخفاها كل عن ربيته مخافة التعمير (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤسؤها المتصنون (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقة لمن يشاء ابتلاء . (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَرْبُوكُمْ) هَذَا زُلْفَى (قَرِيبَى) أى تقريباً (إِلَّا) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أى جزاء العمل الحسنه مثلاً بشرفاً أكثر (وَهُمْ فِي النَّارِ) من الجنة (آمِنُونَ) من الموت وغيره ، وفي قراءة الضرفه بمعنى الجمع (وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُعْجِزِينَ) لنا مقدرين معجزنا وأنهم يفوتونا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ . قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقة (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ،

ابتلاء

سبق لتقرير ما سبق وتحقيقه (قوله بالتي تتربكم) صفة للأموال والأولاد لأن جمع

التكبير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة الموثقة الواحدة ويصح أن تكون التي صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال التي (قوله قربي) أشار بذلك إلى أن زلني مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلاً والخطاب الأول عام كأنه قيل وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير وراهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ ولهم خبر مقدم وجزء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء أهمالم (قوله جزاء الضعف) من إضافة الموصوف لصفته أى الجراء المضاعف (قوله مثلاً) أى أو الحسنه بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر (قوله وغيره) أى من سائر السكاره فلا يعنى تجابهم ولا نبلى ثيابهم (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعية أيضاً (قوله مقدرين معجزنا) أى معتقدين أننا عاجزون فلا تقدر عليهم (قوله نس إن ربي يسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف في هذه الآية فقيل مكروهة مع التي قبلها لتأكيده ، وقيل مقاربة

لها فالأولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وتبين فوق البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الأول في المفسر أو الأولى محمولة على الكفار ، وهذه في حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله ويقدر له أى يختبر هل يصبر أولا (قوله وما أنفقتم من شئ) أى على أنفسكم وعبالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أى بالمال أو بالقناعة التي هي كثر لا ينفد أو بالثواب في الآخرة وفي الحديث «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلقا» ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى وآتى بهذه الآية عقب التي قبلها إشارة إلى أن الاتفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا في توسعته فالحيلة في توسعة الرزق الاتفاق في وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أى أحسنهم وأجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل إنسان الخ) أى لغة ودفع بذلك ما قيل إن الرازق في الحقيقة واحد وهو الله . فأجاب بأن الجمع باعتبار الصورة فأنه خالق الرزق والعبيد متسببون فيه . إن قلت أى مشاركة بين المفضل والمفضل عليه . أجب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالأمرين والعبد يوصف بالايصال فقط غيرية الله من حيث إنه خالق وموصل فعمل أن العبد يقال له رازق بهذا ، لا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق) ٤ (٢٨٣) عائته) أى عياله وعبال الرجل

من يعولهم واحده عيل كجسد (قوله وإبدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر إذ لم يقرأ هذه أحد من القراء وأما تحقيقهما وإسقاط الأولى فقرأتان سبعيتان وبقي ثلاث قراءات سبعيات تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وعكسه وإبدال الثانية ياء ما كنة ممدودة مع تحقيق الأولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقرىع للكفار وذلك

ابتلاء (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) في الخير (فَهُوَ يُحْدِثُهُ وَهُوَ يُخْبِرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائته : أى من رزق الله (و) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أى المشركين (ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَاءَ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك (أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ) أى لاموالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أى يطيعونهم في عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم ، قال تعالى (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) أى بعض المعبودين لبعض العالدين (نَفْعًا) (وَلَا ضَرًّا) تعذيبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْضُغَكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ تَعْبُدُونَ) من الأصنام (وَقَالُوا مَا هَذَا) أى القرآن (إِلَّا إِنْكَ) كذب (مُفْتَرًى) على الله ،

كقوله تعالى لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامى إلهين من دون الله مع لون الله تعالى علماله بأن الملائكة وعيسى يريثون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواليك وتقرب إليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا (قوله أى يطيعونهم) أى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يمتثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة كما وقع لجمعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله (قوله أ أكثرهم بهم مؤمنون) إن قلت حيث أثبت أولا أنهم كانوا يعبدون الجن لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أ أكثرهم . أجب بأن قول الملائكة أ أكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا إن الدين رأيانهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل في الوجود من لم يطلع عليه من الكفار . وأجب أيضا بأن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فذالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أ أكثرهم بهم مؤمنون لعدم إطلاعهم على . في القلوب (قوله أى بعض المعبودين) أى وهم الملائكة وقوله لبعض العالدين أى وهم الكفار (قوله وتقول) عطف على لا يملك (قوله وإذا تلى عليهم آياتنا) أى دلائل توحيدنا (قوله إلا إنك) أى كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذبا هو مفترى أى مختلف من حيث نسبه إلى الله فقوله مفترى تأسيى لا تأكيده

(قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل إنكار عظيم وتعجب بليغ (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله وما آتيناكم من كتب يدرسونها) أى فالغنى لا عذر لهم في عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فإن لهم كتابا ودينًا ويعتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه وإن كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناكم) قيل المعشار لغة في العشر ، وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل (قوله من القوة الخ) أى ومع ذلك فلم ينفعهم شيء من ذلك في دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلي) عطف على قوله - وكذب الذين من قبلهم - عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكيري) عطف على محذوف تقديره حين كذبوا رسلي جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيري لهم (قوله واقع موقعه) أى فهو في غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل إنما أعظكم) أى أمركم وأوصيكم ، وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بمصلحة واحدة (قوله أن تقوموا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر محذوف قدره للفسر بقوله هي ، وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين ، بل المراد صرف المهمة والاشتغال والتفكير في أمر محمد وما جاء به لأن أول واجب على المكلف النظر المؤدى للعرفه (٢٨٤) (قوله منى وفرداى) حالان من فاعل تقوموا وإنما أمرهم بذلك لأن الجماعة

ربما يكون في اجتماعها تشويش خاطر ومنع التفكير بسبب الأغراض والتعصب ، وأما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته ، وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا ما به جنون بل علمتموه أرجح قرين عقلا وأوزنهم حلما

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) (مَا) (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (بَيْنَ) قال تعالى (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَذُرُّونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) (فَمِنْ) (أَيْنَ كَذِبُكَ) (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (وَمَا بَلَغُوا) (أَى هُؤْلَاءِ) (مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) (مِنْ) القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) (إِلَيْهِمْ) (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) (إِنَّكَ) (أَرَى) (عَلَيْهِمْ) (بِالْقُبُورِ) (وَالْإِهْلَاكِ) (أَى) (هُوَ) (وَاقِعٌ) (مَوْقِعُهُ) (قُلْ) (إِنَّمَا) (أَعْظُمُكُمْ) (بِوَاحِدَةٍ) (هِيَ) (أَنْ) (تَقُومُوا) (لِلَّهِ) (أَى) (لِأَجَلِهِ) (مَتْنِي) (ائْتَيْنِ) (ائْتَيْنِ) (وَفَرَادَى) (وَاحِدًا) (وَاحِدًا) (ثُمَّ) (تَتَفَكَّرُوا) (فَتَعْمَلُوا) (مَا) (بِصَاحِبِكُمْ) (مُحَمَّدٌ) (مِنْ) (جِنَّةٍ) (جَنُونَ) (إِنْ) (مَا) (هُوَ) (إِلَّا) (نَذِيرٌ) (لَكُمْ) (بَيْنَ) (يَدَيَّ) (أَى) (قَبْلِ) (عَذَابٍ) (شَدِيدٍ) (فِي) (الْآخِرَةِ) (إِنْ) (عَصَيْتُمُوهُ) (قُلْ) (لَهُمْ) (مَا) (سَأَلْتُمْكُمْ) (عَلَى) (الْإِنذَارِ) (وَالتَّبْلِيغِ) (مِنْ) (أَجْرِ) (نَهْوٍ) (لَكُمْ) (أَى) (لَا) (أَسْأَلُكُمْ) (عَلَيْهِ) (أَجْرًا) (إِنْ) (أُجْرِي) (مَا) (تَوَابِي) (إِلَّا) (عَلَى) (اللَّهِ) (وَهُوَ) (عَلَى) (كُلِّ) (شَيْءٍ) (شَهِيدٌ) (مَطْعَمٌ) (يَعْلَمُ) (صَدَقَ) (قُلْ) (إِنْ) (رَبِّي) (يَقْضِ) (بِالْحَقِّ) (يَقْلِبُهُ) (إِلَى) (أَنْبِيَائِهِ)

وأحدهم ذهنًا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولًا وأزكهم نفسًا وإذا علمتم ذلك كما علمتم (علام) أن تطلبوا منه آية على صدقه وإذا جاء بهاتين أنه صادق فيما جاء به وإذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر العلم ومعمول التفكير محذوف ، والتقدير فتفكروا في أحوال محمد فينتج لكم العلم بأن ما صاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما صاحبكم) أضافه لهم إشارة إلى أنه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعون به بالصادق الأمين فاذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بحال أوصافه (قوله إن هو) أى الحديث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدي عذاب شديد) أى هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سألتكم من أجر) يحتمل أن ما شرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما ، وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل أنها موصولة مبتدأ ، وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما في الوصول من العموم وعلى كل فيحتمل أن المعنى ما أسألكم أجرا ألبتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئًا أصلا إن أعطيتني شيئًا فخذ ، ويؤيده قوله إن أجرى إلا على الله ، وقول المفسر : أى لا أسألكم عليه أجرا ، ويحتمل أن المعنى لم أسألكم شيئًا يعود فقعه على فهو كقوله تعالى - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا اللوة في القربى - وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا - (قوله قل إن ربى) أى مالكى وسيدى (قوله يخذل بالحق) مفعول يخذل محذوف تقديره يخذل الباطل بالحق ويؤيده قوله تعالى - بل يخذل

بالحق على الباطل : أى يدفع الباطل بالحق ويصرفه . ويصح أن تكون الباء للابسة والفعول محذوف أيضا ، والتقدير يهدف الرضى الى أعيانه ملتبسا بالحق أو ضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والأقرب الأول لأن خير ما فسرت بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف (قوله ما غاب عن خلقه) أى قسميته غيبا بالنسبة للخلق وإلا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدي الباطل وما يعيد) أى لم يبق له بداية ولا إعادة : أى نهاية فهو كتابة عن ذهابه بالمرّة وهذا معنى قوله تعالى - وقيل جاء الحق وزهق الباطل - إن قلت إن السورة مكية والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قوية والإسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ . أجب بأنه لتحق وقوعه نزله منزلة الواقع فبعد عنه بالمضى كقوله : أتى أمر الله (قوله قل إن ضللت فأنا أضل على نفسى) سبب زولها أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آباءك ضللت ، والمعنى قل لهم يا محمد إن حصل لى ضلال كما زعمتم فإن وبال ضلالى على نفسى لا يضرب غيرى وقرأة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرىء شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وإن اهتديت الخ) أى لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدأيته وتوفيقه (قوله فيما يوحى إلى ربى) أى بسبب إجماع ربي إلى أو بسبب الذى يوحىه إلى فامصدرية أو موصولة والمعنى فهدى بفضل الله تعالى ، فحاصل المعنى الراد أنه إن كان فى (٢٨٥) ضلال فمن نفسى لنفسى وإن كان

هدى فمن فضل الله بالوحى إلى على حدّ قوله تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - (قوله إنه مميح) أى بسمع كل ما خفى وما ظهر ، وقوله قريب : أى قرب مكة لا مكان (قوله ولو ترى إذ فرغوا فلا فوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تصديره ولو ترى حالهم وقت فرغهم ويحتمل أن إذ مفعول ترى : أى

(عَلامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه فى السموات والأرض (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أى لم يبق له أثر (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ) عن الحق (فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أى إثم ضلالى عليها (وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَى رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ . وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ فَرَعُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلَا قُوَّةَ) لهم منا أى لا يفوتونا (وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ) بالواو وبالهمزة بدلها ، أى تناول الإيمان (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) عن محلّه إذ هم فى الآخرة ومحلّه الدنيا (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْأَثِيمِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن ، وفى القرآن سحر شعر كهانة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أى قبوله ،

ولو ترى وقت فرغهم وإسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم ، وقوله عند البعث أحد أقوال فى وقت الفرع ، وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة ، وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخرّبوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب (قوله لرأيت أمرا عظيما) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) أى لا يحصل الفرع وهو وقت نزول المذاب بهم (قوله وآتى لهم) أى كيف يتكلمهم الخلاص والظفر بطاويهم وهم فى الآخرة مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضى بعيد إذ لا يعود والمستقبل قريب لأنه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أى الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية : أى يستبعد تناولهم الإيمان فى الآخرة والحال أنهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالثيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث إنهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أى فى الآخرة (قوله أى قبوله) أى بحيث

بخاصهم في الآخرة (قوله بأشياهم) جمع شيع وشيع جمع شيعية فالأشباع جمع الجع وهم قوم الرجل والمصلره وأنبأه ، والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للأشباع (قوله أي قبلهم) أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لافي المذاب فان زمن عذابهم في القيامة متحد (قوله موقع في الريبة لهم) أي فهو من أرابه إذا أوقه في الريبة وهي الشك فهو كقولهم هب هبيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا : أي آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله .

[سورة فاطر مكية] أي وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعلبا لحلقه كيفية الثناء عليه فال في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة ، وأما في كلام العباد فالأولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبأ) أي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بضمونه من نبوت الحمد وهو الوصف بالجليل . وأعلم أن السور المفتحة بالحمد أربع : الأنعام والكهف وسبأ وفاطر ، وحكمة افتتاحها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدنيوية والدينيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أي وإن كان لهما مادة وهو النور المحمدي فالمتنى للمثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان (٢٨٦) لفظ الجلالة وجاعل وإن كان بمعنى الضى إلا أنه للاستمرار فباعتبار دلالاته

على الضى تكون إضافته عضة فيصلح لوصف العرفة به وباعتبار دلالاته على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله إلى الأنبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه

(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أشباههم في الكفر (مِنْ قَبْلُ) أي قبلهم (إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا .

(سورة فاطر)

مكية ، وهي خمس أوست وأربعون آية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولِي الْأَجْنِحَةِ مثنى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) في الملائكة ،

وغيرها

والصالحين من عبادته يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين

خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه (قوله أولى أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وإن كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيراً إلا أنه يوم أن الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة فالأحسن جعله صفة أوحالا من الملائكة نظرا لأل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتحة مقدره نيابة عن الكسرة المقدره لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) إن قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لدى الثلاثة ؟ قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّها بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم ، فقد قال الزمخشري: رأيت في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة جناحان يلقون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى ، وفي الحديث « رأيت جبريل عند سدره المنتهى وله ستائة جناح يتناثر من رأسه الدرّ والياقوت » وروى « أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته ، فقال إنك لن تطيق ذلك ، فقال إني أحب أن تفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأناه جبريل في صورته ففتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه ، فقال سبحان الله ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا ، فقال جبريل فكيف لورأت إسمرا فيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحيين : أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله حتى يعود مثل

الوضع ، وهو المصفور الصغير (قوله وغيرها) أي من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الأعضاء وقوة البطن وحسن الصوت والشعر والحط وغير ذلك من الكمالات التي أصطفاها الله لحلقه (قوله إن الله على كل شيء قدير) كالتحليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما إمامية ويضع فعل الشرط ، وقوله - فلا تمسك لها - جواب الشرط أو موصولة مبتدأ ويضع صلتهما وقوله : فلا تمسك لها خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم ، وقوله : من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أي دنوي أو أخروي ، وضرب في جانب الرحمة بالفتح إشارة إلى أنها شيء عزيز نفيس شأنه أن يوضع في خزائن وآتي بها منكراً لتم كل رحمة دنوية أو أخروية (قوله فلا تمسك لها) أنت مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة (قوله وما يمسك) يصح أن يبقى على عمومها فالتذكير في قوله له ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثاني دلالة الأول عليه والتذكير مراعاة للنظ ما ، وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله من ذلك : يعني من الرحمة (قوله أي أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول وإلا فالهجرة بهوم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) أي اشكروهم على تلك النعم التي أسداها إليكم (قوله بإسكانكم الخ) أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الانعام ويصح أن تكون بمعنى النعم به (قوله وخالق مبتدأ) أي مرفوع بضمه (٢٨٧) مقدر على آخره منع من

ظهورها اشتغال المحل بمحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سببتان ، وقوله لفظاً أو حلافة ونشر مرتب وفي بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشراً مشوشاً وقرى شذراً بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتحريم) أي والتوبيخ (قوله أي لاخالق رازق غيره) هذا حل معنى لاجل إهراب وإلقال لاخالق غيره رازق لكم (قوله لاإله

وغيرها ما يشاء إن الله على كل شيء قدير . ما يفتح الله للناس من رحمة كرزق ومطر (فلا تمسك لها وما يمسك) من ذلك (فلا تمسك لها من بديه) أي بد إمساك (وهو العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) في ضله (يا أيها الناس) أي أهل مكة (اذكروا نعمت الله عليكم) بإسكانكم الحرم ومنع الفارات منكم (هل من خالق) من زائدة وخالق مبتدأ (غير الله) بالرفع والجر نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ (رزقكم من السماء المطر) من (الأرض) النبات ، والاستفهام للتحريم : أي لاخالق رازق غيره (لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق (وإن يكذبوك) يا محمد في محبتك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فقد كذبت رسل من قبلك) في ذلك فاصبر كما صبروا (وإلى الله ترجع الأمور) في الآخرة فيجازى الكاذبين وينصر المرسلين (يا أيها الناس إن وعد الله) بالبعث وغيره (حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا) من الإيمان بذلك (ولا يفرنكم بالله) في حله وإمهاله (الفرور) الشيطان (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) بطاعة الله ولا تطيعوه ،

إلا هو) كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم (قوله فأنى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى - قالوا اجئنا لتأفكنا عن آلهتنا - وأما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أي كيف تعبدون غيره مع أنه ليس في ذلك النبر وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وإن يكذبوك) أي يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، والمعنى فأنس بمن قلبك ولا تحزن (قوله فيجازى للكاذبين) أي بادخالهم النار ، وقوله : وينصر المرسلين : أي يقبل شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أي كالحساب والعقاب (قوله فلا تفرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيم عن الاعتزاز بها ، والمعنى فلا تفرنوا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسلي لها (قوله في حله) أي بسببه ، والمعنى لا تجعلوا حله وإمهاله سبباً في اتباعكم الشيطان (قوله الفرور) هو بالفتح في قراءة العامة كالصبور والشكور وقرى شذوذاً بضمها إما جمع غار كقاهد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله إن الشيطان لكم عدو) أي عظيم فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدواً) أي فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم ولا تأمنوا له في السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً ، قال البصري :

وظائف النفس والشيطان واعصهما وإن هما عضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الحصم والحكم (قوله إنما يدعوا حزبه الخ) بيان لوجه عدلونه ومخدير من طاعته (قوله هذا) أي قوله الدين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل في أبي جهل وغيره) أي من مشركي مكة كالعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم ، ويؤيد هذا القول آيات منها - ليس عليك هدام - ومنها - ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر - ومنها - فلكم باع نفسكم على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وغير ذلك ، ففي هذه الآيات تسليية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحاون بذلك دماء المسلمين وأهوالهم كلهم مشاهد الآن في نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز - يحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الحامرون - نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم ، وقيل نزلت في اليهود والنصارى ، وقيل نزلت في الشيطان حيث زين له أنه العابد التقي وآدم العاصي مخالف ربه لا اعتقاده أنه على شيء (قوله أقرن زين له (٢٨٨) سوء عمله) أي زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السيء فهو من إضافة الصفة

للموصوف (قوله بالتمويه) أي التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أي على تقدير الخبر ، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه في الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّمِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافق الشيطان وما لمخالفه . ونزل في أبي جهل وغيره (أَقْرَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَأَاهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على الزين لهم (حَمْرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ) وفي قراءة الريح (فَتُثْبِرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزججه (فَسَقْمَاءُ) فيه التفات عن النبية (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لانبات بها (فَأَخْبَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أي البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أي في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تمنع أسباب ذلك وقرئ شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حمرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهي شدة التلطف على الشيء الغائت (قوله فيجازيهم عليه) أي إن خيرنا خيرا وإن شرنا شرنا (قوله وفي قراءة الريح) أي وهي سبعية أيضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أي استحضرنا تلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أي تزججه) أي تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن النبية) أي الكائنة في قوله : والله الذي أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلديذ كرو يؤث يطلق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانبات بها) أي فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودها (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أي كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحياها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحياها (قوله من كان يريد العزة لله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قتره المفسر بقوله فليطعه ، وقوله فله العزة تعليل للجواب ، واختلف في هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هي فقل له لله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره

وطليها يكون بطاعته والاتجاه إليه والوقوف على بابه لما ورد في الحديث « من أراد عز الدين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيرهِ تعالى كسى من رصفه وهو الذل » لأن وصف العبد للذل ووصف الله العز فمن التجأ إلى الله كساه الله من رصفه ومن التجأ إلى العبد كساه الله من رصف ذلك العبد لما ورد « من استعزَّ بقوم أورثه الله ذمهم » وقال الشاعر: وإذ اتدلت الرقاب تواضعا منا إليك فزها في ذلها (قوله يعلمه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازا ، فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الأمر إلى القاضي يعني علمه ، وعبر عنه بالصعود إشارة لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ، وقيل المعنى يصعد إلى صحائفه ، وقيل يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء (قوله ونحوها) أى من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يذكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله السمكات) قدره إشارة إلى أن السميات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليذكرون لأن مكر لازم لا ينصب المفعول ، والمسكر الحيلة والخديعة (قوله في دار الندوة) أى وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحديث والمشاورة (قوله كما ذكر في الأنفال) أى في قوله - وإذ يكر بك الذين كفروا - الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر أولئك) أتى باسم الإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبنى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الأول ، يصح أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب وقولهم (٢٨٩) إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان

فعلا مردود بجواز ذلك (قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد خلقكم من تراب بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجاً) أى أصنافاً (قوله من أتى) من رائدة في القاعل (قوله حال) أى من أتى (قوله وما يعمر من معمر) بفتح اليم في قراءة العامة

يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) السمكات (السميات) بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أى مني بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) حال أى معلومة له (وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مَّعْمَرٍ) أى ما يزداد في عمر طويل العمر (وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ) أى ذلك المعمر أو معمر آخر (إِلَّا فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذِيبٌ فُرَاتٍ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلِّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح ،

قال ابن عباس : ما يعمر من معمر بلا نسب عمره كم هو سنة ، كم هو شهرا ، كم هو يوم وكم هو ساعة ثم يكتب في كتاب آخر تنقص من عمره يوم تنقص شهر تنقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذي يعمره ، وهذا هو الأحسن ، وقيل إن الله كتب عمر الانسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب ، وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يبسط الله له في رزقه وينسأ له في أثره » أى يؤخر في عمره « فليصل رحمه » أى إنه يكتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فإن وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطاع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالعنى ما يزداد في عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينتقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا إلا في كتاب (قوله إن ذلك) أى كتابة الأعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحرين) هذا مثل المؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العنقش وقوله سائغ أى سهل الحرارة (قوله شربه) إنما فسر الشراب بالشرب لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشيء نفسه (قوله أجاج) أى يحرق الخلق بلوحته (قوله من كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيها من النافع والمضار قد تم بما قبله وهو الأظهر ، وقيل هو من تمام التمثيل يعنى أنهما وان اشتركا في بعض الأوصاف لا يستويان في جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا في بعض النافع لا يستويان في جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز أكلها . [٣٧ - ماوى - ثالث]

(قوله وإن تدع مثقلة إلى حملها) أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا إلى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأسه وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وأشيء نائب الفاعل وقرئ شذوذا تحمل فتح التاء وكسر الليم مسندا إلى ضمير النفس المهدوفة وشيئا مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قرني) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان وأسمها ضمير يعود على الدعوى كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على أن كان تامة ، والمضى وإن تدع نفس مذنبه نفسا أخرى إلى حمل شيء من ذنوبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للدفاعية كما بها أو أيها لما ورد «يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يابني احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لأستطيع حسب ما على» (قوله في الشقين) أي الحمل القهري والاختياري (قوله حكم من الله تعالى) أي وهو لا يخرج عن حكمة عظيمة (قوله إنما تنذر الذين يخشون ربهم) إنما أداة حصر ، والمعنى أن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغييب حال من فاعل يخشون أي يخشونه حال كونهم غائبين عنه ، فالغيبه وصف العبيد لا وصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى - ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله ، ويصح أن يكون حالا من المفعول : أي يخشونه والحال أنه غائب عنهم أي محتجب بجلاله فلا يرونه وإلى هذا أشار (٢٩١) المفسر بقوله وما رآوه فعدم رؤية الله تعالى إنما هو من تحجبه بصفات الجلال ، فإذا تجلى بالجمال رأته الأبصار وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق وقد تجلى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه وهي الجنة المعجلة لأهل الله المقربين (قوله لأنهم المنتفعون بالإنذار) جواب عما يقال كيف قصر الإنذار على أهل الحشية مع أنه لجميع المكلفين . فأجاب بأن وجه قصره

وإن تدع نفس (مُثْقَلَةٌ) بالوزر (إلى حملها) منه أحدا ليحمل بعضه (لا يحمل منه شيء) ولو كان (كان) للدعوى (ذا قرني) قرابة كالأب والابن ، وعدم الحمل في الشقين حكم من الله تعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه وما رآوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وأقاموا الصلاة) أداموها (ومن تزكى) تطهر من الشرك وغيره (فإنما يتزكى لنفسه) فصلاحه مختص به (وإلى الله المصير) المرجع فيجزى بالعمل في الآخرة (وما يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) الإيمان (ولا الظلمة ولا الحرور) الجنة والنار (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) المؤمنون ولا الكفار وزيادة لا في الثلاثة تأكيد (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيجيبه بالإيمان (وما أنت بمسمع من في القبور) أي الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (إن) ما (أنت إلا نذير) منذر لهم (إننا أرسلناك بالحق) بالهدى (بشيرا) من أجاب إليه (ونذيرا) من لم يجب إليه ،

عليهم اتفاهم به فكانه قال إيمانهم إنذارك أهل الحشية (قوله أداموها) أي واطبوا عليها بارتكابها وشروطها وآدابها وفي نسخة أدوها (قوله وغيره) أي كالمصطفى (قوله فصلاحه مختص به) أي فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل في الآخرة أي الخير والشر (قوله وما يستوى الأعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وأفاد أولا الفرق بين ذاتيهما . وثانيا بين وصفيهما . وثالثا بين داريهما في الآخرة ، وأما قوله وما يستوى الأحياء الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه ، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فان أنواعه كثيرة بخلاف الإيمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هي الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل ، وقيل الحرور والسموم الليل والنهار (قوله وزيادة لا في الثلاثة) أي في الجمل الثلاث التي أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظلمة ولا الحرور وثالثها وما يستوى الأحياء ولا الأموات وإنما زيدت لتأكيد في الجميع لأن نفي المساواة معلوم من ما النافية (قوله إن الله يسمع من يشاء) من هنا إلى قوله تكبير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وشبههم بالموتى) أي في عدم التأثير بدعوته (قوله إن أنت إلا نذير) أي فليس عليك إلا التبليغ والهدى بيد الله يؤتبه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكافر بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هاديا

(قوله وإن من أمة) أى نعلمها وقوله نبى يندرها : أى يخونها من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته لما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى - وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا - وأماماورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي وامرئ القيس وحاتم الطائي ، فقبل إن ذلك لحكمة يعلمها الله للكفرم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعى وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى - وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا - (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف إبراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون ، جملة الصحف مائة تضم لها الكتب الأربعة ، جملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تنأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سبق لبيان باهر قدرته تعالى وكال حكته (قوله فيه التفات) أى (٢٩٢) وحكته أن اللنة فى الإخراج أبلغ من إزال الماء ، ولما فى الإخراج من

الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية (قوله تمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرئ شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرايب سود) الغريب تأكيد للأسود

(وَإِنْ) (مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا) (فِيهَا نَذِيرٌ) (نَبِيٌّ يَنْذَرُهَا) (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) (أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ) (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) (وَالزُّبُرِ) (كَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ) (وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) (هُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا) (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) (بِتَكْذِيبِهِمْ) (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) (إِنْكَارِ عَلَيْهِم بِالْعُقُوبَةِ وَالْإِهْلَاكِ أَيْ هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعِهِ) (أَلَمْ تَرَ) (تَلَمْ) (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) (فِيهِ الثَّمَرَاتِ) (عَنِ النَّبِيِّ) (بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) (كَأخْضَرَ وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَغَيْرَهَا) (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ) (جَمْعُ جَدَّةٍ: طَرِيقٌ فِي الْجِبَالِ وَغَيْرِهِ) (بَيْضٌ وَحُمْرٌ) (وَصَفْرٌ) (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) (بِالشَّدَةِ وَالضَّعْفِ) (وَعَرَايِبُ سُودٌ) (عَطْفٌ عَلَى جَدِّ: أَيْ صَغُورٌ شَدِيدَةٌ السُّوَادِ، يُقَالُ كَثِيرًا أَسْوَدٌ غَرِيبٌ، وَقَلِيلًا غَرِيبٌ أَسْوَدٌ) (وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) (كَاخْتِلَافِ الثَّمَارِ وَالْجِبَالِ) (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ) (بِخِلَافِ الْجَهَالِ كَكُفَارِ مَكَّةَ) (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) (فِي مَلِكِهِ) (عَفُورٌ) (لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) (يَقْرَءُونَ) (كِتَابَ اللَّهِ) (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) (وَأَدَّوْا) (وَأَنْفَقُوا) (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (زَكَاةً أَوْ غَيْرَهَا) (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) (تَهْلِكُ) (لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ) (ثَوَابِ أَعْمَالِهِمُ الْمَذْكُورَةِ) (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (إِنَّهُ عَفُورٌ) (لِذُنُوبِهِمْ) (شَكُورٌ) (لِطَاعَتِهِمْ) (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ،

من

كالتقانى تأكيد للأحمر وإنما قدمه عليه للبالغة (قوله يقال كثيرا) أى بتقديم الموصوف

على الصفة وهذا هو الأصل ، وقوله وقليلًا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الأصل ويرتكب للبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ أى صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف أى اختلافًا كذلك (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاه له ولذا ورد فى الحديث «أنا أخشاكم لله وأنتا قم له» وقرئ شذوذاً برفع الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويحبهم (قوله إن الله عزير غفور) تحليل لوجوب الخشية كأنه قيل يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عزير قاهر لما سواه غفور للذنبين (قوله إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرءونه على طهارة أولاً عن ظهر قلب أو فى الصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الاتفاق كيفما تبسر (قوله يرجون تجارة) خبر إن أى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفهم أجورهم) انلام للعاقبة والصبر ورة (قوله شكور) أى يشيهم

على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعض (قوله هو الحق) هو إما ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر والجملة خبر الذي ومصداقاً حال مؤكدة (قوله عالم بالبوطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم أورتنا) أتى بتم إشارة لبعد رتبهم عن رتبة غيرهم من آئمة (قوله أعطينا) أشار بذلك إلى أن النزاد بالتورث الاعطاء ، ووجه تسميته ميراثاً أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفىين (قوله وهم أمتك) أى أمة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضاً أولاً وإلا فليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته ، والمقصد من غلبت حسناته على سيئاته ، والسابق من لا تقع منه سيئة أصلاً ، ولما ورد في الحديث في تفسير هذه الآية «سابقنا سابق ومقتصدنا تاج وظالمنا مغفور له» وقيل الظالم هو راجح السيئات وللمقصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته . والسابق هو الذى رجحت حسناته ، وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقصد من تسارى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه في ربه ولتلايمحج الطامع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل في قوله تعالى - إن الله يحب المتوازين (٣٩٣) ويحب المتطهرين - (قوله باذن

الله) متعلق بقوله سابق وإما خص مع أن الكل باذن الله تنبيهاً على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلون الخ) أتى بضمير جماعة الله كور في تلك الآيات تغليبا للذكر على المؤنث وإلا لخصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) جميعه (إن ربنا لغفور) للذنوب (شكور) للطاعة (الذى أحلنا دار المقامة) أى الإقامة (من فضله لا يمشنا فيها نصب) تعب (ولا يمشنا فيها غوب) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها ، وذكر الثانى التابع للأول للتصریح بنفيه (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) يستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) طرفه عين (كذلك) كما جز ينهم (يجزى كل كفور) كافر وأسورة من لؤلؤ (قوله

مِنَ الْكِتَابِ) الْقُرْآنَ (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تَقْدِمُهُ مِنَ الْكِتَابِ (إِنَّ اللَّهَ بِمِعَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) عَالِمٌ بِالْبُاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أَعْطَيْنَا (الْكِتَابَ) الْقُرْآنَ (الَّذِينَ أَضَلَّامِنَا مِنْ عِبَادِنَا) وَهُمْ أُمَّتُكَ (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بِالتَّقْصِيرِ فِي الْعَمَلِ بِهِ (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يَعْمَلُ بِهِ أَغْلِبَ الْأَوْقَاتِ (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يَضُمُّ إِلَى الْعَمَلِ التَّعْلِيمَ وَالْإِرْشَادَ إِلَى الْعَمَلِ (بِإِذْنِ اللَّهِ) بِإِرَادَتِهِ (ذَلِكَ) أَيْ إِرْثَهُمُ الْكِتَابَ (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتٌ عَدْنٌ) إِقَامَةٌ (يَدْخُلُونَهَا) الثَّلَاثَةُ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ خَيْرِ جَنَّاتِ الْمَبْتَدَأِ (يُحَلِّوْنَ) خَيْرٌ نَانَ (فِيهَا مِنْ) بَعْضِ (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) مَرْصَعٍ بِالذَّهَبِ (وَلِبَآءُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) جَمِيعَهُ (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) لِلذَّنُوبِ (شُكُورٌ) لِلطَّاعَةِ (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ) أَيْ الْإِقَامَةَ (مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تَعَبٌ (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا غُوبٌ) إِعْيَاءٌ مِنَ التَّعَبِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِيهَا ، وَذَكَرَ الثَّانِي التَّابِعَ لِلأَوَّلِ لِلتَّصْرِيحِ بِنَفْيِهِ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ) بِالْمَوْتِ (فَيَمُوتُوا) يَسْتَرِيحُوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) طَرْفَةَ عَيْنٍ (كَذَلِكَ) كَمَا جَزَى يَنَهُمْ (يُجْزَى كُلُّ كَفُورٍ) كَافِرٍ

وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) أى تخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهوومها (قوله الذى أحلنا) أى أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لأحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لا يمشنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أى فلانوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله إعياء من التعب) أى فاذا اشتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمع بجميع ما أعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى أقل زمن نعل ولا يحصل له إعياء ولا مشقة ، وبالجملة فأحوال الجنة لاتقاس على أحوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ما الفائدة فى نفي اللغوب مع أن انتفاء يعلم من انتفاء النصب لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله إن الذين يتلون كتاب الله على حكم عاداته سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) أى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منقضى أيضاً لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب . إن قلت إن فى هذه الآية دليلاً على أن أهل النار لا يموتون وفى آية أخرى : لا يموت فيها ولا يحيى فيقتضى أن أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لا واسطة . أوجب بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زماناً وبهذا اندفع ما قيل إن بعض

أهل النار يخفف عنه كافي طالب وأبي لهب لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع في أبي طالب فنقل من ضحاح من نار ينتعل بنعلين ينلي منهما دماغه ، وورد أن أبا لهب يسقى في نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثوبية حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه (قوله بالياء) أي الضمومة مع فتح الزاي ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بصطرخون فيها) أي يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله : ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله بصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) حفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التوبيخ والتبكيك (قوله أولم نمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أنتقدرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم تؤخركم ونهملكم ونعطكم عمرا يمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله مايتذكر) مانكرة ، موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره للمفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال أقروا بأننا عمركم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أي رسول كان ، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) (٢٩٤) صرت على محذوف قدره المفسر بقوله ، فما أجيتم فاندفع مايقال إن

ظاهرا الآية ربما يوم أن إذاقتهم العذاب مرتبة على مجيء الرسول مع أنه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أي ماغاب عنا فيهما (قوله إنه عليهم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل إذا علم ماخفي في الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر إلى حال الناس

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل (وَهُمْ بِصَطْرٍ خُونٍ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أولم نمركم ما) وقتا (يتذكر فيهم من تذكر وجاءكم النذير) الرسول فما أجيتم (فذوقوا فما لظالمين) الكافرين (من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم الغيب السموات والأرض إنه عليهم بذات الصدور) بما في القلوب فعله بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) جمع خليفة أي يخلف بعضهم بعضا (من كفر) منكم (فعلية كفره) أي وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنتا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) للآخرة (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون تبيدونهم دون الله) أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أروني) أخبروني (ماذا خلقتوا من الأرض أم لهم شركاء) شركة مع الله (في) خلق (السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة) حجة (منه) بأن لهم معي شركة

لاشئ

جواب عما يقال علم الله لا ماوت فيه بل جميع الاشياء مستوية في علمه لا فرق بين ماخفي

منها على الخلق ما ظهر لهم فأجاب بما ذكر أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية أن من علم الخفي يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي رعاة مسئولين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع وكل راع مسئول عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا في بعض النسخ البتاء وفي بعض النسخ بلاتاء والأولى أولى لأن خليفة جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أي وبال كفره) أي فلا يضر إلا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لو نال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرايتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلاهزم وبالهزم كما هنا تتعدى المفعولين الأول قوله شركاءكم والثاني قوله ماذا خلقوا من الأرض على سبيل التنازع لأن كلا من أرايتم وأروني طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء أو من حيث إنهم شركوهم في أموالهم فانهم كانوا يعينون شيئا من أموالهم لأهلهم وينفقونه على خدمتها ويدبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الأرض) أي أي شئ خلقوه من الأمور التي في الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شركاء) أم في الموضعين منقطعة تفسر بيل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أي الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان

(قوله لاشيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل إن يعد الظالمون) لما ذكر في الجمع أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) أى الرؤساء للاتباع (قوله أى يمنعها من الزوال) أشار بذلك إلى أن الامساك بمعنى للنسب وقوله أن تزولا أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله إن أمسكهما جواب الأول وحذف جواب الثانى على القاعدة للمروفة (قوله من أحد) من زائدة في الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكها أحد مبتدأ وناشئا من غيره (قوله إنه كان حليما نفورا) تعليل لقوله إن الله يسلك السموات والأرض : أى فامساكهما حاصل بحمله وغفرانه وإفصاكتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى - تكاد السموات يتفطرن منه - الآية ، فظم الله تعالى من أكبر النعم على العباد إذ لولاها بقي شيء من العالم ، فقول العامة حم الله يفتت الكيود اساءة أدب (قوله أى كفار مكة) أى قبل أن يبعث الله همدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلنوا من كذب فيه منهم وأقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبي ينذرهم ليعكون (٢٩٥) أهدى من إحدى الأمم

(قوله جهد أيمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد وأما بالضم فهو الطاقة وإعما كان الحلف بالله غاية إيمانهم لا أنهم كانوا يحلفون بأيمانهم وأصنامهم فاذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله (قوله ليكون) هذه حكاية لكلامهم بالمعنى وإلا فلفظه لتكون الخ (قوله من إحدى الأمم) المراد من إحدى الأحد الدائر فالمعنى من كل الأمم فقول المفسر : أى أى واحدة منها الأوضح أن يقول أى كل واحدة منها

لا شيء من ذلك (بل إن) ما (يعد الظالمون) الكافرون (بعضهم بعضا إلا نفورا) باطلاً بقولهم الأصنام تشفع لهم (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى يمنعها من الزوال (ولئن) لام قسم (زالتا إن) ما (أمسكهما) يمسكها (من أحد من بعده) أى سواء (إنه كان حليما نفورا) في تأخير عقاب الكفار (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) لليهود والنصارى وغيرهم ، أى أى واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (إلا نفورا) تباعداً عن الهدى (استكباراً في الأرض) عن الإيمان مفعول له (ومكر) العمل (السبي) من الشرك وغيره (ولا يحيق) يحيط (المكر السبي إلا بأهله) وهو الماكر ووصف المكر بالسبي أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الوصفة (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنت الأولين) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) ،

(قوله ما زادهم إلا نفورا) جواب لما وفيه إشعار بأن فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل (قوله مفعول له) أى لأجل الاستكبار ويصح أن يكون بدلا من نفورا أوحالا من ضمير زادهم ، أى حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسبي) أى في قوله ولا يحيق المكر السبي وقوله أصل : أى جاء على الأصل من استعمال الوصفة تابعة للموصوف (قوله وإضافته إليه قبل) أى في قوله ومكر السبي (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أى مضاف إليه وقوله حذرا من الإضافة إلى الوصفة أى من إضافة المكر الذى هو الموصوف إلى السبي الذى هو الوصفة فيجعل المكر مضافا لمخذوف والسبي صفة لذلك المخذوف وتلك الإضافة من إضافة العام للخاص لأن المكر يشمل الاعتقاد والممل فإضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون إلا سنت الأولين) أى فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله سنت الأولين مصدر مضاف لمفعوله ، وسيأتى إضافته لفاعله في قوله لسنة الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم لأنك أيها العاقل لن تجد الخ .

(قوله أى لا يبدل بالعداب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل لغيره لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أو لم يسبروا) المهزمة داخلة على محذوف والتقدير أتركوها السفر ولم يسبروا وهو استشهداد على أن سنة الله لا تبدل لها ولا تحوّل والاستفهام إنكارى بمعنى النفي ونفي النفي إثبات . والعنى بل ساروا في الأرض وساروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على أى حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بالكذب رسلهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوة) أى أطول أعماراً والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة (قوله إنه كان علياً قديراً) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء صيية وما مصدرية أو موصولة : أى بسبب كسبهم أو الذى كسبوه (قوله من العاصي) بيان لما (قوله ماترك على ظهرها من دابة) أى من جميع مادب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يسك عنها ماء السماء مثلاً فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعاً فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهور تشبهاً للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها وبعبارة بوجه الأرض من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها فهو من قبيل إطلاق الضدين على شئ واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو (٢٩٦) التنفس أى ذى روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أن جواب

الشرط محذوف وقوله فان الله الخ تعليل له .

[سورة يس - مكية] أى كلها وقوله أو لإقوله وإذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية أى كلها وهو قول ثالث ، وورد في فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «اقرأوا يس على موتاكم» ومنها «مامن ميت يقرأ عليه يس إلا هون الله عليه» ومنها

أى لا يبدل بالعداب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه (أو لم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة) فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وما كان الله ليعجزه من شئ) يسبقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان علياً) أى بالأشياء كلها (قديراً) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من العاصي (ماترك على ظهرها) أى الأرض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيراً) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(سورة يس)

مكية ، أو لإقوله : وإذا قيل لهم أنفقوا الآية ، أو مدنية اثنتان ومائون آية

«من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجهه لله غفر الله له في تلك الليلة» ومنها «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات» ومنها «إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتفقر لمستمعها الأوهى سورة يس تدعى في التوراة العمة قيل يارسول الله وما العمة ؟ قال نعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية قيل يارسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة» ومنها «من قرأ يس حين يصبح أعطى يس يومه حتى يمسي ، ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يس ليلته حتى يصبح» ومنها عن أنبي جعفر «من وجد في قلبه قسوة فليكتب سورة يس في جام أى إناء بزعفران ثم يشربه» ومنها «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له» ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات» ومنها عن يحيى بن أبي كثير «بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين أصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها» ومنها «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كما قرأ القرآن عشر مرات وأما مسلم قرى عنده إذ أنزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوا فيصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصون عليه ويشهدون دفنه وأيام مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه هور يان ويمكث في قبره وهو يان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو يان»

ومنها « يس لما قرئت له » وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار كما يع أو سبع أو أحد وأربعين أو غير ذلك شدة الحجاب والطفة على القلب فبال تكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وإن كان الفضل لله كورا لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالأول خبر مبتدأ محذوف أي هذه ومنع من الصرف للمعية والتأنيث . والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفا كأين وكيف أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتلى أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف . والثالث مبنى على الكسر على أصل التخاص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة كهم وطس وتقدم أن هذا القول أسلم ، وقيل معناه يا إنسان وأصله يا أنيسين فاقصر على شطره لكثرة النداء به ، وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستأنف لا عمل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله إنك لمن المرسلين (قوله المحكم) أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أي بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لأن كأنه قيل إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم . (قوله أي طريق الأنبياء قبلك) أي وقولهم إن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع ، وأما الأصول فالكل مستون فيها ولا يتعلق بها نسخ . قال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية ، وقال تعالى : فبهдам اقتده (قوله وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدأ مقدر) هذا أحد وجهين في الآية والآخرة النص على أنه مفعول محذوف أي (٢٩٧) أمدح أو مفعول مطلق لنزل والقراءتان

سبعينان (قوله لتنذر قوما) أي العرب وغيرهم (قوله في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مراتب على نفي الانذار وقوله أي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسْ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) الْحَكْمُ بِمَجِيبِ النَّظَرِ وَبَدِيعِ الْمَعَانِي (إِنَّكَ) بِأَعْمَدِ (لِمَنْ أُرْسِلِينَ . قَلَى) مُتَلَقٌ بِمَا قَبْلَهُ (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أَي طَرِيقَ الْأَنْبِيَاءِ قَلْبًا التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى ، وَالتَّأْكِيدَ بِالتَّسْمِ وَغَيْرِهِ رَدُّ قَوْلِ الْكُفَّارِ لَهُ : لَسْتُ مَرْسَلًا (تَنْزِيلِ الْفَرْزِ) فِي مَلِكِهِ (الرَّحِيمِ) بِمُخَلِّقِهِ خَيْرَ مُبْتَدَأٍ مَقْدَرٍ : أَي الْقُرْآنَ (لِتُنذِرَ) بِهِ (قَوْمًا) مُتَلَقٌ بِتَنْزِيلِ (مَا أَنْذِرَ آبَاؤَهُمْ) أَي لَمْ يَنْذِرُوا فِي زَمَنِ الْفِتْرَةِ (فَهُمْ) أَي الْقَوْمَ (غَافِلُونَ) عَنِ الْإِيمَانِ وَالرُّشْدِ (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وَجِبَ (قَلَى أَكْثَرِهِمْ) بِالْعَذَابِ (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أَي الْأَكْثَرُ (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) ،

القوم تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للفرقتين هم واناؤهم (قوله لقد حق القول) أي وهو قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أي أكثر المكافين في كل زمن فالأقل متعتم لإيمانه والأكثر متعتم كفره وتقدم لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألق (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله وأشار بذلك إلى أن الإيمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه ، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري ومن هنا قول بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيسه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل اقلبك إذا زلفت وساويه إبليس لما طغى من كان إبليس

(قوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) قيل نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبه الخزوميين ، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يرضخ رأسه بحجر فلأرآه ذهب فرفض حجرا ليرميه فلما أوما إليه رجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن النيرة أنا أروض رأسه فأناه وهو صلى على حاله ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يروه حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع التهقري ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه منشيا عليه فقبل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا غل يخطر بذنبيه ملأيت قط ظلا أعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكسني [٢٨ - صاوي - ناك] فانزل الله تعالى تلك الآية وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل

والأفلال وسمى أبصارهم وفيها أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالمهم في امتناعهم من الهدى والأيمان بحال من غلت يده في عنقه وسمى بصره بجامع أن كلا ممنوع من الوصول إلى المقصود فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم في الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بأن تضم إليها الأيدي) جعل المفسر هذا توطئة لاجتماع الضمير للأيدي في قوله فهي إلى الأذقان كأنه قال الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة فهي مذكورة ضمنا في قوله الأفلال لأن الفصل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره إشارة إلى أن قوله إلى الأذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك أن اليد ترفع تحت اللدقن ويلبس النعل في العنق فتضم اليد إليه تحت اللدقن فينتد لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أي استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه إشارة إلى سبب النزول وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضماها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأشبيناهم) هو بالعين المعجمة في قراءة العامة أي غطينا أبصارهم وقرىء شدوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الأبصار ليلا . والمعنى أضعنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى (قوله تمثيل) أي استعارة تمثيلية حيث شبه حالمهم في سد طرق الإيمان عليهم (٢٩٨) ومنهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع أن

بأن تضم إليها الأيدي لأن النعل يجمع اليد إلى العنق (فهي) أي الأيدي مجموعة (إلى الأذقان) جمع ذقن وهي مجتمع العينين (فهم مقعون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضما في الموضعين (فأشبيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وسواء عليهم) أي أنذرتهم (أنذرتهم الخ) هذا نتيجة ما قبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وهدمه سواء في عدم إيمانهم وهو نسبية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق المزمعين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لأربع كأوجهه ببارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهي سبعينات

بأن تضم إليها الأيدي لأن النعل يجمع اليد إلى العنق (فهي) أي الأيدي مجموعة (إلى الأذقان) جمع ذقن وهي مجتمع العينين (فهم مقعون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضما في الموضعين (فأشبيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وسواء عليهم) أي أنذرتهم (أنذرتهم الخ) هذا نتيجة ما قبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وهدمه سواء في عدم إيمانهم وهو نسبية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق المزمعين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لأربع كأوجهه ببارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهي سبعينات

(قوله ينفع إنذارك) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هي لقوم مخصوصين وهم من أتبع الله كروحنى الرحمن بالقياس ويخالف قوله سابقا لتندرقوا ما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بأن محط الحصر الاندلو النافع فلا ينافى وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالقياس) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول وتقدم نظيره (قوله بجزءه بمنفرة الخ) تفر يع على ما قبله إشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله إنا نحن نحيي الموتى) أي نبعثهم في الآخرة للجزاء على أعمالهم (قوله ونكتب ما قدموا) إن قلت إن الكتابة متقدمة قبل الأحياء إذ هي في الدنيا والأحياء يكون في الآخرة . أجب بأنه قدم الأحياء ائتماء بشأته إذ لولاه لما ظهرت عمرة الكتابة (قوله في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول في صحف الملائكة لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد إنما هي في صحف الملائكة ، وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بدم) أي من خير كعلم عصفه أو كتاب صفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كسكن رجوه أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما في الحديث لا من سن سنة حسنة فعل بها من بعده كان له أجرها ومثل أحر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعنه من غير أن ينقص من أجورهم شيء (قوله نصبه فعمل فصره الخ) أي فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب

لنبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلاً لهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعولاً أول (قوله أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية اسم أحدهما صادق والثاني مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا رعى غنمات له مهر حبيب النجار صاحب يسفلسا عليه، فقال الشيخ لهما من أنتمما، فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال أمعكما آية قالوا نعم نشق المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما ومجزاة لنيهما لأنه لما أرسلهما أيدهما بمجزاته، قال الشيخ إن لي ابنا مريضا منذ سنين قالوا فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشق الله على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيوخا فدعا بهما وقال من أنتمما قالوا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيهم جثنا قالوا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالوا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوها وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوها في السجن، فلما كذبيا وضربا بعث هيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصني طى أثرها ليبرها، فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلتاهما وسمعت قولهما، فقال حال النضب بيني وبين ذلك؟ قال فأتى أرى أيها الملك أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك، فقال شمعون (٢٩٩) من أرسلكما إلى ههنا قالوا الله

الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون فصفاه وأوجزا قالوا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالوا ماتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بفلام مطموس

(أَصْحَابَ) مفعول ثان (الْقَرْيَةِ) أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا) إلى آخره بدل اشتغال من أصحاب القرية (الْمُرْسَلُونَ) أي رسل عيسى (إِذْ أُرْسِلْنَا إِلَيْهِمْ أَنْتَيْنِ فَكَذَّبْتُمَا) إلى آخره بدل من إذ الأولى (فَمَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد: قَوَيْنَا الْإِنْتِنِ (بِنَاتِكِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذُوبُونَ. قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا) ،

العينين وموضع هيبته كالجهة فما زال يدعوهم ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذوا بندقيتين من طين فوضعاها في خدقيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا كان لك الشرف وآلهتك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه طى ملتهم، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمننا به وبكما قالوا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخزته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجلا يدعوهم ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت؟ وقال إني ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أتم عليه فآمنوا بالله، ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شأبا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكتبه، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فباع ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسمى إليهم ويذكروهم ويدعوعم إلى طاعة المرسلين (قوله إلى آخره) أي آخر القصة وهو قوله إلا كانوا به يستهزءون (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أي رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل إنهم رسل من الله من غير واسطة عيسى أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من إذ الأولى) أي بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فقلوا إنا إليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بإثبات تقديم الإنكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقاتلهم (قوله قالوا ما أتم إلا بشر مثلنا) أي فلا مزية لكم علينا .

(قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويحباب كما يحباب به القسم (قوله لزيادة الإنكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى إبراء الأكمة) أى الأعمى (قوله قالوا إنا نظيرنا بكم) التطير التفاؤل ، سمى بذلك لأنهم كانوا يتفاهلون بالطير إذا أرادوا سفرا أو غيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وإن ذهب ميسرة قالوا شرّ (قوله لا تقطع المطر عنا بسببكم) قيل حس من المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حشوا فيه لأن الله أهلكم قبل أن يفعلوا بهم ما حلوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طأركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وإدخال ألف) أى وتركه قالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه ، والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظّم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أتم قوم مسرفون) إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التسذكير سببا للشؤم أى ليس الأصر كذلك بل أتم قوم عادتكم الإصراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشركم) (٣٠٠) أى بعد ظهور المعجزات ، وهذا الخطاب من بقى على الكفر منهم وهم

الذين رجوا حبيبا النجار وأهلهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى أنطاكية للعبير عنها أو بالقرية وعبر عنها بالمدينة إشارة إلى عظمتها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن إسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرها وفى الحقيقة كل نبي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصدق

جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار فى (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) التبليغ البين الظاهر بالأداة الواضحة . وهى إبراء الأكمة والأبرص والمريض وإحياء الميت (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا) تشاءمنا (بِكُمْ) لا تقطع المطر عنا بسببكم (لَئِن لَّمْ نَنتَهُوا لَخَرَّ مَعَكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (قَالُوا طَائِرُكُمْ) بشؤمكم (مَعَكُمْ) بكفركم (أَنْ) همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهها وبين الأخرى (ذُكِّرْتُمْ) وعظّم وخوّم وجواب الشرط محذوف : أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) متجاوزون الحد بشركم (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسول ومنزله بأقصى البلد (يَسْتَسْتَأْذِنُ) يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسول (قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . أَتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَنْ لَا يَسْمَأْكُمْ أَجْرًا) على رسالته (وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) فقيل له أنت على دينهم فقال (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى : أى لا مانع لى من عبادته ،

قوله تعالى - وإذ أخذ الله ميثاق النبيين - الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الموجود

الأنبياء فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسول) أى رسل عيسى ، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض ، وقيل إنه كان مجذوما وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف ، فلما دعاه الرسول إلى بادة الله قال لهم هل من آية قالوا له تدعونا ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال إن هذا عجيب ! قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شيء قدير ، فدعوا ربهم فكشف ما به فأمن (قوله يشتد عدواً) أى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسول (قوله تأكيد للأول) أى تأكيد لفظى لفظ انبعوا الثانى تأكيد لفظ انبعوا الأول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لا يستأكم أجرا) بديل من المرسلين ، والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم الرض الثانى إذ لو كانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لم بالاتباع أى فاهتدوا أتم تبعاهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله وما لى لا أعبد الذى فطرنى) تلميح فى إرشادهم وفيه نوع تفریح على ترك عبادة خالقهم ، والأحسن أن فى الآية احتبا كما حيث حذف من الأول نظير ما أثبتته فى الآخر ، والأصل وما لى لا أعبد الذى فطرنى وفطرتم وإليه ترجعون وأرجع .

(قوله الوجود مقتضيا) أي وهو كون الله فطره وخلقه (قوله في المميزين منه ما تقدم) أي من القراءات الأربع وتقدم
أنها خمسة التحقيق ونسبيل الثانية بألف ودونها وإبدال الثانية ألفا وهي سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النبي) أي وهو
إنكارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على أنها متعدية لاثنين وآلهة مفعول أول مؤخر
و يصح أن يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخذوا على أنها متعدية لواحد (قوله لاتفن عنى شفاعتهم) أي لاتفن عنى شفاعتهم
فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ، ومنه قول البوصري : * قلن ما في البيت عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أي جملة
- إن يردن الرحمن - الخ فهى فى محل نصب ، والأوضح أن تكون مستأنفة سيقت لتعليل النفي المذكور لأن جملها صفة
يوم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله إن عبدت غير الله) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال
مبين) أى الثبوت الأدلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفتم بعدها ياء الإضافة
وقرى شدوذا بفتحها ولاوجه له فى العربية لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم
وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجوه فئات) أى وهو يقول : اللهم اهدقوى ، وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره
فى سور أنطاكية ، وقيل نشره بالنيشار حتى خرج من بين رجله (٣٠١) فوالله ماخرجت روحه إلا فى الجنة ،

وفى رواية أنهم قتلوا معه
الرسالة الثلاثة ووضعهم
فى بئر وهى الرس (قوله
وقيل له عند موته)
هذا أحد أقوال ثلاثة
اقتصر المفسر على اثنين
منها والثالث أن هذا
القول كناية عن البشرى
بأنه يدخل الجنة (قوله
وقيل دخلها حيا) أى
خفين هموا بقتله رفعه
لله من بينهم وأدخله
الجنة حيا إكراما له كما
وقع لعيسى عليه السلام
أنه رفع إلى السماء (قوله

الموجود مقتضيا وأتم كذلك (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم بكمفركم (أَأْتِخِذُ)
فى المميزين منه ما تقدم فى « ما نذرتهم » وهو استفهام بمعنى النفي (مِنْ دُونِهِ) أى غيره
(آلهة) أصناما. (إِنْ يُرْدِنِ الرَّحْمَنُ بَصُرًا لِأَتْنِ عَنَى شَفَاعَتِهِمْ) التى زعمتموها (شيثا
وَلَا يُنْقِذُونَ) صفة آلهة (إِنِّي إِذَا) أى إن عبدت غير الله (لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين (إِنِّي
آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى اسمعوا قولى فرجوه فئات (قيل) له عند موته (أَدْخُلِ
الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي)
بغفرانه (وَجَمَلَتْنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ . وَمَا) نافية (أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) أى حبيب (مِنْ
بَدَنِهِ) بعد موته (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أى ملائكة لإهلاكهم (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ)
ملائكة لإهلاك أحد (إِنْ) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل
(فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكتون ميتون (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا
الرسالة فأهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ

قال ياليت قوى) أى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) أشار بذلك إلى أن ماصدرية ويصح
أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى بأى شئ غفر لى أى بأمر عظيم
وهو توحيدى وصدىعى بالحق (قوله وما أنزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لأسمائهم ، والمعنى لم نحتاج فى إهلاكهم إلى
إرسال جنود من الملائكة بل نهاتكم بصيحة واحدة مثلا وقوله - وما كنا منزلين - أى لم يكن شأننا وعادتنا إرسال
جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم بل إذا أردنا إهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أو غير ذلك إن قات إن
الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم ونصحابه . أوجب بأن إهلاكهم تكريما للنبي ونصحابه
لا لإهلاك العام ، وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) أى أو بعد رفعه
حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك أحد) أى من الأمم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون)
أى فشيروا بالنار الخامدة لا لقطع النفع فى كل (قوله يا حسرة على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أو الملائكة
أو المؤمنين ، والمراد بالعباد جميع الكفار فاللجنس ، وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقاتل ذلك الكفار
والتقدير يا حسرة علينا من مخالفة العباد والأوجه الأول الذى مشى عليه المفسر .

(قوله إلا كانوا به يستهزئون) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أي فهو استئناف والحق في جواب سؤال مقتر كأنه قيل ما وجه اتحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أي بواسطة فإن الاستهزاء سبب لإهلاكم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أي دلالاته (قوله أم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لأهلكنا مقسم وقبلهم ظرف لأهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الأقرار بما بعد التني (قوله معمولة لما بعدها) أي وليست معمولة ليروا لأن كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ما قبلها فيها (قوله معلقة ما قبلها عن العمل) إن قلت إن كم الخبرية لاتعاق وإنما التعليق للاستفهامية . قال ابن مالك : وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذاهل انتم

أجيب بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق (قوله والمعنى أنا أهلكنا) أي وقد علموا ذلك (قوله بدل عما قبله) أي بدل اشتمال لأن إهلاكم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كأن إهلاكم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أي وهو قوله أنا أهلكنا الخ ، والمعنى قد علموا إهلاكم كثيرا من القرون السابقة الشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقيين وهم أهل مكة فينبغي أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أي ولما بالتشديد بمعنى إلا ، وقوله أو مخففة : أي مهولة ولما (٣٠٣) بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر المستفاد

من قراءة التشديد فتصل أن من شدد لما جعلها بمعنى إلا وإن نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالصريون على أن إن مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى إلا وإن نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أي كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله أي مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من

إلا كانوا به يستهزئون) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى إلى إهلاكم السبب منه الحسرة (أم يروا) أي أهل مكة القائلون للنبي لست مرسلًا والاستفهام للتقرير أي علموا (كم) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل ، والمعنى أنا (أهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) الأمم (أنهم) أي المهلكين (إليهم) أي المسكين (لا يرجعون) أفلا يعتبرون بهم ؟ وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وإن) نافية أو مخففة (كل) أي كل الخلائق مبتدأ (لما) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جميع) خبر المبتدأ أي مجموعون (لدينا) عندنا في الموقف بعد بثمهم (محضرون) للحساب خبر ثان (وآية لهم) على البعث ، خبر مقدم (الأرض الميتة) بالتشديد والتخفيف (أحييناهما) بالماء مبتدأ (وأخر جفنا منها حيا) كالحنطة (فمنه) يأكلون . وجعلنا فيها جنات (بساتين) من نخيل وأغاب وفجرنا فيها من العيون أي بعضها (ليأكلوا من ثمره) بفتحين وضمين أي ثمر المذكور من النخيل وغيره (وما عملته أيديهم) أي لم تعمل الثمر

(أفلا)

ذ كر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بأن كل أشير بها لاستغراق الأفراد

وجميع أشير بها لاجتماع السكل في مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أي علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناهما إشارة إلى أنه صفة للأرض والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناهما (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلاخلاف إذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتي من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله أي بعضها) أشار بذلك إلى أن من تبعية ويصح أن تكون زائدة (قوله بفتحين وضمين) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال إن الضمير عائد على شيتين فحقه التثنية فأجاب بأنه أفرد باعتبار ما ذكر (قوله أي لم تعمل الثمر) أشار بذلك إلى أن ما نافية ، والمعنى أنه ليس لهم إيجاد شيء بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال في الآية الأخرى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ويصح أن تكون موصولة : أي ومن الذي عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية : أي ومن عمل أيديهم وإثبات العمل للأيدي من حيث الكسب

(قوله أفلا يشكرون) الهمة داخلة على محذوف ، والتقدير أيتشمون بهذه النعم فلا يشكرونها : أى بحيث لا يبصر فروعها في مصادرها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحانه الذى خلق الأزواج) أى تنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله مما لا يليق به (قوله الأصناف كلها) أى فكل زوج صنف لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصفات والكبر باختلافها هو ازدواجها (قوله مما تبت الأرض) بيان للأزواج وكذا ما بعده فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج منها شيء من أصناف المخلوقات (قوله التربة) أى كائى في السموات والى تحت الأرضين وكل ما لم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم الليل نندخ منه النهار) ذكر الله تعالى في هذه الآية ما يتضمن علم اليقاة الذى تجب معرفته ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الهرديرى رضى الله عنه مقدمة لطيفة في هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى . وحاصلها بحروفها فائدة : أسماء الشهور القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمات برمودة بشنس بؤونه أيب مسرى ، أسماء البروج : ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله ، ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى وتسمى أيام النسء ، وفصول السنة أربعة : فصل الحريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف ، وأول فصل الحريف انتقال الشمس إلى برج الميزان وذلك في نصف توت ، وفي تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة إلى نصف بابه تنتقل الشمس إلى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلاث درجات إلى نصف هاتور تنتقل الشمس إلى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدى درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصلى الفجر على ثنى عشرة ساعة وست درج ، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك في آخر يوم من فصل الحريف منتصف كيهك ، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدى وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل في النقص والنهار (٣٠٣) في الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدى درجة ثلاثين

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ) أَنْعَمَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؟ (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الْأَصْنَافَ (كُلِّهَا) يَمَّا تُوَفِّيَتْ الْأَرْضُ) مِنَ الْحُبُوبِ وَغَيْرِهَا (وَمِنْ أَنْعَمِهِمْ) مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ (وَيَمَّا لَا يَعْلَمُونَ) مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُعْجِبَةِ الرَّبِّيةِ (وَآيَةٌ لَهُمْ) عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ (اللَّيْلُ)

درجة بعشرة إلى نصف أمشير فتنتقل إلى برج الحوت فسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمات فتنتقل الشمس إلى برج الحمل ويسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه الاعتدال الربيعي يستوى الليل في تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما في برج الحوت الذى قبله إلى منتصف برمودة فتنتقل الشمس إلى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدى درجة بخمسة إلى نصف بؤونه فتنتقل إلى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه يقضى طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل ، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة وحنة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمسة درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل في الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدى درجة إلى خامس عشر أيب ، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى ، فتنتقل إلى السنبله فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة ، فقد علمت أن الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين مرة في نصف توت الذى هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الحريف والمرة الثانية في نصف برمات أول فصل الربيع ، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالأسداس ثم ثلاثين بالآلات ثم ثلاثين بالأصناف لأول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالأصناف أيضا إلى نصف برمودة ودخول الشمس في الثور ، فمدة زيادة الأصناف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس في الحوت إلى نصف برمودة ثم ثلاثين بالآلات إلى نصف بشنس ودخول الشمس في الجوزاء ، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤونه ودخول الشمس في السرطان فيأخذ الليل في الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف أيب ودخولها في الأسد ثم ثلاثين بالآلات إلى نصف مسرى ثم بالأصناف إلى نصف توت ثم بالأصناف

أيضا إلى صف بابه ، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور ، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك ، ثم يعدو النهار على الليل فسبحان الله القدر
للأمور القادر على كل شيء العليم الحكيم اه (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كأن تقدم نظيره (قوله نساخ الخ) بيان
لكيفية كونه آية (قوله فصل منه النهار) أي نزله عنه لكونه كالسائر له فاذا زال السائر ظهر الأصل فالليل أصل متقدم في
الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله - فاذا هم مظلمون - وهذا لا ينافي ما يأتي في قوله - ولا الليل سابق النهار - لأن معناه
لا يأتي الليل قبل وقته المقتر له بأن يأتي في وقت الظهور مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل أن معنى السناخ الفصل والإزالة وليس المراد
به الكشف والإقال فاذا هم مبصرون لأنه يصير المعنى وآية لهم الليل تكشف ونظهر منه النهار (قوله داخون في الظلام) أي فيقال
أظلم القوم إذا دخلوا في الظلام وأصبحوا إذا دخلوا في الصباح (قوله من جملة الآية) أي فهو عطف مفردات على قوله : الأرض
وقوله أو آية أخرى : أي فيكون عطف جملة (قوله لمستقر لها) أي مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل
ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها ، فاذا كان آخر الزمان
لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من الغرب ، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس وأندري أين ذهبت الشمس ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فاتها
تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي
من حيث جئت فتطلع من (٣٠٤) مغربها ، فذلك قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

العليم» وقيل إن الشمس
في الليل تسير وتشرق على
عالم آخر من أهل الأرض
وإن كنا لانعرفه ، وهذا
قول الحكماء ويؤيده
ماقاله الفقهاء إن الأوقات
الحسنة تختلف باختلاف
الجهات والنواحي فقد
يكون المغرب عندنا عصرا
عند آخرين وقد يكون
الليل عندهم ساعة فقط ،

نَسَلَخُ) فَفَصَلَ (مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ) دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ (وَالشَّمْسُ تُجْرِي)
إِلَى آخِرِهِ مِنْ جَمَلَةِ الْآيَةِ لَهُمْ أَوْ آيَةٍ أُخْرَى وَالْقَمَرُ كَذَلِكَ (اِسْتَقَرَّ لَهَا) أَي إِلَيْهِ لَا تَجَاوِزُهُ
(ذَلِكَ) أَي جَرِيهَا (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فِي مَلِكِهِ (الْعَلِيمِ) بِخَلْقِهِ (وَالْقَمَرُ) بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ
وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ يَفْسِرُهُ مَا بَعْدَهُ (قَدَرْنَا هُ) مِنْ حَيْثُ سِيرَهُ (مَنَازِلَ) ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ
مَنْزِلًا فِي ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَسْتَرُ لَيْلَتَيْنِ إِنْ كَانَ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَلَيْلَةً إِنْ
كَانَ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا (حَتَّى عَادَ) فِي آخِرِ مَنْزَلِهِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ (كَأَنَّهَا جُزْءُ الْقَدِيمِ)
أَي كَمُودِ الشَّمَارِيخِ إِذَا عَتَقَ فَإِنَّهُ يَرِقُ وَيَتَقَوَّسُ وَيَصْفَرُ (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي) يَسْهَلُ وَيَصْحُ
(لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فَتَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي اللَّيْلِ ،

(ولا)

واختلف في المشاء حينئذ ، فقالت الحنفية بسقوطها ، وقالت الشافعية

ووافقهم المالكية بقدر لهم بأقرب البلاد إليهم ويصاوتها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى أداءه ولا حرمة عليهم في ذلك .
وعلى ما قالته الحكماء . فاختلف في مستقر الشمس ، فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، وقيل مستقرها هو سيرها في منازلها
حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لسلك شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لسلك شهر ، فقال الرملي من أئمة
الشافعية : إن لكل شهر قمرًا جديدًا ، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غاب الأحاديث أنه متحد (قوله بالرفع) أتى على
أنه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب يفسره ما بعده) أي فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله
منازل ظرف لقوله قدرناه ، والتقدير قدرنا سيره في منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذامنازل (قوله أي
كمود الشماريخ) جمع شمراخ وهو عيدان المنقود الذي عليه الرطب (قوله إذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فانه يدق
ويتقوس ويصفر) أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي بحيث تأتي
في وسط الليل لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لأن
سير القمر أسرع لأنه يقطع الفلك في شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك
الشمس في سيرها ولكن لا سلطنة له .

(قوله ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتي الليل قبل ان ينقضى كأن يأتي في وقت الظهر مثلا (قوله وكل في فلكه يسبحون) قال ابن عباس يدورون في فلكة كفلكة للنزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع المذكور ، والذي سرق ذلك وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم في الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أن لفظ القرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول لأنه من القرية ، وهو الخلق فاندفع ما يقال إن الذي حمل في سفينة نوح أصول أهل مكة لافروغهم وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية (قوله الملوء) أى لأن نوحا جعله ثلاث طبقات : السفلى وضع فيها السباع والحوام ، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام ، والغليا وضع فيها آدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله ، والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق ، وعلماهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من إما زائدة أو تبعية ، وعلى كل فدخلوها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما ملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة في تفسير المثل ، والثاني أنه خصوص الاجل ، والثالث (٣٠٥) أنه مطلق الدواب التي تترك

(قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد لأنفسهم وإن كان هر الخالق لها حقيقة فلم أضافها لنفسه فأجاب بأن التعليم والمداية لما كاتنا منه ضاف الخلق له لأن سفينة نوح التي هي أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له (قوله مع إجماع السفن) أى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صرح لهم) الصريح بمعنى الصارخ يطلق على المستغنى وعلى

(وَلَا أَقِيلُ صَاحِبِ الْفَهَارِ) فلا يأتي قبل اقتضائه (وَكُلُّ) تنوينه عوض من المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (فِي فَلَكَ) مستدير (يَسْبَحُونَ) يسبحون ، نزلوا منزلة العقلاء (وَآيَةٌ لَهُمْ) على قدرتنا (أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) وفي قراءة ذريتهم : أى آباءهم الأصول (فِي الْفَلَكَ) أى سفينة نوح (الْمَشْحُونِ) الملوء (وَخَافْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) أى مثل فلك نوح وهو ما ملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (مَا تَرَ كَبُونَ) فيه (وَإِنْ نَشَأْ نُذِرْهُمْ) مع إجماع السفن (فَلَا صَرِيحَ) مغيث (لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ) ينبجون (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) أى لا ينبجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا أيام بلذاتهم إلى اقتضاء آجالهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من عذاب الدنيا كخيركم (وَمَا خَلْفَكُمْ) من عذاب الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَإِذَا قِيلَ) أى قال فقراء الصحابة (لَهُمْ أَنْفِقُوا) علينا (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من الأموال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِأَئِنَّ أَنْفِقُوا) استهزاء بهم (أَنْ نَطْعِمَ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) في معتقكم هذا (إِنْ) ما (أَنْتُمْ)

المغيث فهو من تسمية لاضداد والمراد الثاني (قوله إلا رحمة منا) بلا اداة استثناء ورحمة مفعول لأجله وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والمعنى لا تنجيهم لشيء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتعهم الأمد الذي سبق في علمنا (قوله كغيركم) أى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخائف كما يطلق على ماضى يطلق على ما يأتي فهو من تسمية الأضداد وسعى ما يأتي خلفا لغيره هنا (قوله أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تأتيتهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعية (قوله إلا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله وإذا قيل لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق ، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كعاص بن وائل السهمي وغيره كان إذا سأله المسكين قال له : اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك قد منعك الله فأطعمك أنا ؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون : لانطى من حرمة الله ، ولم يعلموا أن الفقراء يحامون زاد الأغنياء للآخرة ، ولولا الفقراء ما انتفع النبي بفناء (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع : أى ينكرون وجوده ، وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله أطعمه) مفعول أنطم وقوله أطعمه جواب لو (قوله في معتقكم) أى أيها الفقراء المؤمنون لا في معتقد الكفار الأغنياء فانهم ينكرون الصانع كما هلمت . [٣٩ - صاوى - ثالث]

(قوله في قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ما روى أن أبا بكر الصديق رضی الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين ، فلقبه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إعطائهم هؤلاء ؟ قال نعم ، قال فما باله لا يطعمهم ؟ قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالثنى ، وأمر الفقراء بالصوم والأغنياء بالإعطاء فقال أبو جهل ، والله يا أبا بكر إن آفت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إعطائهم هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم قطعهم أنت . وقيل إنه من كلام للمؤمنين للكفار . وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أي وهو التبيكيت والتقييح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار للمتفرين بوجوده تعالى (قوله أي ما ينتظرون) هذا مجازاة لأول كلامهم لأن شأن من يسأل عن الشيء أن يكون معتزلا بوجوده وإلا فهم جازمون بعدمها (قوله الأولى) أي وهي التي يموت عندها من كان موجودا على وجه الأرض (قوله نقلت حركة التاء إلى الخاء) أي جماعها أو بعضها فهما قراءةتان (قوله وأدغمت) أي بعد قلبها صادًا وحذفت همزة الوصل (١) للاستثناء عنها بتحريك الخاء وقوله وفي قراءة الخ تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث وبقراءة واحدة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد الشددة وعلى هذه القراءة حركة الخاء ليست حركة نقل وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ما كانت فالتفت ما كانت مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التلخيص من التقاء الساكنين وكل تلك القراءات سبعة (قوله أي وهم في غفلة عنها) أشار بهذا (٣٠٦) إلى أن المراد من الاختصاص لازمه وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصاص وغيره

وفي الحديث « لتقومن الساعة وقد فسر الرجلان ثوبا بينهما فلا يقبايمانه ولا يطويانه ، وتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بين لفتحته فلا يطعمه ، وتقومن الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه ، وتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » أخرجه البخاري (قوله أي يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى

في قولكم لنا ذلك مع معتدكم هذا (إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالبعث (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (مَا يَنْتَظِرُونَ) أي ما ينتظرون (إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً) هي نفخة إسرافيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهَمُّ مَخِصُونٍ) بالتشديد أصله يختمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاضع وتباعد وأكل وشرب وغير ذلك . وفي قراءة يختمون كيعضون أي يخصم بعضهم بعضا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي أن يوصوا (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) من أسواقهم ، وأشغالهم بل يموتون فيها (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُمْ) أي المقبورون (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يخرجون بسرعة (قَالُوا) أي الكفار منهم (يَا لَئِن لَّنْ يَنْبِئَهُ (وَيَلْتَأَىٰ) هلاكنا وهو مصدر لافضل له من لفظه (مَنْ بَشَرْنَا مِنْ مَرَّ قَدَانَا) ،

والفعل محذوف على القراءة الأخيرة (قوله أن يوصوا) أي على أولادهم وأموالهم (قوله ولا إلى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح ، وقيل أربعون يوما ، وقيل غير ذلك (قوله أي المقبورون) أي من شأنه أن يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الأجداث) جمع جثث كفرس وأفراس وقرى شذوذا الأجداث بالفاء وهي لنة في الأجداث (قوله يخرجون بسرعة) أي يسرعون في مشيهم قهرا لاختيارا (قوله أي الكفار) أي لاكل الخلائق إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم وروية وجه الله الكريم (قوله لتنبئيه) دفع بذلك ما يقال إن النداء عنص بالمقلاء ، فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل ، فأجاب بأن يا لتنبئيه ، والمعنى تنبئوا فإن الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة بإضافته إلى ضمير التكلم ومعه غيره دون تأنيث . وقرى شذوذا يويلنا بتاء التأنيث ويأوي بقا بإبدال الياء ألفا وعلى قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لافضل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلاك (قوله من بئنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ وجملة بئنا خبره وقرى شذوذا بكسر الميم على أنها حرف جر وبئنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أي من رقدنا أو من مكان رقدنا

(١) (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا إنما هو في الماضي الذي هو اختصاصه راجع حاشية العلامة الجمل .

(قوله إنهم كانوا بين الفئتين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيردون قبيل الفجأة الثانية فيذوقون طعم النوم فإذا بعثوا وعابوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما وعد الرحمن الخ) مفعول وحده وصدق محذوف ، والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقونا فيه المرسلون (قوله أقرؤا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهى فى محل نصب مفعول لقول كأنهم لمساءلوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم لأن الباعث لهم مصلوم وإنما لهم السؤال عن البعث (قوله إن كانت) أى النفخة الثانية (قوله إلا صيحة واحدة) أى وهى قول إسرائيل أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفوقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فإذا هم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون فى موقف الحساب (قوله فالיום لا تظلم نفس شيئا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله إن أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار أنبأه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله فى شغل) أبهمه ونكره إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه ، والمراد به ما هم فيه من أنواع اللذات التى تلهيهم مما عداها بالكلية كالتفكك بالأكل والشرب والسباح وضرب الأوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون النبين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (٣٠٧) (قوله كافتضاض الأبقار)

أى لما روى « أن أهل الجنة كلما أرادوا التقرب من نسائهم وجدوهن أبقارا فيفتضونهن من غير قدر ولا ألم » (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التمتع والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفككهم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعض (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لاصطيبيم الشمس)

لأنهم كانوا بين الفئتين نائمين لم يبدوا (هَذَا) أى البعث (مَا) أى الذى (وَعَدَ) به (الْمُحْسِنُ وَصَدَقَ) فيه (الْمُرْسَلُونَ) أقرؤا حين لا ينفعهم الإقرار ، وقيل يقال لهم ذلك (إِنْ) ما (كَانَتْ إِلَّا صَيْعَةً وَاحِدَةً فَلْيَذَاقُوا حَمِيمَ لَهَيْتِنَا) عندنا (مُحْضَرُونَ . قَالِيَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَيْوَمَ فِي شُغْلٍ) بسكون النبين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبقار لاشغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها (فَاكِهِونَ) فاكهون خبر ثان لأن الأول فى شغل (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أى لاصطيبيم الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة ، وهو السرير فى الحجلة ، أو الفرش فيها (مُتَكِيُونَ) خبر ثان متعلق على (كُلُّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَكُلُّكُمْ) فيها (مَابِدَّهُونَ) يمتنون (سَلَامٌ) مبتدأ (قَوْلًا) أى بالقول خبره (مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) بهم ، أى يقول لهم سلام عليكم ،

أى لعدم موجودها (قوله فى الحجلة) بفتح الحاء أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما وهى قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجلة فالأريكة فيها قولان : قيل هى السرير الكائن فى الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الأرائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفى ظلال خبر أول ومتكئون خبر ثان وهى الأرائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لا مقطوع ولا ممنوع قال تعالى - وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة - (قوله ولهم ما يدهون) أصله يذنون يوزن يفتعلون استنقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فالتقى ما كنان حذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدخمت فى الدال ، والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يمتنوه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعراب وقيل إنه بدل من قوله ما يدهون أو صفة لما أو خبر لمبتدأ محذوف (قوله أى بالقول) أشار بذلك أن قولاً منصوب بنوع الحائض ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا المضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر (قوله أى يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف ، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقربهم السلام لما فى الحديث « بينا أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور ففرغوا رءوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شئ من النعيم ماداموا ينظرون

إليه حتى يحجب عنهم فيبقى بوره وبركته عليهم في ديارهم» (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة محمولة
لحذوف نوضا (قوله عند اختلاطهم بهم) أي حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد في الحديث مامعه : إذا كان يوم القيامة ينادى
مناد كل أمة تتبع عبودها فتبقي هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش
ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إيهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست
ربنا ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يشجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد
للمناقون أن يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد
إليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على السنة رسله من الأوامر والنواهي (قوله أم أهد
أي وأنها كم ففيه اكتفاء (قوله أن لا تصدوا الشيطان) أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل
محزوم بها (قوله إنه لكم عدو (٣٠٨) ميين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل

(قوله جبلا) بضم الجيم
وسكون الباء وتخفيف
اللام (قوله وفي قراءة
بضم الباء) أي مع ضم
الجيم وبقراءة ثالثة
سبعية أيضا وهي بكسر
الجيم والباء وتشديد
اللام كسجل (قوله هذه
جهنم) هذا خطاب لهم
وهم على شفير جهنم ،
والمقصود منه زيادة
التبكيك والتقريع (قوله
اصاوها) أي ذوقوا
حرارتها (قوله بما كنتم
تكفرون) أي بسبب
كفركم (قوله اليوم
نختم على أفواههم) أي
ختم يمنعها عن الكلام

(وَ) يَقُولُ (أَمَّا أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ) أَي ائزردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم
(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) أَمْرٌ (يَا بَنِي آدَمَ) عَلَى لِسَانِ رَسُولِي (أَنْ) (لَا تَمْبَدُّوا الشَّيْطَانَ)
لَا تَطِيعُوهُ (إِنَّهُ لَكُمْ هَدُوٌّ مُبِينٌ) بَيْنَ الْعِدَاوَةِ (وَأَنْ) (أَعْبُدُونِي) وَحَدُونِي وَأَطِيعُونِي
(هَذَا صِرَاطٌ) طَرِيقٌ (مُسْتَقِيمٌ) . (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) فِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْبَاءِ
(كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) عِدَاوَتِهِ وَإِضْلَالِهِ أَوْ مَحَلِّ بِهِمْ مِنَ الْمَذَابِ
فَتَوَمَّنُونَ ، وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بِهَا (أَصَلُّوْهَا أَيَّوْمَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) . أَيَّوْمَ نَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) أَي الْكُفْرَانَ لِقَوْلِهِمْ : وَاللَّهِ بِنَا مَا كُنَّا
مُشْرِكِينَ (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وَغَيْرَهَا (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فَكُلُّ
عَضْوٍ يَنْطَلِقُ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ (وَلَوْ) نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) لِأَعْمِيْنَاهَا طَمَسًا (فَأَسْتَبَقُوا)
ابْتَدَرُوا (الصِّرَاطَ) الطَّرِيقَ ذَاهِبِينَ كَمَا دَتَهُمْ (فَأَنَّى) فَكَيْفَ (يُبْصِرُونَ) حِينَئِذٍ ، أَيْ
لَا يَبْصِرُونَ (وَلَوْ) نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قَرْدَةً وَخَنَازِيرًا أَوْ حِبَابَةً (فَلْيَمَّكَاتِهِمْ) وَفِي قِرَاءَةِ
مَكَاتِهِمْ ، جَمْعُ مَكَانَةٍ بِمَعْنَى مَكَانٍ ، أَيْ فِي مَنَازِلِهِمْ (فَمَا اسْتَبَقَافُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ)
أَيْ لَمْ يَبْدُرُوا عَلَى ذَهَابٍ وَلَا عَجْيٍ ، (وَمَنْ نُمِرْهُ) بِإِطَالَةِ أَجَلِهِ (نَدَّ كَسْرُهُ) ،

النافع فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى : يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وهذا مرتبط بقوله : اصلوها اليوم . وفي

روى أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون فنشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم
فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز هلينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم انظروا
فتنطق بما صدر منهم ، وحكمة إسناد الحتم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل دفع توهم أن نطقها جبر والمجبور غير مقبول
الشهادة فأفادك أن نطقها اختياري (قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الخ) مفعول المشبهة محذوف أي لو نشاء طمسنا لفلعلنا
وقوله : فاستبقوا الصراط أي أزدوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله :
فأني يبصرون استفهام إنكاري مرتب على ما قبله أي فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قبل فيما قبلها ،
والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى في ، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتودخ الكفار وإعلامهم بأن
الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى ، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى : قل
أرأيتم إن أخذ الله معكم وأبصاركم الآية. (قوله ومن نصره) أي من يكون في سابق علمنا طه. بل العمر

(قوله وفي قراءة بالقياس) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناها واحد ، والمعنى نقله فلا يزال يتزايد ضعفه وتفحص قواه عكس ما كان عليه أول الأمر (قوله أي خلقه) أي خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهما مقابل وشباهه فهو لقب وضم مرتب ، وهذا في خير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما هم فلا يمتريهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدا ، واستعادته صلى الله عليه وسلم من الرد لأرذل المرء لتعليم لأمنته ، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمة داخلة على محذوف ، والتقدير أتركوا التفكير فلا يعقلون (قوله وفي قراءة) أي وهي سببية أيضا (قوله وما هلنناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله إليه إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر) أي وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشر لأن الشعر كلام مزخرف ، ووزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن المرز الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغي له) أي لا يصح ولا يليق منه لأن الشعر شأنه الأكاذيب وهي عليه مستحبة ، ولذا قيل : أهدبه أكذبه ، فصل أن النبي لا ينبغي له الشعر ولا يليق منه . إن قلت إنه تمثل بقول طرفة : سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣٠٩) وأنشأ من نفسه قوله :

أنا للنسبي لا كاذب
أنا ابن هبذ للطلب
وقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت
قلت أحسن ما أجيب به
أن إنشاده بيت طرفة
وإنشاء البيتين المتقدمين
لم يكن عن قصد وإنما
وافق وزن الشعر كما في
بعض الآيات القرآنية
فليس كل من قال قولا
موزونا لا يقصد به الشعر
شاعرا وإنما وافق وزن
الشعر (قوله لينذر)

وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (في الخلق) أي خلقه فيكون بمد قوته وشباهه ضعيفا وهما
(أفلا يعقلون) أن اتقادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء
(وما علمناه) أي النبي (الشعر) رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وما ينبغي)
يسهل (له) الشعر (إن هو) ليس الذي أتى به (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر
للأحكام وغيرها (لينذر) بالماء والتاء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون
(ويحق القول) بالذباب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أولم
يروا) يلغوا والاستفهام للتعريب والواو الداخلة طيبا للمطف (أنا خلقنا لهم) في جملة الناس
(بما حمات أيدينا) أي علمناه بلا شريك ولا معين (أنعاما) هي الإبل والبقر والغنم
(فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها) سخرناها (لهم فيها ركوبهم) مركوبهم
(ومنهم يأكلون) ولهم فيها منافع (كأصوافها أو بارها وأشجارها) (ومشارب) من لبنها
جمع مشرب بمعنى شرب ، أو موضعه (أفلا يشكرون) المنعم عليهم بها فيؤمنون ،

متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم مؤمنون) أي وخصوا بالذكر
لأنهم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة في قوله : من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل
المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للمطف) هذه العبارة تحتل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية
وهما أن الهمة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم - ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون -
أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله أنا خلقنا لهم) التام للحكمة أي حكمة خلقنا
ذلك انتفاعهم (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم وغيرهم (قوله مما عملت
أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى ، وهذا كقول الانسان كتبته بيدي مثلا بمعنى أني افردت به ولم
يشاركني فيه غيري فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأن منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أي
قاهرون مذليون ، والأحسن أن يفسر قوله : مالكون بالملك الشرعي أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية
ليكون قوله : وذللناها لهم تأسيسا لنعمة أخرى لا تنبأ لما قبله (قوله كأصوافها) أي وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله
أرومضه) أي وهو الضروع

(قوله أي يافتوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وأن قوله واتخذوا الخ مطلب على محذوف (قوله يصوتها) ضمير
 للاتخاذ (قوله لعلمهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصر منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أي لمسا كفة عبادهم
 لغيرهم بصيغه جمع المذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول. ولهم متعلق بجند وحضرون خبر ثان (قوله
 أي آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين والآخر أنه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهي
 لا تستطيع أن تنصرهم (قوله محضرون في النار) أي ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم
 ولقبي لا تحزن من قولهم بل أتركه ولا تلتفت له (قوله إنا نعلم الخ) تسليل لتهيئ قلبه (قوله فنجازيهم عليه) أي على ما صدر
 منهم سرا وعلانية خيرا أو شرا (قوله أولم ير الإنسان) في الهزمة التثريان السابقان وما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة على
 محذوف والتقدير أحمى ولم ير (قوله وهو العاصي بن وائل) وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي ولكن العبارة بموم اللفظ
 لا بخصوص السبب (قوله أنا) (٣١٠) خلقناه من نطفة) أي قدرة خسية وللقصود التصب من جهله حيث تصدى

لخاصة العزيز الجبار ولم
 يتفكر في بدء خلقه وأنه
 من نطفة (قوله فاذا هو
 خصيم مبين) عطف على
 جملة اللقي (قوله في نفي
 البعث) متعلق بخصيم
 (قوله وضرب لنا مثلا)
 أي أورد كلاما عجيبا
 في الترابة كالمثل حيث
 قاس قدرتنا على قدرة
 الخلق (قوله ونسى خلقه)
 أي ذهل عنه وهذا
 عطف على ضرب داخل
 في حيز الإنكار وإضافة
 خلق للضمير من إضافة
 للصدر لمفعوله : أي خلق
 الله إياه (قوله قال من
 يحيى العظام الخ) بيان

أى ما فعلوا ذلك (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما يبدونها (لَعَلَّهُمْ
 يُنصِرُونَ) يبنون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم
 نزلوا منزلة العقلاء (نَصَرَهُمْ وَهُمْ) أى آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُودٌ) بزعمهم نصرهم (مُحَضَّرُونَ)
 في النار معهم (فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرصلا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) يعلم وهو العاصي
 ابن وائل (أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ)
 شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بيئها في نفي البعث (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) في ذلك (وَنَسِيَ)
 خَلْقَهُ) من المنى وهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أى بالية ولم يقل
 بالتاء لأنه اسم لاصفة ، وروى أنه أخذ عظما رميا فقتته وقال للنبى صلى الله عليه وسلم أترى
 يحيى الله هذا بعد ما بلى ورم؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار (قُلْ يُحْيِيهَا
 الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) مجعلا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه
 (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) في جملة الناس (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) المرخ والتفأر أو كل شجر
 إلا الصناب (نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) تتدحون وهذا قال على القدرة على البعث فإنه
 جمع فيه بين الماء والنار ،

والحشب

لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) أشار بذلك إلى سؤال حاصله ان ضيلا بمعنى فاعل يفرق فيه

بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة أن يقال ربيعة فأجاب المفسر بأن عمل ذلك إذا لم تغلب عليه اللاحية فاذا صار اسما
 بالثنية لما بلى من العظام فلا تلحقه التاء في مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا أنه مقطوع
 بكفره وخلوده في النار وزيادة ذلك في الجواب لأنه متعنت لامتهم وجزاء المنعت المنكر أن يجاب بما يكره و ضد ما يترقب
 ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم (قوله الذى أنشأها) أى أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أى بكيفية
 خلقها وأجزاء الأشخاص تفصيلا (قوله الذى جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه
 ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالحاء المعجمة شجر مريع القندح وقوله العفار
 بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فأنف فراء وكيفية إيقاد النار منهما أن يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ ، وقيل
 يؤخذ منهما غصنان خضراوان. ويسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى (قوله أوكل شجر) أى وقد شؤهد في
 بعضه كالبرسيم إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فإنه يحرق نفسه وما حوله (قوله إلا الصناب) أى ولد ذلك تؤخذ منه مطارق القصارين

(قوله والحشب) فتحتين أو ضميتين أو ضم ككون (قوة أو ليس الذي) المحمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر (قوله أي الأناسي) تفسير للضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى إشارة إلى تعيينه قائله أولاً (قوله وهو الخلاق العظيم) عطف على مقدر قدره بلى هو قادر وهو الخلاق العظيم (قوله أن يقول له سكن) في الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها أن يقال شبه سرعة تأثير قدرته وفاعلها فيما يريد به أمر المطاع للطبع في حصول الأمور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمضى أن يقول له كمن أن تتعلق به قدرته تعلقاً تمييزياً (قوله سبحانه الذي الخ) أي تفرجه مما لا يليق به (قوله وإليه ترجعون) قرأ العامة بيناه للفعول ، وقرئ شدوا بيناه للفاعل .

[تمة] تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن ووجه ذلك أنها اشتمت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمن بذلك متعلق بالقلب فقلبك سميت قلباً ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى (٣١١) الميت لكون القلب قد أقبل

على الله تعالى ورجع
عما سواه فيقرأ عنده
ما يزداد به قوة ويقينا .
[سورة والصفات مكية]
أي بالاجماع وسميت باسم
أول كلمة منها من باب تسمية
الشيء باسم بعضه على حكم
عادته سبحانه وتعالى في كتابه
(قوله والصفات الخ) الواو
حرف قسم وجر والصفات
مقسم به مجرور وما بعده
عطف عليه وقوله - إن
إلهكم واحد - جواب
القسم وهو للقسم عليه
والعنى وحق الصفات وحق
الزاجرات وحق التاليات
وإنما خص ما ذكر لعظم
قدرها عنده ولا يعكر

والحشب فلا ليلاء يطغى النار ولا النار تحرق الحشب (أَو لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (بِقَادِرٍ هَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي الأناسي في الصغر ؟ (بَلَى)
أي هو القادر على ذلك أجب نفسه (وَهُوَ الْخَلَّاقُ) الكثير الخلق (الْعَلِيمُ) بكل شيء
(إِنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) أي خلق شيء (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)
أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك
زيدت الواو وللتاء للمهانة: أي القدرة على (كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة .

(سورة والصفات)

مكية ، مائة واثنان وخمسون آية

(يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ . وَالصَّافَاتِ صَفًا) لللائكة تصف قومها في العبادة أو
أجنتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) لللائكة تزجر للسحاب أي
تسوقه (فَالتَّالِيَاتِ) أي قرء القرآن يتلوونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات ،

عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله لأن النهي للخلق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته
للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم . وغير ذلك (قوله لللائكة تصف نفوسها الخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف . إن قلت
إن التاء في الصفات وما بعدها لتأنيث ولللائكة منزهن عن الاصف بالآتونة كآله كورة . أوجب بأنها لتأنيث اللفظي والمنزهون
عنه التأنيث المعنوي وقوله اللائكة هو أحد أقوال في تفسير الصفات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير تصف أجنتها
(قوله في العبادة) أي في مقاماتها المطلوبة (قوله أو أجنتها في الهواء) أي ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ما تؤمر به) أي من
صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء لترتيب باعتبار الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاة ، ثم يعقبه رجب
لنفس ، ثم يعقبه التلاوة وهكذا ، ويحتمل أنها لترتيب في المزايا ثم هو إما باعتبار الترقى فالصفات ذوات فضل فالزاجرات أفضل
فالتاليات أكثر فضلا ، أو باعتبار التدرج فالصفات أعلى ثم الزجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله اللائكة تزجر السحاب) وقيل
المراد بهم الصماء تزجر الصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح أن يعكس مفعولا للتاليات والمراد بالله كذا القرآن
وغيره من تسبيح وتحميد والبراد بهم هنا كل ذا كر من ملائكة وغيرهم .

(قوله إن الحكم لو احد) إن قلت ما حكمة ذكر القسم هنا لأنه إن كان المقصود التوثيق فلا حاجة له لأنهم مصدقون ولو من غير قسم ، وإن كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لأنهم غير مصدقين على كل حال . أجيبت بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والأرض) إما بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمخدوف (قوله أي والمغرب) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد سرايل تبيح الحر وإنما اقتصر على المشرق لأن نفعه أعم من المغرب . إن قلت إنه تعالى جمع المشرق هنا وحذف مقابله وجهما في سأل وثناها في الرحمن وأفردنا في المزمّل فما وجه الجمع بين هذه الآيات . أجيبت بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتمشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغرب والتفتية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والأفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها (قوله السماء الدنيا) أي القربى من الأرض (قوله زينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب في سما الدنيا أو ثوابت (٣١٢) في العرش وضوؤها يصل لسما الدنيا لأن السموات شفاة لا تحجب

ما وراءها (قوله بضوئها) أي نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بهما أي إن ذات الكواكب زينة لسما الدنيا فإن الانسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدها في غاية الزينة (قوله المينة بالكواكب) أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها

(إِنَّ إِلَهَكُمْ) يَا أَهْلَ مَكَّةَ (لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) أي والمغرب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ) أي بضوئها أو بهما ، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة للمينة بالكواكب (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر ، أي حفظناها بالشهب (مِنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ حَارِدٍ) عاتٍ خارج عن الطاعة (لَا يَسْمَعُونَ) أي الشياطين مستأنف ومما هم هو في المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) الملائكة في السماء ، وعدى السماع إلى لتضمنه معنى الإحصاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أذخعت القاء في السين (وَيُتَذَفُونَ) أي للشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأجلده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضى (ثَاقِبٌ) ،

ويبقى قراءة ثالثة سبعة وهي تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمخدوف يشقبه

تقديره أعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) أي معطوف على زينا (قوله من كل شيطان وارد) وكانوا لا يحبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على السكينة ، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منحوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منحوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمى شهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري (قوله مستأنف) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعترهم من العذاب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أذخعت القاء في السين) أي بعد قلبها سينا وإسكانها (قوله من آفاق السماء) أي نواحيها وجناتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أي ومن في غير ذلك رفع بدل من الوار أو في محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ، ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فأتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر (قوله فأتبعه شهاب ثاقب) إن قلت تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين أنها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك . أجيبت بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجون بذات الكواكب بل تنفصل منها

شبه نزل على الشياطين والكواكب بالية بحالها . إن قلت إن الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون . أجب بأن الأقوى يحرق الأضعف كالحديد يقطع بعضه . إن قلت إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى . أجب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فإنه يشاهد الفرق المرة بعد المرة و يعود طمعا في السلامة (قوله يشبه) أى بحيث يموت من ثقبه ، وقوله أو يحرقه أو يموت أيضا وأوفى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف الشهاب بالثائب لأن معنى الثاقب المضيء أى الذى يثقب الظلام خلافا لما يورمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله ويطاق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا أنه مستحيل . وحاصل الرد أن يقال لهم إن استحالتهم التى تدعونها إما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر تغيير الأجزاء ترابا وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خاق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات والأرض وغيرها قادر على إعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه لآية نظير قوله تعالى أتم أشد خلقا أم السماء بناها الخ (قوله أم أشد خلقا) أى (٣١٣) أقوى خالقة أو أصعب أو أشق إيجادا

(قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الليم وقرئ شذوذا وتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلقى باليسد أى لأنه لضعفه لا تقوم له بنفسه (قوله المعنى أن خلقهم الخ) التفت للمفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعدا الذى منه إنكار البعث (قوله بل عجبت) بضرب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال

يشبه أو يحرقه أو يخبله (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً (أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما ، وفى الإتيان بمن تغليب العقلاء (إنا خلقناهم) أى أصلهم آدم (من طين لازب) لازم يلقى باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدى إلى هلاكهم اليسير (بل) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم (عجبت) فتحت التاء خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم أى من تكذيبهم إياك (و) هم (يسخرون) من تعجبك (وإذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يتفكرون (وإذا رأوا آية) كأنشقاق القمر (يتسخرون) يستهزئون بها (وقالوا) فيها (إن) ما (هذا إلا سحر مبين) بين ، وقالوا منكرين للبعث (إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً) إنا كالمبعوثون) فى المهرتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أو آباؤنا الأولون) بسكون الواو عطفاً بأو ، وفتحها والمهزة للاستفهام والمطف بالواو ، والمطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير فى المبعوثون ،

لاستفتهم فانهم جاهلون معاذرون لامنعة فى استفتائهم بل نظر إلى حالهم والمقصود منه سببه صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) أى وبضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمواخظة على حد ومكروا ومكر الله . والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا المحبة كفى الحديث «عجب ربك من شاب ليس له صبوة» (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أى أو من تعجبى أى غضبى عليهم ومجازأتى لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) أى لقيام العفلة بهم (قوله أنما متنا الخ) أصل الكلام أنبعث إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً فقدموا الظرف وكرروا المهزة وأخروا العامل وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار إشعاراً بأنهم مبالغون فى الإنكار (قوله وإدخال ألف بينهما) أى تركه فالقراءات أربع فى كل موضع وبقى قراءتان سبعيتان أيضاً الأولى بألفين والثانية بواحدة والعكس وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها (قوله وفتحها) أى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الأعراف أو أمن أهل القرى (قوله لاستفهام) أى الاسكارى (قوله أو الضمير فى المبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا . إن قلت إن ما بعد المهزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون

أجيب بأنها مؤكدة للأولى .

[٤٠ - صاوى - ثالث]

لامقصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم اللؤكد لاللوكد (قوله والفاصل) أي بين المظوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر وبين المظوف وهو آياؤنا فتحصل أنه على قراءة سكون الواو تبين المثلث على عمل إن واسمها لاخير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه ويجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر في لمبوتون ويكفي الفصل بهمة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والفاعل فيها معنى لم كأنه قيل تبعثون والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أو زلزم على ظهورهم (قوله فأما هي زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر أو تليل لتهي مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فأما هي الخ أو لاستصعبه فأما هي الخ (قوله أي صيحة واحدة) أي وهي النفخة الثانية (قوله فإذا هم ينظرون) أي ينتظرون (قوله لافعل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أن الوقت تم عند قوله : يا ويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض ، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكياتهم ، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أي من مقامهم إلى الموقف أو من الموقف إلى النار (قوله قرأهم من (٣١٤) الشياطين) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بأزواجهم نسأوم اللاتن طي دينهم ،

والفاصل همزة الاستفهام (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون (فَأَيُّهَا) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أي صيحة (وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أي الخلائق أحياء (يَنْظُرُونَ) ما يفعل بهم (وَقَالُوا) أي الكفار (يَا) للتنبيه (وَيَلْنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) أي الحساب والجزاء (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ) بين الخلائق (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة (احشروا الذين ظلموا) أنفسهم بالشرك (وَأَزْوَاجَهُمْ) قرأهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان (فَاهْدُوهُمْ) دلومهم وسوقهم (إِلَى صِرَاطِ الجَنِيمِ) طريق النار (وَقَفُوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ويقال لهم توبيخاً (مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ) لا ينصرون بعضهم بعضاً كحالكم في الدنيا ، ويقال عنهم (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) منقادون أذلاء (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَكْتُمُونَ) يتلأومون ويتخاصمون (قَالُوا) أي الأتباع منهم للمتبعين (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمينِ) عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم إنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضلتمونا (قَالُوا) أي المتبعون لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين ،

وقيل أشباههم وأخلائهم من الانس لأن زوج الله يطاق على مقاربه وجانسه فيقال لمجموع فردى الحنف زوج وإلحادها زوج (قوله من الأوثان) أي بالأصنام والشمس والقمر (قوله إنهم مسئولون) بكسر الهمزة في قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة ، والمعنى قفوم لأجل سؤال الله إليهم (قوله عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أي لما في الحديث « لا تزول قدم

فرجتم

ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به (قوله ويقال لهم) أي والقاتل خزنة جهنم (قوله كحالكم في الدنيا) تشبيه في المنى (قوله ويقال عنهم) أي في شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله وقبل بعضهم) أي بعض الكفار يوم القيامة ، وهذا بمعنى ما تقدم في سورة سبأ في قوله - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول - (قوله يتلأومون ويتخاصمون) أي يلوم بعضهم بعضاً ويخاصم بعضهم بعضاً كما قال تعالى في شأنهم - كادخلت أمة لعنت أختها - بخلاف نساؤل المؤمنين في الجنة فهو شكر وتحلى بنم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجراحة العلومة والقوة والدين والحبر والآية محتملة لتلك المعاني والمفسر اختار الأول وعليه فمن بعض من ، والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التي كنا نأمنكم منها فذلك الجهة مصورة بخلفكم أنكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضلتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لاعلى ما قاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا بأجوبة خمسة آخرها : فأفوننا كم إنا كنا ظالمين ، والمعنى أنكم لم تصفوا بالإيمان في حال من الأحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أي لو كنتم مؤمنين بالجهان

(قوله فرجتم عن الإيمان إلينا) أي باضلائنا وإخواننا كأنهم ظلوا لهم إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان في قلبه فلو حثل منكم الإيمان لما أطعتمونا (قوله قول ربنا) أي وعيده ومفعول القول محذوف قدره بقوله : لأملأن جهنم الخ (قوله لا تائقون) إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بأذاعة العذاب (قوله فأغويننا كم) أي تسببنا لكم في الغواية من غير إكراه فلا ينافي ما قبله (قوله إنا كنا غاوين) أي فأحيننا لكم ما قام بأنفسنا لأن من كان متصفا بصفة شنيعة يجب أن يتصف بها غيره لتبون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أي حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل بهؤلاء) أي عبدة الأصنام ، وقوله غير هؤلاء : أي كالتصاري واليهود (قوله إنهم كانوا الخ) أي عبدة الأصنام ، وسبب ذلك «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أي طالب عند موته وقرئ مجتمعون عنده فقال : قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فأبوا وأقنوا من ذلك وقالوا : أننا تاركوا آلهتنا الخ» (قوله يستكبرون) أي يتكبرون (٣١٥) عن قولها وعلى من يدعوهم

إليها (قوله في همزيه مانقذم) أي من التحقيق فيها وتسهيل الثانية بألف ودونها فالقراآت أربع (قوله تاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أي تاركون آلهتناه والهي تاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ماجاه به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) أي من الضية إلى الخطاب زيادة في التقييح عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أي فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير جزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أي من الواو

فرجتم عن الإيمان إلينا (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) ضالين مثلنا (فَهَقَّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعاً (قَوْلُ رَبِّنَا) بالعذاب أي قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (إِنَّا) جميعاً (لَدَائِقُونَ) العذاب بذلك القول ، ونشأ عنه قولهم (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) اللعل بقولهم (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) قال تعالى (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أي لا اشتراكهم في الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ) كما فعل بهؤلاء (فَعَمَلُ الْيَاغِرِينَ) غير هؤلاء أي نذبتهم التابع منهم والتبوع (إِنَّهُمْ) أي هؤلاء بقرينة ما بعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَتِنَا) في همزيه ما تقدم (تَارِكُوا آلِهَتِنَا إِشَاعِرِ مَجْنُونِ) أي لأجل قول محمد قال تعالى (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إِنَّكُمْ) فيه التفات (لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تَجَزُونَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) أي المؤمنين استثناء منقطع : أي ذكر جزاؤهم في قوله (أُولَئِكَ) الخ (كُلُّهُمْ) في الجنة (رِزْقٌ مَمْلُومٌ) بكرة وعشياً (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل لتذوقاً لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) بثواب الله سبحانه وتعالى (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) على كل منهم (بِكَأْسٍ) هو الإناء بشرابه (مِنْ مَعِينٍ) من خمر يجرى على وجه الأرض كأنهار الماء ،

تجزون (قوله أولئك) أي عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أي وهو قوله : كأنهم بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أي أوقاته وصفاته فلا ينافي آية رزقون فيها بغير حساب - فان الراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) أي كل من كل لأن جميع ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لا لحفظ صحة) المناسب أن يقول لا لحفظ بنية (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أي فهم يدومون بدوام الله لا يفنون أبداً (قوله وهم مكرمون) أي معظمون مبعجون بالنتيجة والكلام اللين (قوله في جنات النعيم) إما متعلق بمكرهون أو خبر ثان أحوال (قوله على سرر) قال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى إيليا (قوله متقابلين) أي تواصلوا وتحابوا ، وقيل الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحدهما أحد (قوله يطوف عليهم) أي والطائف الولدان كما في آية - يطوف عليهم ولدان مخلدون بأقواب وأباريق وكأس - (قوله هو الإناء بشرابه) أي فان لم يكن فيه شراب فإنه يسمى قدحا ويطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشيء باسم محله (قوله من معين) أي ظاهر للعيون أو خارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كسبح وطى الثاني اسم فاعل مع عان بمعنى نهب وصف به خمر الجنة لأنه يجرى كلامه

(قوله بياض) إما صفة لكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصلو فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أى ذات لذة (قوله ما يفتال عقولهم) أى يفسدها وقيل النول صداع في الرأس وعليه فيكون ما بعده تأسيساً (قوله ولا هم عنها يزفون) عن سببية أى ولا هم يزفون بسببها (قوله بفتح الزاي) أى مع ضم الياء فهو مبنى للفعول وقوله وكسرها : أى مع ضم الياء أيضاً فهو مبنى للفاعل قراءتان سبعيتان وقرى شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نرف الشارب الخ) أى فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي والقراءتان السبعيتان على مفتضى أخذه من الرباعي فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهى الواصفة العين انشاعاً غير مفروط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهم بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام ، وفي سورة الواقعة بالواو المكنون لصفائه وكون بياضه مشوباً ببيض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (٣١٦) (قوله همأمر بهم في الدنيا) أى من الفضائل والمعارف وما عمأوه في الدنيا

(قوله قال قائل منهم) أى من أهل الجنة لاخوانه في الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أى تويخا على عدم إنكار البعث (قوله ما تقدم) أى من القراءات الأربع وهى تحقيق الممزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أى فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أى الجزاء والحساب وقوله أيضاً أى كما أنكر البعث (قوله لاخوانه) أى من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف

(بَيِّضَةً) أَشَدَّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ (لَذَّةً) لَذِيذَةً (لِلشَّارِبِينَ) بِمَخْلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عِنْدَ الشَّرْبِ (لَا فِيهَا غَوْلٌ) مَا يَفْتَالُ عَقُولَهُمْ (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ) بِفَتْحِ الزَّيِّ وَكَسْرِهَا مِنْ نَرْفِ الشَّارِبِ وَأُتْرَفَ ، أَيْ يَسْكُرُونَ بِمَخْلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حَاسِبَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَرْوَاجِهِمْ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ لِحُسْنِهِمْ عِنْدَهُنَّ (عَيْنٌ) ضَخَامُ الْأَعْيُنِ حَسَانِهَا (كَأَنَّهُنَّ) فِي اللَّوْنِ (بَيِّضٌ) لِلنَّعَامِ (مَكْنُونٌ) مُسْتَوْرٌ بَرِيشُهُ لَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ غَبَارٌ وَلَوْنُهُ وَهُوَ الْبِيَاضُ فِي صَفْرَةٍ أَحْسَنَ أَلْوَانِ النِّسَاءِ (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ (حَلَى بَعْضٌ يَتَسَاءَلُونَ) عَمَّا صَرَّحَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صَاحِبٌ يَنْكُرُ الْبَعْثَ (يَقُولُ) لِي تَبْكِيَتَا (أَنْتَكَ لِيَنَّ الْمُصَدِّقِينَ) بِالْبَعْثِ (أَنْتَ لِمَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا) فِي الْمَمْتَرِينَ فِي الثَّلَاثَةِ مَوَاضِعَ مَا تَقْدِمُ (لَلْمُتَدِينُونَ) مُجْزِيُونَ وَمَحَاسِبُونَ ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا (قَالَ) ذَلِكَ الْقَائِلُ لِإِخْوَانِهِ (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ) مَعَى إِلَى النَّارِ لِنَنْظَرِ حَالَهُ ؟ فَيَقُولُونَ لَا (فَأُطَّلِعَ) ذَلِكَ الْقَائِلُ مِنْ بَعْضِ كَوَى الْجَنَّةِ (فَرَأَاهُ) أَيْ رَأَى قَرِينَهُ (فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ) أَيْ وَسَطِ النَّارِ (قَالَ) لَهُ تَشْمِيئًا (تَاللَّهِ إِنَّ) مَخْفِفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ (كَلَدَتْ) قَارِبَتْ (لِلْعُرْدِينَ) لَتَهْلِكُنِي بِأَغْوَاثِكَ (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) عَلَى الْإِيمَانِ (لَكُنْتُ مِنَ الْخَاضِرِينَ) مَعَكُمْ فِي النَّارِ ، وَقَوْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ (أَفَسَا نَحْنُ بِمَيْمَنِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) أَيْ الَّتِي فِي الدُّنْيَا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هُوَ اسْتِفْهَامٌ تَلْذُذٌ وَتَحَلُّثٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَأْيِيدِ الْحَيَاةِ وَعَدَمِ التَّعْذِيبِ (إِنَّ هَذَا) الَّذِي ذَكَرَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ (هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ) . لِثَلِّ هَذَا ،

فليعمل

وضمها أى طبقاتها (قوله تسميتا) أى فرحا بصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار

من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهى جواب التسم (قوله أفنا نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فإنا نحن بميتين الخ (قوله إلا موتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتنا منصوب على الصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرغاً وهو بمعنى قوله تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله هو استفهام تلذذ) أى فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت (قوله من تأييد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذى ذكر لأهل الجنة) أى من قوله : أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله مثل هذا) أى لا للحظوظ الدنيوية الفانية التى تزول ولا تبقى .

(قوله فليعمل العاملون) أي ليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة ، فان جزاءها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو أفتى الانسان عمره في خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم ، جلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه : أي يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون ، فان العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكاتب في عمل الطاعات (قوله أذاك) معمول محذوف تقديره قل يا محمد لتومك على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) أي لأهل الجنة من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخبر وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الإشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلا والتعريف بخبر نزلا تمكيم بهم ولشاكله (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتي بدعوة وغيره من يأتي زائرا للعبدة والأئمة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من الزقوم وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة ، سميت بذلك لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها ، وهي شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات ، وهي خيشة مرة كريهة الطعم (قوله وهي من أخبت الشجر) أي صغيرة الوراق منتنة (قوله إنا جهنا بذلك) أي بسبب إخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة) (٣١٧) (الظالمين) أي امتحانا واختبارا هل

يصدقون أم لا (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت) أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شئ (قوله تخرج في أصل الجحيم) أي تنبت في أسفلها (قوله إلى دركاتها) أي منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة فان أصلها في عليين وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها (قوله طلوعها) الطلع في الأصل

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (قيل يقال لهم ذلك ، وقيل هم يقولونه (أذلك) المذكور لهم (خَيْرٌ نَزْلًا) وهو ما بعد لتنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) المدة لأهل النار وهي من أخبت الشجر المر بتهامة ينبتا الله في الجحيم كما سيأتي (إِنَّا جَعَلْنَاهَا) بذلك (فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا) المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) أي الحيات القبيحة المنظر (فَأَيُّهُمْ) أي الكفار (لَا يَكُونُ مِنْهَا) مع قبضها لشدة جوعهم (فَقَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . ثُمَّ إِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْهَا) أي ماء حار يشر بونه فيختلط بالماكول منها فيصير شوبالاً (ثُمَّ إِنِّي مَرَّجَهُمْ لَأَيُّ الْجَحِيمِ) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الجحيم وأنه خارجها (إِنَّهُمْ أَقْوَامٌ) وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ ،

اسم لمر النخل أول بروزه فتسميته طلعا تمكيم بهم (قوله أي الحياة القبيحة المنظر) أي ووجه الشبه الشناعة والسم في كل وما مشى عليه للفسر أحد أقوال ثلاثة ، وقيل شبه طلوعها برؤوس الشياطين حقيقة ، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين . وأجيب بأن الشيطان وإن كان غير معلوم في الخارج فهو معروف في الأذهان والخيالات كالقول فانه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة . وقيل الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) أي ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم (قوله ثم إن لهم عليها) أي على ما يأكلونه منها إذا شعبوا غلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله وقرئ شدوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر وهو قول الجمهور أنهم لا يخرجون أصلا لقوله تعالى - وما هم بخارجين منها - وحينئذ فالمنى أنه يتنوع عذابهم وهم في النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الجحيم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب ، فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه يردون إلى الاستغفال بعذاب غيره والحال أنهم في النار لا يخرجون منها ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجها على أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه ، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية لما رخصه صريح النص فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولا (قوله إنهم أقوام) هذا تحليل لاستحقاقهم العذاب ، والمعنى أن سبب استحقاقهم للعذاب

تقليد آبائهم في الضلال من غير شيء بمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أي من غير تأمل ولا تفكير (قوله ولقد ضل قباهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطنه لقدم محذوف بكل من الجنتين سبق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأني منه للنظر (قوله إلا عباد الله) استثناء منقطع لأن ما قبله وعيد ولم يدخلوا فيه (قوله لإخلاصهم في العادة) أي على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل ما أجله في قوله - ولقد أرسلنا فيهم منبرين - وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة الذي بيح وقصة موسى وهرون وقصة إيلياس وقصة لوط وقصة يونس، وذلك تسلياً له صلى الله عليه وسلم وتحذيراً لمن كفر من أمته (قوله رب إني مغلوب) أي مقهور وقوله فاتصروا: أي انتقم منهم (قوله فلنم الجبيون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو الخوص بالمدح (قوله وأهله) أي من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالتاس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد، وقيل كان لغير ولد نوح أيضاً نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والمجزة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم على (٣١٨) قبيلة (قوله والخزر) فتح الحاء والزاي بعدها راء مهمة هكذا في النسخ

الصحيحة وهو الصواب وفي بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لأن الخزرج من جملة العرب والخزرج صنف من الفرق صفار الأعين يعرفون الآن بالترك (قوله وما هناك) أي وهم قوم عند أجوج وما أجوج إذ اطلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فاذا زالت عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى (قوله ثناء

يُزَهْرُونَ) يزعمون إلى أتباعهم فيسرعون إليه (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) من الأمم الماضية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ) من الرسل مخوفين (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) بقوله: رب إني مغلوب فاتصروا (فَلَمَّعَمَ الْمُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالفرق (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الفرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) فالتاس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر وأجوج وما أجوج وما هناك (وَوَرَّكُنَّا) أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسناً (فِي الْآخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سَلَامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) إنا كذلك (كَمَا جَزَيْنَاهُمُ) نجزي المؤمنين (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) ثم أغرقنا الآخرين (كفار قومه (وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ) أي ممن تبعه في أصل الدين (لِإِبْرَاهِيمَ) وإن طال الزمان بينهما، وهو ألقان وستائة وأربعون سنة،

وكان

حسناً) قدره إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح

كلام مستقل إنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخلق والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعاقى به الجار قبله والمراد بالعالمين اللاتسكة والتقلان (قوله إنا كذلك) نجزي المؤمنين) تعليل لما فصل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجليل وتسليم الله عليه في العالمين: أي فهذا الجزاء سننتنا في كل من انصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادتنا المؤمنين) علة لكونه حسناً وفيه إجلال لشأن الإيمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجينا وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجياتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي ممن تبعه الخ) أي فالشيعة الأتباع والحزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعها فالإتباع في أصول الدين وهو التوحيد لاني الفروع كالصلاة مثلا (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول اندة لم ينسه العهد (قوله وهو ألقان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنين وأربعين سنة

(قوله وكان بينهما هود وصالح) أي وكان قبل نوح ثلاثة إدريس وشيث وادم فجاء من قبل إبراهيم من الأنبياء سنة (قوله إذ جاء ربه الخ) معنى جيئه توجبه قلبه هاضا لربه وفي الكلام امتطارة تبعية قريها أن قول: شبه إقباله على ربه خلافا له قلبه بمجيئه تحفة جية والجامع بينهما طلب النور بالرضا واشتق من المهيء جاء بمعنى أقبل قلبه (قوله أي تاجه وقت جيئه) أشار بذلك إلى أن الظرف منطلق بمحذوف دل عليه قوله شيخته ويصح جعله منطلقا بشيخته لما فيها من معنى المشايخة لكن فيه أنه يلزم عليه التصل بينه وبين معموله بأجنبي ، وهو قوله لإبراهيم وأيضا يلزم عليه حمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بأنه يتوحد في الظروف ما لا يتوحد في غيرها (قوله من الشك وغيره) أي من الآفات والعلاقات التي تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لأبيه وقومه) تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو همه وإنما عبر بالأب لأن المأب ، والمراد بقومه التمرود وجهته (قوله في همزتيه ما تقدم) أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها (قوله وإفكا مفعول له) أي وقدم على المفعول به لأجل التقييح عليهم بأنهم على إنك وباطل (قوله أي أعبدون ضير الله) كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإفك ليوفي بالمفعول لأجله (قوله إذ عبادتم غيره) أي وقت عبادتكم غيره (قوله أنه يترككم بلا عقاب) معمول للظن ، والمعنى أي سب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبادتم غيره (٣١٩) وأشار بقوله لا إلى أن الاستفهام

إنكارى بمعنى التقى أي
إس لكم سبب ولا عذر
يحملكم على الظن
الذكور وإذا اتسقى
السبب اتسقى المسبب بالأولى
(قوله وكانوا نجابين)
ذكر هذا توطئة لقوله
تعالى : فنظر نظرة في
النجوم (قوله فخرجوا
إلى عيادهم) أي وكانوا
في قسرية بين البصرة
والكوفة يقال لها همز
(قوله زعموا التبرك
عابيه) أي أنها تنزل
عليه البركة (قوله فنظر

وكان بينهما هود وصالح (إذ جاء) أي تاجه وقت جيئه (رَبِّهِ يَقْلِبِ سَلِيمًا) من الشك
وغیره (إذ قال) في هذه الحاقة المعصرة له (لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) موجهاً (مَاذَا) مالدني (تَعْبُدُونَ .
أَنفِكَ) في همزتيه ما تقدم (آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به
لتريدون، والإفك أسوأ الكذب، أي أعبدون غير الله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إذ عبادتم
غيره أنه يترككم بلا عقاب ؟ لا ، وكانوا نجابين فخرجوا إلى عيادهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم
زعموا التبرك عليه فإذا رجوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ)
إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها ليعتمده (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) عليل أي ساقم (فَقَوْلُوا عَنَّهُ)
إلى عيادهم (مُدْرِينَ . فَرَاغَ) مال في خفية (إِلَى آلِهِتِهِمْ) وهي الأصنام وعندها الطعام
(فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا ، قال (مَالِكُمْ لَأَن نَّطْقُونَ) فلم تجب (فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرهما فبلغ قومه من رآه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ)
أي يسهرون المشي فقالوا له نحن نبديها وأنت تكسرهما (قَالَ) لهم ،

نظرة في النجوم) أي في علم النجوم متفكراً في أمر يعنونه بسببه فيتركونه (قوله أي ساقم) جواب عما يقال كيف قال
إني سقيم والحال أنه لم يكن سقيماً . وأجيب أيضا بأن المعنى سقيم القلب من عبادتكم ما لا يضركم ولا ينفع وقد أشار بقوله إني
سقيم إلى سقم مخصوص وهو الطاعون ، وكان الطاهون أغلب الأقسام عليهم وكانوا يخافون منه المدوى فتفرقوا عن إبراهيم
خوفاً منها فهربوا إلى عيادهم وتركوه في بيت الأصنام (قوله وهي الأصنام) أي وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من حجر
وبعضها من خشب وبعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من نحاس وبعضها من حديد وبعضها من رصاص ، وكان
كثيرها من ذهب مكللاً بالجواهر وكان في هيئته ياقوتان تتقدان نوراً (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء
بهم) إن قلت أي فائدة في خطاب ما لا يعقل ؟ . أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم (قوله فراغ
عليهم) أي مال في خفية من قولهم فراغ الثلب روغاناً : تردد وأخذ الشيء خفية (قوله بالقوة) أي القدرة (قوله فأقبلوا إليه)
مرتب على محذوف قدره المنصر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) يحسب الزاى مع فتح الياء أرضعها قراءتان سبعيتان
(قوله فقالوا له نحن نبديها الخ) أي بعد أن سألوه وأجابهم ، فلما تحققوا أنه هو الذي كسرهما قالوا نحن نبديها الخ
ويجوز تقسيم بسط ذلك في سورة الأنبياء .

(قوله موبخاً) أى على ما وقع منهم حيث يأتون للخشب مثلاً فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلهاً مع أنها قبل ذلك لم تكن مصبوغة لهم ولا نضرة ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه وبقى اثنتان كونها استفهامية ، والمعنى وأى شئ تصالونه وكونها نافية ، والمعنى لبص العمل في الحقيقة لكم وإنما هو لله تعالى (قوله بنياناً) قيل بنوالة حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا في كيفية رميه فعلمهم إبليس التنجيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه برداً وسلاماً (قوله وأضرموه بالنار) أى أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جميعاً من الجمجمة وهي شدة التأجج (قوله المهورين) أى بابطال كيدهم حيث جعلت عليه برداً وسلاماً (قوله وقال إنى ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ ، والمعنى أنه لما خرج من النار سالماً ولم يهتد من قومه أحد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام ، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله وقوله : إلى ربي أى إلى عبادة ربي وطاعته (قوله سيهدين) أى إلى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبتي (قوله إلى حيث أمرني ربي) أى إلى مكان أمرني الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب ويهدين (قوله فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله : رب هب لي الخ (٣٣٠) (قوله من الصالحين) أى بعض الصالحين يكون خليفة لى ويرث حالى

(قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف فبشروه بالسلام ثم اتقلوا من قريته وهي فلسطين إلى قرية لوط وهي سدوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك في سورة هود ويأتى في الداريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر إلى أن قوله معه ظرف

موبخاً (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصناماً (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قَالُوا) بينهم (أَبْنُوا لَهُ بُيُوتًا) فاملثوه حطباً وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه في النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ) المهورين فخرج من النار سلفاً (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) هاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال (رَبِّ هَبْ لِي) ولها (مِنَ الصَّالِحِينَ) فبشرناه بسلامٍ حلِيمٍ) أى ذى حلم كثير (قَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أى أن يسعى معه ويمينه ، قيل بلغ سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى) أى رأيت (فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ورؤيا الأنبياء حق وأفضلهم بأمر الله تعالى (فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) من الرأى ،

شاوره

متعلق بالسعى وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من أن والفعل عليه

وهو لا يجوز . وأجيب بأنه يتنفر في الظروف ما لا يتنفر في غيرها ويصح جعله متعلقاً بمحذوف على سبيل البيان كان قائلاً قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولا يصح جعله متعلقاً ببلغ ولاحلالاً من ضميره لأنه يوهم اقترانها في باوغ السعى لأن المصاحبة تقتضى المشاركة مع أن المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يا بنى) جواب لما ، والحكمة في ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذ الله تعالى خليلاً ، والحلة هي صفاء المودة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه الولد فلما وهبه له تعانت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيره الحلة تنزعها من قلب الخليل فأمر بذبح الحبوب ليظهر صفاء الحلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدم هبته على محبة ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل لما روى أنه رأى ليلة التعمية أن قائلاً يقول له إن الله يأمرك بذيء ابنك ، فلما أصبح فكفر في نفسه أنه من الله ، فلما أمسى رأى مثل ذلك في الليلة الثانية ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحوه فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالعموية وعرفة والنحر لأنه في اليوم الأول تروى وفي الثاني حرف وفي الثالث نحر (قوله إنى أذبحك) أى أفضل الذبح أو أمر به احتمالاً ، ويشير للأول قوله : قد صدقت الرؤيا وللثاني قوله : أفضل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهي منصوبة بترى وما بعدها في محل نصب بانظر لأمرها معلقة له . يصح أن تكون استفهامية وذاموصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرها

وقوله : رى بنتين من الرأى ، وفى قراءة سبعة ترى بالضم والكسر والقولان محذوفان أى ترى إياه من صلبه واحتمالك وقرى شدودا بضم ففتح أى ما يخيل لك (قوله شاوره ليأنس الخ) أى ولعلم صبره وعزمته على طاعة الله (قوله قال يآبت) أى بفتح التاء وكسرهما قرأتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افضل ماتومر) قال ابن إسحق وغيره : لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يآبتى خذ هذا الحبل وللمدية وافطلق بنا إلى هذا الشعب لنحطب ، فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يآبت افضل ماتومر (قوله إن شاء الله) أتى بها تبركا وإشارة إلى أنه لاجور عن العصية إلا بمصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله (قوله فلما أسلمنا) أى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) أى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع . قال ابن عباس : لما فعل ذلك قال الابن يآبت اشدد ربلى كى لأضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شئ فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحبد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون علىّ وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن تردّ قيصى عليها فاقبل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال إبراهيم نعم العون أنت يآبتى على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى ، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئا فاشتدها بالحجر مرين أو ثلاثا ، كل ذلك لاستطيع أن تقطع شيئا فمنعت بقدرة الله تعالى ، وقيل ضرب الله صفيحة (٣٢١) من نحاس على حلقه . والأول أبلغ

فى القدرة الإلهية وهو منع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن يآبت كنى لوجهى على جبنى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتى فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقبت فنودى بإبراهيم قد

شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (أَلْفَمَلْ مَا تُوْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك (فَلَمَّا أَسْلَمْنَا) خضعا واطماداً لأمر الله تعالى (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الحبهة وكان ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تصل شيئا بمناخ من القدرة الإلهية (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح ، أى يكفيك ذلك : فجملته نادينه جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأقسامهم بامثال الأمر بإفراج الشدة عنهم (إِنَّ هَذَا) الذبح للأمور به (هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أى الاختبار الظاهر (وَفَدَيْنَاهُ) أى للأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان (بِذَبْحِ) بكبش (عَظِيمٍ) من الجنة وهو الذى قر به هايل جاء به جبريل عليه السلام ،

صدقت لرؤيا الخ (قوله بنى) يذرو يؤنث ويصرف ويمنع من انصرف باعتبار السكان والبقة (قوله وأمر السكين) هذا أحد قولين مشهورين وهو ماتقدم عن ابن عباس والآخر أنه لم يمر السكين بل لما أنجعه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء وبالأول استدلت أهل السنة على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئا لانفسها ولا بقوة أودعها الله فيها وإنما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد إبراهيم وتخاف الاحراق فى إبراهيم (قوله فجملته نادينه جواب لما الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى أنه محذوف تقديره ظهر صبرها أو أجزلنا لهما الأجر والثالث أن قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بإفراج الشدة) المناسب أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره إما التفريج أو الفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو إسحق فمن قال بالأول قال إن الذبيح إسمعيل ومن قال بالثانى قال إن الذبيح إسحق . واعلم أن كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بأن الذبيح إسحق أقوى فى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير أرى إبراهيم ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى آتى به المنحر بمنى ، فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح به الكبش فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر فى روية واحدة وطويت له الأودية والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل إنه كان نسا جبليا أهبط عليه (٤١ - صاوى - ثالث) من غير (قوله وهو الذى قر به هايل) أى ووصفه بالعظم لكونه قبل مرتين .

(قوله فذبحه السيد إبراهيم) أى وبقى قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير وما يقى من الكعبش أكلته السباع والطيور لأن النار لا تؤثر فيها هو من الجنة (قوله مكبرا) روى أنه لما ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وأكبر ، فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فصار سنة (قوله استدلت بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافعي ، وقال مالك وأبو حنيفة : لا دليل فيها لأن إسحاق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته ، فعنى قوله - وبقرناه بإسحاق نبيا - بقرناه بنبوة إسحاق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) لإضافة لنبيا أو حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم ، وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه إشارة إلى أن النسب لا يدخل له في الهدى ولا في الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ما قبله عطاف قصة طي قصة واللام موطة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم ، وقوله بالنبوة : أى الصاحبة للرسالة لأنهما كانا رسولين ولما فهم للنبوة بل أعطاهما الله تعالى نعمًا حمة دينية وديوية وإعماخصها لأنها أشرف النعم (قوله بنى إسرائيل) أى أولاد يعقوب (قوله أى استعباد فرعون إيام) (٣٢٢) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين

كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائذ على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الثالبيين) يصح أن يكون هم ضمير فصل أو بدلا من الواو في كانوا والأول أظهر (قوله وغيرها) أى كالتقصص واللواغظ (قوله وهديناها الصراط المستقيم) أى وصلناها للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قتره بقوله منا ، وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوخ

فذبحه السيد إبراهيم مكبرا (وَتَرَكَنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى إِسْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ) كما جزيناها (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأتقهم (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) استدلت بذلك على أن النبي صلى الله عليه وآله بتكثير ذريته (وَعَلَى إِسْحَاقَ) ولله يجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) أى استعباد فرعون إيام (وَنَصَرْنَاهُمْ) على القبط (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ) الطريق (الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكَنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . إنا كذلك) كما جزيناها (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمز أوله وتركه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن أخى هرون أخى موسى ، وقيل غيره أرسل إلى قوم بيبلك ونواحيها (إِذْ) منصوب بأذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ ،

ألا

للابتداء بالنكرة قصد التمجيد وعملها في الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناها) أى بما تقدمت من الانجاء والنصر وإيتاء الكتاب وإبقاء الثناء (قوله نجزي المحسنين) في مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين وإشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله إنهما من عبادنا المؤمنين) أى الكاملين في الإيمان البالغين الغاية فيه (قوله وإن إلياس) معطوف على ما قبله عطاف قصة على قصة (قوله بالهمز أوله وتركه) أى بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءة ثمان سبعيتان وسبب جواز الأمرين أنه اسم أهجمي استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبر إن (قوله قل هو ابن أخى هرون الخ) الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وإلياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك أنه قيل هو إدريس وقيل هو اليسع (قوله أرسل إلى قوم بيبلك) حاصل قصته كما قاله محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار : لما قبض الله عز وجل حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بنى إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبيا وكانت الأنبياء يبغضون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بنى إسرائيل بتجديد مانسوا من أحكام التوراة ، وكان يوشع لما فتح

الشام قسمها على بني إسرائيل وأن سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملكه اسمه أرحب ، وكان قد أضلّ قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوا أبناءه ، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسندنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك ، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقته ، فكان إلياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال يا إلياس ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلا وهم بتعذيب إلياس وقتله ، فلما أحسن إلياس بالشرّ رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهد الجبال فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف ، فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم ، فلما طال الأمر على إلياس وسُمّ الكون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل أن يرعبه منهم ، فقيل انظر يوم كذا وكذا فأخرج إلى موضع كذا فاجاءك من شيء فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار ، وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرني ؟ فقدف إلي إلياس بكسائه من الجوّ الأعلى ، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشرب وكساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا مامويا ، ونبا الله تعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقه اليسع (٣٢٣) وقد أعطى الله إلياس معجزات

جدة منها تسخير الجبال له والأسود وغيرها وأعطاه الله قوة سبعين نبيا، وكان على صفة موسى في الغضب والقوة . روى أن إلياس والحضر يصومان رمضان كل عام بيت المقدس

أَلَا تَتَّقُونَ) اللَّهُ (أَتَدْعُونَ بَمَلَأَ) اسم صنم لهم من ذهب ، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى بك أي أتعبونه (وَتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلا تعبدونه (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) برفع الثلاثة على إضمار هو ، وبنصبها على البذل من أحسن (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) في النار (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) أي المؤمنين منهم فانهم نجوا منها (وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسناً (سَلَامًا) منا (عَلَى الْيَاسِينَ) ،

ويحضران موسم الحج كل عام ويفترقان عن أربع كلمات : بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير إلا الله ، بسم الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقيل في الرواية غير ذلك ، وإلياس موكل بالفيافي والقفار والحضر موكل بالبحار ولا يموتان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن ، وعن أنس قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا عند فج الناقة سمعت صوتا يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رأني قال : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت نعم . قال فارجع إليه فأقره السلام . وقال له هذا أخوك إلياس يريد أن يلقاك ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء عشي وأنا معه حتى إذا كنا قريبا منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثنا طويلا فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعوانني فأكلت معهما وإذا فيها كفاة ورمان وحوت وكرفس ، فلما أكلت قمت فتحنيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء » انتهى (قوله ألا تتقون الله) أي تمتثلون أوامرهم وتجتنبون نواهيه (قوله وبه سمي البلد) أي ثانيا وأما أولا فإسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافا إلى بك) أي مضموما إليه وإلا فالتركيب امزجى لإضافي (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل في حيز الانكار (قوله أحسن الخالقين) أي الصورين لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح وغيره تصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) أي والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في محضرون كأنه قال فكذبوه فانهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فانهم غير محضرين .

(قوله قيل هو إلياس المتقدم) أي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة العلمية والمجمة وهي لفة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أي وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به إلياس أيضا) أي فأطلق الأول وأراد به ما شمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات إلياس في أولها والياسين وآل ياسين في آخرها وكلاهما شعبة (قوله وإن أوطأ لمن المرسلين) عطف على ما قبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله إذ ذكر إذ نجينا الخ) قدر المفسر إذ ذكر إشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لأنه يوم أنه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه قبل رسول النجاة وبعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله إلا عجوزا) هي امرأته (قوله أي وقت الصباح) بيان لمنه في الأصل وقوله يعني بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهزمة داخلة على محذوف والغاء عاطفة عليه والتقدير أن شاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وإن يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن الصجور التي نزل عليها إلياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس صبي يرضع وكاف أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم إن إلياس أذن له (٣٢٤) في السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن الرأفة فخرجت في أثر إلياس

نظوف وراهه في الجبال حتى وجدته فسألته أن يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام (قوله إذ أتى) ظرف لمحذوف تقديره إذ ذكر كما تقدم نظيره وقوله أتى بفتح والياء في الأصل الحرب من

قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعا منه تظليبا كقولهم المهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله المراد به إلياس أيضا (إننا كذلك) كما جزيناه (نجزي المؤمنين . إنه من عبادنا المؤمنين . وإن أوطأ لمن المرسلين) إذ ذكر (إذ نجينا وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الفأرين) أي الباقين في العذاب (ثم دمرنا) أهلكتنا (الآخرين) كفار قومه (وإنكم لعمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم (مصبحين) أي وقت الصباح يعني بالنهار (وبالليل أفلا تعقلون) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وإن يونس لمن المرسلين . إذ أتى) هرب (إلى الفلك المشحون) السفينة المملوءة حين غاصب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أتى من سيده تظهره القرعة (فسأهم) قارع أهل السفينة (فكان من المدحضين) المفلوجين بالقرعة فألقوه في البحر (فالتقمة الموت) ابتلته (وهو ملين) أي أت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (فقلوا أنه كان من المسبحين) الفاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة

(فنبذناه)

السيد وإطلاقه على هرب يونس استعارة تصريحية

نفسه خروجه بغير إذن ربه بآبق العبد من سيده (قوله حين غاصب قومه) الفاعلة على بابها لأنهم غاصبوه بعدم الانقياد له والایمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أي باجتهاد منه لظنه أنه إن بق بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى فإن الأولى له انتظار الأذن من الله تعالى هذا هو الصواب في تحقيق المقام ، وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر في العقيدة والعباد بالله تعالى (قوله فوقفت) أي من غير سبب وقوله في لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أي وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أي غالبهم قيل مرة واحدة ، وقيل ثلاثا (قوله فالتقوه في البحر) قدره إشارة إلى أن قوله فالتقوه الحوت مرتب على محذوف (قوله أي بما يلام عليه) أي أو المعنى وهو ملين نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جله من المسبحين (قوله قبرا له) أي بأن يموت فيبقي في بطنه ميتا وقيل بأن يبقى على حياته .

(قولوا فبذناه) أي أمرنا الحوت فبذنه فبذنه (قوله بالعراء) أي الأرض المتسعة التي لانبات بها (قوله من يومه) أي فالتقمه ضحى وببذنه عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال : الأول للشعب والثاني لمقاتل والثالث لطاء والرابع للضحاك والخامس للسدي (قوله المعط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا : أي المتوف الشعر (قوله وهي القرع) خص بذلك لأنه بارد الظل لين المس كبير الورق لا يعاوه الذباب وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير اليقطين ، وقيل كانت شجرة التين ، وقيل شجرة الموز تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأظفره على ثماره (قوله وعلة) إما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هي النزلة (قوله كقبله) جواب عما يوم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلًا (قوله بنيوي) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله أو يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح أن تكون لشك بالنسبة للخاطئين أي إن الرائي يشك عند رؤيتهم أو للإيهام بمعنى أن الله أنبهم أمرهم أو الإباحة والتخيير بمعنى أن الناظر يباح له أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) أي عند حضور أمارته ولذا ففهم إيمانهم وأما مثل فرعون (٣٣٥) فلم يؤمن إلا بعد حصول

العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس أخلصوا في إيمانهم وفرعون لم يخلص وإنما إيمانه عند الفرغرة لدفع الشدة: ولورودوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح الهم أي بالذي ثبت لهم من النعم وتقديم بسط قصة يونس في سورة يونس فراجها إن شئت (قوله فاستقمتم) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم للائمة من شركهم ومخالفتهم لا نبيائهم فاستقمتم : أي اطلب من

(فَبِذْنَاهُ) أَلْقَيْنَاهُ مِنْ بطنِ الحوتِ (بِالعَرَاءِ) بوجه الأرض : أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً (وَهُوَ سَقِيمٌ) طليل كالقرع المعط (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقِطِينَ) وهي القرع تظله بساقه على خلاف المادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساءً يشرب من لبنها حتى قوى (وَأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبله إلى قوم بنيوي من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفِ أَوْ) بل (بِزَيْدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً (فَأَمَنُوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فَتَمَنَّاهُمْ) أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى حِينٍ) تنقضى آجالهم فيه (فَأَسْتَمْتَهُمْ) استخبر كفار مكة توبيخاً لهم (أَلرَّبِّكَ أَيْنَاتُ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وَلَهُمُ الْبَنُونَ) فيختصمون بالأنثى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ كَذِبِهِمْ) ليَقُولُونَ . وَلَدَّ اللَّهُ (بِقَوْلِهِمُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ) (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيه (أَضْطَنِي) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل لحذف أي اختار (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الولد

أهل مكة الخبر لا جل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم (قوله توبيخاً لهم) أي فبئس الاستثناء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التوبيخ والتوبيخ لهم (قوله أربك البنات ولهم البنون) أي ألمهذه القسمة الجائرة وجه فاتهم كفروا من وجهين الأول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثاني كونه خصوص الأنثى فاتهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم بل إما أن يسكوها على الموان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنيان (قوله فيختصمون بالأنثى) أي الأشرف وهو الدكور ، وفي نسخة بالأبناء (قوله أم خلقنا الملائكة إناثاً) أم منقطة تفسر ببل والهمزة فهو إضراب عما زعموا ورد عليهم ، وهذا معنى قوله تعالى - وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم - الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية : أي والحال أنهم معانين لخلقهم (قوله ألا إنهم من إفكهم) استئناف لبيان إبطال ما هم عليه كأنه قيل ليس لهم مستند إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وإنهم لكاذبون فيه) أي في قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالسالك والاستفهام للتوبيخ والتوبيخ (قوله ما لكم كيف تحكمون) أي أي شيء ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء في الذال) أي أو بتاء واحدة من غير إدغام قراءتان سبعيتان .

(قوله أم لكم سلطان مبين) اتقال من نوبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لا وجود له ولا يقدر على إثباته (قوله التوراة) الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للنبية إشارة إلى أنهم يبيدون من رحمة الله وليسوا أهلاً لخطابه (قوله لاجتنابهم عن الأبصار) أى استنارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة الخ) هذا زيادة في تكذيبهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم وما يتول إليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأييد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بهدتكذيبهم لهم فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جهاتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون لتعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من لواو في يصفون وهو في قوة الاستدراك رفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى ، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكلمات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك إلى أن (٣٣٦) الضمير في عليه عائد على ما وهى هذا فالواو للعبية وما مفعول معه

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) حجة واضحة أن الله ولداً (فَأَتَتْهُوَ بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأرونى ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم ذلك (وَجَعَلُوا) أى المشركون (بِنْتَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجَنَّةِ) أى الملائكة لاجتنابهم عن الأبصار (فَسَبَّأَ) بقولهم إنها بنات الله (وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِِنَّهُمْ) أى قائل ذلك (لَمُخْضَرُونَ) لل نار يعذبون فيها (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن الله ولداً (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أى أحداً (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ الْجَحِيمِ) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وَمَا مِنَّا) مشر الملائكة أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزها (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) أقدامنا فى الصلاة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لا يليق به (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أى كفار مكة (لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) كتاباً (مِنَ الْأَوَّلِينَ) أى من كتب الأمم الماضية (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) العبادة له قال تعالى (فَكَفَرُوا بِهِ) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَسْأَلُونَ) عاقبة كفرهم

سادة مسد خبر إن (قوله) فباتين مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى أنكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحدا إلا من سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله لإمن هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمه مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاص (قوله فى علم الله تعالى) أى من علم الله أنه من أهل الجحيم فإنه يميل إلى الكفر وأهله (قوله وما منا إلاه مقام معلوم)

هذا حكاية عن اعتراف للملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد إلا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتنال ما أمرنا الله تعالى به . قال ابن عباس : ما فى السموات موضع شعر إلا وعليه ملك صلى ويسبح قيل إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنها تفارقتى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم من مكان هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم الآيات ، وفى الحديث « ما فى السموات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم » (قوله أحد) قدره إشارة إلى أن فى الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله إلا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا إلا له مقام معلوم (قوله أقدامنا فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة . والمعنى أن قريشا كانت تقول قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتابا مثل كتاب الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إهدى الأمم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله (قوله فسوف يعلمون) أى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ما وعد به وأنت

مخرج فيه فسوف لوعيد الخبيد (قوله وقد سبقت كلمتنا الخ) عند حمله له صلى الله عليه وسلم وأخلصت هذه الجملة باسم
 لتأكيد الاختناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) إنما هي الوعد بالنصرة كما مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحدا
 (قوله وحى لأغلبن أنا ورسلي) أي فيكون قوله إنهم لهم المنصورون جملة مستأنفة وقوله أو هي قوله إنهم الخ أي وعليه فيكون
 بدلا من كلمتنا أو تفسيرها لها (قوله وإن جندنا) الجند في الأصل الأنصار والأعوان ، والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون
 كما قال المفسر (قوله وإن لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا ما يقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان
 فأجاب بأن النصر إما في الآخرة للجميع أو في الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال . وأجيب أيضا بأن الأنبياء
 للآذون لهم في القتال لا بد لهم من النصر في الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا ، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما في أحد فهو
 لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصرح قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
 سبيل الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون في الدنيا وتارة لا وإنما ينصرون في الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أي فكان
 أولا مأمورا بالتبليغ والصبر ، ثم لما كان في السنة الثانية من الهجرة (٣٢٧) أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد

وغزواته سبع وعشرون
 غزوة قاتل في ثمان منها
 بنفسه : بدر وأحد
 والمصطلق والخندق
 وقريظة وخيبر وحنين
 والطائف (قوله وأبصرهم
 إذا نزل بهم العذاب) أي
 من القتل والأسر والمراد
 بالأسر الدلالة على أن
 ذلك قريب كأنه واقع
 مشاهد (قوله عاقبة
 كفرهم) أي من نزول
 العذاب بساحتهم (قوله
 تهديدا لهم) أي فليس
 الاستفهام على حقيقته بل
 المقصود تهديدهم (قوله

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِمِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) وهي : لأغلبن أنا ورسلي ، أو هي قوله :
 (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنْ جُنَدُنَا) أي المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة
 عليهم في الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أي عرض
 عن كفار مكة (حَقِّي حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب (فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديدا لهم (أَفَبِعَذَابِنَا
 يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال الفراء : العرب تكتفي بذكر الساحة عن
 القوم (فَسَاءَ) بئس صباحا (صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة (وَتَوَلَّ
 عَنْهُمْ حَقِّي حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيذا تهديدا وتسلية له صلى الله
 عليه وسلم (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا (وَسَلَامٌ عَلَى
 الْمُرْسَلِينَ) المبلغيين عن الله التوحيد والشرائع (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك
 الكافرين .

تكتفي بذكر الساحة) أي تستغنى على سبيل الكفاية فالعنى فإذا نزل بهم العذاب فشببه العذاب بجيش هجم عليهم فأنسخ بفنائهم
 بفتة وهم في ديارهم في ضمير العذاب استعارة بالكناية والزعول تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير
 والتميز محذوف والمذكور محضوص والأوضح ما قاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمحضوص محذوف وعليه فالتقدير بئس
 صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة) أي في التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم
 (قوله سبحان ربك الخ) النرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا ينفلوا عنه لما روى عن علي كرم الله وجهه قال : من أحب أن
 يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن
 أبي سعيد الخدري قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلواته أوحين ينصرف سبحان ربك
 رب العزة بما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (قوله رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي
 العزة ، وقيل المراد العزة المخوفة الكائنة بين خلقه ويعرتب على كل من القولين مسألة اليمين فلي الأول ينعتد بها اليمين لأنها
 من صفات الله تعالى ، وعلى الثاني لا ينعتد لأنها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد
 تخصيص بعضهم .

[سورة ص] أي ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أي كلها (قوله أو ثمانون) أو لحكاية الخلاف (قوله لله أعلم براده به) تقدم غير صرحة أن هذا القول أسلم لأن فويض الأمر التشابه لم الله تعالى هو غاية الأدب ، واعلم أن في لفظ ص قرأت خمسة السبعة على السكون لا غير والباقي شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على أنه خبر محذوف على أنه اسم للسورة : أي هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح إما على أنه مفعول محذوف تقديره اقرأ ونحوه أو مبنى على الفتح كآين وكيف والأول أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر إلى اللفظ (قوله أي البيان) أي لما يحتاج إليه في أمر الدين ، وقوله أو الشرف : أي أن من آمن به كان شريفاً في الدنيا والآخرة . قال تعالى - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم - أي شرفكم وأيضاً القرآن شريف في ذاته من حيث اشتاله على المواعظ والأحكام وغيرها فهو شريف في نفسه مشرف لغيره ، وقيل للراد بالله كذا ذكر أسماء الله تعالى وتمجيد ، وقيل المراد به الوعظة ، وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسنها وقيل تقديره إنك لمن المرسلين (٣٢٨) كما في يس ، وقيل هو قوله كم أهلكتنا وفيه حذف اللام والأصل لكم

أهلكتنا وإنما حذفنا لظهور الكلام نظير حذفها في قوله - قد أفلح من زكاه - بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) إضراب وانتقال من قصة إلى قصة (قوله من أهل مكة) خصم بالله كراتهم سبب للقول وإلا فالمراد كل كافر (قوله أي كثيراً) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيراً مفعول أهلكتنا ومن قرن تمييز لها (قوله ولات حين) اختلفت للمصاحف في رسم التاء فبعضهم رسمها مفصلة

(سورة ص)

مكية ست أو ثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ص) الله أعلم براده به (وَأَلْقَى آتِي ذِي الْقُرْآنِ) أي البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف : أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقِي) خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم (كَمْ) أي كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أي ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أي استنابوا والحال أن لا هرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذروهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) فيه وضع الظاهر موضع المصير (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ،

أجمل

وبعضهم رسمها متصلة بحين وينبى على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء

وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلقوا ، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة إتباعاً لمرسوم الخط الشريف والأقل منهم يقف بالتاء ، وهذا الوقف الاختبار لأنه من جملة الأوقاف الجائزة (قوله مناص) المناس يطلق على المنجى والمفر والتفهم والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أي ليس الحين الخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسببويه في لات من حيث إنها تصل حمل ليس وإن اسمها محذوف وهو خبرها لفظ الحين ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وما لات في سوى حين حمل وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) أي لتأكيد لني (قوله من فاعل نادوا) أي وهو الواو (قوله وما اعتبر) مطوف على كم أهلكتنا (قوله وعجبوا الخ) أي جعلوا عجباً رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) أي من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أي زيادة في التقييح عليهم وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أي فيما يظهره من الحوارق كذاب : أي فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال .

(قوله أجمع الآلهة الخ) الاستفهام نعجبى : أى كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد ، وسبب هذا التعجب قيامهم أقدم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لامن قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك إلى أن عجاب مبالغة في عجيب (قوله عند أبي طالب) روى « أنه لما أسلم عمرشقة ذلك على قریش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأثوا بأطاب فقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وحشاك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك ، فأحضره وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونى ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكراً آهتنا وتدعك وإلهك ، فقال أرايتكم إن أعطيتكم ما سألتكم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم ؟ فقالوا نعم وعشر أمثالها ، فقال قولوا لإله إلا الله ، فقاموا وانطلقوا قائلين : امشوا واصبروا على آهتكم » (قوله أى يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن تفسيره وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آهتكم) أى استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) تليل للأمر بالصبر (قوله يراد منا) أى يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (٣٣٩) (قوله ما سمعنا بهذا الخ) أى

ولما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) أى فالتقرأت أربع سبعيات (قوله أى لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله بل هم في شك) إضراب عن مقدر تقديره إنكارهم للذكريس عن علم بل هم في شك منه (قوله بل لا يدوقوا عذاب) إضراب انتقالى لبيان سبب الشك والمعنى سببه أنهم لم يدوقوا العذاب إلى الآن ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وأمنوا به (قوله لم يدوقوا) أشار بذلك إلى

أَجْمَلَ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا) حيث قال لهم قولوا : لا إله إلا الله أى كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) أى عجيب (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وضماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا : لا إله إلا الله (أَنْ أَمْشُوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (وَأَصْبِرُوا عَلَى آهَتِكُمْ) اثبتوا على عبادتها (إِنَّ هَذَا) المذكور من التوحيد (لَشَيْءٌ يُرَادُ) منا (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) أى ملة عيسى (إِنْ) (مَا هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) كذب (أَأُزِلُّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عَلَيْهِ) على محمد (الذِّكْرُ) القرآن (مِنْ بَيْنِنَا) وليس بأكبرنا ولا أشرنا ؟ أى لم ينزل عليه ، قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) وحى أى القرآن حيث كذبوا الجاني به (بَلْ لَمَّا) لم (يَذُوقُوا عَذَابِ) ولو ذاقوه لصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ) الغالب (الْوَهَابِ) من النبوة وغيرها فيعطونها من شاءوا (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن زعموا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا ، وأم في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار (جُنْدًا مَا) أى هم جند حقير (هُنَالِكَ) أى في تكذيبهم لك (مَهْرُومٌ) ،

أن لما بمعنى لم ، فالمعنى لم يدوقوه إلى الآن ودوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وصدقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) أى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله الغالب) أى الذى لا يقاوم شئ بل هو الغالب لكل شئ (قوله الوهاب) أى الذى يهب ما يشاء لمن يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرف في العالم الذى هو من جملة خزائن رحمة فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا في الأسباب) الغاء واقعة في جواب شرط مقدر فقره بقوله : إن زعموا ذلك : أى المذكور من العندية والملكية ، والمعنى فليصدقوا في العاريج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستنوا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى وبعضهم قصرها بيل والهمزة (قوله أى هم جند) أشار بذلك إلى أن جند خبر لهدوف والتنوين للتقليل والتحقير ومالتاً كيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أولهمزوم (قوله مهزوم) أى مهزوم ومغلوب ، والمعنى أن قریشا جند حقير قليل من الكفار التحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تنكث بهم وتسل منهم

(قوله صفة جند أيضا) أي فقد وصف جند بصفات ثلاث : الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أي الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أي وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أي يدق ويفرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأفتح (قوله يشد إليها يديه الخ) أي ويضجبه مستلقيا على ظهره (قوله ويصدبه) قيل يتركه حتى يموت موقبل يرسل عليه العقارب والحيات ، وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفي الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك بيت الشعر وهو لا يثبت إلا بأوتاد (قوله أي التبيضة) أي الأشجار الملتفة المجتمعة ، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلمة (قوله أولئك الأحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله إن كل الخ استئناف جي به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتهديدا لما يقبه وإن نافية لا عمل لها لاتقاض النفي بإلا (قوله لأنهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال إن كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب (قوله وهي نفخة القيامة) أي الثانية (قوله مالها من فواق) الجملة في محل نصب صفة لصيغة ومن مزيدة في للتبدي (قوله بفتح الفاء وضما) أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (٣٣٠) وهو الزمان الذي بين حلق الحالب ورضع الرضيع ، والمعنى مالها من توقف

قدرفواق ناقة ، وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتي كتابه الخ) أي الذي في سورة الحاقة (قوله قطنا) أي نصبنا وحظنا وأصله من قط الشيء أي قطعه (قوله أي كتاب أعمالنا) صحى قطا لأنه مقطوع أي مقطوع لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من خيرها (قوله

قبل يوم الحساب) أي في الدنيا (قوله اصبر على ما يقولون) فيه تهديد للكفار ونسبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذا كر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين ونسبته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لسكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والإضافة في عبدنا لتشريف الصاف (قوله ذا الأيد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد إذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أي وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لأن النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها في اليوم الثاني ثم يعود لفطمها ، ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا في بعض النسخ موافقة لما في القرطبي والبيضاوي وأبي السعود وفي بعض النسخ كان يتم نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان يتم نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولما في الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يتم نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا .

(قوله إنه أواب) تعليل لكونه ذاقوة في الدين (قوله إلى مرضاة الله) المرصاة بمعنى الرضا (قوله إنا سخرنا الجبال) تعليل آخ. لقوته في الدين (قوله يسبحن) أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الأخيرة ، والذي يفهم من كلام غيره أنها المغرب حيث قال : فكان داود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله وينتهي ضوءها) أي وهو ربيع النهار (قوله والطيور محشورة) بالنصب في قوادة العامة معطوف على الجبال وقرى شذوذاً بالرفع مبتدأ وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر إلى أن الضمير في له عائد على داود . وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطيور مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا وإن خفض خفضوا وهو أحد قولين والآخر أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى كل من داود والجبال والطيور مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتححتين اسم جمع تخدم أو بضم الحاء وفتح الراء الشددة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوة والاصابة في الأمور) هذا أحد أقوال في تفسير الحكمة ، وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى ، وقيل العلم والفقه ، وقيل السنة (قوله البيان الشافي) أي الاظهار للنسب للمخاطب من غير التباس ، وهو (٣٣١) أحد أقوال في تفسير فصل الخطاب ، وقيل النصل

في القضاء ، وقيل هو البينة على المدعي واليمين على من أنكرك ، وقيل هو أما بعد ، وقيل غير ذلك (قوله التعجب) أي حمل المخاطب على التعجب أو إيقاعه في العجب (قوله إلى استماع ما بعده) أي لكونه أصرا غريبا كقولك لجليستك : هل تعلم ما وقع اليوم تريد أن يستمع لكلامك ثم تذكر له ما وقع (قوله إذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) رَجَاعٌ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ) بِتَسْبِيحِهِ (بِالْمَشِيِّ) وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (وَالْإِشْرَاقِ) وَقْتُ صَلَاةِ الضُّحَى ، وَهُوَ أَنْ تَشْرُقَ الشَّمْسُ وَيَنْتَهِيَ ضَوْوُهَا (وَ) سَخَّرْنَا (الطَّيْرَ مُحْشُورَةً) مَجْمُوعَةٌ إِلَيْهِ تَسْبِيحُ مَعَهُ (كُلُّ) مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ (أَهُ) أَوَّابٌ) رَجَاعٌ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّسْبِيحِ (وَشَدَّدْنَا لَهُ مُلْكَهُ) قَوَّيْنَاهُ بِالْحَرَسِ وَالْجُنُودِ وَكَانَ يَحْرُسُ مَحْرَابَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النُّبُوَّةَ وَالْإِصَابَةَ فِي الْأُمُورِ (وَفَضَّلَ) لِحَطَّابِ) الْبَيَانَ الشَّافِي فِي كُلِّ قَصْدٍ (وَهَلْ) مَعْنَى الْاِسْتِفْهَامِ هُنَا التَّعْجِيبُ وَالتَّشْرِيقُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَا بَعْدَهُ (أَتَاكَ) يَا مُحَمَّدُ (نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) مَحْرَابُ دَاوُدَ أَي مَسْجِدِهِ حَيْثُ مَنَعُوا الدَّخُولَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ لِشُغْلِهِ بِالْعِبَادَةِ أَي خَيْرِهِمْ وَقَصَّتْهُمْ (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ) نَحْنُ (خَصْمَانِ) قِيلَ فَرِيقَانِ لِيُطَابِقَ مَا قَبْلَهُ مِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَقِيلَ اثْنَانِ وَالضَّمِيرُ بِمَعْنَاهَا ، وَالْخَصْمُ يُطَلَّقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَكَثْرٍ وَهَمَا مَلِكَانِ جَاءَا فِي صُورَةِ خَصْمَيْنِ وَقَعَ لِهَمَا مَا ذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْعَرَضِ لِتَنْبِيهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ ، وَكَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَطَلَبَ امْرَأَةً شَخْصَ لَيْسَ لَهَا غَيْرَهَا ،

الخصم ولا يصح أن يكون ظرفاً لآتاك لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله لافي عهد داود ولا لنبأ لأن النبأ واقع في عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أي مسجده) أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله فزع منهم) أي لأنهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل : ماذا قالوا لما شاهدوا فزعهم ؟ فقالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين ، فكان المتخاصمين والشاهدين الزكيين (قوله وقيل اثنان) أي شخصان وهو مبنى على أن الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أي لأنه في الأصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة : أي التعريض وهو جواب عما يقال إن الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البني أو الكذب . فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا يفتى فيه ولا كذب (قوله لتنبية داود) أي إيقاظه على ما صدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أور يا بن حان لسر عظيم وهو كما قيل إنها أم سليمان عليه السلام .

(قوله وتزوجها ودخل بها) معنى للفسر على أن داود سأل أوريا بطلاق زوجته ثم بعد وفاة عذنها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة . والثاني أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أوريا بالهذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود والثالث أن أوريا لم يكن متزوجا بها وإنما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها ، وكان ذلك كله جزاء في شره وإنما عاتبه الله لرفعة قدره ، وللسيد أن يعاتب عبده على ما يقع منه وإن كان جزاء من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد وقرئ شذودا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشط من أشطط رباعيا إلا أنه أدغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله إن هذا أخي الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تسكما فقال أحدهما إن هذا أخي الخ (قوله أي على ديني) أي فليس المراد أخوة النسب ، لأن الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أي يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها ، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله أي اجعلني كالفها) هذا هو معناه الأصلي ، والمراد هنا مثلسكنها وانزل لي عنها (قوله وعزني في الخطاب) أي فهو أفصح مني في الكلام فالغلبة له على الضعيف. (قوله وأقره الآخر) أي المدعى عليه وهو جوابهما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه ؟ فأجيب بأنه سمع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعمتك) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أي بأن سألك نعمتك (٣٣٢) (قوله ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم

(قوله من الخطاء الشركاء) أي الذين خلطوا أموامهم وفيه إشارة إلى أن داود سائر ظاهر دعواهم (قوله إلا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أي علم أنهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أما فتناه) ما زائدة ، والمعنى وظن داود أن افتناه فتنبه ولاحظ ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) أي

وتزوجها ودخل بها (بَعَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ) تَجْرُ (وَأَهْدِنَا) أُرْشِدْنَا (إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) وَسَطِ الطَّرِيقِ الصَّوَابِ (إِنَّ هَذَا أُخِي) أَي عَلَى دِينِي (لَهُ تَسَعُّمٌ وَتِدْمُونٌ نَعْمَةٌ) يَعْبُرُ بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ (وَلِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَمَا لَأَكْفِلُنِيهَا) أَي اجْعَلْنِي كَأَنَّهَا (وَعَزَّنِي) غَلَبْنِي (فِي الْخِطَابِ) أَي الْجِدَالِ وَأَقْرَهُ الْآخَرَ عَلَى ذَلِكَ (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ) لِيُضْمَهَا (إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخِلَطَاءِ) الشَّرْكَاءِ (لِيَبْفِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) مَا لَأُكِيدَ الْقَلْعَةَ فَقَالَ لِلْمَسْكِينِ صَاعِدِينَ فِي صُورَتَيْهِمَا إِلَى السَّمَاءِ قَضَى الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ فَتَنَبَّهُ دَاوُدُ ، قَالَ تَعَالَى (وَظَنَّ) أَي أَيَقِنُ (دَاوُدُ أُمَّمَا فَتَنَاهُ) أَوْ قَعَنَاهُ فِي فِتْنَةٍ : أَي بَلِيَّةٍ بِمَحَبَّتِهِ تَلَكِ الْمَرْأَةَ (فَأَسْتَفْزَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا) أَي سَاجِدًا (وَأَنَابَ . فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِجْدَانًا لِرَأْفَتِي) أَي زِيَادَةَ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا (وَحَسَنَ مَسَابٍ) مَرَجِعٍ فِي الْآخِرَةِ ،

(يادادو)

طلب منه المغفرة ، وتقدم أنه ليس بذنب وإنما هو من باب

حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله أي ساجدا) عبر بالكوع عنه لأن كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) أي رجع إلى مولاه . قال للمفسرون : سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا للحاجة أولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا إلى تمام الأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة ، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخائل بين القلوب سبحان خالق النور ، إلهي خلقت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت في سبحان خالق النور ، إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه النطاء فيقال هذا داود الخاطيء سبحان خالق النور ، إلهي بائع عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور ، إلهي بائع قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور ، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهي أنا لا أطيق حرّ شمسك فكيف أطيق حرّ نارك سبحان خالق النور ، إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود من الدنّب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور ، إلهي كيف يستقر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور ، إلهي قد تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي

سبحان خالق النور ، الهى اخفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور ، الهى أعوذ بوجهك
السكرىم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور ، الهى فمرت إليك بذنوبى وأصغرت بخطيئى فلا تجعلنى من القاطنين
ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور . قبل مكث داود أر بعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت الرمى من دموع غيبه حتى
غطى رأسه ، فنودى بآداد أجاج أنت فتطم أظمآن أنت قسقى أمظلم أنت فتصير فأجيب فى غير ما طلب ولم يجبه فى ذكر
خطيئته بشىء فخرن حتى هاج ماحوله من العشب فأحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله : تفتننا له
ذلك وإن له عندنا لزلنى وحسن ما ب . وقد ورد أنه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ولا نهاراً
وكان سنة إذ ذلك سبعين سنة تقسم الدهر على أربعة أيام : يوم للقضاء ويوم لفسائه ويوم يسبح فى الجبال والقيافى والسياحة
ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف عهراب فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فإذا كان يوم سياحته خرج إلى
القيافى ويرفع صوته بالبكاء فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجىء إلى
الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكي معه دواب البحر وطيير الماء فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح
داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فييسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف
فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه
فلا يزال يبكي حتى يفرق الفراش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرح يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله . وقد ورد أيضاً
أنه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لأنسى خطيئى فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة ، فوسم
الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها (٣٣٣) ومقام خطيئى فى الناس إلا وبسط

راحتة فاستقبل بها
الناس ليروا ومم خطيئته
واستغفروا وكان يبدأ إذا دعا
للخاطئين قبل نفسه ،
وكان قبل الخطيئة يقوم
نصف الليل ويصوم
نصف الدهر فلما كان

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) أى هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الدلائل الدالة
على توحيدهِ (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب
لَأْمَنُوا فِي الدُّنْيَا (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أى عبثاً ،

من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان إذا ذكر عتاب الله تعالى انحطت أوصاله وإذا ذكر رحمة الله
تراجعت اه ماخصاً (قوله يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان لازمنى فى قوله : وإن له
عندنا لزلنى ، ويحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله - ففتننا له - كأنه قيل ففتننا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه
الآية دليل على أن خلافته التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر أمر الناس) أى لكونك ملكاً
وسلطاناً عليهم ، فقد جمع لداود عليه السلام بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر
فيحكم السلطان بما يأمره به النبي (قوله بالحق) أى العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به صلحت الخلق واستقام
نظامهم بخلاف إذا كانت موافقة لهوى النفس فإن ذلك يؤدى إلى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدى للهلاك وهو
معنى قولهم : العدل إن دام عمر والنظم إن دام دمى (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيهِ إعلام أمته بأنه معصوم
ولتبعه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى
وهو أولى من جعله مجروماً عطفاً على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أى عن الدلائل الدالة على توحيدهِ)
إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى ليوافق قوله : لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم)
أشار بذلك إلى أن ماصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب إما ظرف لقوله : لهم عذاب شديد أو مفعول لنسوا (قوله
المرتب عليه الخ) أى فالسبب الحقيقي فى حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الإيمان
فكنتى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والأرض الخ) استئناف لتقرير مقابله من البعث والحساب (قوله باطلاً) نص
لمصدر محذوف أى خلق باطلاً أو حال من ضمير الخلق .

(قوله ذلك ظن الذين كفروا) أى مظنونهم (قوله فويل) هو فى الأصل معناه الهلاك أى هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظلمة تقيحاً عليهم وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تفسر ببل والمهزة وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين فى العواقب وهو نظير قوله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويح آخر فى الإضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى مع بل التى للإضراب (قوله خبر مبتدأ محذوف) أى وأنزله صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ محذوف أو خبر ثان لصفة ثانية للكتاب لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا فى معانيها) أى يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرءونه مرتلا مجوداً مراعى بعض (٣٣٤) معانيه على حسب الطاقة ، والحاسة يقرءونه ملاحظين أنهم فى حضرة الله تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا ٣٢ (قوله أولوا الأبواب) خصهم بالدهكر لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أى من المرأة التى أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أى سليمان) تفسير للخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لتقومك وقت أن عرض الخ المعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال)

(ذَلِكَ) أى خلق ما ذكر لا لشيء (ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) وايدٍ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) أم نجعلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أم نجعلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى فى الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار (كِتَابٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذا (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء فى الدال (آيَاتِهِ) ينظروا فى معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتمظ (أُولُوا الْأَبْوَابِ) أصحاب العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعْمَ الْعَبْدُ) أى سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الأوقات (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق ، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لمدو فعد بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاعتم (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أى أردت (حُبِّ الْخَيْرِ) أى الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) أى صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أى الشمس (بِالْحِجَابِ) أى استترت بما يحجبها عن الأبصار (رُدُّوَهَا عَلَيَّ) أى الخيل المعروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالسُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَعْنَاقِ) ،

تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا ٣٢ (قوله أولوا الأبواب) خصهم بالدهكر لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أى من المرأة التى أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أى سليمان) تفسير للخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لتقومك وقت أن عرض الخ المعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال)

أى إلى الغروب (قوله وهى القائمة) أى الواقعة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أى من رجل أويد (قوله وهو من صفن) أى مأخوذ منه والصفان من الآدميين الذى يصف قدميه ويفرق بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطاق على كل من الذكر والأثى مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق ، والمعنى طويلة العنق لفراحتها (قوله المعنى) أى معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روى أنه غزا أهل دمشق وفسيين وأصاب منهم ألف فرس ، وقيل أصابها أبوه من ألم الماتة فوضع يده عليها لبيت المال ، وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لإرادة الجهاد) أى ليختبرها (فقال إني أحببت الخ) أى على وجه الاعتذار عما صدر منه وندماً عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعدها بمن (قوله أى الخيل) إنما سمها خيراً لتعلق الخير بها لما فى الحديث لا الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة (قوله بالحجاب) أى وهو جبل دون جبل قاف بمسيرة سنة تقرب من ورائه (قوله رُدُّوَهَا عَلَيَّ) الخطاب لاتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التى شغلته وهى التسعمائة ، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها ، ومافى أبدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة .

(قوله أي ذبحها وقطع أرجلها) أي وكان مباحا له ولقد لم يتابه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وصلى الضمير في قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب لللائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر في وقتها ، وقال الفخر الرازي معنى قوله فطوق مسحا بالسوق والأعناق أنه يمسخها حقيقة بيده ليختبر هيوها وأمراضها لكونه كان أعلم بأحوال الخليل وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقر ولم توت عليه صلاة ، ومعنى إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي : أي لأجل طاعة ربي لا لهوى نفسي ، ومعنى توارت بالحجاب : أي الخليل غابت عن بصره حين أمر بأجرأها ليختبرها للزور فقال ردوها على فردوها فصار يمسخ في أعناقها وسوقها كما تقدم وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا نوات صلاة له بالمعنى (قوله ولقدفتنا سليمان الخ) أجل المفسر في القصة . وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحملها الريح على ظهر الماء حتى نزل بمجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسي ما فيها وأصاب فيما أصاب بقنا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا ولا جمالا فأصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يجب مثله أحدا من نساته وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان ، فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ ، قالت إن أبي أذكركه وأذكركم الله وما كان فيه وما أصابه فيحزنتي ذلك ، فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ذلك فأت ذلك كذلك ولكنني إذا ذكرته أصابني ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في دارى التي أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجسد في نفسى فأمر سليمان الشياطين ، (٣٣٥) فقال مثلوا لها صورة أيها

في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فثلوه لها حتى نظرت إلى أيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت

أي ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فوضه الله تعالى خيرا منها وأسرع ، وهي الريح تجرى بأمره كيف شاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك ،

إليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تفدوا إليه في ولائها : أي جوارها ففسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه : أي أيها وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أر بعين صباحا وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فأتاه وقال يا بني الله إن غير الله يعبد في دارك منذ أر بعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في دارى قال في دارك قال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاب تلك المرأة وولائها ثم أمر بثياب الظهيرة فأثى بها وهي ثياب لا يفرها إلا الأبقار ولا ينسجها إلا الأبقار ولا يفسلها إلا الأبقار لم تفسها يدامرة قدرأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل نائبا إلى الله تعالى حتى جالس على ذلك الرماد وتمك به في ثيابة تذللا إلى الله تعالى وتضرعا إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمانة كان إذا دخل الحلاء أو أراد إصابة امرأة من نساته وضع خاتمه عندها حتى يتظهر وكان لا يمسه خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضه يوما عندها ، ثم دخل مذهبه فأثاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال هات خاتمي يا أمانة فتأولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأثى الأمانة وقد تغيرت حالته وهيلته عند كل من رآه فقال يا أمانة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فصرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من هور بنى إسرائيل ويقول أنا سليمان ابن داود فيحنون عليه الثراب ويقولون انظروا إلى هذا الجنون يزعم أنه سليمان ، فلما رأى ذلك عهد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها فكش على ذلك أر بعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف

بأنصر بن إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيتم فقالوا نعم ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان هو
 مجلسه ، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه . فلما أمسى
 أعطاه سمكته فباع سليمان إحداهما بأرغفة و بقر بطن الأخرى لبشورها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده وخر
 لله ساجداً وهكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره فرجع إلى
 ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المراد فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه باخري ،
 ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر فهو باق فيها إلى النفخة ، وسيأتي رد تلك القصة وأنها من
 موضوعات الأخباريين (قوله تزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هواها بمعنى أحبا من باب صدى
 وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط ، وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أي وهو صورة أيها ومدة
 ذلك أربعون يوماً (قوله وكان ملكه في خاتمه) أي كان ملكه مرتباً على لبسه إياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن
 والشياطين وغيرها وإذا زعه زال عنه ذلك ، وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد
 نظمها بعضهم بقوله :

وآدم معه أنزل العود والصا لموسى من الآس النبات المكرّم
 وأوراق تين والهيمن بمسكة وختم سليمان النبي للعظم

وقوله العود المراد به عود البخور (٣٣٦) وقوله والهيمن بمسكة والمراد به الحجر الأسود وورد في الحديث «أن نقش خاتم

سليمان لا إله إلا الله محمد رسول الله» (قوله ووضعه عند امرأته) في عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمانة (قوله هو ذلك الجنى ، وهو صخر أو غيره جلس على كرمى سليمان وهكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه (ثم أناب) رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم قلبه وجلس على كرسيه (قال رب اغفر لي ،

هو الجسم الذي لا روح فيه (قوله وهو صخر) أي ابن عمير المراد (قوله في غير هيئته) أي المعتادة التي كانوا وهب يعرفونه بها (قوله رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسداً وقال غيره إنه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى إنابته رجوعه إلى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أي أربعين قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ماله وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» وفي رواية «على مائة امرأة كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وإيم الله الذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه وقتنته من نسيان الشبهة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم تنفك من البلاء فبيلنا أن قتل ولده أو نخبله فلم بذلك صابان فأمر السحاب فحمله فكان يريه في السحاب خوفاً من الشياطين فيبناهو مشتغل في بعض مهماته إذ أتى ذلك الولد لمينا على كرسيه فصاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك فتنبه واستغفر ربه ، إذا علمت ذلك فالتناسب أن يرجع على مافي الصحيحين وترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لي) إنما قال ذلك تواضعاً وإظهاراً للخضوع لله عز وجل والافهور لم يحصل منه ذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين .

(قوله وهب لي ملكا الخ) ثم طلب الغفرة اهتماما بأمر الدين (قوله لا يبتغي لأحد من بعدي) أي ليكون معجزة لي فليس طلبه للفخرة بأموال الدنيا وإنما كان هو من بيت النبوة والملك وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره (قوله إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمعزة والهمة (قوله فسخرنا له الريح) أي أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه ، وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال أمدنا تسخيرها (قوله تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أي غير عاصفة وهذا في أثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة فكانت العاصفة تقطع السطاط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أي إياها فالمصدر مضاف لتأنيده (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء ، وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والنوص ونحو ذلك وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من العلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتزم مع قوله : بجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقتلنا له هذا) أي هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بعطاؤنا : أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر . الثاني أنه حال من عطاؤنا : أي في حال كون عطاؤنا (٣٣٧) غير محاسب عليه . والثالث

أنه متعلق بامن أو أمسك واللعني أعط من شئت وامنح من شئت لاحساب عليك في إعطاء ولامنع . قال الحسن : ما أنعم الله نعمة على أحد إلا عليه فيها تبعه لإسليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعه (قوله) وابن له عندنا الرزق وحسن مآب) أي زيادة خير في الدنيا والآخرة (قوله) واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي) لَا يَكُونُ (لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أَي سِوَايَ نَحْوِ : فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَي سِوَى اللَّهِ (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لِيُنْفِثَ (حَيْثُ أَصَابَ) أَرَادَ (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ) بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَجِيئَةِ (وَعَوَّاصٍ) فِي الْبَحْرِ يَسْتَخْرِجُ اللَّوْثُ (وَأَخْرَيْنَ) مِنْهُنَّ (مُقَرَّرِينَ) مَشْدُودِينَ (فِي الْأَصْفَادِ) الْقِيُودِ بِجَمْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَقَتْلَانَهُ (هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَنْبِئْ) أَعْطَ مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ (أَوْ أَمْسِكْ) عَنِ الْإِعْطَاءِ (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أَي لِاحْتِسَابِ هَلِيكَ فِي ذَلِكَ (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) تَقَدَّمَ مِثْلُهُ (وَإِذْ كَرِهَ آيُوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي) أَي بَأْنِي (مَسَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) ضَرَّ (وَعَذَابٍ) أَلَمٍ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ تَأْدِيبًا مَعَهُ تَعَالَى ، وَقِيلَ لَهُ (أَرَأَيْتَ إِذْ كُنْتَ) أَضْرِبُ (بِرِجْلِكَ) الْأَرْضَ فَضَرَبْتَ فَنَبَعَتْ عَيْنَ مَاءٍ قَقِيلٍ (هَذَا مُفْتَسَلٌ) مَاءٌ تَفْتَسَلُ بِهِ (بَارِدٌ وَشَرَابٌ) تَشْرَبُ مِنْهُ فَاتَّغَسَلَ وَشَرِبَ فَذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ كَانَ يَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أَي أَحْيَا اللَّهُ لَهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَرَزَقَهُ مِنْهُمْ ،

على قصه وليس معطوفا على قصة سليمان لانه لكامل الاتصال بينه وبين ابيه لم يصدر في قصته بقوله : واذكر عبدنا سليمان مثلا بل كانا كأنهما قصة واحدة ، وتقدم لنا في الأنبياء أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، وقيل إنه ابن عيص بن إسحق ، وقيل هو ابن أموص بن راعيل بن عيص بن إسحق وتقدمت قصته مفصلة في سورة الأنبياء (قوله إذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله أنى مسى الشيطان) أي حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين ، وقيل سبعا ، وقيل عشرا ، وقيل ثمانى عشرة (قوله بنصب) يضم فسكون التبع والمشقة ، وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأدبامه تعالى) أي لأن الشيطان هو السبب في ذلك لأنه نفع في أنفه فرض جسده ظاهرا وباطنا لإقابه ولسانه (قوله وقيل له) أي حين رجاقت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره أنها عين واحدة وهو أحد قولين ، وقيل كاتنا عينين بأرض الشام في أرض الجابية فاعتسل من إحداها فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت إحدى العينين حارة والأخرى باردة فاعتسل من الحارة وشرب من الأخرى (قوله) ووهبنا له أهله (عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاعتسل الخ) (قوله من مات من أولاده) أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أي من زوجته وزيد في شبابها [٤٣ - صارى - ثالث]

واسمها قيل رحمة بنت أفرانيم بن يوسف ، وقيل ليانث يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لأجله : أي لأجل رحمتنا إياه ولتذكر بحاله أولوا الألباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أي ملء الكف (قوله لإبطائها عليه يوما) واختلف في سبب بطنها المنسب عنه حلفه ، فقيل إن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوى للرصى فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له عندي سريض ، فقال أداويه هل أنت إذا برى قال أنت شفتني لأر يد جزاء سواء . قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك حلف ليضربها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل إنها باعت ذواتها برهيفين حين لم تجد شيئا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلها حلف ليضربها ، وقيل غير ذلك (قوله ولا تحث) أي لا تقع في عيبك بحيث تترك كفارتك وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجه وأما في شرعنا فلا يبرأ إلا بضرب المائة وضربه بأعواد عجمية لا يمد واحدة منها إلا إذا حصل منه ألم الضربة المفردة (قوله إنا وجدناه صابرا) أي علمناه ، والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا إبراهيم الخ) أي اذكروهم على ما امتحنوا به (٣٣٨) (قوله أولى الأيدي) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فيكنى بذلك عن الأفعال

لأن أكثر الأفعال إنما يزاول بها ، وقيل المراد بالأيدي النعم وفسرها المفسر بالقوة في العبادة وكلها معان متقاربة وتقرى شذوذ بحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تليين لما وصفوا به من شرف السبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخالصة خالصة (قوله هي ذكرى الدار) جعلها المفسر خبرا لمحذوف (قوله وفي قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان

(رَحْمَةً) ضمة (مِنَّا وَذِكْرِي) عطلة (لِأُولَى الْأَلْبَابِ) لأصحاب العقول (وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَأَضْرِبْ بِهَا) وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (وَلَا تَحْتَثِ) بترك ضربها فأخذ مائة هود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى الله تعالى (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي) أصحاب القوى في العبادة (وَالْأَبْصَارِ) البصائر في الدين ، وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هي (ذِكْرِي الدَّارِ) الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ) المختارين (الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبي واللام زائدة (وَذَا الْكِفْلِ) اختلف في نبوته قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل (وَكَرَّ) أي كلمهم (مِنَ الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتنقييل (هَذَا ذِكْرُهُمْ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (الْحُسْنِ مَابٍ) مرجع في الآخرة (جَنَّاتٍ حَدَنَ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُفْتَحَةً لَهُمْ الْأَبْوَابِ) منها (مُتَّكِنِينَ فِيهَا) على الأرائك ،

سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذكرى مرفوعا على إضمار مبتدأ وعلى الثاني يكون (يدعون)

مجرورا بالإضافة وعلامة جرّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كقَالَ للمفسر (قوله واذكر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكراييه وأخيه للإشمار بمراتنه في الصبر الذي هو المقصود بذلك من مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كاتقدم (قوله اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب : أن الله بعث بعد أيوب ابنه هيرا وسماه ذا الكفل فهو هير بن أيوب اختلف في نبوته ولقبه والصحيح أنه نبي ، وسعى ذا الكفل إما لما قاله المفسر أولاً لأنه تكفل يوم يصام النهار وقيام الليل وأن يقضى بين الناس ولا يضب فوقه بما ألزم وتقدمت قصته في الأنبياء (قوله أي كلمهم) أي المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدأ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهي للاتقال من عرض إلى آخره فيها تخلص من قصة وكذا يقال في قوله هذا وإن للطاغين الخ (قوله وإن للمتقين الخ) شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكركم الجميل (قوله الشاملين لهم) أي فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها ماقى المتقين من معنى الفصل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء في لهم والاقصار على دعاء الفاكهة للايذان بأن مطالعهم لحض التفك والتلذذ دون التغذي لأنه لا جوع فيها .

(قوله حابسات الأعين) أى لا ينظرن إلى غيرهم نظراً شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أى فقد استوين في السن والجمال ، وقيل معنى أتراب متواخيات لا يتباخضن ولا يتبايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أى لأجل وقوعه فيه فوقعه وإنجازته فيه هبة للوعد به في الدنيا (قوله إن هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أى ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا أى هو الرزق الذى تفضل به على عبادنا ما له من فساد أى انقطاع أبداً (قوله أى دائماً الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قوله للذكور وهو تخلص من مال التقيين لمال المجرمين فهو بمنزلة أمانه (قوله وإن للطاغين) أى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله في حق التقيين لحسن مآب (قوله يصلونها) أى يكونون بها على سبيل التأييد وهو لازم للدخول (قوله الفرائش) أى النطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره وتن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين البتداء والخبر، وهذا أحسن ما يقال (قوله محرق) أى للأمعاء لقوله في الآية الأخرى: وسقوا ماء حمياً فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) (٣٣٩) أى فهما قراءتان سبعتان

(قوله من صديد الخ) بيان لما كانه قال وهو صديد أهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعتان (قوله أى مثل المذكور) أى فى كونه حاراً يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزهرير وغير ذلك من أنواع العذاب ، أجازنا الله منه (قوله ويقال لهم) أى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالتقاء فى الشيء بشدة فاتهم يضربون بمقامع من حديد حتى

يَذُفُونَ فِيهَا بِمَا كَفَبَ كَثِيرَةً وَّشَرَابٍ . وَهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حَابِسَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَزْوَاجٍ (أَتْرَابٍ) أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ وَهِنَّ بَنَاتٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، جَمْعُ تَرِبٍ (هَذَا) الْمَذْكُورِ (مَأْتُو عُدُونَ) بِالْعِصْيَةِ وَالْحَطَابِ الثَّمَنَاتَا (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) أَيْ لِأَجْلِهِ (إِنَّ هَذَا رِزْقًا مِمَّا لَهُ مِنْ قَدَارٍ) أَيْ انْقِطَاعِ الْجُمْلَةِ حَالٍ مِنْ رِزْقِنَا أَوْ خَيْرِنَا لِأَنَّ أَيْ دَائِمًا أَوْ دَائِمٌ (هَذَا) لِلذَّكُورِ الْمُؤْمِنِينَ (وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ) مُسْتَأْنَفٌ (لِشَرِّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) يَدْخُلُونَهَا (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) الْفَرَاشُ (هَذَا) أَيْ الْعَذَابُ الْفُهْمُ مِمَّا بَعْدَهُ (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أَيْ مَاءٌ حَارٌّ مَحْرُوقٌ (وَعَسَاقٌ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ : مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ (وَأَخْرُ) بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ (مِنْ شَكْلِهِ) أَيْ مِثْلَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْحَمِيمِ وَالتَّسَاقِ (أَزْوَاجٌ) أَصْنَافٌ أَيْ عَذَابُهُمْ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ بِأَتْبَاعِهِمْ (هَذَا تَوْجٌ) جَمْعُ (مُقْتَحِمٌ) دَاخِلُ (مَعَكُمْ) النَّارِ بَشْدَةً ، يَقُولُ التَّبَوُّعُونَ (لَا مَرَحَبًا بَيْنَ) أَيْ لِاسْمَةِ عَلَيْهِمْ (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ . قَالُوا) أَيْ الْأَتْبَاعُ (بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ) أَيْ الْكُفْرَ (لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) لَنَا وَلَكُمُ النَّارُ (قَالُوا) أَيْضًا (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أَيْ مِثْلَ عَذَابِهِ عَلَى كُفْرِهِ (فِي النَّارِ . وَقَالُوا) أَيْ كِفَارِ مَكَّةَ وَهُمْ فِي النَّارِ (مَالَنَا لَا تَرَى رِجَالًا كُنَّا نَمُدُّهُمْ) فِي الدُّنْيَا (مِنَ الْأَشْرَارِ . أَلَمْ نَخُذْهُمْ سُخْرِيًّا) ،

يقحموها بانفسهم خوفاً من تلك المقامع (قوله يقول التبوعون) أى جواباً للخزنة كأنهم يقولون أنحمسدى كثرة أتباعنا مع كوتنا وإياهم فى النار (قوله لامرحبا بهم) مفعول لفعال محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا أى مكانا واسعا (قوله إنهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى إنهم صالوا النار كاصليناها (قوله قالوا) أى الأتباع أى جواباً للرؤساء (قوله بل أنتم لامرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قاتم لنا فدأبهم أنه كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله أتم قدمتوموه لنا) أى دلتموننا عليه بتزيين الأعمال السيئة لنا وإغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالتم (قوله قالوا أيضا) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع (قوله أى مثل عذابه على كفرة) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله أى كفار مكة) أى كفى جهل وأبى بن خلف وغيرها (قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لا ترى رجالا) أى أى شىء ثبتتنا لا نبصر رجالا الخ (قوله من الأشرار) إنهم سمحهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم (قوله أخذناهم) إمابوصل الهمزة مكسورة أوقطعها مفتوحة قراءتان سبعتان فعلى الأولى تسكون الجملة صفة لرجالا أى رجالا موصوفين بكوننا عدداً منهم من الأشرار و بكوننا نسخر بهم

في الدنيا وطى الثانية فالجملة استفهامية خذت هزة الوصل استغناء بجمزة الاستفهام عنها . والمعنى ما لنا لا نرى رجالا موصوفين
بكوننا عددهم من الأشرار اتخذناهم سخرى فهم مفقودون من التارأم زاعت عنهم الأبصار أى هم معنا في النار لكن زاعت
أبصارنا عنهم فلم نرهم (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة
الوصل (قوله والياء للنسب) أى على كل من القراءتين (قوله أم زاعت) على قراءة الوصل تكون أم بمعنى بل وعلية قراءة القطع
تكون معادلة للهزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب إسقاطه لأن الكلام في أهل
مكة وهو إنما أسلم في المدينة (قوله إن ذلك) أى المحكى عنهم من أقوالهم وأحوالهم (قوله وهو متخاصم) أشار بذلك إلى
أن تخصص خبر لمحدوف والجملة بيان لاسم الإشارة (قوله إنما أنا منذر) أى لاساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الإنذار
لأن كلامه مع الكفار وهم إنما يناسبهم الإنذار فقط وإن كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) أى المعلوم الثليل في ذاته وصفاته
وأفعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية (قوله رب السموات والأرض) أى مالكهما
(قوله قل هو نبي عظيم) كسر الأمر (٣٤٥) إشارة إلى الاهتمام به (قوله أى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم)

أى من القصص والأخبار
وغيرها (قوله وهو) أى
مالا يعلم إلا بوحى وفيه
أن مالا يعلم إلا بوحى هو
قوله إذ قال ربك
للملائكة الخ لا قوله
ما كان لى من علم الخ
إلا أن يقال إنه ذكر
نوطنة وتمهيدا لما لا يعلم
إلا بالوحى (قوله أى
الملائكة) أى وإبليس
(قوله إذ يختصمون)
منصوب إما بعلم
أو بمحدوف والتقدير
ما كان لى من علم بالملائكة
الأعلى وقت اختصاصهم

بضم السين وكسرها أى كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب ، أى أمفقودون هم (أم زاعت)
مالت (عنهم الأبصار) لم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (إن
ذلك لحق) واجب وقوعه وهو (تخافهم أهل النار) كما تقدم (قل) يا محمد لكفار مكة
(إنما أنا منذر) مخوف بالنار (وما من إله إلا الله الواحد القهار) خلقه (رب
السموات والأرض وما بينهما العزيز) القالب على أمره (القهار) لأوايائه (قل) لهم
(هو نبي عظيم . أنتم عنه معرضون) أى القرآن الذى أنبأكم به وجئكم فيه بما لا يعلم
إلا بوحى وهو قوله (ما كان لى من علم بالملائكة الأعلى) أى الملائكة (إذ يختصمون)
في شأن آدم حين قال الله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة الخ (إن) ما (بوحى) إلى إلا
أنا (أنا) أى أنى (نذير مبين) بين الإنذار . إذ كر (إذ قال ربك للملائكة إني خالق
بشر من طين) هو آدم (فإذا سويته) أتمته (وتخذت) أجريت (فيه من روحى)
فصار حيا ، وإضافة الروح إليه تشرىف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفذه فيه
(فتعوا له ساجدين) سجدوا تحية بالانحناء ،

(فسجد)

أوما كان لى من علم تكلام إلا الأعلى وقت اختصاصهم

(قوله إلا إنما أنا نذير مبين) إلا أداة حصر وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل بوحى والتقدير ما بوحى
إلى إلا كوتى نذيرا مبينا والحصر فيه وفي قوله إنما أنا منذر إضافى . والمعنى لاساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله إذ قال
ربك) ظرف معمول لمحدوف قدره القصر بقوله إذ كر ويصح أن يكون بدلا من قوله إذ يختصمون إن حمل الاختصاص على
ما حصل في شأن آدم فتبل وأما إن جعل عاما فلا يصح جله بدلامنه بل ظرف لمحدوف (قوله إني خالق بشر) أى إنسانا طاهر
البشرة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روحى) أشار بذلك
إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالة على الله تعالى ، وإنما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة
لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح ، وقيل إن الروح عرض وهى الحياة
التي صار الجسم بها حيا ، وقيل إنها ليست بجسم ولا عرض ، بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعاق بالبيدن للتدبير
والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفذه فيه) أى سريانه فيه كسريان الماء في العود
الأخضر (قوله فتعوا) الفاء واقعة في جواب إذا (قوله سجدوا تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود تعبر الله تعالى وتقدم

قول بأنه كان سجوداً حقيقاً بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود لغير الله غير جازم ما لم أمر به اللولى تعالى ، أو يقال إن السجود لله تعالى وأدم جعل كالقابلة (قوله فسجد للملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم عزرائيل ثم للملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله فيه تأكيداً) أى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر ، وقيل إن كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله في علم الله) أى أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال وكان مسامحاً عابداً طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أى توليت خلقه) أى بذاتى من غير واسطة أب وأم وتفتية اليد إظهار لكمال الاعتناء بمخلقه عليه السلام (قوله استكبرت الآن الخ) أشار المفسر إلى جواب سؤال ولرد وهو أن قوله من العالين معناه التكبرين فيلزم عليه التكرار . فأجاب بأن المعنى آرتك السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال أنا خير منه) هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيراً منه وبين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الأرض وهى ظلمانية والنوراني أشرف من الظلماني ، وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لأن مال النار إلى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل لكل نام ثابت كالانسان والشجرة ، ومن المعلوم أن الانسان والشجرة خير (٣٤١) من الرماد وزيادة على ذلك

أن النوع الانساني تشرف بأمور : الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله لما خلقت بيدي والثاني من جهة الصورة المشار إليها بقوله ونفخت فيه من روحي ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع الانساني فدل على أفضليته

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فِيهِ تَأْكِيدَانِ (إِلَّا إِبْلِيسَ) هُوَ أَبُو الْجِنِّ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ (اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي) أَيْ تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ ، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ (اسْتَكْبَرْتَ) الْآنَ عَنِ السُّجُودِ ، اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) التَّكْبِيرِينَ فَتَكَبَّرْتَ عَنِ السُّجُودِ لِكَوْنِكَ مِنْهُمْ (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أَيْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَقِيلَ مِنَ السَّمَوَاتِ (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مَطْرُودٌ (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الْجَزَاءُ (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أَيْ النَّاسِ (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى ،

(قوله أى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فقوله أى من الجنة مبنى على الأول وقوله أو من السموات مبنى على الثاني ، وقيل المعنى أخرج من الحلقة التى كنت عليها أولاً وما ورد أن إبليس كان يفخر بمخلقه فغير الله خلقته فأسودت بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً ونظم بعد ما كان نورانياً ، وروى أن إبليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك وكان له جناحان من زمرد أخضر ، فلما طرد غيرت صورته وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ أعور وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعيناه مشقوقتان في طول وجهه وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وصدرة كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفق الثور ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فإنك رجم الخ) فإن قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار . أوجب بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله وإن عليك لعنتي) ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتمريف تفننا (قوله إلى يوم الدين) فإن قلت كلمة إلى لانتهاى الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين مع أنها لاتنقطع . أوجب بأن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخاوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقن لوعيد والمطلوب (قوله قال رب فأنظرنى) أى أمهاتى وأخبرنى والفاء متعلقة بحذرف تقديره إذا جعلتنى رجماً فأمهتى ولاعتنى إلى يوم يبعثون : أى آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجوم من الموت بالسكابة إذ لاموت بعد البعث فأجابته تعالى بالامهال مدة الدنيا لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت .

(قوله قال مبعزتك) . الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى - قال فما أفوفيني - فان اغوا- الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أى فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أى المذكور في بعض الأعراب للتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) توكيد للضمير في منك وما عطف عليه (قوله دون اللانكة) إنما أخرجهم من العالمين ، وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله إن هو إلا ذكر والذكر معناه اللوعظة والتخويف وهو لا يناسب إلا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أى من ذكر الوعد والوعيد (قوله أى يوم القيامة) تفسير لبعدين ، والحين مدة الدنيا ، وقال ابن عباس بعد الموت ، وقيل من طال عمره علم ذلك إذا جاء نصر الله والفتح (قوله عمى عرف) أى فهو متعمد للفعول واحد وهو نباء ، وقيل إن علم على بابها فتنبس مفعولين والثاني قوله بعد حين .

[سورة الزمر] سميت بذلك (٣٤٣) قد ذكر لفظ الزمر فيها في قوله - وسبق الدين كفروا إلى جهنم زمرا ،

وسبق الدين أهوار بهم إلى الجنة زمراء وسيأتى أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة ، وتسمى أيضا سورة العرف لذكر العرف فيها قال تعالى - لهم غرف من فوقها غرف مبنية - وروى «من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة العرف» ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمروى إسرائيل (قوله إلا قل يعبادى الخ) أى فانها نزلت في وحى قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه أسلم بالمدينة وظهره أنها آية واحدة ، وقيل إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها ، وقيل إنهما

(قَالَ مَبْعُزَتِكَ لَا غَوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع الأول ونصب الثانى فنصبه بالفعل بعده ، ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أى أحق الحق ، وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى فالحق منى ، وقيل فالحق قسمى وجواب القسم (لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) بغيرتك (وَرَمَى تَبَعَكَ مِنْهُمْ) أى الناس (أَجْمَعِينَ . قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مِنْ أَجْرِ) جمل (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ) المتكلمين القرآن من تلقاء نفسه (إِنَّ هُوَ) أى ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) للإنس والجن المقلاء دون الملائكة (وَلَتَمْلَأَنَّ) يا كفار مكة (نَبَأَهُ) خبر صدقه (بِمَدْحِينَ) أى يوم القيامة ، وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر أى والله .

(سورة الزمر)

مكية ، إلا قل يعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فدينية ، وهي

خمس وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن متبداً (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) من الشرك : أى موحداً له ،

(ألا)

آيتان هذه الآية وقوله تعالى - انه نزل أحسن الحديث - الآية فتصل أن

فيها ثلاثة أقوال : قيل مكية إلا آية ، وقيل إلا آيتان ، وقيل إلا سبعا (قوله هو خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) أى إنزال القرآن كائن وحاصل من الله لامن غيره نزل رداً لقول المشركين إنما يلهى بهم ولقولهم إن به جنة (قوله إنا أنزلنا الخ) شروع فى بيان تشريف النزل عليه إثر بيان شأن النزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الأول لأن العرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بأنزل) أى والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذى أفت عليه وإثباته وإظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله إنا أنزلنا إليك الخ والحطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصاً) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أى موحداً له) أى مفرداً له بالعبادة والاحلاص بأن لا تقصد بملك وبتك غير ربك

(قوله ألا الله الدين الخ) إلا أداة استعجاب والجملة مستأنفة مقررة لما بعدها من الأجر بالاخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره للفسر بقوله قالوا وقوله ما نصبهم الخ مقول لذلك القول وقوله إن الله يحكم بينهم الخ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الأحسن ، وقيل إن خبر البتداء هو قوله إن الله يحكم الخ وقوله ما نصبهم حل من فاعل اتخذوا على تقدير القول : أي قائلين ما نصبهم الخ (قوله الأصنام) قدره إشارة إلى أن اتخذها نصب مفعولين الأول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للوصول (قوله قالوا ما نصبهم الخ) أي فكانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم وما مضى عبادتكم الأصنام فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى ونشبع لنا شهده (قوله مصدر) أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى أوليقربونا قرفى (قوله وبين المسلمين) أشار بذلك إلى أن القابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله إن الله لا يهدي) أي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أو مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى (قوله في نسبة الولد إليه) أشار بذلك إلى أن قوله إن الله لا يهدي الخ توطئة لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من جهة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى (قوله (٣٤٣) هو أراد الله أن يتخذ ولدا) أي

أي لو تعلقت إرادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية إشارة إلى قياس استثنائي حذف صفراء ونتيجته، وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ما يخلق ما يشاء لكنه لم يصطاف من خلقه شيئا فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أي غير الخالق الذي قالوا في شأنه إنه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أي لأنه ممنوع عقلا ونقلا أما عقلا فلأنه يلزم

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ) لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) الْأَصْنَامَ (أَوْلِيَاءَ) وَهُمْ كُفَّارٌ مَكَّةَ قَالُوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قَرِيبَى مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَقْرِيْبًا (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) فِي نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ (كُفَّارٌ) بِعِبَادَتِهِ غَيْرِ اللَّهِ (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) كَمَا قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (لَأَصْطَلِيَنَّ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا غَيْرَ مَنْ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَعَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ (سُبْحَانَهُ) تَنْزِيْهًا لَهُ عَنِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ (مَتَلَقُ بِخَلْقِ) (يُكْوِّرُ) يَدْخُلُ (اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) فَيَزِيدُ (وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ) يَدْخُلُهُ (عَلَى اللَّيْلِ) فَيَزِيدُ (وَمَسَحَرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى) فِي فَلَكِهِ (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ الْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ (الْقَهَّارُ) لِأَوْلِيَائِهِ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أَيْ آدَمَ ،

أن يكون الولد من جنس خالقه وكونه جسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل ، وأما نقلا فقد توارت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه في الصفات إثر بيان تنزهه في الذات لأن الوحدة تنافي للمائلة فضلا عن الولد والقهارية تنافي قبول الزواج الموجب إلى الولد وإلا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والأرض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية وانصافه بالصفات الجليلة (قوله يكوير الليل) من التكوير وهو في الأصل اللف واللى يقال كوير العمامة على رأسه : أي لفها ولواها ثم استعمل في الإدخال والاضواء فكان الليل يفضى النهار والنهار يفضى الليل (قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانها لانتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز القهار) إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بضمونها كأنه قال : تنبهوا يا عبادي فاني الغالب على أمرى الستار قد نوب خلقى فلا تشركوا بي شيئا وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيدهم وانفراده بالقررة والقهر وجميع صفات الألوهية .

(قوله ثم جعل منها زوجها) إن ثلث إن ثم للترتيب فيقتضى أن خلق الثرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف للشاهد .
 وأجيب بثلاثة أجوبة . الأول أن ثم لجرد الاخبار لا للترتيب الإيجادي . الثاني أن المصروف متعاقب بمعنى واحدة وتم عاطفة عليه
 كأنه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يحاق نظيرها ثم شفت بزواج . الثالث أن معنى خلقكم من نفس واحدة
 أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لأن الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالنمر ثم أخرجهم وأخذ عليهم
 الميثاق ثم ردهم إلى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وأنزل لكم من الأنعام الخ) إنما عبر عنها بالنزول لأنها تكوّنت بالنبات
 وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدرج ومنه قوله تعالى : قد أنزلنا عليكم لباسا الآية ، وقيل إن النزول
 حقيقة لما روى « أن الله خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها في الأرض » كما قيل في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
 فإن آدم لما أهبط إلى الأرض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج مامعه آخر من جنسه ولا يستغنى بأحدهما عن
 الآخر (قوله كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنتين الآيات (قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم)
 هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله : من بعد خلق صفة لخلقها (قوله
 أي نطقا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الإيجاد فالناسب أن يقول أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام
 عارية من بعد مضع من بعد علق من بعد نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتغال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضر
 الفصل بين البديل والمبدل منه (٣٤٤) بالمصدر لأنه من تمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي فهي

داخل الرحم وهو داخل
 البطن والمشيمة بوزن
 كريمة وأصلها مشيمة
 بسكون الشين وكسر
 الياء نقلت كسرة الياء
 إلى الساكن قبلها ، وهي
 غشاء ولد الانسان ويقال
 لها الفلاف والكيس
 ويقال لها من غير ولد
 الانسان السلا (قوله
 ذابكم) مبتدأ والله

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم الضأن
 والمز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ
 فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطقا ثم علقا ثم مضغا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)
 هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 قَاتِي تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى
 لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وإن أراد من بعضهم (وَإِنْ تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (رِضَى) يسكون
 الهاء وضمتها مع إشباع ودونه أي الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَأَزِرَّةً وَزَرَ) نفس
 (الْأُخْرَى) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْفِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ،

إنه

ربكم خبران وجهلة له الملك خبر ثالث (قوله لا إله إلا هو) جملة مستأنفة نتيجة ما قبله

أي بحيث ثبت أنه ربنا وله الملك تتج منه أنه لا إله إلا هو (قوله فأتى تصرفون) أي تمنعون (قوله فإن الله غف عنكم)
 أي له الغنى المطلق فلا يفتقر إلى ما سواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يفعل فعل الراضى بأن يثيب فاعله ويمدحه بل
 يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وإن أراد من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين
 الرضا والإرادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وإنما التسلازم بين الأمر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين
 الرضا والإرادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ، ومن هنا قال العلماء : إن الأمور أربعة تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من
 المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار وتارة لا يأمر وهو الكفر
 من الكفار . وحكى أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السني
 سبحان من لا يقع في ذلك إلا ما يشاء فقال المعتزلى أريد بك أن بعضى فقال السني أبعصى ربنا قهرا فقال المعتزلى أريد أن
 منفى الهدى وحكم على بالردى أحسن إلى أم أساء فقال إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالملك يفعل في ملكه
 كيف يشاء فبئس المعتزلى (قوله يرضه لكم) أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لتفاحة به تعالى الله عن ذلك (قوله يسكون
 الهاء الخ) أي فالقرآت ثلاث سبميات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل شخص إثم كافر شخص آخر ، وما ورد من أن
 الدال على أشبه كفعله فمناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالة ولا شك أن دلالاته من فعله قال الأمر إلى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره

وقوله وازرة أي وأما غير الازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجياً وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره فينتفع الشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً ، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله إنه عليم بذات الصدور) علة لقوله: فينبئكم بما كنتم تعملون: أي يخبركم بأعمالكم لأنه عليم بما في القلوب فضلاً عن غيرها (قوله أي الكافر) أشار بهذا إلى أن آل في الإنسان لا يهد (قوله ضر) المراد به جميع السكاره كانت في نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيباً إليه) أي تاركاً عبادة الأصنام لعلمه بأنها لا تقدر على كشف منازل به (قوله أعطاه إنعاماً) أي أعطاه على سبيل الانعام والإحسان فانعاماً مفعول لأجله لأن التخويل هو إعطاء النعم على سبيل التفضل والإحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك إلى أن ماموصولة بمعنى الذي مراداً بها الله تعالى ويصح أن يراد بها الضر ، وتلغى نسي الضر الذي كان يدعو لكشفه ويصح أن تكون مامصدرية ، والتلغى نسي كونه داعياً من قبل تخويل النعمة والأطهر ما قاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصورورة (قوله بفتح الياء وضماً) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الأمر للتهديد وفيه إشار بقوله من تمتع في الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن قليلاً صفة لموصوف محذوف أي زماناً قليلاً (قوله إنك من أصحاب النار) أي ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام (٣٤٥) الأمور بقوله وحينئذ فالملغى

قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) أي والمهمزة للاستفهام الإنكاري ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع أنى بالكسر والقصر كمي وأمعاء (قوله ساعاته) أي أوله وأوسطه وآخره وفي الآية دليل على أفضائية قيام الليل على النهار لما في الحديث « مازال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) أي الكافر (ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيْباً) راجعاً (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاماً (مِنْهُ نَمِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُو) يتضرع (إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) وهو الله فما في موضع من (وَجَمَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً) شركاء (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضماً (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) بتخفيف الميم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته (ساجداً وقائماً) في الصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أي يخاف عذابها (وَيَرَى جُورَ حَمَّاتٍ) حنة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفي قراءة أم من فأم بمعنى بل والمهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا) بالطاعة (حَسَنَةً) هي الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ) ،

أن خيار أمق لا ينامون » وقال ابن عباس « من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل » (قوله وفي قراءة أمن) أي بالتشديد وعليها فأم داخلة على من الوصلة فأدغمت الميم في الميم وترسم على هذه القراءة ميا واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعاً لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل أي التي للاضراب الاتقالي وقوله والمهمزة أي التي للاستفهام الإنكاري والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أي وهم المؤمنون العارفون برهم وقوله والذين لا يعلمون أي وهم الكفار (قوله أي لا يستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى التثني (قوله إنما يتذكر أولوا الألباب) أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكير (قوله قل يا عبادي الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولأمنته زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والأوهام (قوله بأن تطيعوه) أي تمتثوا بأوامره وتجنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفي هذه الدنيا متعلق بأحسنوا رحمة مبتدأ مؤخر (قوله هي الجنة) أي بجميع ما فيها من النعيم المقيم فهي بمعنى قوله تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله بأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهي حالية . [٤٤ - صاوي - ثالث]

(قوله فهاجروا إليها الخ) أشار بذلك إلى أن للرد بالأرض أرض الدنيا ، والعنى من نصرت عليه اتقوى في محلّ ظليها حرّال
 هل آخر يتمكن فيه من ذلك إذ لا عذر في التفريط أصلا ، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا في صحة الإسلام فلما فتحت مكة
 نسخ كونه شرطا وصارت نصرتها الأحكام فتارة تكون واجبة كما إذا هاجر من أرض لا يتسمر له فيها إقامة دينه لأرض يتعلم
 فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبية كما إذا هاجر من أرض لا خيار بها لأرض بها خيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون
 مكروهة كما إذا هاجر من أرض بها الخيار وأهل العلم والصلاح لأرض لا خيار بها ولا علم ولا عمل وقارة تكون محرمة كما إذا
 هاجر من أرض يأمن فيها على دينه لأرض لا يأمن فيها عليه (قوله إنما يوفى الصابرون) هذا ترغيب في التقوى للأمور بها
 (قوله على الطاعات) أى أو عن المعاصي (قوله وما يتلون به) أى ومن جملته مفارقة الوطن للأمور بها في قوله : وأرض الله
 واسعة (قوله بغير حساب) أى لما ورد « تنصب للوازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا
 تنصب لأهل البلاء بل يصبّ عليهم الأجر صبا حتى يمتلئ أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل
 البلاء من الفضل » (قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة في هذا الإخبار إعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه فان
 العادة أن للتصف بخاق ثم يأمر به أو يعرض بالأمر به يؤثر في غيره كما قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من حال ألف رجل
 في رجل (قوله من هذه (٣٤٦) الأمة) جواب عما يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المسلمين مطلقا ،

فأجاب بأن الأولية بحسب
 سبق الدعوة (قوله قل
 إنى أخاف) سبب نزولها
 أن كفار قريش قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم
 ما حملك على هذا الذى
 أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة
 أميك وجدك وقومك
 فتأخذ بها فنزلت فالقصد
 منها زجر النبر عن المعاصي
 لأنه صلى الله عليه وسلم
 إذا كان خائفا مع كمال

فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ) على الطاعة
 وما يتلون به (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَأُمِرْتُ لِأَنْ) أى بآن (أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) من
 هذه الأمة (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا
 لَهُ دِينِي (من الشرك) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) غيره ، فيه تهديد لهم وإيدان بأنهم
 لا يعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
 بتخليد الأفسس في النار وبعدم وصولهم إلى الحور المدة لهم في الجنة لو آمنوا (أَلَا ذَلِكَ
 هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) طباق (مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ
 ظُلَلٌ) من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادِ
 قَاتِلُوا . وَالَّذِينَ آمَنُوا الطَّاعَاتِ) الأوثان ،

طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يجبرون غيرهم (أن
 ينام متصفون به ليكونوا مثلهم لالملك والتجبرين حيث يأمرون غيرهم بما يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أى من حيث
 الأمر (قوله وإيدان) أى إعلام (قوله الذين خسروا) خبر إن (قوله وأهلهم) أى أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد « أن
 الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار
 وكان ذلك المنزل والأهل لغيره فمن عمل بطاعة الله خسرت نفسه وأهله ومنزله » وقيل المراد أهلهم في الدنيا لأنهم إن كانوا من أهل النار
 فقد خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون
 النار (قوله بتخليد الأفسس) راجع لقوله أنفسهم ، وقوله بعد وصولهم إلى الحور العين الخ راجع لقوله وأهلهم على سبيل اللف والنشر
 المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لا يخفاء فيه وأصير الجملة بأداة التنبيه إشارة إلى فظاعته وشناعته (قوله لهم
 من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طبق) أى قطع كبار وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهى
 محرقة والظلة تقي من الحر (قوله ومن تحته ظلل) أى لغيرهم وإن كان فراشهم لأن النار دركات فما كان فراشا لجمعة يكون
 ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) أى بالحكمة في ذكر أحوال أهل النار تخوف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله
 يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان
 وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضى الله عنهم سألو أبا بكر رضى الله عنه فأخبرهم بإيمانه (قوله الأوثان)

هذا أحد أقوال في تفسيره ، وقيل هو الشيطان ، وقيل كل ماعبد من دون الله تعالى ، وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة)
 أى طى ألسنة الرسل أو طى ألسنة الملائكة عند حضور الموت ، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم
 وعند الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط في كل موقف من
 هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادي) أى الموصوفين باجتناب الأوثان والابانة إلى الله تعالى
 بالإضافة لتشريف المضاف إليه (قوله الذين يستمعون القول فيتعلمون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن
 ويكفون عن القبيح ، وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتعلمون القرآن ، وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتعلمون المحكم
 ويعملون به ويتركون المشابه ويفوضون علمه لله تعالى ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة
 وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى انوصوفون بتلك الأوصاف (قوله أفمن حقّ عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل
 أن من شرطية وجوابها قوله : أفأنت تنقذ من في النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار وإطول الكلام
 وأقيم الظاهر مقام المضمرة : أى أفأنت تنقذه ، ويحتمل أنهما موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أفأنت تنقذه جملة قوله : أفأنت
 تنقذ من في النار مستقلة مؤكدة لما قبلها ، وهذه الآية نزلت في حق (٣٤٧)

عشيرة النبي صلى الله عليه
 وسلم عن الإيمان وقد كان
 حريصا على إيمانهم (قوله
 والهمزة) أى الأولى
 والثانية تؤكد لها (قوله
 للانكار) أى الاستفهام
 الانكارى (قوله والمعنى
 لا تقدر على هدايته الخ)
 أشار بهذه إلى أن قوله
 أفأنت تنقذ من في النار
 مجاز مرسل حيث أطلق
 المسبب وأراد السبب لأن
 الإدخال في النار مسبب
 عن الضلال وترك الهدى
 كأنه قال أنت تهدي من

(أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنْبِئُوا) أَقْبِلُوا (إِلَى اللَّهِ لَمْ الْبَشْرَى) بِالْجَنَّةِ (فَبَشِّرْ عِبَادِي . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
 الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وَهُوَ مَا فِيهِ صِلَاحُهُمْ (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ
 أُولُو الْأَلْبَابِ) أَصْحَابُ الْقَوْلِ (أَقْمَنَ حَقٌّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أَيْ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ الْآيَةَ
 (أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ) تَخْرُجُ (مَنْ فِي النَّارِ) جَوَابُ الشَّرْطِ وَأَقِيمَ فِيهِ الظَّاهِرَ مَقَامَ الْمَضْمُورِ وَالْهَمْزَةُ
 لِلانْكَارِ ، وَالْمَعْنَى لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِ فَتَنْقِذُهُ مِنَ النَّارِ (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بِأَنْ أَطَاعُوهُ
 (هُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَيْ مِنْ تَحْتِ الْغُرْفِ
 الْقَوَائِمِ وَالتَّحْتَانِيَةِ (وَعَدَّ اللَّهُ) مَنْصُوبٌ بِفِعْلِهِ الْقَدْرُ (لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) وَعَدَهُ (أَلَمْ تَرَ)
 تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) أَدْخَلَهُ أَمَكْنَةً نَبْعِ (فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهَا زَرْعًا مَخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ) يَبْسُ (فَتَرِيَهُ) بَعْدَ الْخُضْرَةِ مِثْلًا (مُضْفَرًا
 ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) فَنَاتًا (إِنْ فِي ذَلِكَ لَدَلِيلٌ لَكَ كَرِيمٌ) تَذْكَيرًا (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يَتَذَكَّرُونَ
 بِهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرَتِهِ (أَقْمَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فَاعْتَدَى ،

أضله الله وجعله النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول
 في النار على طريق المكنية في المركب وحذف المركب الدال على المشبة به ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الانتقاد وفيه
 إشكال انظر بسطه في - اشتبنا على رسالة البيان لأستاذنا الشيخ السمرقندي (قوله لكن الذين اتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات
 الجملة السابقة المخاطبون بقوله - يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الآية ولكن ليست للاستدراك وإنما هي للاضراب عن
 قصة إلى قصة مخالفة للأولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله في حق أهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
 (قوله بفعله المقدر) أى وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل
 الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضطلاعها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاعتراض بها (قوله أدخله أمكنة
 نبع) أى فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الأرض وبتطاق
 الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعاً) صيغة المضارع لاستحضار الصورة
 واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أى من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الألوان إما في ثماره أو في عوده ومراده
 بالزرع كل ما يستقبل (قوله فتاتا) أى متفتتا و متمزقا (قوله أفمن شرخ الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوفه والقاء

عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام إنكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله : كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله : إيماناً يتذكر أولوا الألباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء ، وفى الحديث « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، فقيل ماعلامه ذلك ؟ قال الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للوت قبل نزوله » (قوله دل على هذا) أى المقتر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تقييد العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل : أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرتها ، ومن المعلوم المشاهد أن الأطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ، ومن هنا قول بعض العارفين : ألبذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثنا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) أى اللفظ ، وقوله وغيره : أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع . قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى : ردت بلاغتها دعوى معارضها ردة الغيور يد الجانى عن الحرم لها نصت ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسأم

واعلم أنه فى هذه الآية أثبت (٣٤٨) أن القرآن متشابه ، وفى آية أخرى أثبت أنه محكم ، وفى آية أخرى أن بعضه

(فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْمَأْسِيَةِ) قَلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أى عن قبول القرآن (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين (اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أى قرآنًا (مُتَشَابِهًا) أى يشبه بعضه بعضاً فى النظم وغيره (مَثَانِي) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرها (تَقَشَّرُ مِنْهُ) ترتد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطنن (جُلُودُهُمْ وَقَلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أى عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أى الكتاب (هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَمَنْ يَتَّبِعِ) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى أشده بأن يلقى فى النار مغالوة يدها إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى جزاءه .

الجمع (قوله مثنى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرها) أى كالتقصص والأحكام (قوله تقشع منه) أى تنقبض وتنجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطنن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعدها بإلى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للبعد كجناحى الطائر إن عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى للوصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغالوة يدها) أى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتندهل النار فيها وهى فى عنقه فحرفها ووجهها على وجهه لا يطبق دفنها عنه للاغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعمير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

الجمع (قوله مثنى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به

المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرها) أى كالتقصص والأحكام (قوله تقشع منه) أى تنقبض وتنجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطنن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعدها بإلى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للبعد كجناحى الطائر إن عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى للوصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغالوة يدها) أى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتندهل النار فيها وهى فى عنقه فحرفها ووجهها على وجهه لا يطبق دفنها عنه للاغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعمير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

(قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال الكاذبين قبلهم وما حصل لهم في الدنيا من العذاب (قوله لا تخبط بياهم) المراد بالجبهة السبب أى أنهم العذاب بسبب لا تخبط بياهم كاللواط في قوم لوط مثلا (قوله لو كانوا يعلمون) أى يصدقون ويوقنون وقوله ما كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موثقة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موثقة بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى ثمناء صحيح للابس ولا تناقض فيه (قوله لعلمهم يتقون) علة لقوله لعلمهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكر لهم لعلمهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخص بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بألف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءة ثان سبعيتان فالأولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) (قوله هل يستويان) (٣٤٩) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله

تمييز) أى محمول عن الفاعل والمعنى لا يستوى مثلها وما وصفتهما (قوله أى لا يستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للشرك الذى يعبد غير الله فقولها لجماعة أى سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذى يعبد الله وحده وقوله فأن الأول الخ تقرير للمثل الأول ولم يتعرض للثانى لوضوحه (قوله الحمد لله) أى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو إضراب اتقالي من بيان

(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رَسَلَهُمْ فِي إِيْتَانِ الْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) مِنْ جِهَةِ لَا تَخْطُرُ بِيَاهِمُ (فَأَذَاتَهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ) النَّزْلُ وَالْهُوَانُ مِنَ الْمَسْخِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) أَيْ الْمَكْذُوبُونَ (يَعْلَمُونَ) عَذَابُهَا مَا كَذَّبُوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جَعَلْنَا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يَتَعَذَّرُونَ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أَيْ لِبَسٍ وَاخْتِلَافٍ (أَمَلَهُمْ يَتَّقُونَ) الْكُفْرَ (ضَرَبَ اللَّهُ) لِلشَّرْكِ وَالْمُوحِدِ (مَثَلًا رَجُلًا) بَدَلَ مِنْ مَثَلِ (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِبُونَ) مُتَنَازِعُونَ سَيِّئَةُ أَخْلَاقِهِمْ (وَرَجُلًا سَالِمًا) خَالصًا (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تَمْيِيزٌ: أَيْ لَا يَسْتَوِي الْعَبْدُ لِجَمَاعَةٍ وَالْعَبْدُ لِوَاحِدٍ فَإِنَّ الْأَوَّلَ إِذَا طَلَبَ مِنْهُ كُلٌّ مِنْ مَالِكِيهِ خِدْمَتَهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تَحْيِيرَ فِيمَنْ يَخْدُمُهُ مِنْهُمْ، وَهَذَا مِثْلُ لِلشَّرْكِ وَالثَّانِي مِثْلُ لِلْمُوحِدِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَحْدَهُ (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ (لَا يَعْلَمُونَ) مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَشْرِكُونَ (إِنَّكَ) خَطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) سَتَمُوتُ وَيَمُوتُونَ فَلَا شِمَاءَةَ بِالْمُوتِ، نَزَلَتْ لَمَّا اسْتَبْطَنُوا مَوْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَكُمْ مِنَ الظَّالِمِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قَنْ) أَيْ لِأَحَدٍ (أَعْلَمُ بِمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بِنِسْبَةِ الشَّرْكِ وَالْوَالِدِ إِلَيْهِ (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ) بِالْقُرْآنِ

عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله إنك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالخفيف فهو من فارقت الروح بالفعل (قوله فلا شماءة بالموت) الشماءة الفرحة ببلىة العدو (قوله نزلت لما استبطنوا موته الخ) أى وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم فلا معنى لشماءة الفانى بالفانى (قوله أيها الناس) أى مؤمنكم وكافركم ، وقوله تختصمون أى يخاضم بعضهم بعضا فيقتص للظالم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أندرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المفلس من ياتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله من كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلاً قال رسول الله كذا، هذا شرعه ، والحال أنه لم يكن

قاله ولم يكن شرعه (قوله إذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق . والعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى . والعنى فى جهنم منوى للكافرين لأن بلى يحجاب بها النقي ويصيره إثباتا كما تقدم (قوله فالتى بمعنى الدين) أى بالنسبة للصلاة الثانية ولذا روى معناه جمع فى قوله أوئلك هم المتقون وروى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم ما يشاءون) أى كل ما يشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من القاتات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف إلى غير ذلك (قوله لأنفسهم) متعاق بالمحسنين وفيه إشارة إلى أن إحسان الانسان لنفسه ومثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضرر مسيء تعالى الله عنه ، والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والاتجاه إليه وبذا المعروف للخلق محبة فى الخلق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تتميز الأشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم ما يشاءون (قوله بمعنى السيئ والحسن) أى فأفعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط ويجازون على الأحسن فقط ولا يكفر عنهم السيئ (٣٥٠) ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الآتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعية ، أيضا والعنى أن من أخلص لله فى عبادته كفاء ما أمه فى دينه وديناه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والعنى أن الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخوفهم لك ويصح أن تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضائه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى يفتقم من أعدائه لأولياته وتأخير

(إِذْ جَاءَهُ الْيَسْرَ فِي جَهَنَّمَ مَخْشَى) (مَأْوَى) (لِلْكَافِرِينَ) (بلى) (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وَصَدَقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُوئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بأيامهم (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيئ والحسن (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أى النبي بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) (ذِي أَنْتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى (وَلَيَنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ) لا (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) ؟ لا ؛ وفى قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواقفون (قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا لِي مَا كَانَتْ لَكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعولة العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِمٌّ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله بيدر (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) ،

متعلق

قوله بلى للإشارة إلى أنه راجع لقوله

ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والأيجاد (قوله قل أفرايتم الخ) رأى متعديا لمفعولين : الأول قوله ما تدعون . والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ ، وقوله إن أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله إن أرادنى الله بضر) قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخوفه من الأصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الإناث تحقيرا لها ولائهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالإضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل حسبى الله) أى كفى فلا أتيت لغيره (قوله يثق الواقفون) أى يعتمد المتتمدون (قوله قل يا قوم اعملوا الخ) هذا الأمر للتهديد (قوله حالتكم) أى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان : يجمع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) أى لائها بمعنى عرف فتصب مفعولا واحدا (قوله يخزىه) أى يهينه ويذله (قوله للناس) أى لصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

(قوله متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال إما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا نسبية له صلى الله عليه وسلم ، والنفي ليس هداماً بيدك ولا في ضامتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وإنما هو بيدها فان شئنا هديناهم وإن شئنا أيقيناهم على ما هم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها) أى يقبض الأرواح عند حضور أجسامها فالنفس والروح شئ واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التي لم تمت في منامها) أشار بذلك إلى أن الوصول معطوف على الأنفس مسلط عليه يتوفى والنفي يقبض الأرواح التي لم تحضر أجسامها عند نومها ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والاحساس لابطانها فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً لا يراها جسم لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها ، وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فأصلها في وسطه ونورها سار في جميع أجزائه (قوله فيمسك التي قضى عليها الموت) أى لايردها (٣٥١)

دنيوية (قوله أى وقت موتها) ظاهره أن قوله إلى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الأخرى فقط ويصح رجوعه له وللذى قبله ويراد بالأجل المسمى في المسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) أى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أى فتى ذهبت نفس الحياة لاتبقي نفس التمييز والاحساس . واعلم أنه اختلف هل في الانسان روح واحدة

متعلق بأنزل (فَن اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) اهتداؤه (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فجبرهم على الهدى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أى يتوفاها وقت النوم (فِيْمَسْكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) دلالات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقرئش لم يتفكروا في ذلك (أَمْ) بل (أَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام آلهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم (قُلْ) لهم (أ) يشفعون (وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة وغيرها (وَلَا يَقْلِقُونَ) أنكم تصيدونهم ولا غير ذلك ؟ لا (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أى دون آلهتهم (اشْتَمَزَتْ) نفرت واقتبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) أى الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى ،

والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان إحداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة بأئها إذا كانت في الجسد كان الانسان متيقظاً فاذا خرجت منه نام الانسان وروأت تلك الروح المنامات والأخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة بأئها إذا كانت في الجسد كان حياً فاذا فارقت مات فاذا رجعت إليه حي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقرئش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا إضراباً انتقالياً (قوله أى الأصنام) بيان للمفعول الأول (قوله أيشفعون) أشار بهذا إلى أن الهمة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء في الأخبار أن للأنبياء والملائكة والشهداء شفاعات فأجاب بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء بأذن الله ورضاه . قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - (قوله ثم إليه ترجعون) أى تردون فيجازيكم بأعمالكم (قوله وإذا ذكر الله وحده) إذا معمولة لقوله اشتمزت (قوله إذا هم يستبشرون) أى لتسبيحهم حق الله تعالى وهذه الآية تيجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجبىء إلى ربك بالدعاء والتضرع فإنه القادر على كل شئ .

(قوله أي يا الله) أي خذت ياء النداء وعرّض عنها اليمّ وشددت لتكون على حرفين كالعروض عنه (قوله اهدني) هذا هو المقصود بالدعاء وتعم تلك الدعوة النبوية على ماورد اهدني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الخ) بيان لفاية شدة ماينزل بهم (قوله لا فتدوا به) أي بالذكور من الأمرين (قوله يوم القيامة) ظرف لا فتدوا (قوله وبدا لهم الخ) كلام مستأنف أو معطوف على قوله ولو أن للذين ظلموا الخ (قوله سيئات ما كسبوا) أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم محققهم (قوله الجنس) أي فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادها (قوله إنعاما) أي تفضلا وإحسانا (قوله على علم من الله الخ) أي أومنى بوجوده كسبه أو أتى أعطيته بسبب محبة لله لي وفلاحى (قوله أي القولة) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى أن النعمة فتنة أي امتحان واختبار هل يشكر عليها أو يكفرها (قوله إن التخويل) أي إعطاء النعم تفضلا وإحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيئات ما كسبوا) أي جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله ففحقطوا سبع سنين) أي أوائل سنى الهجرة حتى (٣٥٢) أكلوا الحيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) أي استدرجا لهم لارضا عليهم

(قوله أولم يعلموا) أي القائلون إنما أوتيته على علم عندي (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) أي وإن كان لا حيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أي لمن يشاء وإن كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقضه مدخل في محبة الله ولا بضه بل بحكمته تعالى (قوله إن في ذلك) أي المذكور (قوله قل يا عبداى الذين أصرّوا الخ) سبب نزولها « أن رسول الله صلى الله عليه

يا الله (فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهده (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون (وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (ضُرٌّ دَعَا نَائِمًا إِذَا حَوَّاهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِمَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأنى له أهل (بَلْ هِيَ) أي القولة (فِتْنَةٌ) بلية يتلى بها العبد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن التخويل استدرج و امتحان (قَدْ قَالَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كقارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي جزاؤها (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) أي قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفاتنين عذابنا فحقطوا سبع سنين ، ثم وسع عليهم (أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (قُلْ يَا عِبَادِى

وسلم بعث إلى وحشى قائل حمزة يدعوه إلى الاسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم الدين أنه من قتل أو أشرك أوزنى يلق أنما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله الإل من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرأتى بعد فى شبهة أيفغر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لأرى شرطا فأسلم وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل إنها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها إقباله تعالى على خلقه ونداؤه إياهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها إضافة الرحمة لأجل أسماءه الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الإتيان بالجملة للمعرفة الطرفين المؤكدة بان وضيم الفصل فى قوله إنه هو التفور الرحيم للإشارة إلى أنه تعالى لاوصف له مع عباده إلا التفوران والرحمة ، ومناسبة هذه الآية لما قلناه أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف

(قوله الدين أمرنوا على أنفسهم) أي فرطوا في الأعمال الصالحة وأرتكبوا سيء الأعمال وأكثروا منه (قوله لا تقنطوا من رحمة الله) إن قلت إن في هذا إغراء بالمعاصي وانكالا على غفرانه تعالى وهو لا يليق . أحيب بأن القصود تنبيه العاصي على أنه ينبغي له أن يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك إغراء بالمعاصي بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم في الإقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أي من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أي من باب دخل وهي شاذة (قوله إن الله يفر الذنوب جميعا) أي إشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلما ولم يقب من ذنوبه فأمره مفوض لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقلو جرمه ثم يدخله الجنة ، وأما من مات مشركا فلا يفر له بنص قوله تعالى «إن الله لا يفر أن يشرك به - ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لأن دار النضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهي لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) إنما خص الشرك لأن التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى - قل للذين كفروا إن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلفا - بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعيا والفرق أن تعذيب العاصي تطهير وتعذيب الكافر غضب فحال العاصي للجنة وإن طالت مدته في النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله إنه هو الغفور الرحيم) تحليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنبؤوا إلى ربكم) أتى بهذه الآية عقب التي قبلها لثلاث يتكلم العاصي على الغفران (٣٥٣) ويترك التوبة والرجوع إلى الله فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله إن لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أي على لسان أحسن نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنبؤوا

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا (بكسر النون وفتحها ، وقرئ بضمها تياسوا) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) مَنْ تَابَ مِنَ الشَّرْكِ (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْبِئُوا) ارجعوا (إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا) اخلصوا العصل (لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) بمنه إن لم تتوبوا (وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) هو القرآن (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَشْعَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي) أصله يا حسرتي : أي ندامتي (عَلَىٰ مَا فَرَطْتُمْ فِي جَنْبِ اللَّهِ) أي طاعته (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة أي وإني (كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ) بدينه وكتابه (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) ،

والعنى ارجعوا إلى ربكم والزمو أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حتى يلزمه اتباعه وفي الحديث «لو أدركني موسى ماوسعه إلا اتبعني» وحينئذ فالعنى اتبعوا يا صبادي من أول الزمان إلى آخره أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم فالعكاف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقي حيا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على ما فهم المفسر ، وقيل معنى أحسن ما أنزل إليكم الخ أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيه أو عزائمه دون رخصه أو ناسخه دون منسوخه أو ما هو أعم والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل أن تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخافة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أصهل مما قدره المفسر ، والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتي) أي فقلبت الياء ألفا فهي في هزل جر ونداؤها مجاز : أي هذا أولئك فاحضري (قوله أي طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجانب الطاعة مجازا لأن الجنب في الأصل الجهة المهسوسة ويرادفه الجانب فشبّه الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل صاحبه لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وإن كنت لمن السخريين) الجملة حالبة ، والعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر (قوله أو تقول الخ) [٤٥ - صاوي - ثالث]

أولكن يوع في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بالطاعة أي إسماعله ولو قال بآياته لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين) إما معطوف على كره فيكون من جملة التمني والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخاص نظير قول الشاعر :
 لولا توقع معتز فأرضيه ما كنت أوتر أترابا على ترب
 ويكون إضمار أن جازا لا واجبا ، قال ابن مالك :

وإن على اسم خاص فعل عطف تنصبه إن تابا أو من حذف

أو منصوب في جواب التمني ويكون مرتبا على التمني والفاء لاسببية وإضمار أن واجب (قوله فيقال له الخ) أي جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعبء بعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودي فان الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يخفى الرجوع إلى الدنيا . إن قلت إن بلى يجب بها التني ولا نفى في الآية . أجب بأن الآية متضمنة للتني لأن معنى قوله لو أن الله هداني لم يهدني (قوله وهي سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما إن أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي الكفر وإفظهار الآية (٣٥٤) - يم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب

بالطاعة أي فاهتديت (لكنت من المتقين) عذابه (أو تقول حين ترى أعذاب لو أن لي كرهة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بلى قد جاءت آياتي) القرآن وهو سبب الهداية (فكذبت بها وأستكبرت) تكبرت عن الإيمان بها (وكنفت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه (وجوههم مسودة أليس في جهنم مذموم) ماوى (للمتكبرين) عن الإيمان ؟ بلى (وينجي الله) من جهنم (الذين اتقوا) الشرك (بمآزتهم) أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون . الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) متصرف فيه كيف يشاء (له مقاليد السموات والأرض) أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرها (والذين كفروا بآيات الله) القرآن (أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قل أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمر وفي بتقدير أن بنون واحدة وبنونين

على الله تعالى كالافتاء بغير المخرج ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية أو مفعول ثان إن جعلت علمية (قوله أليس في جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) أي جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فصل الطاعات وترك المعاصي وتقوى خواص الخواص عدم

بادغام

خطور النير بياهم (قوله بمآزتهم) الباء سببية متعلقة بينجي وفي قراءة سبعة أيضا بمآزاتهم

جمعا باهتبار الأشخاص (قوله أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم ، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمآزتهم فلا محل لها من الإعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شيء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشيء الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والأرض) المقاليد جمع مقلاذ أو مقليه ، والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السموات والأرض . وروى عن عثمان رضي الله عنه «أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مقاليد فقال : تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخِر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والأرض من تكلم بها فتحت له» (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمروني) أي والأصل تأمروني بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمروني العامل في عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الباء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للنسبة واستغنى بها عن نون الوقاية

(قوله بادغام) أى مع فتح الياء وسكونها وقوه وفك أى مع سكون ايماء لاغير فالقراءات أربع سببيات (قوله ولقد أوحى إليك الخ) اللام موثقة لقسم محذوف أى والله لقد أوحى الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ ، والمعنى أوحى إليك هذا السلام (قوله فرضاً) أى على سبيل التقدير وفرض المجال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أهمهم لصمتهم من ذلك . إن قات كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه أفراد الخطاب . أجيب بأن المعنى أوحى إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الأمير حلة أى كسا كل واحد مناحلة (قوله ليحبطن عمك) من باب تعب وقرء شذوذاً من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملته المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثانى وهو لئن أشركت والقسم الثانى وجوابه عن القسم الأول وهو لقد أوحى وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاهبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله ولكن من الشاكرين) أى على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقى النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) إن قات إن مفهوم الآية يقتضى أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقوله سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفة» أنه لا يعلم الله إلا الله فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الآية محمولة على المعرفة للأمر بها المكلف بتحصيلها ، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التى فرضت عليهم وهى تفريه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التى لم تفرض على العباد وهى معرفة الحقيقة والسكنة فتدبر، فتصل أن العجز عن الإدراك إدراك والبحث عن الذات إشراك ولم يكفنا الله إلا بأن (٣٥٥) نزهه عما سواه سبحانه وتعالى

(قوله أو ما عظموه حق عظمتهم) مفهومه أنهم عظموه لاحقاً تعظيمه وهو كذلك لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر الخالق لكل شئ (قوله والأرض جميعاً الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة ، والمعنى ما عظموه حق تعظيمه

بَادِغَامَ وَفَكَ (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) وَاللَّهُ (لَئِن أَشْرَكَتَ) بِإِمْحَادِ فَرْضًا (لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ) وَحْدَهُ (فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) إِنْعَامَهُ عَلَيْكَ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَوْ مَا عَظَمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا) حَالِ أَى السَّبْعِ (قَبَضَتُهُ) أَى مَقْبُوضَةٌ لَهُ أَى فِى مَلِكِهِ وَتَصَرَّفَهُ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ) مَجْمُوعَاتٌ (بِيَمِينِهِ) بِقَدْرَتِهِ (سُبْحَانَكَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) مَعَهُ (وَتُنْفَخُ فِى الصُّورِ) النَّفْخَةُ الْأُولَى (فَصَعِقَ) مَاتَ (مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ،

والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أى فى ملكه وتصرفه) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهراً وباطناً ، بخلاف أمور الدنيا فإن للعبيد فيها أملاكاً ظاهرية ، وقيل إنه كناية عن انعدامها بالمرّة وهو ظاهر ، ويقال فى الطىّ مثل ذلك (قوله ونفخ فى الصور الخ) التعبير فى هذا وما بعده بالماضى لتحقق وقوعه أى لكونه واقفاً فى علم الله تعالى أزلاً ، لأن كل ما ظهر فهو جار فى سابق علمه تعالى والنافخ إسرافيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام . والصور بسكون الواو فى قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة فى فم إسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماء قد نزلنا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الأولى) ظاهر المفسر أن النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية ، وقيل إن النفخ ثلاث مرّات : فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكسار النجوم وتسجير البحار والناس أحياء والهون ينظرون إليها فتذهل كل مرضعة مما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهى المعنية بقوله تعالى - إن زلزلة الساعة شئ عظيم - . والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حياة دنوية وأمان كان حياة برزخية فانه ينفى عليه . والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعمائة سنة على الصحيح لتسريح الأرض من الهول الذى حصل لها وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض ولاحى على ظهرها من سائر الخواقات (قوله مات) أى من كان حياً فى الدنيا وينفى على من كان ميتاً من قبل ولكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء .

(قوله من الحور الخ) أى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بعض النشى والدهش موسى عليه السلام فإنه لا ينشى عليه بل يبقى متيقظاً ثابتاً لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرهما) أى كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الأولى وإنما يموتون بين النفختين لما روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا : ونفخ في الصور الآية فقالوا يانبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى ؟ قال هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت ياملك الموت من بقى من خلقي وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول ملك الموت ياملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت إذاذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الذى فىقول الله تعالى يا جبريل لا يد من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت إذاذا الجلال والاكرام » (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد أربعين سنة على الصحيح ، وقرب نفخة القيام تأتي سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خائراً كالمنى فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الله نب فإنه يبقى مثل عين الجراد لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاءه فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خلقاً سواها ، وفي النفخة الثانية يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصور الخالق بأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى : يخرجون من الأجدات كأنهم جراد منتشر (٣٥٦) الآية ، فإذا خرجوا من قبورهم تتناقى المؤمنون بمرآك من رحمة الله

كما قال تعالى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، وعشى المجرمون على أقدامهم حامين أوزارهم كما قال تعالى : ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ، وفي الآية الأخرى : يحملون أوزارهم على

من الحور والولدان وغيرهما (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم) أى جميع الخلائق الموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء (ووضع الكتاب) كتاب الأعمال للحساب (وجيء بالنبين والشهداء) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمه شهدون للرسول بالبلاغ (وقضى بينهم بالحق) أى العدل (وهم لا يظلمون) شيئاً (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاءه (وهو أعلم) أى عالم (بما يعملون) فلا يحتاج إلى شاهد ،

(وسيق)

ظهورهم (قوله فإذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شدوذا بالصب على الحال

وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أى من الحساب وللرور على الصراط وإدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض بنور ربها) المراد بالأرض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرون حقيقة لما في الحديث « سترون ربكم لا تعارون فيه كالأعمارون في الشمس في اليوم النصحو » وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضىء به الأرض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بينه أو شماله (قوله وجيء بالنبين والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق لأوليين وآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم : ألم يأتكم نذير ؟ فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله تعالى لآنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البيئته وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم للماضية من أين علموا وإنما كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه قبليخ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل الله تعالى عن أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين ، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لامشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفيةاتها وإنما الشهود وكتابة الأفعال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند ، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله :

والعرش والسكرى ثم التلم والكاتبون اللوح كل حكم لا احتياج وبها الايمان يجب عليك أب الانسان

(قوله وسبق الذين كفروا الخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله - ووفيت كل نفس ما عملت - (قوله بمنف) أى شدة لأنهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال (قوله إلى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت ، صوا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى فوجا فوجا كما في آية - كلا ألقى فيها فوج - والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية تبدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى ليتلقون حرارتها بأنفسهم (قوله جواب إذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله وغيره : أى بالنسبة لبقية الأمم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم ، وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الأشخاص ، فيكون نعيها وسرورها للمؤمنين وشدته وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) إقرار بما وقع منهم وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا في النجاة فلما قامت الحجج عليهم ونحتم الأمر بعذابهم رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقرروا ، وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بأنفسهم (قوله على الكافرين) أظهر في محل الإضمار إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين حال مقدرة وذلك لأنهم

(٣٥٧)

عند الدخول ليسوا خالدين وإنما منتظرون ومقدرين الخلود (قوله فليس مثوى للكافرين) أظهر في محل الإضمار إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب ، وقوله جهنم هو المخصوص بالدم (قوله وسبق الذين اتقوا ربهم) أخروعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك إلى أن السوق

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمنف (إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمرًا) جماعات متفرقة (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتُحْتَبِطُ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أى لأملان جهنم الآية (عَلَىٰ الْكَافِرِينَ) قيل أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوًى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بلطف (إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها ، وجواب إذا مقدر : أى دخلوها ، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تسكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليعنى حرها إليهم إهانة لهم (وَقَالُوا) عطف على دخلوها المقدر (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ) بالجنة ،

في الموضوعين مختلف سوق الكفار - سوق إهانة وانتقام - سوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام ، وفي الضمى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لأنهم يذهبون راكبين فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ، وهذا من بدعي الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على المصانف في حق جماعة وعلى العز والرضوان في حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجرم فتفتح له ثم تعلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله : جاءوها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه ، وقوله : طبتم : أى طهرتم من دنس المعاصي لما ورد « أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداها فتطهر أجوافهم ، وذلك قوله تعالى - وسقاهم ربهم شرابا طهورا - ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها - سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (قوله وجواب إذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة ، وقيل إن جوابها قوله وفتحت والواو زائدة ، وقيل هو قوله - وقال لهم خزنتها - والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتسكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) أى بعد استقرارهم في الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) أى حقه لنا في قوله - تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقيا - .

(قوله وأورثنا الأرض) أى ملكها لنا تصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده إرثاً لها منه ، وقيل للراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا ، والأقرب أن للراد ملكنا إياها كالميراث فانه ملك بلائمين ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) أى بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أعد له بحيث لو أطلق له الاختيار (٣٥٨) لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب ، وهذا جواب عما قيل كيف ذلك

(وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ) أى أرض الجنة (نَتَبَّوْا) نَنْزِلُ (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فَفَعَّمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ) حال (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملاسبين للحمد ، أى يقولون : سبحان الله وبحمده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أى المدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع

وأوله :

سورة غافر

مع ان كل إنسان له محل معدة لاسبيل له إلى غيره . وأجيب أيضاً بأن المعنى يختار من منزله ما يشاء لماورد « أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسناً فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يختار بيباله غيرها » (قوله فعم أجراً العالمين) هذا من كلام الله تعالى زيادة في سرور أهل الجنة ، وقوله الجنة هو الخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة في السرور لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الإنس وأما في الدنيا ففزع لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقرئين (قوله حافين) أى محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى تلهذا لأن منتهى درجاتهم

فهرس

الاستقرار في تسبيحه تعالى وتنديسه (قوله ختم استقرار

الفريقين الخ) أى كما ابتداء ذكر الخلق بالحمد في قوله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ففيه تنبيه على أنه تعالى يحمده في مبدأ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أى بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويحمدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم ، والله أعلم .

فهرس الجزء الثالث

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صفحة	صفحة
٥٨	٢
الكلام على موسى الرسول وموسى السامرى	سورة الكهف
٦٢	٣
قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه العنة	ثناء الله على نفسه على إزائه القرآن خاليا من الاختلاف والتناقض
٦٦	٤
سورة الأنبياء عليهم السلام ، وفيها ذكر قصص لبعض المرسلين وإذابة قومهم لهم تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم	٤
٧٤	٨
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاجته لهم على عبادتهم الأوثان وإيقادهم له النار ليحرقوه وملاحظة الله له بلطفه وردة كيد الكافرين به	٨
٨٠	٩
تسخير الله سبحانه وتعالى الريح لسليمان تجربى بأمره حيث أراد وما أعطاه الله له من الملك	٩
٨٧	١٠
سورة الحج ، وما اشتملت عليه من أحوال القيامة ومن بناء إبراهيم عليه السلام البيت إلى غير ذلك	١٠
٩٩	١٢
الكلام على قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الآية وتأويلها الصحيح	١٢
١٠١	١٤
الآيات الواضحات على وحدانية الله تعالى وباهر قدرته	١٤
١٠٥	١٥
تفسير سورة المؤمنون وما اشتملت عليه من بيان صفات المؤمنين حقا ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ومن ذكر قصص بعض المرسلين	١٥
١١٢	١٧
مام الدين يخافون ربهم وماجزاؤهم	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤
	١٥
	١٧
	٢٣
	٢٩
	٤٦
	١٠
	١٢
	١٤

صفحة

- ١١٧ ندم الكافرين عند موتهم وذكر شئ
من أهوال يوم القيامة وبيان حال
الكافرين وحال المؤمنين
- ١١٩ تفسير سورة النور وفيها من الآداب
الربانية ما لم تمسك به المسلمون لكانوا
من العاثرين
- ١٢١ الكلام على براءة السيدة عائشة ع
رماها به الناقون وبعض المؤمنين
- ١٣٠ الكلام على قوله تعالى - الله نور
السماوات والأرض - الآية
- ١٣٦ الآداب التي أمر الله بها عباده
- ١٤١ تفسير سورة الفرقان
- ١٥٥ مآثم عباد الرحمن وما صفتهم ؟
- ١٥٧ تفسير سورة الشعراء وفيها من قصص
الرسلين ما يبهز العقول
- ١٧٤ سورة النمل
- ١٧٧ بيان تعاليم الله تعالى سليمان عليه السلام
منطق الطير الذي من جملة الخلق ،
وقصته معها ومع الهدد ومع بلقيس
- ١٨٨ ذكر أدلة على وحدانية الله تعالى وأنه
الستحق للعبادة دون ما سواه
- ١٩٢ الكلام على الدابة التي تكلم الناس ،
وهي من علامات القيامة
- ١٩٥ تفسير سورة القصص وفيها من الأخبار
العجيبة ما نشرح له الصدور وتطمئن به
القلوب
- ٢١١ الكلام على قارون وما آتاه الله من
الكنوز وبيان أن ذلك لم يجده شيئا
وإنما ينفع العبد يوم القيامة العمل
الصالح

صفحة

- ٢١٥ تفسير سورة العنكبوت وفيها ذكر
قصص بعض المرسلين تسليية للنبي
صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٣ النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي
هي أحسن
- ٢٢٧ تفسير سورة الروم وبيان صدق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من الغيبات
- ٢٣٠ الآيات الدالة على قدرة الله تعالى
- ٢٣٧ تفسير سورة لقمان وما فيها من المواعظ
والحكم والبراهين الدالة على وحدانية
الله تعالى وقدرته
- ٢٤٤ تفسير سورة السجدة
- ٢٤٧ مآثم الذين إذا ذكروا بآيات ربه ،
وما جزأؤهم
- ٢٤٩ تفسير سورة الأحزاب ، وما فيها من
الأحكام وغزوة الخندق والآداب
الربانية التي جعلها الله علامة للفوز بدار
النعيم لمن تمسك بها
- ٢٧٢ تفسير سورة سبأ
- ٢٨٦ » » فاطر
- ٢٩٦ » » يس
- ٣١١ » » الصافات ، وفيها قصص
بعض المرسلين
- ٣٢٨ » » ص ، وفيها أيضا قصص
بعض المرسلين ومن بينها قصة سيدنا
داود مع أوريا بالنسبة لزوجته وأصح
ما قيل في هذه القصة مما يناسب
مقام المرسلين
- ٣٤٢ تفسير سورة الزمر وخصها بحال
الكافرين وحال المؤمنين يوم القيامة